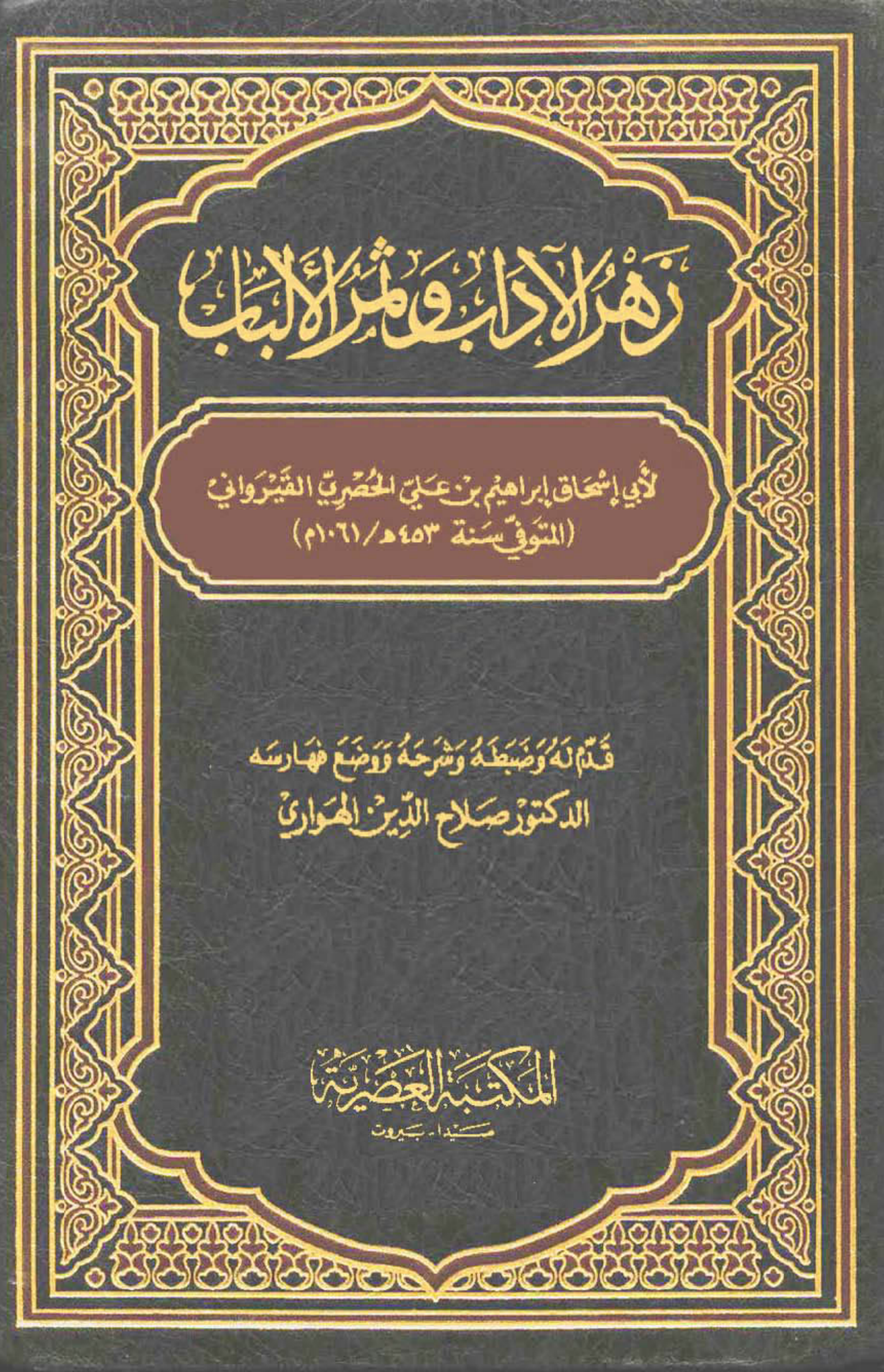

زهر الآداب وثمر الألباب
لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني
(المتوفى سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م)
قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه
الدكتور صلاح الدين الهواري
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

زهر الآداب وثمر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن عليّ الحُصْريّ القيرواني
(المتوفى سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م)

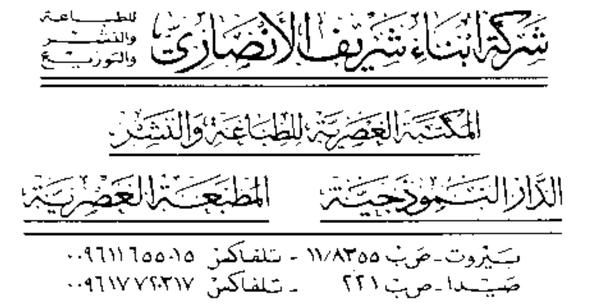
قدّم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه
الدكتور صلاح الدين الهواري

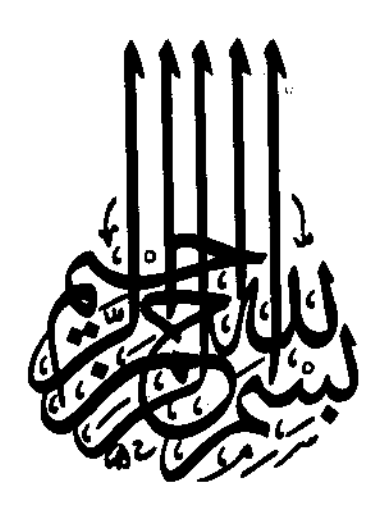
المجلد الرابع



الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - 2001 م




بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

[نماذج من الشعر الجيد]

لابن المعتز

ومن الشعر الذي يجري مع النفس قول ابن المعتز يمدح المكتفي؛ إذ قدم من الرقة بعد القبض على القرمطي فقال[1]:

لا وَرُمّـــــان النهـــــودِ ... فَـــوْقَ أغصـــانِ القُـــدودِ[2]

وَعنـــاقيـــد مِـــنَ أصـــدا ... غِ وَوَرْدٍ مـــن خُـــدودِ[3]

وَبُـــدورِ مِـــنْ وُجُـــوهٍ ... طـــالعـــاتٍ بـــالسُّعـــودِ[4]

وَرَسُـــولٍ جـــاء بـــالمي ... ـعـــادِ مِـــن بَعْـــدِ الـــوعِيـــدِ

وَنعيـــم مـــنْ وِصَـــالٍ ... فـــي قَفَـــا طُـــولِ الصُّـــدودِ[5]

ـــا رأتْ عينـــي كَظَبْـــي ... زَارنـــي فـــي يـــومِ عيـــدِ

فـــي قَبَـــاءٍ فَـــاختـــيٍّ الـ ... ـلَّـــوْنِ مـــن لِبْـــسِ الجـــديـــدِ[6]

كُلَّمـــا قَـــاتـــلَ جُنْـ ... ـــديٌّ بِسَيْـــفٍ وعَمُـــودِ

قَـــاتـــلَ النـــاسَ بِعَيْنيـ ... ـــنِ وَخـــدّيـــنِ وَجيـــدِ[7]

---

(١) ابن المعتز، الديوان: ص ٢٣٥.
(٢) يشبه النهود بالرمان، والقدود بالأغصان، ويقسم بها جميعاً.
(٣) الأصداغ: جمع صُدغ، وهو جانب الوجه من العين إلى الأذن. وفي الديوان: «وعناقيد من الصُّدْغ».
(٤) في الديوان: «ووجوه من بدورٍ طالعات من سُعودِ».
(٥) قفا كل شيء: خلفه. وفي الديوان: «حُلَّ من طول الصدودِ».
(٦) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب، أو القميص، يُتَمنْطَقُ به. وفاختي اللون: لونه كلون الفاختة: نوع من الحمام البري. وفي الديوان: «من لِبْسٍ جديدِ».
(٧) الجيد: العنق.

قَــدْ سقــانــي الخمــرَ مِــنْ فيـ ـــهِ علــى رُغْــمِ الحَسُــودِ[١]
وَتعـــانقنَـــا كَـــأَنَّـــا وَهْــوَ فــي عَقْــدٍ شـديــدِ[٢]
نَقْـــرَعُ الثغـــرَ بِثغـــرٍ طَيِّـــبٍ عِنْـــدَ الـــوُرودِ[٣]
[مثــلَ مــا عــاجــلَ بَـردٌ قَطْـــرَ مُـــزْنٍ بِجُمـــودِ[٤]
سَحَـــراً مِـــنْ قبـــلِ أن تَـرْجِـــعَ أرواحُ الـــوفـــودِ[٥]
وَمضـــى يخطـــرُ فـــي المَشْـ ـــي كجبـــارٍ عنيـــدِ]
مَـــرحبـــاً بـــالملـــكِ القـــا دمِ بـــالجـــدِّ السعيـــدِ
يـــا مُـــذِلَّ البغـــي يـــا قـــا تِـــلَ حَيَّـــاتِ الحُقُـــودِ[٦]
عِـــشْ وَدُمْ فـــي ظِـــلِّ عَيْـــشٍ خـــالـــدٍ بـــاقٍ جـــديـــدِ
فَلَقَـــدْ أصبـــحَ أعـــدا ؤكَ كـــالـــزَّرْعِ الحصيـــدِ
ثُـــمَّ قَـــدْ صـــاروا حَـديثـاً مِثْـــلَ عـــادٍ وَثَمُـــودِ
جَـــاءهُـــمْ بَحْـــرُ حـــديـــدٍ تَحْـــتَ أجبـــالِ بُنُـــودِ
فيـــه عِقْبـــانُ خُيـــولٍ فَـــوقهـــا أُسْـــدُ جُنُـــودِ
وَرَدُوا الحـــربَ فمـــدوا كُـــلَّ خَطِّـــيٍّ مـــديـــدِ[٧]
وَحُســـامٍ شَـــسرِه الحـ ـــدّ إلـــى قَطْـــعِ الـــوَرِيـــدِ[٨]
مـــا لهـــذا الفتـــحُ يـــا خَيْـ ـــرَ إمـــام مـــن نَـــديـــدِ[٩]
فَـــاحْمَـــدِ اللّـــهَ فـــإنَّ الـ ـحَمْـــدَ مِفتـــاحُ المَـــزيـــدِ

---

(١) في الديوان: «قد سقاني الراح».
(٢) العَقْدُ: العَهْدُ. وفي الديوان: «وتعانقنا كأنّي وهو».
(٣) القَرْعُ: الضَّرْبُ.
(٤) المزن: جمع مزنة، وهي السحابة الممطرة.
(٥) سحراً: أي وقت السحر، وهو آخر الليل قبيل الفجر.
(٦) البغي: الظلم، ومجاوزة الحدّ.
(٧) الخَطِّيُّ: الرمح المنسوب إلى الخَطِّ، وهو موضع بالبحرين تُجلب منه الرماح، أو تستورد عبره. والمديد: الطويل.
(٨) في الديوان: «وَحُسام سَرَّهُ الحَدُّ إلى . . .». الوريد: عرق في العنق.
(٩) النَّديدُ: النِّدُّ: المِثْلُ والنظير. وفي الديوان: «مِنْ مَزِيدِ».

لعلي بن الخليل أمام الرشيد

وقول علي بن الخليل مولى يزيد بن مزيد الشيباني وكان يُرمى بالزندقة، قال لعلي بن الفضل بن الربيع: جلس الرشيد يوماً للمظالم، فجعلت أتصفّحُ الناسَ، وأسمعُ كلامهم، فرميت بِطَرْفي، فرأيتُ في آخرهم شيخاً حَسَنَ الهيئةِ والوَجْه ما رأيتُ أحسنَ منه؛ فوقف حتى تَقَوَّضَ المجلسُ[١] ثم قال: يا أمير المؤمنين، رقعتي؛ فأمر بأخذها، فقال: إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي بقراءتها؛ فأنا أحسنُ تعبيراً لِخطّي من غيري ـ فقال له: اقرأ، فقال: شيخ ضعيف، ومقامٌ صَعب، ولا آمَنُ الاضطراب؛ فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يَصِلَ عِنايَتَهُ بأمري في الإذن بالجلوس فعل، فقال: اجلس، فجلس وأنشأ يقول:

يا خَيْرَ من وَخَدتْ بأرحُلِهِ ... نُجُبُ الركابِ بِمَهْمَهٍ جَلْسِ[٢]
تَطوي السَّباسِبَ في أَزِمَّتِها ... طَيَّ التِّجارِ عَمائمَ البِرْسِ[٣]
لما رأتكَ الشمسُ طالعةً ... سَجدتْ لِوَجْهِكَ طَلْعَةُ الشَّمْسِ
خَيْرُ البريةِ أَنْتَ كُلِّهِم ... في يَوْمِكَ الغادي وفي الأمْسِ
وَكذاكَ لنْ تَنْفَكَّ خَيْرَهُمُ ... تُمسي وَتُصبحُ فوق ما تُمسي
لله ما هٰرونُ من ملكٍ ... عَفّ السريرةِ طاهرِ النَّفْسِ[٤]
تَمَّتْ عليهِ لِرَبِّهِ نِعَمٌ ... تَزدادُ جِدَّتها مع اللُّبْسِ
مِنْ عِتْرةٍ طابَتْ أُرومتها ... أهلِ العفافِ وَمُنْتَهَى القُدْسِ[٥]
مُتهلّلينَ على أسِرَّتهم ... وَلدى الهياجِ مَصاعبٍ شُمْسِ[٦]

---

(١) تَقَوَّض المجلس: انفضّ أهله، وأصله: من تقوّض البناء إذا تهدَّم.
(٢) وَخَدَ البعير يَخِدُ وخْداً، ووَخِيداً، ووَخَداناً: أسرع ووَسَّع الخَطْوَ، أو رمى بقوائمه كمشي النعام. النُّجبُ: جمع النجيب، وهو الفاضل على مثله النفيس من نوعه، ونجائب الإبل: خيارها. والمهمه: المفازة البعيدة، والبلد المُقْفِر، والجمع مهامه. والجَلْسُ: الغليظ والمرتفع والطويل من كلّ شيء، والجمع أجلاسٌ وَجِلاسٌ.
(٣) السباسب: جمع السَّبْسَبُ: المفازة. والأزِمة: جمع الزمام، وهو الخيط الذي يُشَدُّ في البُرَّة أو في الخِشاش، ثم يُشَدُّ إلى طرف المقود. والبرس: القُطْن.
(٤) السريرة: ما يُكتَم وَيُسَرُّ، والجمع سرائر.
(٥) العترة: نسل الرجل، أو أهله وعشيرته. والأرومة: أصل الشجرة، واستعملت للحسب، فيقال: هو طيب الأرومة: كريم الأصل.
(٦) شَمُسَ فلان: تأبى واستعصى، وتشامسا: تعاديا وتعاندا، ويقال: رجل شموسٌ، وامرأة =

إنــي لَجــأتُ إليــكَ مــن فَــزَعٍ ... قَــدْ كــانَ شَــرَّدَنــي وَمــنْ لَبْــسِ[١]

لمــا اسْتَخَــرْتُ الله مُجتهــداً ... يَمَّمْــتُ نحــوكَ رِحْلَــةَ العَنْــسِ[٢]

وَاختــرتُ حِلْمــكَ لا أجــاوزهُ ... حتّــى أُغَيَّــبَ فــي ثَــرَى رَمْســي[٣]

كَــمْ قَــدْ سَــرَيْــتُ إليــك مُــدَّرعــاً ... لَيْــلاً يَمُــوجُ كحــالِــكِ النِّقْــسِ[٤]

إن رَاعنِــي مِــنْ هــاجــسٍ فَــزَعٌ ... كــانَ التــوكّــلُ عِنْــدَهُ تُــرْسِــي[٥]

مــا ذاكَ إلاَّ أننــي رَجُــلٌ ... أَصْبُــو إلــى نَفَــرٍ مِــنَ الإنْــسِ

بيــضٌ أوانــسُ لا قُــرونَ لهــا ... يَقْتُلْــنَ بــالتطــويــلِ والحَبْــسِ[٦]

وَأجــاذبُ الفتيــانَ بَيْنَهــمُ ... صَفــراءَ مثــل مُجَــاجَــةِ الــوَرْسِ[٧]

للمــاءِ فــي حــافــاتهــا حَبَــبٌ ... نَظْــمٌ كَــرقْــمِ صَحــائــفِ الفُــرْسِ

والله يعلــمُ فــي بَنِيتــهِ ... مــا إن أضعــتُ إقــامَــةَ الخَمْــسِ[٨]

قال: ومن تكون؟ قال: علي بن الخليل، الذي يقال إنه زنديق، فقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم.

وصف دعوة لمحمّد بن حازم

وأنشد أبو العباس المبرد لرجل يصف دعوة دعَا بها الله عزّ وجلّ، وقد رأيتها في شعر محمّد بن حازم الباهلي[٩]:

= شموس، والجمع شُمُسٌ. والمصاعب: جمع مصعب، وهو من الإبل الذي تصعب مقادته.

(١) اللَّبْسُ: الشبهة، وعدم الوضوح.

(٢) العَنْسُ: الناقة القوية، شُبِّهت بالصخرة لصلابتها.

(٣) الثرى: التراب، أو الأرض. والرمس: القبر.

(٤) النِّقْسُ: المِدادُ يُكْتَبُ به، الحبر.

(٥) الهاجس: الخاطر. التُّرس: ما كان يُتَوقّى به في الحرب.

(٦) الأوانس: جمع آنسة، وهي الفتاة الطيبة النفس المحبوب قُرْبُها وحديثها، يُؤنس بها، وقيل: الفتاة ما لم تتزوَّج.

(٧) المُجَاجَةُ: الريق، وَمُجاجة كلّ شيء: عُصارته. والورس: نبت من الفصيلة القرنية، يستعمل لتلوين الملابس الحريرية، لاحتوائه على مادة حمراء، وعلى راتينج.

(٨) الخمس: أي الصلوات الخمس.

(٩) هو أبو جعفر، محمد بن حازم بن عمرو الباهلي بالولاء: شاعر مطبوع هجّاء. ولد ونشأ =

وَسَارِيةٍ لم تَسْرِ في الأرض تَبْتغي ... مَحَلاًّ، وَلم يَقْطَعْ بها البِيدَ قاطِعُ[١]
سَرتْ حيث لم تُحْدَ الرِّكَابُ ولم تُنَخْ ... لِورْدٍ، وَلم يقصر لها القيد مانعُ[٢]
تَمرُّ وراءَ الليلِ والليلُ ضاربٌ ... بِجُثْمانِهِ فيه سَميرٌ وَهاجِعُ[٣]
إذا وَردَتْ لم يَرْدُدِ اللَّهُ وَفْدَها ... على أَهْلِها، واللَّهُ رَاءٍ وَسَامِعُ
تُفتَّحُ أبوابُ السمواتِ دُونها ... إذا قرعَ الأبواب مِنهُنّ قارِعُ
وَإني لأرجو اللَّهَ حتّى كأَنّني ... أرى بِجَميلِ الظنّ ما اللَّهُ صَانِعُ

[من مستحسن الأجوبة]

بين معن بن زائدة ورجل من شيبان

ودخل رجل [من شيبان] على معن بن زائدة، فقال: ما هذه الغيبة؟ فقال: أيها الأميرُ، ما غاب عن العَيْنِ مَنْ يذكرهُ القَلْب، وما زال شوقي إلى الأمير شديداً، ودون ما يَجِبُ له، وذِكْري له كثيراً، ودُون قَدْرِه، ولكن جفوة الحجّاب، وقِلَّةَ بشر الغلمان، منعاني من الإتيان! فأمر بتسهيل إذنه، وأجزل صلته.

بين المنصور ومعن بن زائدة

وقال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة: كبرت يا مَعْن! قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: إنك لَجلْد[٤]، قال: على أعدائك، قال: وإنّ فيك لبقيَّة، قال: هي لك يا أَميرَ المؤمنين، قال: فأي الدولتين أَحبُّ إليك؛ هذه أم دولة بني أمية؟ قال: ذلك إليك يا أَمير المؤمنين، إن زاد بِرُّكَ على بِرّهم كانت دَوْلتُك أحبَّ إلي.

= بالبصرة، وانتقل إلى بغداد فسكنها، ومدح المأمون. كان من أجود الشعراء لفظاً وألطفهم معنًى. توفي نحو ٢١٥ هـ/ ٨٣٠ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٣٠٧؛ الأصفهاني، الأغاني: ١٤/ ٨٧؛ المرزباني، معجم الشعراء: ٣٧١).

(١) السارية: السائرة بالليل، يريد الدعوة.
(٢) حدا الإبل، وبها، حُداءً: ساقها، وحَثَّها على السيرِ بالحُداء. وأَناخ الجمل: أبركه.
(٣) السَّميرُ: المُتحدِّثُ مع جليسه ليلاً. والهاجع: الآوي إلى فراشه، النائم.
(٤) الجَلْدُ: القوي، الصابر على المكروه.

[من ترجمة معن بن زائدة، وأخباره]

ومعن هذا هو معن بن زائدة بن عبد اللَّه [بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو أخي الحوفزان بن شريك بن عمرو بن قيس] بن شرحبيل بن منبه بن مرة بن ذُهْل بن شيبان، وبنو مطر بيت شيبان، وشيبان بيت ربيعة.

لابن أبي حفصة في بني مطر قوم معن

وكان معن أَجود الناسِ، وفيه يقول مَرْوان بن أبي حفصة ويعم بني مطر:

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللقاءِ كَأَنَّهمْ ... أُسودٌ لها في غِيلِ خَفَّانَ أَشْبُلُ[1]

هُمُ يمنعونَ الجارَ حتى كأنَّما ... لِجارهِمُ بين السِّماكَيْنِ منزِلُ[2]

وَلا يستطيعُ الفاعلونَ فَعَالَهُمْ ... وَإنْ أَحسنوا في النائباتِ وأَجملُوا

بَهَاليلُ في الإسلامِ سادُوا ولم يكُنْ ... كأَوَّلِهِمْ في الجاهليةِ أَوَّلُ[3]

هُم القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا ... جَابوا وإن أعْطَوْا أطابوا وأجْزَلوا[4]

أخذ البيتَ الأولَ ابنُ الرومي، وزاد فيه، فقال[5]:

تَلْقاهُمْ ورِمَاحُ الخطِّ بيْنَهُمُ ... كالأُسْدِ أَلْبَسَهَا الآجامَ خَفَّانُ

[الرأي والشجاعة]

أتى قوم من العرب شيخاً لهم قد أَرْبى على الثمانين، وأَهدف على التسعين[6]. فقالوا: إنَّ عدوَّنا استاق سَرْحَنا، فأَشِرْ علينا بما نُدْرِك به الثَّأر، وننفي به العارَ، فقال: الضعفُ فسخ هِمّتي، ونكث إبوام عزيمتي، ولكن شاوروا الشجعان من ذوي العَزْم،

---

(١) الغِيلُ: الوادي فيه ماء، وموضع الأسد، والشجر الكثيف الملتفّ الذي يُسْتَتَرُ به. خَفّان: اسم موضع قرب الكوفة تكثر فيه الأسود..

(٢) السماكان: نجمان نيِّران، أحدهما في الشمال، وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب، وهو السماك الأعزل.

(٣) البهاليل: جمع بُهْلُول، وهو السيد الجامع لصفات الخير.

(٤) أطابوا: جاءوا بما هو طيب أو حلال، يقال: أطاب في مكسبه، وأطاب في كلامه.

(٥) ابن الرومي، الديوان: ٦/ ١٧٩. والبيت من قصيدة طويلة يمدح بها إسماعيل بن بُلْبُل.

(٦) الآجام: جمع أجمة، وهي الشجر الكثيف الملتف.

والجبناء من ذوي الحزم؛ فإنَّ الجبان لا يَألو برأيه ما يَقِي مهجكم، والشجاع لا يألو برأيه ما يشيد ذكركم، ثم أخلصوا من الرأي بنتيجة تبعد عنكم معرَّة نَقْصِ الجبان، وَتهَوّر الشجعان، فإذا نجمَ الرأيُ على هذا كان أنفذ علَى عدوكم من السَّهْم الصائب، والحُسَام القاضب.

[قضاء الله وعدله]

قال الأصمعي: سمعت أعرابية تقول لرجل تخاصِمُه: والله لو صُوّر الجهل لأظلم معه النهار، ولو صُوّر العَقْلُ لأضَاء معه الليل، وإنّك من أفضلهما لمعدم؛ فَخَفِ الله، واعلم أَنَّ من ورائك حَكَماً لا يحتاجُ المدَّعَى عنده إلى إحضار البينة.

[بنو كليب]

قال الفرزدق يهجو كليباً[١]:

وَلَوْ يُرْمَىٰ بِلُؤْمِ بني كُلَيْبٍ نُجومُ الليل ما وَضَحَتْ لِسَاري[٢]
وَلَوْ لَبِسَ النهارَ بنو كُلَيْبٍ لَدَنَّسَ لُؤمُهُمْ وَضَحَ النهارِ[٣]

[من جيد كلام الأعراب]

دعاء أعرابي بعرفة

وقال سفيان بن عيينة: سمعت أعرابياً يقول عشية عَرَفة: اللّهمّ لا تحرمْني خيرَ ما عندك لِشرِّ ما عندي، وإن لم تتقبَّلْ تَعبي ونَصَبي فلا تَحْرِمني أجرَ المصاب على مصيبته.

عتاب بين صديقين

وقال آخر منهم لصديق استبطأه فلامه: كانت لي إليك زَلَّة يمنعني من ذِكرها ما أَمَّلْتُ من تجاوُزك عنها، ولستُ أعتَذِرُ إليك منها إلاَّ بالإقلاع عنها.

وقال آخر لابن عم له: والله ما أَعْرِفُ تقصيراً فأقلع، ولا ذنباً فأعتب، ولست أَقولُ: إنك كذبت، ولا إنني أذنبت.

(١) الفرزدق، الديوان: ١/٣٥٣.
(٢) في الديوان: «وَلَوْ تُرْمَى».
(٣) دَنَّس ثوبه: وَسَّخهُ ولطَّخه، ودنَّس عِرْضَهُ وَخُلُقَه: فعل به ما يشينه.

وقال آخر لابن عم له: سأتخطّى ذنبك إلى عُذْرِك، وإن كنت من أحدهما على يقين، ومن الآخر على شكّ، لِتتمَّ النعمَةُ مني إليك، وتقومَ الحُجَّةُ لي عليك.

وأصيب أعرابيٌّ بابن له فقال ـ وقد قيل له: اصبر ـ أَعلى اللَّهِ أتجلّدُ، أم في مصيبتي أتبلّد؟ والله لَلْجَزَع من أَمره أحبُّ إليّ الآن من الصبر! لِأن الجزعَ استكانة، والصبر قَساوة، ولئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد.

دعاء أعرابي

ودعا أعرابي فقال: اللّهمّ إني أعوذُ بك أن أفتقرَ في غِنَاكَ، أو أضلّ في هُدَاك، أو أذِلّ في عزّك، أو أضام في سُلْطَانك، أو أضْطَهد والأمر إليك.

قال الأصمعي: سمعتُ أعرابياً يَعِظُ رجلاً وهو يقول: وَيْحَك! إنّ فلاناً وإن ضحك إليك، فإنه يضحكُ سنك، ولئن أظهر الشفقةَ عليك، إنّ عقارِبه لتسري إليك؛ فإنْ لم تتخِذه عدوّاً في علانيتك، فلا تجعله صديقاً في سريرتك.

سمع أعرابيّ رجلاً يقع في السلطان، فقال: إنّك غُفْلٌ لم تُسِمك التجارب، وفي النصح لَسْعُ العقارب، كأني بالضاحك إليك، وهو باكٍ عليك.

وحذَّر بعضُ الحكماء صديقاً له صحبه رجل، فقال: احذَرْ فلاناً فإنّه كثيرُ المسألةِ، حسن البحث، لطيف الاستدراج، يحفظُ أول كلامك على آخره، ويعتبرُ ما أخَّرت بما قدَّمت، فلا تظهرنَّ له المخافة فيرى أنْ قد تحرَّزْت؛ واعلم أَنَّ من يقظة الفِطْنة إظهارَ الغفلة مع شدة الحذر، فَبَاثِثْهُ مُباثَّةَ[1] الآمِن، وَتَـحَفَّظْ منه تَحَفُّظَ الخائف؛ فإنَّ البحث يظهر الخفيّ الباطن، ويُبْدي المُسْتَكِنَّ الكامن.

أتى أَعرابيّ رجلاً لم يكن بينه وبينه حرمة في حاجةٍ له، فقال: إني امتطيتُ إليك الرجاءَ، وسَرَيْتُ على الأمل، ورافقت الشكر، وتوسَّلْتُ بِحُسْنِ الظن، فحقّق الأمل، وأَحْسِن المثوبة، وأكرم الصَّفَد[2]، وأَقِم الأَوَد[3]، وعجّل السّراح[4].

---

(١) باثَّهُ ما في نفسه: أَبَثَّهُ إياه وبَثَّه: أطلعه عليه.

(٢) الصَّفَدُ: العطاء.

(٣) الأَوَدُ (بالتحريك): الاعوجاج.

(٤) السراح: الفكاك.

قال الأصمعي: وسمعتُ أعرابياً يقول: إذا ثبتت الأصول في القلوب، نطقت الألسنةُ بالفروع! والله يعلم أَنَّ قلبي لك شاكر، ولساني ذاكِر، ومحال أن يظهرَ الودّ المستقيم، من الفؤاد السقيم.

ومدح أعرابي رجلاً، فقال: إنه ليغسل من العار وجوهاً مسودّة، ويفتح من الرأي أبواباً مُنْسَدَّة.

وقال أعرابي:

كَمْ قَدْ وَلدتمْ منْ رَئيسٍ قَسْوَرِ ... دامي الأظافرِ في الخميسِ المُمْطِرِ[(١)]

سَدِكَتْ أناملُهُ بقائمِ مُرْهَفٍ ... [وَبِنَشْرِ فائدةٍ وَجَذْوَةِ مِنْبَرِ[(٢)]

ما إن يُريد إذا الرماحُ تَشاجرَتْ ... دِرعاً سِوَى سِرْبَالِ طِيبِ العُنْصرِ[(٣)]

يلقى السيوفَ بِوَجْهِهِ وَبِنَحْرِهِ] ... وَيُقيمُ هَامتَهُ مقامَ المِغْفَرِ[(٤)]

وَيَقُولُ لِلطِّرْفِ اصْطَبِرْ لِشَبَا القَنَا ... فَعَقَرْتُ رُكْنَ المجدِ إنْ لم تُعْقَرِ[(٥)]

وإذا تأمّل شَخْصَ ضَيفٍ مُقْبلٍ ... مُتَسَرْبِلٍ سِرْبالَ مَحْلٍ أَغبرِ[(٦)]

أَوْمَىٰ إلى الكَوْمَاءِ هذا طارقٌ ... نَحَرَتْنِيَ الأعداءُ إنْ لم تُنْحَرِي[(٧)]

وقال:

قَامَتْ تَصدَّى لَهُ عَمْداً لِغَفْلَتِهِ ... فَلم يرَ الناسُ وَجْداً كالذي وَجَدَا

---

(١) القسور: الأسد، ومن الغلمان: الشابّ القويّ، والجمع قساورة. الخميس: الجيش، والساق.

(٢) سدك بالشيء سَدْكاً وسَدَكاً: لزمه، فهو سَدِكٌ، وهي سَدِكة. ويقال: هو سَدِكٌ بالرمح: طَعّان به، خفيف، سريع. والقائم: مقبض السيف. والمرهف: الرقيق اللطيف المُمدَّد. والجذوة: الجمرة الملتهبة.

(٣) تشاجر الشيء: تداخل بعضه في بعض، وتشاجرت الرماح: تشابكت، وتشاجر القوم: تخالفوا وتنازعوا. السربال: القميص. والعنصر: الأصل.

(٤) الهامة: الرأس. المِغْفَرُ: زرد يُنْسَج من الدروع على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة، والجمع مغافر.

(٥) الطِّرْفُ: الكريم من الناس والخيل ونحوها.

(٦) المحل: الجفاف، ويبس الأرض، والشدّة، والبعد. والأغبر: الذاهب الدارس، وَغَبِر الشيء غَبْراً وَغُبْرَةً: علاه الغبار، أو صار لونه كلون الغبار، فهو أغبر.

(٧) الكوماء: الناقة العظيمة السنام.

جَيداءُ رَنْداءُ لم تَعْقِدْ قَلائِدَهَا ... وَنَاهِدٌ مثلُ قَلْبِ الظَّبْيِ ما خَضِدا[١]
فَراحَ كالحائمِ الصَّدْيَانِ لَيْسَ لَهُ ... صَبْرٌ ولا يأمَنُ الأعداءَ إن وَرَدَا[٢]

وقال آخر:

وَمُكْتَتِمَاتٍ بَعْدَ وَهْنٍ طَرقْنَني ... بِأرديةِ الظلماءِ مُلْتَحِفاتِ[٣]
دَسَسْنَ رَسُولاً ناصِحاً وَتَلَوْنَهُ ... على رِقْبَةٍ مِنْهُنَّ مُسْتَتِراتِ[٤]
فَبِتُّ أُعاطيهِنَّ صِرْفَ صَبابَةٍ ... وَبِتْنَ على اللذَّاتِ مُعْتَكِفَاتِ[٥]
فيا وَجْدَ قلبي يَوْمَ أَتبعتُ ناظري ... سُلَيْمَى وَجَادَتْ بَعْدَهَا عَبَرَاتِي

* * *

وقال الأحنف بن قيس: من لم يستوحش من ذُلِّ المسألة لم يأنَفْ من الرد.

وقال سفيان الثوري لأخٍ له: هل بلغك شيءٌ مما تكرهُه عمن لا تعرف قال: لا، قال: فأقلل ممن تعرف.

أخذه ابن الرومي، فقال[٦]:

عَدُوُّكَ مِنْ صَديقِكَ مُسْتَفَادٌ ... فَأَقْلِلْ ما اسْتَطَعْتَ من الصِّحابِ[٧]
فإنَّ الداءَ أكثرُ ما تَرَاهُ ... يَكُونُ مِنَ الطعامِ أو الشَّرابِ[٨]
فَدَعْ عَنْكَ الكَثيرَ فَكَمْ كثيرٍ ... يُعَافُ، وَكَمْ قَليلٍ مُسْتطابِ[٩]؟

---

(١) الجيداء: التي طال عنقها وَحَسُن. والناهد: الفتاة التي نهد ثديها، أي: برز وارتفع. وَخَضِدَ خَضَداً: لان، وخضد الثمر: ضَمُرَ وانْزَوَى.

(٢) الحائم: العطشان. والصديان: الذي اشتد عطشه.

(٣) الوهن: بعد نصف الليل أو نحوه.

(٤) الرِّقْبَةُ: التحفظ والفزع، أو الحالة التي تكون عليها المراقبة.

(٥) عاطاه الشيء معاطاة: ناوله إياه. والصرف: الخالص لم يُشَب بغيره. والصبابة: رقة الشوق وحرارته. وعكف على الشيء: أقبل عليه، ولزمه، ولم ينصرف عنه.

(٦) ابن الرومي، الديوان: ١/٢٤٦.

(٧) في الديوان: «فلا تستكثرنَّ من الصحاب».

(٨) في الديوان: «يَحولُ من الطعام أو الشراب».

(٩) يُعَافُ: يُكْرَهُ وَيُبْغَضُ. مُسْتَطاب: طيب، محبوب.

وَمَــا اللُّجَــجُ المِــلاحُ مُــرَوِّيَــاتٌ ... وَيُلْفَــى الــرِّيُّ فــي النُّطَــفِ العِــذَابِ[1]

[جُمَل من ألوان المديح]

وقال رجل لخالدٍ القسري: والله إنك لتَبْذُل ما جلّ، وتجبر ما انفلّ[2]، وتكثر ما قلّ؛ ففضلك بديع، ورأيك جميع، تحفظ ما شَذَّ، وتؤلف ما نَدَّ[3].

وسئِل أعرابي عن قومه، فقال: يقتلون الفَقْر، عند شدّة القرِّ، وأَرواح الشتاء، وهبوب الجِرْبِيَاء[4]، بأسنمة الجزور، وَمُتْرَعَات القدور، تهش وُجُوهُهُم عند طلب المعروف، وتعبس عند لمعانِ السيوف.

ووصف أعرابي قوماً فقال: لهم جودُ كرامٍ اتّسعت أحوالها، وبَأْسُ ليوث تَتبعُها أشبالُها، وهِممُ ملوكٍ انفسحت آمالُهَا، وفَخرُ آباء شَرُفَتْ أخوالها.

وقال خالد بن صفوان، وقد دخل على بعضِ الوُلاَة: قدمت فأَعطيت كُلاًّ بِقِسْطِه من نظرك [ومجلسك]، وصوتك، وعَدْلِك، حتى كأنك من كلّ أحد، وحتى كأنك لست من أحد.

وذكر خالد رجلاً فقال: كان والله بديعَ المنطِق، ذلق الجرأة[5]، جَزْل الألفاظ، عربيَّ اللسان، ثابت العقدة، رقيقَ الحواشي، خفيفَ الشفتين، بَلِيلَ الريق، رَحْبَ الشرف، قليل الحركات، خفيّ الإشارات، حُلْو الشمائل، حسن الطلاوة، حييًّا جريًّا، قؤولاً صموتاً، يفل الحزَّ، ويصيب المفاصل، لم يكن بالهذر في مَنْطقه، ولا بالزمر في مروءته، ولا بالخرق في خليقته، متبوعاً غير تابع، كأنه علمٌ في رأسه نار[6].

---

(١) اللججُ: جمع لجّة، وهي معظم الماء، واللجج الملاح: أي اللجج العظيمة. والمرويات: التي تزيل الظمأ. والري: الشبع. والنطف: جمع نطفة، وهي القليل القليل من الماء. والعذاب: العذبة.

(٢) جَبَرَ العظم الكسيرَ جَبْراً وجبوراً: أصلحه، أو وضع عليه الجبيرة. وما انْفَلَّ: ما تَثَلَّم، يقال: انفلَّ السيف: انثلم حدّه، انكسر.

(٣) نَدَّ: يقال نَدَّ البعير ونحوه: نَفَرَ وَشَرَدَ، ونَدَّت الكلمة: شَذَّت عن القاعدة.

(٤) الجِرْبِياءُ: ريح الشمال، أو بردها، أو هي ريح بين الشمال والجنوب.

(٥) ذلق الجرأة: يقال: ذَلِقَ السنان واللسان ذَلَقاً: ذَرِبَ، أي صار حاداً وذلق السراج: أضاء، وذلق السكين ونحوه: حَدَّدهُ.

(٦) «كأنه علم في رأسه نار»: من قول الخنساء في أخيها صخر:

وإنَّ صَخْـراً لَتَـأْتَـمُّ الهُـداةُ بِـهِ ... كَـأَنَّـهُ عَلَـمٌ فـي رَأْسِـهِ نَـارُ

(ديوانها: ص ٤٩).

وقال بعض البلغاء لرئيسه: إنَّ من النعمة على المُثْنِي عليك أنه لا يَأْمَنُ التقصير، ولا يخاف الإفراط، ولا يحذر أن تَلْحقه نقيصةُ الكذب، ولا ينتهي به المَدْحُ إلى غاية إلاَّ وَجَد في فضلك عَوْناً علىٰ تجاوزها. ومن سعادةِ جَدِّك أن الداعي لا يعدم كثرةَ المشايعين، ومساعدةَ النيَّة على ظاهر القول.

ألفاظ لأهل العصر، في ضروب المَادح

قد وضعت كثرةُ التجارب، في يدهِ مرآةَ العواقب. قد نَجَّذَته صروفُ الدهور[١]، وحنَّكَتْهُ مصاير الأمور. قد أرضعَتْهُ الحُنْكَة بلبانها، وأدَّبَتْهُ الدُّرْبَة في إبانها. فُلانٌ نوازلُ التجارب حَنَّكَتْهُ، وفوادحُ الأيام عَرَكَتْهُ. هو عارف بتصاريف [الأيام، آخذٌ برهان التجارب، نافذ في مجال التحصيل والتمييز. قد صحب الأيام، وتولّى] النقض والإبرام. هو ابنُ الدهر حُنْكَةً وتجريباً، وعُوداً على الدهر صليباً[٢]. قد أدَّبه الليلُ والنهار، ودَارت على رأسه الأدوار، واختلفت به الأطوار. له همّة علا جناحُها إلى عنان النجم. وامتدَّ صباحها من شرق إلى غرب، لا يتعاظمه إشراف الأمر إذا أخطره بفكره، وانتساف الصّخْر إذا ألقاه في وَهْمِه، هِمَّتُه أبعَدُ من مَنَاطِ الفرقد، وأعلى من منكب الجوزاءِ. أوسعُ من الأرض ذات العرض. هو حيّ القلب، منشرحُ الصّدْر، ذكيُّ الذهن، شجاعُ الطبع، ليس بالنؤوم ولا السؤوم، فذّ فَرْد، وأسد وَرْد، وكأنَّ له في كل جارحة قلباً. كأنّ قلبه عين، وكأن جِسْمَه سمع. شهابٌ مقدّم، وقِدْحٌ مقوّم. [وهو شهمٌ] مشدود النطاق، قائم على سَاق، قد جدّ واجتهد، وحشر وحَشَد، شمَّر عن ماق الجد ما أَطاق، قد ركب الصعب والذّلول، وتجشَّم الحَزْنَ والسُّهُول، وقطع البر والبحر، وأعمل السيفَ والرُّمْح، وأسرجَ الدُّهم والشهب[٣]. هو مولود في طالع الكمال، وهو جملة الجمال. قد أصبح عينَ المكارم، وزَيْن المحافل. هو فَرْدُ دهره، وشمسُ عَصْره، وزيْنُ مِصْره، وهو عَلَم الفضل، وواسطة عِقْدِ الدهر، ونادِرَة الفلك، ونُكْتة الدنيا[٤]، وغُرَّة العصر. قد بايعته يَدُ المَجْد، ومالت به الشورى إلى النصر.

---

(١) نَجَذَتْهُ صروف الدهر: عَجَمتْهُ وعلَّمتْهُ.

(٢) الصَّليبُ: الشديد القويُّ.

(٣) أسرجَ: وضع السرج. والدُّهْمُ: جمع أدهم، والشُّهُبُ: جمع أشهب، والدُّهْمَةُ والشُّهْبَةُ: من ألوان الخيل.

(٤) النكتة: العلامة الخفية، أو الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، أو النقطة في الشيء تخالف لونه.

فلان يزيدُ عليهم زيادةَ الشمس على البدر، والبحر على القَطْرِ. هو رائشُ نَبْلهم، ونَبْعَة فضلهم، وجُمَّة وِرْدِهم، وواسطة عِقْدهم. هو صَدْرُهم وبَدْرُهم، ومن عليه يدورُ أَمرُهم، يُنيف عليهم إنافة صفحة الشمسِ على كُرَةِ الأرض، كأنهم فلك هو قُطْبُه، وجَسَدٌ هو قَلْبُه، ومملوك هو ربُّه. هو مشهور بسيادتهم، وواسطةُ قِلادتهم. موضعُه من أهل الفضل موضع الواسطة من العِقْد، وليلة التِّمِّ من الشهر، بل ليلة القَدْر إلى مطلع الفجر. أَفْضَل وأَنْعَم، وأَسدى في الإحسان وأَلْحم، وأَسْرَج في الإكرام وأَلْجم، قسم من إنعامه ما يسَعُ أمماً، وتلقى السعادة أَمَما[1]، أعطاه عنانَ الاهتمام، حتى استولَى على قَصَبِ المرام. رُدّ عنه الدهرُ أحصَّ الجناح[2]، وملّكه مَقَادة النجاح. أولاه من معهود البرِّ ومألوفه، وقَصَّرت الأعداء عن مِثاتِه وأُلوفه. أولاه إسعافاً سَمْحاً وعطاء سحّاً، ومنناً صفواً وعفواً. أفاض عليه شِعابَ البرِّ ومَسَايِله، وجمع له شعوبَ الجميل وقبائله، وهطلَتْ عليه سحائبُ عنايته، ورفرفرت حوله أجنحةُ رعايته. قد فكه بكرمه من قَيْد السؤال، ومعرَّة الاختلال. رَاشه بعدما حصَّه الفقر، وأَرضاه وقد أسخطه الدهر. ملأن العيونَ، وسهر دوننا لتحقيق الظنون. قد شِمْتُ من كرمه أكرم سحاب، وحصلت من إنعامه في أخصبِ جَناب. قد سد ثُلْمَة حالي، وأَدرَّ حَلُوبة آمالي. ما أخلو من طَلِّ إحسانه ووابله، وغابر إنعامه وقابله. قد استمطرتُ منه بَنَوْءٍ غزير. وسريتُ في ضوء قمر منير. قد كرعتُ من برِّهِ في مَشَارِعَ تغزر ولا تنزُر، وَرفَلْتُ من طَوْلِهِ في ملابس تطول ولا تقصُر. إقامته في ظلٍّ ظليل، وفَضْلٍ جزيل، وريح بليل، ونسيم عليل، وماء رَوِيّ، ومهاد وطِيٍّ، وكنٍّ كنين، ومكان مكين. أنا آوي إلى ظلِّه كما يأوي الطير المذعور إلى الحرم، وأُوَاجه منه وَجْهَ الجد وصورة الكرم. أنا من إنعامه بين خير مستفيض، وجاهٍ عريض، ونعم بيض. قد استظهرت على جَوْرِ الآيام بِعَدْلِه، واستَرتُ من دهري بظلِّه. ما أرددُ فيه طَرْفِي وأعدّه من خالص ملكي منتسبٌ إلى عطائه، أو مُكْتَسَبٌ بجميل آرائه. مسافة بصري تبعد إن سافَرْتُ في مواهبه، وركائب فكري تَطْلَح[3] إن أنضيتُها في استقراء صنائعه[4]. نعمته نعمة عمَّت الأمم، وسبقت النعم، وكشفت الهموم ورفعت الهمم، نعمه قد سطع صباحُها مستنيراً، وطنب شعاعها مستطيراً، قد عرفتني نِعَمُهُ حتى

(١) أَمماً: قريباً.
(٢) أَحصّ الجناح: كناية عن الضعف.
(٣) تطلح: تعيي، وتضعف، وتكل.
(٤) أنضى الدابة: أتعبها وأهزلها.

استنفدت شُكْرَ لساني ويدي وأتعبت ظهري، وملأت صَدْري. نِعَمُه عندي مشرقةُ الجوّ، مغرقة النوء، مونقة الضوء. تتابَعتْ نِعمُه تتابعَ القَطْر على القفر، وترادفت مِنَنُه ترادفَ الغنى إلى ذوي الفقر. نِعمُه أشرقَتْ بها أرضِي، ومُطِرَ بها رَوْضي، وورَى لها زَنْدي، وَعلا معها جَدِّي، وأتاني الزمانُ يعتذرُ من إساءته، وجاءني الدهرُ ينتظرُ أمري. نِعمُهُ أنعمت البالَ، وسرّت النفس والحال. نعم تعمُّ عمومَ المطر، وتزيدُ عليه بإفراد النفع عن الضرر. نعمٌ تَضْعُفُ الخواطر عن التماسها، وتَصْغُر القرائح عن اقتراحها. له أيادٍ قد عمَّت الآفاق، ووسمت الأعناق، وأيادٍ قد حبست عليك الشكر، واستعبدت لك الحر. مِنَنٌ توالَتْ تَوَالي القَطْر، واتسعت سَعَةَ البَرِّ والبَحْر، وأثقلت كاهل الحرِّ. عندي قلادة منتظمة من مِنَنه قد جعلتها وَقْفاً على نحور الأيام، وجلوتها على أبصار الأنام. أيادٍ يقصر عن حقوقها جهدُ القولِ، وتزهر فيها سواطع الإنعام والطَّوْل. أياديه أَطواق في أَجياد الأحرار، وأفلاك تدورُ على ذوي الأخطار. له مِنَنٌ تضعف عن تحملها عواتق الأطواد، ويتضاعفُ حملها على السَّبْع الشداد، لو تحمل الثَّقَلان ثِقْلَ هذا الامتنان لأثقل كواهِلَهم وأضعف عواتِقَهم. أياد يفرض لها الشكر ويحتم، ومنن يُبْتَدأ بها الذكر ويُخْتَم. أياد تثقل الكاهلَ، ومِنَنٌ تُتْعِبُ الأنامل. مِنن تضعف مُنَنَ الشكر[1]، وينشر معها قوى النّشر، منن هي أحسن أثراً من الغيث في أزاهير الرّبيع، وأَحْلى موقعاً من الأمن عند الخائف المروع. إن أَتعبتُ نفسي في تعداد مننه وحَصْرِها فسأطمع في إحصاء السحاب وقَطْرِها. أياد لا تحصى أو تحصى محَاسِنُ النجوم، ومِنَنٌ لا تحصر أو تحصر أَقطارُ الغيوم. أَيادٍ كعدد الرمل والنمل، أعيت على العدّ، ولم تقف عند حد. زادَتْ أياديه حتى كادت تجهد الأعداد، وتسبق الإعداد. أَياديه عندي أَغزر من قَطْرِ المطر، وعوارفه[2] لديَّ أسرعُ من رَجْع البر. رفعتني من قَعْر التراب، إلى سَمْك السحاب. استنبطه من الحضيض الأوْهَد، إلى السناء الأمجد، وقد نَبَّهَهُ عن خمول، وأجرى الماءَ في عوده بعد ذبول، ورقّاه إلى ذِرْوَة من المجد بعد نزول. فضائل تزل أقدام النجوم لو وَطِئَتْها، وتقصر هِمَمُ الأفلاكِ لو طلبتها، ثبتَ قدَمُه في المحلّ المنيف، ومكّنَه من جوامع التشريف. جذب بِضَبْعِهِ[3] من المسقط المنحطّ، إلى المرفع المشتطّ.

---

(١) منن (الأولى): جمع مِنَّة وهي العطية، ومنن (الثانية): جمع مُنَّة، وهي القوة.

(٢) العوارف: جمع عارفة، وهي الإحسان.

(٣) الضَّبْعُ: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها، وهما ضبعان.

ولهم في أدعية من صدور الكتب تليق بهذه الأثنية والممادح

أطال الله له البقاءَ، كَطُولِ يدِهِ بالعطاء، ومدَّ له في العمر، كامتدادِ ظلّه على الحرّ، وأدام له المواهب، كما أفاض به الرغائب، وحرس لديه الفضائل، كما عوّذ به الشمائل[١]. تولّى الله عني مكافأته، وأعان على الخير نيّته وفعْله، وأصحب بقاءه عزًّا يبسطُ يديه لأوليائه على أعدائه، وكلاءةً تذبّ عن ودائع مِنَنِهِ عِنده[٢]، وزاد في نعمه وإن عَظُمَتْ، وبلغه آماله، وإن انْفَسحَتْ، ولا زال الفضلُ يأوي منه إلى رُكْنٍ منيع، وجنابٍ مريع. لا زالت الألسنُ عليه بالثناء ناطقة، والقلوبُ على مودته متطابقة، والشهاداتُ له بالفضل متناسقة. لا زال يَعْطِفُ على الصادر والوارد، عَطْفَ الأم والوالد. أبقاه اللَّهُ للجميل يُعْلِي مَعَالمَه، ويَحْمِي مكارِمَه، ويعمر مَدَارِجَه، ويثمِّر نتائجه. أدام اللَّهُ أيامَه التي هي أيام الفضائل ومواقيتها، وأزمان المآثر وتواريخها. أدامه اللَّهُ للمواهب، ساميةَ الذوائبِ، مُوفِيةً على مُنْيَة الراجي وبغية الطالب. أبقاه اللَّهُ للعطاء يفضّه بين خدمه، والجمال يُفيضُه على إنشاء نعمه، والله يتابعُ له أيامَ العلاء والغبطة، والنماء والبسطة، ليرتَع أنواع الخدم في رياض فواضِله، وَيَكْرَع أصنافُ الحشم في حياضِ مواهبه، واللَّهُ يبقيه طويلَ الذرع، مديد الباع، مليّاً بالاتصال والاصطناع. جزاهُ اللَّهُ عن نعمةٍ هيّأها بعد أن أسبغها، وعارفة مَلاّها بعد أن سَوّغها. أفضلَ ما جازى به مبتدىء إحسان، ومُجير إنسان، لا زال مكانُه مَصَاناً للكرم، مَعاناً للنعم، لا تريمه المواهب، ولا ترومُه النوائب[٣]، بُسِطَت بالعلا يَدُهُ، وقُرِن بالسعادة جَدّه، وجُعل خيرُ يَوْمَيْهِ غَدُه، ولا زالت الأيام والليالي مطاياه، في أمانيه وآماله [وأيامه]، وصَرَفَ صروف الغِيَرِ عن إصابة إقباله وكماله.

وقال ابن المعتز في القاسم بن عُبيد اللَّه[٤]:

---

(١) الشمائل: جمع شمال، وهي هنا الخصلة والخلة والطبيعة والخُلُق. قال عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

أَلَـمْ تَعْلَمَـا أَنَّ المَـلامَـةَ نَفْعُهَـا ... قَلِيـلٌ وَما لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيا

(ابن منظور، لسان العرب: شمل).

(٢) الكلاءة: الحفظ والرعاية. تذبُّ: تدفع.

(٣) مَصَاناً: موضعاً للصون. ومعاناً: موضعاً للعون. لا تريمه: لا تبرحه. لا ترومه: لا تطلبه أو تبتغيه.

(٤) البيتان الأول والثاني في ديوانه: ص ٣٠٥، ضمن قصيدة من اثني عشر بيتاً، ولا وجود لبقية الأبيات في الديوان.

أيـا حَـاسِـداً يَكْـوي التَّلَهُّـفُ قَلْبَـهُ إذا مـا رآه غـازيـاً وَسْـطَ عَسْكَـرِ[١]
تَصفَّـحْ بنـي الـدنيـا فَهَـلْ فِيهِـمُ لـهُ نَظيـرٌ تـرى ثُـمَّ اجْتَهِـدْ وَتَفَكَّـرِ[٢]
فـإنْ حَـدَّثَتْـكَ النَّفْـسُ أنـكَ مِثْلُـهُ بِنَجْـوى ضَـلالٍ بيـن جَنْبَيْـكَ مُضْمَـرِ[٣]
فَجُـدْ، وَأَجِـدْ رأيـاً، وَأَقْـدِمْ علـى العِـدا وَشُـدَّ عَـنِ الإثـمِ المـآزِرَ وَاصْبِـرِ
وَعَـاصِ شَيـاطيـنَ الشبـابِ وَقَـارِعِ النـ ـوائـبَ وارْفَـعْ صَـرْعَـةَ الضُّـرِّ وَاجْبُـرِ[٤]
فـإنْ لَـمْ تُطِـقْ ذا فَـاعْـذُرِ الـدَّهْـرَ وَاعْتَـرِفْ لأَحكـامِـهِ وَاسْتَغْفِـرِ اللَّـهَ يَغْفِـرِ

[منزلة صناعة الكلام]

قال الجاحظ: صِناعةُ الكلام عِلْقٌ نفيس، وجَوهرٌ ثمين، هو الكنزُ الذي لا يَفْنَى ولا يَبْلَى، والصاحبُ الذي لا يُمَلُّ ولاَ يُقْلَى، وهو العيارُ على كلّ صناعة، والزمامُ لِكُل عبارة، والقِسْطاسُ الذي به يَسْتبينُ نَقْصُ كلِّ شيء ورُجْحانه، والراوُوق الذي يُعْرَفُ به صَفاءُ كلّ شيء وكَدَره، والذي كلُّ عِلم عليه عِيَال، وهو لكلِّ تحصيل آلةٌ ومثال.

وقال ابن الرومي[٥]:

مـا عُـذْرُ مُعتـزلـيٍّ مُـوسـرٍ مَنَعَـتْ كَفّـاه مُعْتـزليـاً مِثْلَـهُ صَفَـدا[٦]
أَيَـزْعُـم القَـدَرُ المَحْتُـومُ ثَبَّطَـهُ إنْ قـالَ ذاكَ فَقَـدْ حـلَّ الَّـذي عَقَـدا[٧]

وقال [ابن الرومي][٨]:

(١) في الديوان: «إذا ما رآه عادياً وسط عسكر».
(٢) في الديوان: «نَظيرٌ تراه واجتهد وتَفكَّرِ». وتصفَّح الشيء: نظر فيه، وتصفَّح القوم: نظر فيهم ليتعرَّف أمورهم.
(٣) النجوى: إسرار الحديث، أو القوم المتناجون.
(٤) عاصاه: عصاه: خرج عن طاعته، وخالف أَمْرَهُ. وأجبر الشيء: جبره: أصلحه وقوّمه.
(٥) ابن الرومي، الديوان: ٢/ ١٦٤. والبيتان من قصيدة قالها في أبي العباس القاشي.
(٦) في الديوان:
مـا عُـذْرُ مُعْتَـزِلـيٍّ مُـوسِـعٍ مَنَعَـتْ كَفَّـاهُ مُعْتَـزِليّـا مُقْتِـراً صَفَـدَا
والصَّفَدُ: العطاء.
(٧) ثَبَّطَهُ عن الشيء: عوّقَهُ وَبَطَّأَه.
(٨) ابن الرومي، الديوان: ٣/ ٢٢٣.

لِذَوي الجدال إذا غَدَوْا لِجِدَالِهِمْ حُجَجٌ تَضِلُّ عنِ الهُدى وتَجُورُ
وُهُنٌ كآنيةِ الزُّجاجِ تَصَادمتْ فَهَوَتْ، وكلٌّ كاسرٌ مَكْسورُ
فَالقاتِلُ المقتولُ ثَمَّ لِضَعْفِهِ وَلِوهْيِهِ، وَالآسِرُ المَأْسُورُ[1]

وقال أبو العباس الناشىء يفتخرُ بالكلام:

وَنَحْنُ أُناسٌ يعرفُ الناسُ فَضْلَنَا بِأَلْسُنِنا زِينتْ صُدورُ المحافلِ[2]
تُنيرُ وُجُوهُ الحقِّ عِنْدَ جَوابِنا إذا أظلمتْ يوماً وُجُوهُ المسائلِ
صَمَتْنَا فلم نَتْرُكْ مقالاً لِصَامِتٍ وَقُلْنَا فلم نَتْرُكْ مَقالاً لِقَائِلِ

وَقَالَ يَصِفُ أصحابه:

فَلَو شَهِدْتَ مَقَاماتي وأَنْدِيَتي يَوْمَ الخصام وَمَاءُ الموتِ يَطَّرِدُ
في فِتْيَةٍ لَمْ يلاقِ الناسُ مُذْ وُجِدوا لَهُمْ شَبيهاً وَلاَ يُلْفَوْن إنْ فُقِدوا[3]
مُجَاوِرو الفضلِ أَفْلاكُ العُلاَ سُبلِ التَّـ ـقْوَى مَحلّ الهُدى عُمْدُ النّهى الوُطُدُ
كأَنَّهُمْ في صُدورِ الناسِ أفئِدَةٌ تَحِسُّ ما أخطئوا فيها وما عَمَدُوا
يُبْدُونَ للناسِ ما تُخْفِي ضَمائِرَهُمْ كأَنَّهُمْ وَجَدُوا مِنْها الذي وَجَدوا
دَلّوا على باطنِ الدنيا بِظَاهِرِها وَعِلْم ما غابَ عَنْهُمْ بالذِي شَهِدوا
مَطالع الحقِّ ما مِنْ شُبْهَةٍ غَسِقَتْ إلاَّ وَمِنْهُمْ لَدَيْنَا كَوْكَبٌ يَقِدُ[4]

وقال سعيد بن حميد:

قَالتِ: اكْتُمْ هَوَايَ واكْنِ عَنْ اسمي بِالعزيزِ المُهَيْمِنِ الجَبَّارِ[5]
قُلْتُ: لا أَسْتَطِيع ذلك، قَالتْ: صِرْتَ بَعْدِي تَقُولُ بالإِجْبَارِ
وَتَخلّيْتَ عَنْ مقالةِ بِشْرِ بـ ـنِ غياثٍ لِمَذْهَبِ النجَّارِ

---

(١) الوَهْيُ: الضعف.
(٢) المحافل: جمع محفل: مكان الاجتماع، والمجلس.
(٣) يُلفون: يوجدون.
(٤) غسقت: أظلمت.
(٥) كَنَّى عن الشيء كنايةً: تكلم بما يستدل به عليه ولم يُصرِّح.

وقال أبو القاسم بن عباد الصاحب:

كُنْتُ دهراً أقولُ بالإستطاعةِ ... وَأرى الجَبْرَ ضِلَّةً وَشَنَاعَهْ[١]

فَقَدْتُ اسْتِطاعتي في هَوى ظَبْيٍ؛ فَسَمْعاً لِلمُجْبِرين وَطَاعَهْ

وقال أيضاً:

وَلَمَّا تَنَاءَتْ بالحبيبِ دِيَارهُ ... وَصِرْنَا جميعاً من عِيَانٍ إلى وَهْمِ[٢]

تَمكَّن منِّي الشوقُ غير مُخَالِسٍ ... كَمُعتزليّ قد تَمكَّنَ من خَصْمِ[٣]

[بعض ما قيل في النسيب]

وأنشد محمّد بن سلام بعضَ هذه الأبيات التي أنشدها، وزعم أنها لأبي كبير الهذلي، ورُويت ليزيد بن الطَّثْرِيّة وغيره، والرواة يُدْخلون بعض الشعر في بعض، وهي[٤]:

عُقَيْلِيةٌ، أَمَّا مَلاَثُ إزارِها ... فَوعْثٌ، وأمَّا خَصْرُها فَبَتِيلُ[٥]

تَقَيَّظُ أَكْنَافَ الحِمَى، وَيُظِلها ... بِنَعْمانَ من وَادِي الأراك مَقِيلُ[٦]

فَيا خُلَّةَ النفسِ التي لَيْسَ دُونَها ... لنا مِنْ أَخِلاَّءِ الصَّفاءِ خَلِيلُ[٧]

وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّه، لم يُطَعْ لَهُ ... عَدُوٌّ، وَلَم يُؤْمَنْ عليه دَخِيلُ[٨]

أَمَا مِنْ مُقامٍ أَشْتَكِي غُرْبةَ النوى ... وَخَوْفَ العِدا فيه إليكِ سَبِيلُ

---

(١) شنع الشيء شناعةً: اشتد قبحه، وصار كريهاً.

(٢) عِيان: معاينة ومشاهدة.

(٣) خلس الشيء خَلْساً: استلبه من نهزةٍ ومخاتلة، وخالس فلاناً: انتهز منه فرصةً فأعجله.

(٤) الأبيات في وفيات الأعيان: ٣٦٨/٦، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ منسوبة ليزيد بن الطثرية.

(٥) في وفيات الأعيان: «فَدِعْصٌ وأما خَصْرُها فَبَتِيلُ». عقيلية: منسوبة إلى عقيل. ملاث إزارها: الموضع الذي يُدار عليه الإزار. الوَعْثُ: كلّ ليِّن سهل. والدعص: التلة من الرمل (كناية عن عظم كفلها). بتيل: دقيق، هضيم، كأنّه منقطع عمّا تحته، وما فوقه.

(٦) قَيَّظَ القوم بالمكان: أقاموا فيه أيام الحرّ. الأكنان: الظلال والنواحي والجوانب، مفردها: كنف.

(٧) خُلَّةُ الإنسان: أهل مودّته، أو زوجته.

(٨) في وفيات الأعيان: «لم يُطَعْ به».

أَلَيْسَ قليلاً نَظْرَةٌ إنْ نَظَرْتُهَا إليكِ؟ وكلا لَيْسَ مِنْكِ قَليلُ[١]
وَإنَّ عناءَ النفسِ ـ ما دُمْتِ هكذا عَنُودَ النوى مُحْجُوبةً ـ لَطَويلُ[٢]
أراجعةٌ قلبي عليَّ فَرائحٌ مع الرَّكْبِ لم يُكْتَبْ عَلَيْكِ قَتيلُ
فلا تَحْمِلي وِزْري وأنْتِ ضَعيفةٌ فَحَمْلُ دمي يَوْمَ الحسابِ ثَقيلُ[٣]
فَيا جنَّةَ الدنيا، وَيا مُنْتَهى المنى وَيا نُور عيني، هَلْ إليكِ سَبيلُ؟
فَدَيْتُكِ، أعدائي كثير، وَشُقَّتي بَعيدٌ، وَأشياعي لَدَيْكِ قَليلُ[٤]
وَكُنْتُ إذا ما جِئْتُ جِئْتُ بعلَّةٍ فأفنيتُ عِلاّتي، فَكَيْفَ أقولُ[٥]؟
فما كُلَّ يومٍ لِي بأَرْضِكِ حاجةٌ وَلاَ كلَّ يومٍ لي إليكِ رَسُولُ

وأنشد ابنُ سلاّم لأبي كبير الهذلي[٦]:

وَإنّي لَمُشْتَقٍ لها اللَّهَ كُلَّما لَوَى الدَّيْنَ مُعْتَلٌّ وشَحَّ غَريمُ[٧]
سَحائبَ لا مِنْ صَيِّبٍ ذي صَواعِقٍ وَلا مُحرِقاتٍ مَاؤُهنّ حَميمُ[٨]
وَلا مُخلفاتٍ حين هِجْنَ بِنَسْمَةٍ إليهنَّ هَوْجَاءُ المَهَبِّ عَقيمُ[٩]
إذا ما هَبَطْنَ القاعَ قَدْ ماتَ نَبْتُهُ بَكَيْنَ بهِ حتَّى يَعيشَ هَشِيمُ[١٠]

---

(١) في وفيات الأعيان: «وكلٌّ ليس منك قليلُ».
(٢) العنود: الشديد العِناد، وقد عَنَدَ عنه عَنْداً وعنوداً: تباعد وانصرف.
(٣) في وفيات الأعيان: «فلا تحملي ذنبي».
(٤) الشُّقَّةُ: السفر الطويل، وقيل: بُعْدُ مَسيرٍ إلى الأرض البعيدة، أو المسافة البعيدة. والأشياع: الأولياء والأنصار.
(٥) العِلَّةُ: السبب، والمرض، والحدث يشغل صاحبه عن حاجته.
(٦) هو أبو كبير، عامر بن الحليس الهذلي، من بني سهل بن هذيل: شاعر جاهلي فحل، من شعراء الحماسة. أدرك الإسلام وأسلم. عُرِف بمطالع واحدة لأربع قصائد لم يسبقه إليها أحد من الشعراء. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٢/ ٥٦١؛ البغدادي، خزانة الأدب (صادر): ٣/ ٤٧٣).
(٧) مُعْتَلٌّ: يقال: اعتلَّ فلان: تمسَّك بِعلَّةٍ، واعتلَّ فلاناً وعليه: اعتاقه عن أَمرٍ، وتجنَّى عليه. وشحَّ فلان بالشيء: بخل. والغريم: الدائن.
(٨) الصَّيِّبُ: السحاب ذو الصَّوب. الحميم: الحارُّ.
(٩) الهوجاء من الرياح: المتداركة الهبوب كأَنَّ بها هَوَجاً. والمَهَبُّ: موضع الهبوب. وريح عقيم: لا تأتي بمطر.
(١٠) الهشيم: اليابس من كل شيء، أو النبت الذي بقي من عام أوّل.

[عمران بن حطَّان والحجاج]

ولما ظفر الحجَّاج بعمران بن حطَّان الشاري[١] قال: اضربوا عُنُقَ ابن الفاجرة، فقال عمران: لبئسما أدّبكَ أهلُك يا حجّاج! كَيف أمنت أن أُجيبك بِمِثْلِ ما لقيتني به؟ أبعدَ الموت منزلةٌ أصانِعك عليها؟ فأطْرَق الحجاج استحياءً، وقال: خلّوا عنه؛ فخرج إلى أصحابه، فقالوا: والله ما أطْلَقك إلاَّ الله، فارْجِعْ إلى حَرْبه معنا، فقال: هيهات! غلَّ يداً مُطْلِقها، واسترقَّ رقبةً مُعْتِقُها! وأنشد:

أأُقَاتِلُ الحجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ ... بِيَدٍ تُقِرّ بِأنَّها مَوْلاَتُهُ؟
إني إذاً لأَخُو الدَّنَاءةِ، والذي ... عَفَّتْ عَلَى عِرْفَانِهِ جَهِلاتُهُ
ماذا أَقُولُ إذا وَقَفْتُ مُوَازِياً ... في الصفِّ وَأَحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلاتُهُ؟
وَتحدَّثَ الأكْفَاءُ أنَّ صَنَائعاً ... غُرِسَتْ لَدَيّ فَحَنْظَلَت نَخَلاتُهُ[٢]
أأقُول جارَ عليَّ؟ إنّي فِيكُمُ ... لأَحَقُّ مَنْ جارَتْ عليه وُلاَتُهُ
تالله ما كِدْتُ الأميرَ بآلةٍ ... وَجَوَارِحِي وَسِلاَحها آلاَتُهُ

أخذ أبو تمام هذا فقال معتذراً إلى أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقيّ[٣]:

أأُلْبِسُ هُجْرَ الْقولِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ ... إذاً لهجَاني عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي[٤]
كَرِيمٌ متى أمْدَحْهُ أمْدَحْهُ والوَرَى ... مَعِي، وَإذا ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي[٥]

وعمران بن حطَّان هو القائل:

لَمْ يُعْجِزِ الموتَ شيءٌ دُونَ خَالِقِهِ ... وَالموتُ فَانٍ إذا ما غَالَهُ الأَجَلُ[٦]
وَكلّ كَرْبٍ أمامَ المَوْتِ مُنْقَطِعٌ ... بالموتِ، والموتُ فيما بَعْدَهُ جَلَلُ[٧]

---

(١) الشاري: واحد الشراة، وهم الخوارج، زعموا بأنهم شروا أنفسهم وأموالهم من الله، أي باعوهما، بأن لهم الجنة.
(٢) الأكفاء: جمع كفء، وهو المماثل، أو القوي القادر على تصريف العمل.
(٣) أبو تمام، الديوان: ١/ ٢٩٠.
(٤) هُجْرُ القول: فاحشه.
(٥) في الديوان: «ومتى ما لُمْتُهُ وحْدِي».
(٦) غاله غَوْلاً: أهلكه، أو أخذه من حيث لا يدري فأهلكه.
(٧) الجَلَلُ هنا: معناه يَسيرٌ هيّنٌ.

وكان الفَرَزْدَقُ عمل بيتاً، وحلف بالطلاق أنَّ جَريراً لا ينقضه، وهو[١]:

فَإنِي أَنا المَوْتُ الذي هُوَ نازلٌ ... بِنَفْسِكَ فانظُرْ كَيْفَ أَنْتَ مُحَاوِلُهْ

فاتصل ذلك بجرير، فقال: أنا أبو حَزْرَة، طلقت امرأةَ الخبيث، وقال[٢]:

أنا الدَّهْرُ يُفْنِي الموتَ والدهرُ خالِدٌ ... فَجِئْني بِمثْلِ الدَّهْرِ شيئاً يُطاوِلُهْ

وإنما أشار جرير إلى قول عمران.

وهو عِمْران بن حطَّان بن ظبيان بن سهل بن معاوية بن الحارث بن سدوس بن سنان بن ذهل بن ثعلبة، ويكنى أبا شهاب، وكان من الشُّرَاة، وكان من أَخطب الناس وأَفْصَحهم، وكان إذا خطب ثارت الخوارجُ إلى سلاحها، وكان من أقبح الناسِ وَجْهاً، قالت له امرأته وكانت في الجمال مثله في القبح: إني لأرجو أن أكون وإيّاك في الجنة؛ لأن الله رزقك مِثْلي فَشكَرْتَ، وابتلاني بمثلك فَصَبَرْتُ!

[بين أعرابي وبعض الولاة]

ودخل أعرابي على بعض الوُلاة فقال: أَصْلَحَ الله الأمير، اجعلني زِماماً من أزمَّتك، فإني مِسْعَر حَرْبٍ[٣]، ورَكَّاب نُجُب، شديدٌ على الأعداء، لَيِّنٌ على الأصدقاء، منطوي الحصيلة، قليلُ الثَّميلة[٤]، [قليل] غرار النوم، قد غَذَتْني الحروبُ أفَاوِيقها[٥]، وحَلَبْتُ الدهرَ أشْطُره، فلا يَمْنَعْكَ مني الدَّمامة[٦]، فإنّ تَحْتَها لَشَهامة.

[الدنيا، وأهلها]

قال المسيح عليه السَّلام: الدُّنْيَا لإبليس مزرعة، وأهلها له حُرَّاث. وقال إبليس لَعَنَهُ الله: العَجَبُ لبني آدم يُحبُّونَ الله ويَعْصونَه، وَيُبْغضونني وَيُطيعونني.

---

(١) الفرزدق، الديوان: ٢/ ١٧١. وفيه: «فإني أنا الموت الذي هو ذاهبٌ».
(٢) جرير، الديوان: ص ٣٨٨.
(٣) مسعر حرب: موقدها ومشعلها.
(٤) الثميلة: ما يبقى في البطن من الطعام والشراب.
(٥) أفاويق: جمع فِيْقَة، وهي اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين.
(٦) الدمامة: القبح.

[أربع كلمات طيبات]

خرج الزهري يوماً من عند هشام بن عبد الملك فقال: ما رأيتُ كاليومِ، ولا سمعت كأربع كلمات تكلَّم بهن رجلٌ عند هشام؛ دخل عليه فقال: يا أَميرَ المؤمنين؛ احفظ عني أربَع كلمات، فيهن صلاحُ مُلْكِك، واستقامةُ رَعيَّتِك. قال: هاتهنَّ؟ قال: لا تَعِدن عِدةً لا تَثِقُ من نفسك بإنجازها، ولا يغرنَّك المُرْتَقَى وإن كان سَهْلاً إذا كان المُنْحَدر وَعْراً، واعلم أن للأعمال جزاءً فاتّقِ العواقبَ، وأن للأمورِ بَغَتَات فَكُنْ على حَذَر.

قال عيسى بن دَأْب: فحدَّثت بهذا الحديث الهادي وفي يده لُقْمة قد رفعها إلى فِيهِ فأمسكها، وقال: ويحك أعِدْ عليّ! فقلت: يا أَمير المؤمنين، أَسِغْ لُقْمتك، فقال: حديثك أحبُّ إليّ.

[بين معاوية وعمرو بن سعيد]

ولما عقد مُعاويةُ البَيْعَةَ ليزيدَ قام الناسُ يخطبون؛ فقال لعمرو بن سعيد: قُمْ يا أبا أمية، فقام فحمد الله وأثنى عليهِ ثم قال: أمّا بعد فإنّ يزيد بن معاوية أجلٌ تؤمونه، وأمل تؤملونه، إن استضفتم إلى حِلْمِه وَسِعَكم[١]، وإن احْتَجْتُم إلى رَأْيه أَرشدكم، وإن افتقرتم إلى ذاتِ يده أغناكم، جَذَع قَارِح[٢]، سُوبِقَ فَسَبَقَ، وَمُوجِدَ فَمَجَدَ، وَقُورِع فَقَرَعَ، وهو خَلَفُ أَمير المؤمنين، ولا خلف عنه، فقال له معاوية: اجلس، فقد أَبْلَغْتَ.

وعَمْرو بنُ سعيد هذا هو الأشْدَق؛ [وإنما سُمي الأشدق] لتشادقه في الكلام، وقيل: بل كان أَفْقم مَائِل الشدق، وهذا قول عوانة بن الحكم الكلبيّ، وهو خِلاَفُ قول الشاعر:

تَشَادقَ حتّى مالَ في القولِ شِدْقُهُ ... وَكُلُّ خَطِيبٍ لا أبا لكَ أَشْدَقُ[٣]

وكان أبوهُ سعيد بن العاصِ أَحدَ خطباء بني أمية وبلغائهم.

ولما ماتَ سعيد دخل عمرو على معاوية فاستَنْطَقَهُ فقال: إن أَوّل كل مركب صَعْب،

---

(١) استضفتم: مِلْتُمْ.

(٢) الجذع: الشاب الحدث. والقارح: الشديد المجرب.

(٣) شَدِقَ شَدْقاً: اتّسع شِدْقُه، فهو أشدق، وهي شدقاء. وقد تشدَّق فلان: لوى شدقه بكلام يتفصَّح. ويقال: خطيب أشدق: جَهِيرٌ مُفَوَّهٌ.

وإن مع اليوم غداً، فقالَ معاوية: وفي هذه العلة إلى من أَوصى بك أبوك؟ قال: أوصى إليّ ولم يُوصِ بي، فقال معاوية: إن ابن سعيد هذا لأَشْدَق!

[من تواضع الرشيد]

قال ابن السماك للرشيد: يا أَميرَ المؤمنين، تواضُعُك في شرفك أَفْضَلُ من شرفك؛ إنَّ رجلاً آتاه الله مالاً وجَمَالاً وحَسَباً، فواسَى في مَالِه، وعفّ في جماله، وتَواضعَ في شَرَفِه، كُتِبَ في ديوان اللَّهِ عزّ وجلّ.

[للمتنبي في حُمّى أصابته بمصر]

نالت أبا الطيب المتنبّي علّة بمصر، فكان بعض إخوانه من المصريين يُكثر الإلمامَ(١) به، فلما أَبلَّ قطعه، فكتب إليه: وَصَلْتَني أعزّك اللَّهُ مُعْتَلاًّ، وقطعتني مُبِلاًّ، فإن رأيت ألاَّ تكدر الصحةَ عليّ، وتحبّب العلةَ إليّ، فَعَلْتَ.

وفي هذه العلة يقول(٢):

أَقَمْتُ بأَرضِ مِصْرَ؛ فلا وَرائِي ... تَخُبُّ بِيَ الركابُ، وَلاَ أَمامِي(٣)
عَليلُ الجِسْمِ مُمْتَنِعُ القِيامِ ... شَديدُ السُّكْرِ من غيرِ المُدَامِ
وَزَائِرَتي كَأَنّ بِها حَيَاءً ... فَلَيْسَ تَزُورُ إلاَّ فِي الظّلامِ
بَذَلْتُ لها المَطَارِفَ والحَشَايَا ... فَعَافَتْهَا، وَبَاتَتْ في عِظَامِي(٤)
يَضِيقُ الجِلْدُ عن نَفَسي وَعَنْهَا ... فَتُوسِعُهُ بأَنواعِ السَّقَامِ
إذا ما فَارقَتْنِي غَسّلَتْنِي ... كَأَنّا عاكِفانِ على حَرَامِ(٥)
كأن الصّبح يَطْرُدها فَتَجْرِي ... مَدامِعُها بأربعةٍ سِجَامِ(٦)

(١) الإلمام: من أَلَمَّ به: إذا زاره أو عَادَهُ. وأَبلَّ المريض: برىء من مرضه.
(٢) المتنبي، الديوان: ٢/٢٩٧.
(٣) الخبب: ضرب من العَدْوِ.
(٤) المطارف: جمع مِطْرَف، وهو رداءٌ من خَزٍّ. والحشايا: جمع حشية، وهي الفراش المَحْشُوّ. وعافتها: أَبَتْهَا.
(٥) لا وجود لهذا البيت في رواية الديوان.
(٦) المدامع: مجاري الدمع. وقوله: بأربعة، أي بأربعة أدمع. وسجام: منسكبة.

أُراقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غيرِ شَوْقٍ ... مُراقبةَ المَشُوقِ المُسْتَهَامِ[١]
وَيَصْدُقُ وَعْدُها وَالصِّدْقُ شَرٌّ ... إذا ألقاكَ في الكُرَبِ العِظَامِ[٢]

ألفاظ لأهل العصر في العيادة وما جانسها من ذكر التَّشَكِّي والمرض وتلونه، وسوء أثره، والانزعاج لعوارضه

عرض لي مرضٌ أساء بالنجاة ظني، وكاد يصرف وجه الإفاقة عني. هو شُورى بين أمراض أربعة: صُدَاع لا يخفّ، وحُمَّى لا تُغِبُّ[٣]، وزُكَام لا يجف، وسُعال لا يَكُفّ. عِلّة هو في أسْرِها مُعْتَقل، وبِقَيْدِها مُكَبَّل. أمراض تلوَّنت عليَّ، وأساءت بي وإليّ، فأنا أشكرُ الله تعالى إذ جعلها عِظة وتذكيراً، ولم يُبْقِ منها الآن إلاَّ يسيراً، أحسب أن الأمراض قد أقسمت على أن تجعل أعضائي مَرَاتعها، [وآلت على أن تُصيِّر جوارحي مرابِعَها]. عِلَل لا يصدر منها [آتٍ إلاَّ لتكدير وِرْد] ولا يعزل منها والٍ إلاَّ بوليّ عهد. قد كرَّت تلك العلة فعادت عِللا، [وسقتني بعد نَهَل عَلَلا][٤]. علل بَرَتْهُ بَرْيَ الأخلّة، ونقصته نَقْصَ الأهلّة، وتركته حَرَضاً[٥]، وأوسَعَتْهُ مَرَضاً، وغادرته والخيالُ أَكْثَفُ منه جُثّة، والطيفُ أَوفر منه قُوّة. عرض له من المرض ما صار معه القنوطُ يُغَاديه ويُراوِحه، واليأس يُخاطبه ويُصَافحه. قد وَرَدَ من سوء الظن أَوْخَمَ المناهل، وبات من حسن الرجاء على مَرَاحل. طالعتُ الكرم يترجَّح نجمه بين الإضاءة والأفول، وتمثلُ شمسه بين الإشراق والغروب. أصبح فلانٌ لا يُقِلّ رأسَه[٦]، ولا يحور ظله[٧]، ويدُ المنية تَقْرَع بابه. ما هو للعلة إلاَّ عَرَض، ولسهام المنية إلاَّ غَرَض. شاهدتُ نفسي وهي تَخْرج، ولقيت رُوحي وهي تَعْرُج، وعَرفت كيف تكون السَّكْرة، وكيف تقع الغَمْرة، وكيف طَعْمُ البعد والفراق، وكيف تلتفُّ الساق بالساق. مرض لحقتني رَوْعَتُه، وملكتني لَوْعَتُه. وجدت في نفسي ألماً أَوْحَشُهُ آنَسُه وَآنَسُه أَوْحَشُه. بلغني من شكايته ما أَوحش جناب الأُنْس، وأراني الظلمة في مَطْلع الشمس. قد بلغني ما

---

(١) يريد أنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفاً لا شَوْقاً.

(٢) يقول: إنها صادقة الوعد لأنها لا تتخلف عن ميقاتها وذلك الصدق شرٌّ لأنها تصدق فيما يضرُّ.

(٣) الإغباب: أن تزور يوماً وتترك الزيارة يوماً.

(٤) النَّهْلُ: الشرب الأول. والعَلَلُ: الشرب الثاني.

(٥) الحَرَضُ: الشديد المرض.

(٦) لا يقلُّ رأسه: لا يرفعه، أو لا يحمله.

(٧) حار حَوْراً، وحُئوراً: رجع، أو نقص، وحار الماء في الغدير: تَرَدّد.

عَرَضَ لك من المرض، وألمّ بك من الألم؛ فتحاملَ على سوداء صدري، وأقْذَى سوادَ طَرْفي، وقد استنفد القَلَق لِعلّتك ما أَعدّه الصبرُ من ذخيرة، وأضعف ما قوّاه العزم من بصيرة. قَلْبي يتقلّب على حدِّ السيف إلى أن أعْرف انكشافَ العارض وزِيَاله، وأتحقّق انحساره وانتقاله. أنهى إليّ من الخبر العارض، حسمَ الله مادَّته، وقصَّر مُدَّته، ما أراني الأفق مُظْلماً، والعيش مُبْهَماً.

فقر في تهوين العلة بحسن الرجاء، وذكر المشاركة والاهتمام بِحُلُولها والاستبشار بزوالها

إن الذي بلغني من ضَعْفِه قد أضعف المنَّة، وإنْ لم يُضعف الظنَّ بالله والثِّقة. قد استشفَّ العافية من ثوب رقيق. ما أكثر ما رأينا هذه العلل حَلَّتْ ثم تَجلّتْ وتوالت ثم تولّت. خبَّرني فلان بِعلّتك فأشركني فيها ألماً وقَلَقاً، فلا أعَلَّ اللَّهُ لك جسماً ولا حالاً، فليست نِكَاية الشغل في قلبي بأقلّ من نِكَايةِ الشكايةِ[١] في جسمك، ولا استيلاء القَلَقِ على نفسي بأيسر من أعتراضِ السّقم لبدنك، ومَنْ ذَا الذي يصحُّ جسمه إذا تألمت إحدى يديه، ومن يحل محلّها في القرب إليه؟ أنا مُنْزَعِجٌ لِشَكَاتك، مبتهج بِمُعَافاتك، إن كانت علّتك قد قَرَحَت وجرَحتْ، فإنّ صحتك قد آسَت وأنسَت[٢]. بلغتني شَكَاتك فارْتَعْت، ثم عرفت خِفّتها فارْتَحْت. الحمد لله على قُرْبِ المدة بين المِحْنَة والمِنْحة، والنقمة والنعمة، وعلى أنّا لم نتهالك بأيدي المخافة حتى تدارك بِحُسْنِ الرأفة، ولم نستسلم لخطّة الحذر حتى سَلمَ من وَرْطَة القدر.

ولهم في شكاة أهل الفضل والسؤدد

شكاتُه التي تتألّم منها المروءةُ والفضل. ويسقم منها الكرم المَحْضُ. شكاته التي غَصَّت بها حلوقُ المَجْدِ، وحَرِجَت لها صدورُ أهل الأدب والعلم[٣]، وبدا الشحوبُ معها على وَجْه الحرية، وحرم معها البِشْرُ على غُرَّة المروءة. قد اعتلَّ بعلَّته الكَرَم، وشكا بشكايته السيفُ والقلم. شكاة عرضت منه لِشَخْص الكرم الغضّ، والشرف المَحْض. لو قبلت

---

(١) نكى العَدُوَّ وفيه نِكاية: أوقع به، أو هزمه وغلبه.

(٢) آسَت: عالجت وداوت.

(٣) حرجت لها الصدور: ضاقت.

مهجتي فديةً، دون وَعْكةٍ تجدها، لَجُدْتُ بها، وساعة أنس تفقدها لبذلتها، عالماً بأني أفْدِي الكرم لا غير، والفضل ولا ضَيْر.

ولهم في تَنسُّم الإقبال، وذكر الإبلال

قد شِمْت بارِقَة العافية، وَشَمِمْتُ رائحةَ الصحة. أقبل صُنْعُ اللَّهِ من حيث لم أَحتسب، وجاءني لُطْفه من حيث لا أرْتقب، وتدرّجْت إلى الإبلال وقد حسبته حُلْماً، ورضيت به دون الاستقلال غُنْماً، وقد تخلَّصتُ إلى شَطِّ العافية لما تداركني الله تعالى بلطيفة من لطائفه، وجعل هبة الروح عارِفة من عَوَارفه[١]، وتنسمتُ رَوْحَ الحياة، بعد أن أَشْفَيْتُ على الوفاة[٢]، وثَنَيْتُ وجهي إلى الدنيا بعد مواجهتي للدار الأخرى. قد صافَحَ الإقبال والإبلال، وقارب النهوضَ والاستقلال. سَيُرِيك اللَّهُ من العافية التي أذاقك ويُسْبِغَ ثوبها، ولا يعيد عليك مكروهَها. قد استقلَّ استقلالَ السيف حُودثَ عهدُه وأُعِيد فِرِنْدُه[٣]، والقمر انكشف سِرَارُه[٤]، وذاعت أَسراره. حين استقلّت يدي بالقلم، بشَّرتك بانحسار الألم. قد أتاك اللَّه بالسَّلامة الفائضة، وعافاك من الشكاة العارضة. أَبَلَّ فانْشَرَحَت الصدور، وشمل السرور. الحمد لله الذي حرس جِسْمَك وعافاه، وَمَحا عنه أَثَرَ السقم وعَفّاه. الحمد لله الذي جعل العافيةَ عُقْبى ما تشكيت، والسَّلامة عِوَضاً عما عايَنْت. الحمد لله الذي أعفاك من مُعَاناة الألم، وعافاك للفَضْلِ والكرم، ونظمني معك في سِلْك النعمة؛ وضمَّني إليك في مُنْبلج الصحَّة. الحمد لله الذي جعل السَّلامةَ ثَوْبك الذي لا تنضوه[٥]، وسيفك فيما تأمله وتَرْجُوه. الله يَجْعَل السَّلامةَ أطول بُرْدَيْك، وأشدّهما سُبُوغاً عليك، ويدفع في صدور المكارِهِ دون رَبْعك، وفي نحور المحاذير قبل الانتهاء إلى ظلّك. لا زالت العافية شِعَارَك، ما واصل لَيْلُكَ نَهارَكَ.

فقر في أدعية العيادة، والاستشفاء بكتبها

أَغناك اللَّهُ عن الطبِّ والأطباء، بالسلامة والشفاء، وجعله عليك تَمْحِيصاً[٦] لا

---

(١) العارفة: الإحسان.

(٢) أشفى على الشيء: قاربه ودنا منه.

(٣) حُودث عهده: أراد جُدّد صقاله. وفرند السيف: جوهره.

(٤) السِّرار: الليلة التي يختفي فيها القمر.

(٥) لا تنضوه: لا تخلعه.

(٦) التمحيص: الاختبار والامتحان.

تنغيصاً، وتذكيراً لا نكيراً، وأدباً لا غضباً. الله يدرُّ لك صَوْبَ العافية، ويُضْفِي عليك ثوبَ الكفاية الوافية. أوْصَل اللَّهُ تعالى إليك من بَرْدِ الشفاء ما يكفيك حَرَّ الأدواء. كتابك قد أَدَّى رَوْحَ السَّلامة في أعضائي، وأَوْصَل بَرْدَ العافية إلى أحشائي. تركني كتابُك والنعم تَثِبُ إلى صحتي، والخطوب تتجافى عن مُهْجتي، بعد أمراضٍ اكتنفت، وأسقام اختلفت. قد استبق كتابُك والعافية إلى جسمي كأنهما فرَسَا رِهَان تباريا، ورَسيلا مِضْمَار تجاريا[١]. أَبدلني كتابُك من حُزون الشكاية سُهُولَ المعافاة، ومن شدَّة التألّم، رخاءَ التنعّم.

قطعة من كلام الأطباء والفلاسفة

العاقل يتركُ ما يحبُّ ليستغنيَ عن العلاج بما يكره.

جالينوس: المرض هَرَم عارِض، والهَرَم مرضٌ طبيعي.

وله: مجالسة الثقيلِ حُمَّى الروح.

بختيشوع: أَكلُ القليل مما يَضُرُّ أصلح من أكل الكثير مما ينفع.

يوحنا بن ماسويه: عليك من الطعام بما حَدُث، ومن الشراب بما قَدُم.

وقال له المأمون: ما أحْسَنُ ما يُتنقّل به على النبيذ؟ قال: قول أبي نواس، يريد قوله[٢]:

الحمد لله لَيْسَ لي مَثَلُ خَمْرِي شَرابي وَنُقْلِيَ القُبَلُ[٣]

ثابت بن قَرة[٤]: ليس شيء أضَرّ بالشيخ من أن تكونَ له جارية حسناء، وطبّاخ حاذق؛ لأنه يُكثر من الطعام فَيَسْقَم، ومن الجماع فَيَهْرَم.

غيره: ليس لثلاث حيلة: فقرٌ يُخالِطُه كسل، وخصومة يُخامرها حَسَد، ومرض يُمازِجه هرم.

---

(١) المضمار: المكان تضمر فيه الخيل، أي تتسابق.

(٢) أبو نواس، الديوان: ص ٣٧١.

(٣) في الديوان:

مـا لـيَ فـي النـاسِ كُلِّهـم مَثَـلُ مَـائـي عُقَـارٌ وَنُقْلـي القُبَـلُ

والنُّقْلُ: ما يُتَنَـقلُ به على الشراب من فواكه، أو ما يُتفكَّهُ به من جوز ولوز وبندق ونحوها.

(٤) هو أبو الحسن، ثابت بن قرة بن هارون الحرّاني؛ كان في مبدإ أمره صيرفياً بحرّان، ثم انتقل إلى بغداد، واشتغل بعلوم الأوائل فمهر فيها، وبرع في الطب وكان الغالب عليه الفلسفة، وله تآليف كثيرة. توفي سنة ٢٨٨ هـ/ ٩٠٢ م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١/ ٣١٣).

ثلاثة يجب مداراتهم: السلطان، والمريض، والمرأة.

ثلاثة يُعْذَرون على سوء الخلق: المريض، والمسافر، والصائم.

فقر في ذكر المرض والصحة والموت والحياة لغير واحد

شيئان لا يُعرفان إلاَّ بعد ذهابهما: الصحّة والشباب. بِمرارة السقم توجد حلاوةُ الصحة. هذا كقول أبي تمام[١]:

إســاءةُ دَهْــرٍ أذْكَــرَتْ حُسْــنَ فِعْلِــهِ   إلـيَّ، وَلَـوْلاَ الشَّـرْيُ لـم يُعْـرَفِ الشَّهْدُ[٢]

وقوله أيضاً[٣]:

وَالحــادثــاتُ وإنْ أَصَــابــكَ بُــؤْسُها   فَهْــوَ الــذي أَدْراك كَيْــفَ نَعِيمُهَــا[٤]

ما سلامةُ بدن معرّض للآفات، وبقاء عمر معرض للساعات؟

قال أبو النجم:

إنّ الفتـــى يُصْبِـــحُ للسقــــامِ   كَــالغَــرض المنصــوبِ للمّهــامِ
أخطـــأ رامٍ وأصـــابَ رَامِ

وقيل لبعض الأطباء وقد نهكته العلّة: أَلاَ تعالج؟ فقال: إذا كان [الداء من] السماء بطل الدواء، وإذا قدّر الرب بطل حَذَرُ المربوب، ونِعْمَ الدواءُ الأمل، وبئس الداء الأجل.

بزرجمهر: إنْ كان شيء فوق الحياة فالصحّة، وإن كان شيء فوق الموت فالمرض، وإن كان شيءٌ مثل الحياة فالغِنَى، وإن كان شيء مثل الموت فالفقر.

غيره: خيرٌ من الحياة ما لا تَطِيبُ الحياةُ إلاَّ به، وشرٌّ من الموت ما يُتَمَنى الموت له.

---

(١) أبو تمام، الديوان: ١/٢٧٨. والبيت من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شُبانَة الخُراساني.

(٢) الشري: الحنظل. الشهد: العسل.

(٣) أبو تمام، الديوان: ٢/١٤٣. والبيت من قصيدة يمدح بها كُتَّابَ عبد اللّه بن طاهر: عبد الحميد ابن غالب، والفضل بن محمد بن منصور، وإبراهيم بن وهب.

(٤) في الديوان: «فهو الذي أنباك».

قال المتنبي في مرثية أم سيف الدولة[١]:

أَطَابَ النفسَ أنَّكِ مُتِّ مَوْتاً ... تَمَنَّتْهُ البَوَاقِي وَالْخَوَالِي[٢]
وَزُلْتِ وَلم تَرَيْ يَوْماً كَريهاً ... تُسَرُّ النفسُ فِيهِ بالزوالِ
رِوَاقُ العِزِّ فَوْقَكِ مُسْبَطِرٌّ ... وَمُلْكُ عليٍّ ابْنِكِ في كَمَالِ[٣]

المَوْت باب الآخرة

الحسن: ما رأيتُ يقيناً لا شكّ فيه أشبه بشكٍّ لا يقين فيه من الموت.

ابن المعتز: الموت سَهْمٌ مُرْسَل إليك، وعمرك بقدر سفره نحوك.

أخذه بعض أهل العصر فقال:

لا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الخَؤُو ... نَ وَخَفْ بَوادرَ آفَتِهْ[٤]
فَالمَوْتُ سَهْمٌ مُرْسَلٌ ... وَالعُمْرُ قَدْرُ مَسافَتِهْ

البستي:

لا يَغُرَّنْكَ أَنَّنِي لَيِّنُ المَـ ... ـسِّ فَعزْمي إذا انْتَضَيْتُ حُسامُ[٥]
أنا كالوردِ فيه رَاحةُ قَوْمٍ ... ثم فيهِ لآخرينَ زُكَامُ

وقال آخر:

إن الجَهُولَ تَضُرُّني أَخْلاَقُهُ ... ضَرَرَ السُّعالِ لِمَنْ بهِ اسْتِسْقَاءُ

ولآخر، وهو البستي:

فَلا تَكُنْ عَجِلاً في الأمرِ تَطْلُبُهُ ... فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ النُّضْجِ بُحْرَانُ

---

(١) المتنبي، الديوان: ٢/ ١١٦.
(٢) الخوالي: المواضي.
(٣) المسبطر: الممتد.
(٤) البوادر: جمع بادرة، وهي ما يبدو من رجلٍ عند غضبه من خطإٍ أو سَقْط، وقيل: هي الغضبة السريعة.
(٥) الحسام: السيف. وانتضى السيف: أخرجه من غمده.

وقال آخر:

لا تَعْتَمِدْ إلاَّ رَئِيساً فَاضِلاً ... إنَّ الكِبارَ أَطبُّ لِلأَوْجَاعِ

وقال آخر:

وَإنِّي لأَخْتَصُّ بَعْضَ الرجالِ ... وَإِنْ كانَ فَدْماً ثَقِيلاً عَبَامَا[1]

فَإنَّ الجُبُنَّ على أَنَّهُ ... ثَقِيلٌ وَخيمٌ يُشَهِّي الطَّعامَا

وقال المتنبي[2]:

لَعلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَواقِبُهُ ... وَرُبّما صَحَّتِ الأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ[3]

وقال أيضاً[4]:

أُعِيذُها نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً ... أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ[5]

[من الأجوبة المُفْحِمَة]

قال أبو المنذر هشام بن محمّد السائب الكلبي: كان بلالُ بن أبي بردة جَلْداً حين ابْتُلي، أحضره يوسف بن عمر في قيودِه لبعض الأمر، وَهُم بالحِيرة؛ فقام خالدُ بن صفوان فقال ليوسفَ: أيها الأميرُ، إنّ عدوّ اللّهِ بلالاً ضربني وَحَبَسني ولم أفارِقْ جماعة، ولا خَلعْتُ يداً من طاعة، ثم التفت إلى بلالٍ فقال: الحمدُ لله الذي أَزال سلطانَك، وهدَّ أركانك، وأَزال جَمالك، وغيَّر حالك، فوالله لقد كُنْتَ شديدَ الحجاب، مستخفًّا بالشريف، مُظْهِراً للعصبية! فقال بلال: يا خالد؛ إنما استطلت عليّ بثلاث معك هُنّ عليّ: الأمير مُقْبِلٌ

(١) الفدم: العيّ عن الكلام. والعبام: الثقيل.

(٢) المتنبي، الديوان: ٢/١٠٨. والبيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة الحمداني.

(٣) يقول: لعل عتبك يكون سبباً لتحقق وفائي وإخلاصي في خدمتك، ويقطع عني ألسنة الحُسّاد فأحمد عواقبه، كما أن من العلل ما قد يكون سبباً لصحة الأجسام وانتفاض الدخل منها فتأمن عود غيره إليها.

(٤) المتنبي، الديوان: ٢/٩٤. والبيت من قصيدة قالها وقد جرى له خطاب مع قوم متشاعرين وظن الحيف عليه والتحامل في بلاط سيف الدولة.

(٥) الشحم والورم: مثل لما يتشابه ظاهره وهو في الحقيقة على طرفي نقيض.

عليك، وهو عني مُعْرِض. وأنت مُطْلَقٌ، وأنا مأسور. وأنت في طينتك، وأنا غريب! فأفحمه، [ويقال: إن آل الأهتم زعنفة دخلت في بني منقر فانتسبت إليهم][١].

وكان سبب ضرب بلال خالداً في ولايته أن بلالاً مرّ بخالد في موكب عظيم، فقال خالد:

سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ

فسمعه بلال، فقال: والله لا تقشع أو يصيبك منها شُؤبوب[٢] برد، وأمر بِضَرْبِه وحَبْسِه.

[رثاء قَدَح]

وقال أبو الفتح كشاجم يرثي قَدَحاً له انكسر:

عَرَانِي الزمانُ بأحْدَاثِه	فَبَعْضاً أطَقْتُ، وَبَعْضٌ فَدَحْ[٣]
وَعِنْدي فَجَائِعُ للحادثاتِ	وَلَيْسَ كَفَجْعَتِنا بالقَدَحْ[٤]
وِعاءُ المُدَامِ، وتاجُ البَنانِ	وَمُدْنِي السرورَ، وَمُقْصِي التَّرَحْ[٥]
وَمعرضُ رَاحٍ متَى تَكْسُهُ	وَيُستودعُ السرَّ منها يُبِحْ
وَجِسْمُ هَوَاءٍ وإن لم يكُنْ	يُرَى للهواء بِكفٍّ شَبَحْ
يَرُدُّ على الشّخْصِ تِمثالَهُ	وَإنْ تَتَخِذْه مِرَآةً صَلَحْ
وَيَعْبَقُ مِن نَكهاتِ المُدَام	فَتَحْسِبُ مِنْهُ عَبِيراً نَفَحْ[٦]
وَرَقَّ؛ فَلَوْ حَلَّ في كِفّةٍ	وَلا شيءَ في أُخْتِهَا ما رَجَحْ[٧]
يكادُ مع الماءِ إن مَسّهُ	لِما فيهِ مِنْ شكلِهِ يَنْفَسِحْ[٨]

(١) ما بين المعقوفين ساقط من أكثر الأصول، وهو كلام مُقْحَم.

(٢) الشُّؤْبُوب: الدفعة العظيمة من المطر.

(٣) عراه الداء والأمر عَرْواً: أَلَمَّ به وأصابه. وفدحه الأمر: أثقله.

(٤) الفجائع: جمع فجيعة، وهي المصيبة المؤلمة.

(٥) المدام: الخمر. الترح: الحزن.

(٦) نفح الطيب: انتشرت رائحته.

(٧) رجح الشيء رجوحاً ورَجَحاناً: ثَقُل.

(٨) انفسح المكان: اتَّسع، وانفسح الشيء: انبسط، وانفسح الصدر: انشرح.

هَوَى مِنْ أَنامِلَ مَجْدُولةٍ ... فَيَا عَجَباً مِنْ لَطِيفٍ رَزَحْ
فأَفْقَدَنِيهِ على ضِنَّةٍ ... بِهِ لِلزَّمانِ غَرِيمٌ مَلَحْ
كأنَّ لَهُ نَاظِراً يَنْتَقِي ... فَمَتَى يَتَعَمَّدُ غَيْرَ المُلَحْ
أُقَلِّبُ ما أبقتِ الحادثاتُ منه وَفِي العينِ دَمْعٌ يَسُحْ[1]
وَقَدْ قَدَحَ الوَجْدُ منِّي بِهِ ... على القَلْبِ من نارِهِ ما قَدَحْ
وَأعجبُ مِنْ زَمَنٍ مَانِحٍ ... وآخَرَ يسلبُ تلكَ المِنَحْ
فلا تَبعدنّ فَكَمْ مِن حَشًى ... عَلَيْكَ كَلِيمٍ وَقَلْبٍ قَرِحْ[2]
سَيُقفِرُ بَعْدَكَ رَسْمُ الغُبُوقِ ... وَتُوحِش مِنكَ مَغَانِي الصَّبَحْ[3]

[من طرائف الوصف]

لابن الرومي في وصف قدح

ومن أحسن ما قيل في وصف قدح، قول ابن الرومي يصف قدحاً أهداه إلى علي بن يحيى المنجم[4]:

وَبَدِيعٍ مِنَ البدائعِ يَسْبِي ... كُلَّ عقلٍ، وَيَطَّبِي كُلَّ طَرْفِ[5]
رَقَّ فِي الحسنِ والملاحةِ حتى ... ما يُوفِّيهِ واصفٌ حَقَّ وَصْفِ[6]
كَفَمِ الْحِبِّ في الملاحةِ بل أشْـ ... ـهى وإن كانَ لا يناجي بحرْفِ[7]
تَنْفُذُ العينُ فيهِ حتى تَراها ... أخطأتْهُ مِنْ رِقَّةِ المُسْتَشَفِّ[8]
كَهَواءٍ بلا هباءٍ مَشُوبٍ ... بِضِياءٍ، أَرْقِقْ بذاكَ وَأَصْفِ

(١) سحَّ الماء والدمع: سال.
(٢) قلب قَرِحٌ: مجروح، حزين.
(٣) الغبوق: ما يُشْرَبُ بالعشي.
(٤) ابن الرومي، الديوان: ٤/١٩٩.
(٥) يطبي كل طرف: يستهوي كلّ نظر، يريد أنه يأخذ بمجامع الألباب والأبصار، كأنه يسحرها.
(٦) في الديوان: «وُفِيَ الحُسْنَ والملاحة حتَّى».
(٧) في الديوان: «كفم الحِبِّ في الحلاوة» و«لا يناغي بحرفِ».
(٨) يقول: إنه لشفافيته لا يكاد يبين.

صِيغَ مِن جَوْهَرٍ مُصفًّى طِباعاً ... لا عِلاجاً بِكِيمِيَاءٍ مُصَفٍّ
وَسَطُ القَدْرِ، لم يُكبَّر لِجَرْعٍ ... مُتوالٍ، ولم يصغَّر لِرَشْفِ[1]
لا عجول على العقول جَهولٌ ... بل حليم عنهنَّ في غير ضعفِ
فيه نُونٌ مُعَقْرَبٌ عَطَّفَتْهُ ... حُكَمَاءُ القيون أَحْكَمَ عَطْفِ[2]
مِثل عَطْفِ الأصداغِ في وَجَنَاتٍ ... مِنْ حَبيبٍ يُزْهىٰ بِحُسْنٍ وَظَرْفِ[3]
ما رأى الناظرون قدًّا وشكلاً ... مثله فارِساً على بطنِ كَفِّ

للتنوخي في وصف قدح أيضاً

وقال أبو القاسم التنوخي:

وَرَاحٍ مِنَ الشمسِ مَخْلُوقَةٍ ... بَدَتْ لك في قَدَحٍ من نَهارْ
هَواءٌ وَلكنَّهُ جَامِدٌ ... وَمَاءٌ وَلكِنَّهُ غيرُ جَارْ
إذا ما تأملتها وَهْي فيهِ ... تَأَمَّلْتَ نُوراً مُحيطاً بِنَارْ
فَهذا النهايةُ في الابيضاضِ ... وَهَذا النهايةُ في الاحمرارْ
وَمَا كانَ في الحقِ أَنْ يُقْرَنَا ... لِفَرْطِ التَّنافي وَبُعْدِ النِّفَارْ[4]
وَلكنْ تجاورَ شَكْلاهُمَا الـ ... ـبسيطَانِ فَاتَّفقا في الْجِوارْ
كأَنَّ المديرَ لها باليمينِ ... إذا قام للسَّقْيِ أو باليَسارْ
تَدرَّعَ ثوباً مِنَ الياسِمِينِ ... لَه فَرْدُ كُمٍّ مِن الجُلّنارْ[5]

لكشاجم في رثاء منديل

وقال أبو الفتح كشاجم يرثي منديل كُم:

مَنْ يَبْكِ من وَجْدٍ على هالكٍ ... فَإنما أَبْكِي عَلى دَسْتَجَهْ[6]

---

(١) يقول: إنه متوسط الحجم، لا بالكبير ولا بالصغير.
(٢) القيون: الصُّنَّاعُ.
(٣) في الديوان: «من غزالٍ».
(٤) النفار: الحران.
(٥) الجلنار: زهر الرمّان.
(٦) الدَّسْتَجَةُ: حُزْمَةٌ ونحوها، تجمع اثني عشر فرداً من كلّ نوع (معرب دسته).

جَاذَبَنيها رَشأٌ أغْيَدٌ فجادتِ النفسُ بها مُحْرَجَهْ[١]
بَديعةٌ في نَسْجها، مثلها يفقد من يُحْسِن أنْ يَنْسُجَهْ
كأنما رِقَّةُ أشكالها من رقَّةِ العُشَّاق مُسْتَخْرَجَهْ
كأنَّما مَفْتولُ أهدابِها أيدي دَبا في نَسَقٍ مُزْوَجَهْ[٢]
كأنَّما تَفْريقُ أعلامها طَاوُسَةٌ تَخْتَال أو دُرَّجَهْ[٣]
لَبيسَةٌ جَدَّدَها حُسْنُها لاَ رَثَّةُ السِّلْكِ ولا مُنْهَجَهْ[٤]
كَمْ رُقْعَةٍ مِن عِنْدِ مَعْشُوقَةٍ تُرْسَلُ في أثنائها مُدْرَجَهْ
أو مَسْحَةٍ من شَفَةٍ عَذْبَةٍ تُبْرِدُ حَرَّ الكَبِدِ المُنْضَجَهْ
إلى تَحياتٍ لِطافٍ بها تُسْكِنُ مني مُهْجَةً مُزْعَجَهْ
كانت لِمَسْحِ الكاس حتى تَرى منها لآثار القَذَى مُخْرِجَهْ
وَخَاتَمي يُعْقَدُ فيها إذا آثَرْتُ مِنْ كفِّيَ أن أُخْرِجَهْ
وَأتَّقِي الجامَ بها كُلَّما كَلَّلَهُ المازِجُ أو تَوَّجَهْ[٥]
فَاسْتَأْثَرَ الدَّهْرُ بها؛ إنهُ ذو هِمَّةٍ مُجْلِيَةٍ مُرْهِجَهْ[٦]
فَأَصْبَحَتْ في كَمّ مُخْتَالَةٍ مُلجمَةٍ في هَجْرِنا مُسْرَجَهْ

وله يصف سقوط الثلج

وقال أيضاً يصف سقوط الثلج:

الثلجُ يَسْقُطُ أم لُجَيْنٌ يُسْبَكُ أمْ ذا حَصَى الكافورِ ظَلَّ يُفَرَّكُ[٧]

---

(١) الرشأ: ولد الظبية إذا قوي وتحرك ومشى مع أُمّه. والأغيد من الناس: الوسنان المائل العنق، والمُتَثَنّي في نعومة.
(٢) الدَّبا: صغار الجراد والنمل.
(٣) الدُّرَجَةُ: طائر ظاهر جناحيه أغبر، وباطنهما أسود، يشبه القطا، إلاَّ أنَّه ألطف منه.
(٤) اللبيس: الذي أكثر لبسه. والمنهجة: الخلقة البالية.
(٥) الجام: إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها، وهي مؤنثة، وقد غلب استعمالها في قدح الشراب.
(٦) مرهجة: يقال: أرهج بين القوم: أثار فتنة، والرَّهْوَجَةُ: ضرب من السير، ومشي رهوج: سهل ليّن، والرَّهَجُ: الشَّغَبُ.
(٧) اللجين: الفضة.

رَاحــت بــهِ الأرضُ الفضــاءُ كــأنّهــا فــي كُــلِّ نــاحيــةٍ بِثَغْــرٍ تَضْحَــكُ
شَــابــتْ مَفــارِقُهَــا فَبِيّــن ضِحْكها طَــوراً، وَعَهْــدي بــالمَشيــبِ يُنَسِّــكُ
أرْبــىٰ علــى خُضــرِ الغُصــونِ فــأصبحَتْ كــالــدرّ فــي قُضُــبِ الـزبـرجـدِ يُسْلَكُ(١)
وَتــــردّتِ الأشجـــارُ منـــه مُـــلاءَةً عمَّــا قليــلٍ بــالــريــاح تَهَتَّــكُ(٢)
كــانــت كعُــودِ الهنـد طُــرِّيَ فَــانْكَفَــى فــي لَــوْنِ أبيـضَ وَهْــوَ أســودُ أَحْلَــكُ
وَالجــوُّ مـــن أَرَجِ الهـــواءِ كـــأنّـــهُ خِلَـــعٌ تُعَنْبَـــرُ تَـــارةً وَتُمَسَّـــكُ(٣)
فَخُــذِي مـــن الأوتـــارِ حَظَّـــك إنّمـــا يَتَحــرَّكُ الإطـــرابُ حيـــنَ تُحَـــرَّكُ
فَــاليَــوْمَ يُــوزَنُ بــالمــلاحــةِ، إنّــهُ سَيُطَــلُّ فيــه دَمُ الــدِّنــانِ وَيُسْفَــكُ(٤)

ولكشاجم أيضاً

وقال أيضاً:

بَـــاكِـــرْ فَهَـــذي صَبِيحـــةٌ قَـــرَّهْ وَاليـــومُ يَـــومٌ سَمـــاؤُه ثَـــرَّهْ(٥)
ثَلْـــجٌ وشمـــسٌ وصَـــوْبُ غَـــادِيَـــةٍ والأرضُ مـــن كـــلّ جـــانـــبٍ غُـــرَّهْ
بـــاتَـــتْ وَقِيعـــانُهـــا زَبَـــرْجَـــدَةٌ فَـــأصبحَـــتْ قـــد تَحَـــوَّلـــت دُرَّهْ
كـــأنَّهـــا وَالثلـــوجُ تُضْحِكُهـــا تُعَـــارُ مِمّـــنْ أُحِبّـــه ثَغْـــرهْ
كـــأنَّ فـــي الجـــو أيـــديـــاً نَثَـــرَتْ دُرًّا علينـــا فَـــأسْـــرَعَـــتْ نَثْـــرهْ
شَـــابَـــتْ فَسُـــرَّتْ بـــذاك وابتهجَـــتْ وَكـــانَ عَهْـــدي بـــالشيـــبِ يُسْتكْـــرَهْ
قَـــد جُلّيـــت بـــالبيـــاضِ بَلـــدَتُنـــا فَـــاجْـــلُ علينـــا الكُـــؤُوسَ بـــالحُمْـــرَهْ

للصنوبري في المعنى

وقال الصنوبري:

---

(١) أربى: زاد ونما، وأربت الأرض: طابت.
(٢) تَردَّت: لبست.
(٣) الأرج: طيب الرائحة. والخِلَعُ: جمع خِلْعَة، وهي ما تخلعه من الثياب ونحوها، ويقال: خلع عليه خِلْعَة: أعطاه أو ألبسه إياها.
(٤) طَلَّ الدَّمُ طلاًّ وَطُلولاً: هدر، وبَطَلَ ولم يُثأر به ولم تُؤخذ ديته، وَطُلَّ دَمُهُ طَلاًّ: طَلَّ، وهذا أكثر استعمالاً من المبني للمعلوم، فهو مطلول.
(٥) صبيحةٌ قَرَّةٌ: باردة. والثَّرَّةُ: الغزيرة.

ذهَبْ كُؤُوسكَ يا غُلا ... مُ فإنَّ ذَا يَوْمٌ مُفَضَّضْ[١]
الجوُّ يُجْلَى في البيا ... ضِ وفي حُلَى الكافور يُعْرَضْ
أَزَعَمْتَ ذا ثَلْجٌ وَذَا ... وَرْدٌ على الأغصانِ يُنْفَضْ
وَرْدُ الربيعِ مُوَرَّدٌ ... وَالوَردُ في تشرينَ أَبْيَضْ

للبستي

وقال البستي:

كَمْ نَظَمْنَا عُقُودَ لَهْوٍ وأُنْسٍ ... وَجَعَلْنَا الزمانَ لِلَّهْوِ سِلْكَا
وَفَتَقْنَا الدّنان في يَوْمِ ثَلْجٍ ... عُزِلَ الكأسُ فيه رُشْداً ونُسْكَا[٢]
فَكَأنَّ السماءَ تَنحلُّ كافو ... راً علينا، وَنحْنُ نَفْتِقُ مِسْكَا

للميكالي يصف الجمد

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي يصف الجَمْد:

رُبَّ جَنِينٍ من حَيَا النميرِ ... مُهتّكِ الأَستارِ والضميرِ[٣]
سَلَلتهُ من رحم الغديرِ ... كأنَّها صَحائفُ البَلُّورِ
أو أُكَرٌ تَجسَّمتْ من نُورِ ... أو قِطَعٌ من خَالِصِ الكافورِ[٤]
لو بَقِيتْ سِلْكاً على الدهورِ ... لَعطّلتْ قلائدَ النُّحُورِ
وَأَخْجَلتْ جَواهرَ البحورِ ... [وَسُمّيتْ ضَرائرَ الثغورِ]
يا حُسْنَهُ في زَمنِ الحَرورِ ... إذ قَيْظُهُ مثل حَشَى المَهْجُورِ[٥]
يُهْدِي إلى الأكبادِ والصدُورِ ... رَوحاً يُجلّي نَفْثَةَ المصدورِ
وَيَجْلِبُ السرورَ لِلمَقْرورِ[٦]

---

(١) مُفَضَّضٌ: مُحلًّى بالفضة، أو مَطْلِيٌّ بها.
(٢) فتق الشيء فَتْقاً: شَقَّهُ، وفتق المِسْكَ: خلط به ما يُذكيه.
(٣) النَّميرُ (من الماء): الطيّب الناجع في الريّ، ويقال: له حسب نمير: زاكٍ.
(٤) أُكَر: جمع أُكْرة، وهي الكرة.
(٥) الحرور: حرُّ الشمس، وقيل: الحرّ الدائم، والنار، قال تعالى: ﴿وما يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِير، وَلا الظُّلماتُ وَلا النُّورُ، ولا الظلُّ ولا الحَرُورُ﴾ (سورة فاطر، آية ٢١).
(٦) المقرور: المصاب بالبرد.

ألفاظ لأهل العصر في وصف الثلج والبرد والأيام الشتوية

ألقى الشتاءُ كَلْكَله[١]، وأحلّ بنا أثقاله. مد الشتاء رِواقه[٢]، وألقى أوراقه، وحلّ نِطَاقه. ضرب الشتاء بجِرَانه[٣]، واستقل بأركانه، وأناخ بنوازله، وأرْسَى بكلاكله، وكلح بوجهه، وكشّر عن أنيابه. قد عادت [هامات] الجبال شِيبًا، ولبست من الثلج بُرداً قَشِيباً[٤]. شابت مفارق البروج، لتراكُم الثلوج، ألمّ الشيب بها وابيضّت لممها[٥]. قد صار البردُ حجاباً، والثلج حجازاً. بَرْدٌ يغيّر الألوان، وينشف الأبدان. برد يُقَضْقِض الأعضاء، وينفض الأحشاء. برد يُجْمد الريقَ في الأشداق، والدمعَ في الآماق. بَرْدٌ حال بين الكلب وهَرِيره[٦]، والأسَد وزئيره، والطير وصَفِيره، والماء وخرِيره. نحن بين لثق[٧]، ورثق، وزلق يوم كأنَّ الأرضَ شابَتْ لِهَوْلِهِ. يوم فضّي الجِلْبَاب، مِسْكيّ النقاب، عبوس قَمْطَرِير[٨]، كشّر عن ناب الزمهرير، وفرش الأرض بالقَوارير. يوم أخذت الشَّمال زِمامه، وكسا الصِّر[٩] ثيابه. يوم كأن الدنيا فيه كافُورة، والسماء بلّورة. يوم أرضه كالقوارير اللامعة، وهواؤه كالزنابير اللاسعة. يوم أَرْضُه كالزجاج، وسماؤه كأطراف الزِّجَاج[١٠]. يوم ينفل فيه الخفيف إذا هجم، ويخف الثقيل إذا هجَر، نحن فيه بين أطباق البَرْد فما نستغيث إلاَّ بحرِّ الراح، وسَوْرَة الأقداح. ليس للبرد كالبُرْدِ، والخَمْرِ، والجَمْرِ. إذا كَلِب الشتاء[١١]، فترياق سمومه الصِّلاء[١٢]، ودَرَقُ سيوفِه الطِّلاَء[١٣].

---

(١) الكلكل: الصدر.
(٢) الرّواق: بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد طويل، ورواق البيت: مُقدَّمهُ، ورواق الليل: مُقدَّمُهُ وجانبه.
(٣) الجِرانُ: باطن العنق من البعير وغيره، ويقال: ألقى فلان على هذا الأمر جِرانه: وَطَّن نفسه عليه، وضرب الإسلام بجرانه: ثبت واستقر.
(٤) القشيبُ: الجديدُ أو النظيف.
(٥) اللِّمَمُ: جمع لِمَّة: شعر الرأس المجاوز لشحمة الأذن.
(٦) هَرَّ الكلب هريراً: نبح وكَشَّر عن أنيابه، وهَرَّ البَرْدُ الكلب: جعله يُصوِّت.
(٧) اللَّثَقُ: ركود الريح وكثرة الندى.
(٨) القمطرير: المُقْمَطِرُّ. وقد اقمطرّ اليوم: اشتد، قال تعالى: ﴿إنا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ (سورة الإنسان، آية ١٠).
(٩) الصِرُّ: شدّة البرد.
(١٠) الزِّجَاجُ: جمع زُجّ: الحديدة في أسفل الرمح.
(١١) كلب الشتاء: اشتد وقسا.
(١٢) الترياق: دواء السموم. والصلاء: الدفء.
(١٣) الدَّرَقُ: ضرب من التِّرَسَة، الواحدة درقة، تُتَّخذ من الجلود، والدَّرْقُ (بتسكين الراء): =

نقيض ذلك من كلامهم في وصف القيظ وشدّة الحَرّ

قوي سلطان الحَرّ، وبُسِطَ بساطُ الجَمْر. حَرُّ الصيف، كحدِّ السيف. أوقدت الشمسُ نارَها، وأذكت أُوارها. حرٌّ يلفح حُرّ الوجه. حَرٌّ يشبه قَلْبَ الصبِّ، ويُذيب دماغ الضَّبِّ. هاجرة كأنّها من قلوب العشاق، إذا اشتعلت فيها نارُ الفراق. هاجرة تحكي نارَ الهَجْر، وتذيب قَـلْبَ الصخر. كأن البسيطة من وَقدة الحر، بساط من الجمر. حَرٌّ تهرب له الحِرْباء من الشمس، قد صَهَرَت الهاجرةُ الأبدان، وركبت الجنادبُ العيدان. حر يُـنْضِجُ الجلود، ويُذيب الجلمود. أيام كأيام الفُرْقة امتداداً، وحرٌّ كحر الوَجد اشتداداً. حرٌّ لا يطيبُ معه عيش، ولا ينفع معه ثلج ولا خيش. حمّارة القيظِ، تغلي كدم ذي الغيظ. آبَ آبٌ يَجِيش مِرْجَلُه[1]، ويثُور قَنْطَلُه. هاجرة كقلب المهجور، أو التنور المَسْجور. هاجرة كالجحيم الجاحم، تجر أذيالَ السمائم.

[العجلة أمُّ الندامة]

قال بعض الحكماء: إيّاك والعجَلة فإنَّ العرب كانت تَكْنيها أمَّ الندامة؛ لأنّ صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أَنْ يفكّر، ويقطع قبل أن يُقَدّر، ويَحْمَدُ قبل أن يجرّب، ويذمّ قبل أن يَخْبُر، ولن يصحب هذه الصِّفَةَ أحدٌ إلاَّ صحب الندامة، واعتزل السَّلامة.

[تأميل ورجاء]

ولما وَلّى المهتدي سليمانَ بن وهب وزارته قام إليه رجلٌ من ذوي حُرْمَتِه، فقال: أعزَّ اللَّهَ الوزير؛ أنا خادمك المؤمِّل لدولتك، السعيدُ بأيامك، المنطوي القلب على وُدّك، المنشورُ اللسان بمدحك، المرتهن بشكر نعمتك، وقد قال الشاعر:

وَفيتُ كُلَّ صديقٍ وَدَّني ثمناً إلاَّ المُؤمِّلُ دَوْلاتي وَأَيّامِي
فَإنني ضَامنٌ أَلاَّ أُكافِئَهُ إلاَّ بِتَسْويغهِ فَضْلِي وَإنعامي

= الصلب من كل شيء.

(١) آبَ: رجع، وآب: اسم شهر من شهور الصيف. يجيش: يغلي. والمرجل: القِدْر من الطين المطبوخ أو من النحاس.

وإني لكما قال القيسي: ما زلتُ أَمْتَطِي النهارَ إليك، وأستدلُّ بفضلك عليك، حتى إذا جنَّني الليلُ فغضَّ البصرَ، ومحا الأثر، أقام بدني، وسافر أملي، والاجتهاد عُذْرٌ، فإذا بلغتك فَقَدِ[١]. قال سليمان: لا عليك؛ فإني عارفٌ بوسيلتك، محتاج إلى كفايتك واصطناعك، ولست أؤخر عن يومي هذا توليتك ما يَحْسُنُ عليك أثره، ويطيب لك خبَرهُ، إن شاء الله.

وكتب محمّد بن عباد إلى أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافي وزير المعتز بالله وكان المعتز يختصّ به، ويتقرّب إليه قبل الوزارة: ما زلت ـ أيّدك الله تعالى ـ أذم الدهر بذمّك إيّاه، وأنتظر لنفسي ولك عُقْباه، وأتمنى زوال حال من لا ذَنْبَ له إلاَّ عاقبة محمودة تكون لك بزوال حاله، وأترك الإعذار[٢] في الطلب على الاختلال الشديد؛ ضنًّا بالمعروف عندي إلاَّ عن أهله، وحَبْساً لِشِعْري إلاَّ عن مستحقه.

فوقّع في كتابه: لم أُؤَخر ذكرك ناسياً لِحقِّكَ، ولا مُهْمِلاً لواجبك، ولا مرجياً[٣] لِمُهِمِّ أَمْرِك، ولكني تَرقَّبْتُ اتساعَ الحال، وانفساحَ الآمال؛ لأخصَّك بأسْناها خَطَراً، وبأجلِّها قَدْراً، وأَعْودِهَا بنَفْعٍ عليك، وأوفرها رِزْقاً لك، وأقربها مسافةً منك؛ فإذا كنتَ ممن يَحْفِزه الإعجال، ولا يتَّسع له الإمهال، فسأختار لك خير ما يشير إليه الوقت، وأنعم النظر فيه، وأجعله أول ما أمضيه، إن شاء الله.

ولما ولي سليمان بن وهب الوزارة كتب إليه عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر:

أبى دَهْرُنَا إسعافَنا في نُفوسِنَا ... وأَسْعَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ[٤]
فَقلْتُ لَهُ: نُعْماكَ فيهم أَتِمَّها ... وَدَعْ أَمْرَنا؛ إن المُهِمَّ المُقَدَّمُ

فعجب من لطيف شكواه في تهنئته، وقَضَى حَوائِجَه.

[ووقّع عبيد اللّه في كتاب رجل اعتدَّ عنده بأثرٍ جميل: وقفت على ما ذكرته من شكايتك، فوقع ذلك عندنا الموقع الذي أَرَدْتَهُ، وصدَر جوابنا إليك بما شكرته، ولم تَعْدُ ظننا، وما قدرنا فيك، ثم اعتددت الاعتداد حتى كأنّك لم تكاتبنا؛ فلا تفسدنّ تالد إحسانك بطارف امتنانك، واقتصر من وصف سالفك على ذكر مستأنفك].

---

(١) فقد: أي فكفاني ذلك.
(٢) في نسخة: «وأترك الاعتذار».
(٣) مرجياً: مؤخراً، وأصله الهمز.
(٤) ساعف فلاناً وأسعفه: وَاتاهُ، وَقَرُبَ منه في مصافاة ومعاونة، ويقال: أسعفه بحاجته: قضاها.

[من حسن التقسيم]

ووقّع عبيد اللَّه في أَمر رجل خرج عن الطاعة: أنا قادرٌ على إخراج هذه النعرَة من رَأْسه، والوحرة من نفسه(١).

ونحو هذا التقسيم قولُ قتيبة بن مسلم بخراسان: من كان في يده شيء من مال عبد اللَّه فلينبذه(٢)، أو في فمه فَلْيَلْفِظْه، أو في صدره فلينفثه.

وقال عبد اللَّه بن علي، بعد قَتْلِه مَنْ قتل من بني أمية، لإسماعيل بن عمرو: أساءك ما فعلتُ بأصحابك؟ قال: كانوا يداً فقطعتها، [وعضداً ففتتها، ومرة فنقضتها]، ورُكْناً فَهَدَمْتَهُ، [وجبلاً فَهِضْتَهُ](٣)، وجناحاً فَقَصَصْتَهُ، قال: إني لخليق بأَن أُلحقك بهم، قال: إني إذاً لسعيد.

وقال المنصورُ لجرير بن عبد اللَّه: إني لأُعِدُّكَ لأمر كبير! قال: يا أَمير المؤمنين قد أَعدَّ الله لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك، ويداً مبسوطة بطاعتك، وسيفاً مسلولاً على أعدائك.

وكتب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن بن سهل يعزّيه: مَدَّ الله في عمرك موفوراً غير مُنْتَقَصٍ، وممنوحاً غير مُمْتَحَنٍ، وَمُعْطًى غير مُسْتَلَب.

ومن جيد التقسيم مع المطابقة قولُ بعض الكتّاب: إنَّ أهل النصح والرَّأْيِ لا يساويهم أَهْلُ الأَفْنِ(٤) والغِشّ، وليس مَنْ جمع إلى الكفاية الأمانَةَ كمن أَضافَ إلى العَجْزِ الخيانة.

وقالت هند بنت النعمان بن المنذر لرجل دَعَتْ له وقد أَولاها يداً: شكَرتْكَ يدٌ نالتها خَصَاصة بعد ثروة، وأغناك الله عن يد نالتها ثروة بعد فاقة.

ومن بديع التقسيم في هذا النوع قولُ البحتري(٥):

---

(١) النعرة: الخيلاء والتعاظم. والوحرة: الحقد.
(٢) نبذ الشيء: طرحه.
(٣) هاض الشيء: كسره.
(٤) الأَفْنُ: نقصان العقل، يقال: أَفِنَ الرجل أَفْناً وَأَفَناً: نقص عقله، فهو مأفون وأفين.
(٥) البحتري: الديوان: ٢/٢٣. والبيتان من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن عبد اللَّه المعروف بأبي مسلم الكشي، وكان يتولى ضياعاً بقنسرين والعواصم.

كَــأنّــكَ السيــفُ حَــدّاهُ وَرَوْنَقُــهُ وَالغَيْــثُ وَابِلُــهُ الــدَّانِــي وَرَيّقُــهُ[١]
هَــلِ المكــارمُ إلاّ مــا تُجَمّعُــهُ أو المــواهــبُ إلاّ مــا تُفَــرّقُــهُ

وقال الحسنُ بن سهل يوماً للمأمون: الحمد لله يا أَمير المؤمنين على جزيل ما آتاك؛ وسَنِيٍّ ما أَعطاك؛ إذ قَسم لك الخلافة، ووهب لك معها الحجَّة، ومكَّنك بالسلطان، وحلاَّه لك بالعَدْل، وأَيّدك بالظفَر، وشفَعَه بك بالعفو، وأَوجب لك السعادة، وقرَنَها بالسياسة، فمن فُسِحَ له في مثل عطيّةِ الله لك؟ أم مَنْ أَلبسه الله تعالى من زينة المواهب ما أَلبسك؟ أم من ترادفَتْ نِعَمُ الله تعالى عليه ترادُفَها عليك؟ أم من حاولها وارتبطها بمثل محاولتك؟ أم أي حاجة بَقِيَتْ لرعيّتك لم يجدوها عندك؟ أم أي قيِّم للإسلام انتهى إلى غايتك ودرَجتك؟ تعالى الله! ما أعظم ما خصَّ القرنَ الذي أنت ناصره! وسبحان الله! أية نعمة طبّقت الأرض بك إن أُدِّيَ شكرها إلى بارئها، والمنعم على العباد بها؟ إن الله تعالى خلق الشمس في فَلكها ضياءً يستنيرُ بها جميعُ الخلائق؛ فكلُّ جوهرٍ زَها حسنُه ونوره فهي أَلبسته زينتَهُ لما اتصل به من نورِها؟ وكذلك كل وليٍ من أوليائك سَعِد بأفعاله في دولتك، وحَسُنَتْ صنائعه عند رعيّتك، فإنما نالها بما أَيَّدتَهُ من رأيك وتدبيرك، وأَسْعَدْتَهُ من حسنك وتقويمك.

[بين قَيْنَةٍ وأربعة من عشاقها]

قال بعضُ الظرفاء: اجتمع لِقَيْنَةٍ[٢] أربعةٌ من عشَّاقها، وكلُّهم يُوَرِّي[٣] عن صاحبه أمرَه، ويُخْفِي عنه خَبَرَه، وَيُومِىءُ[٤] إليها بحاجبه، ويناجيها بِلَحْظه؛ وكان أحدُهم غائباً فقدم، والآخر مقيماً قد عَزَم على الشخوص، والثالث قد سَلَفَتْ[٥] أيامُه، والرابع مستأنفَةٌ مودَّته؛ فَضَحِكَتْ إلى واحد، وَبَكَتْ إلى آخر، وأقصت[٦] آخر، وأطمعَتْ آخر؛ واقترح كل واحد منهم ما يشاكِلُ بثَّه وشأنه؛ فأجابته، فقال القادم: جُعِلت فِدَاكِ، أتحسنين:

وَمَــنْ يَنْــأَ عــن دارِ الهــوى يُكْثِـر البُكَـا وَقَــوْلَ لَعلِّــي أو عَسَــى سَيكُــونُ

(١) رونق السيف: ماؤه وصفاؤه وحسنه. الوابل: المطر الشديد القطر. وَرَيِّقُ كلّ شيءٍ: أفضله.
(٢) القينة: الجارية المُغنِّية.
(٣) يُورِّي: يَسْتُر، يخفي.
(٤) يُومىء: يُشير.
(٥) سلفت: مضت.
(٦) أقصت: أبعدت.

وَمَا اخترتُ نَأْيَ الدارِ عَنْك لِسَلْوَةٍ وَلكِنْ مَقاديرٌ لَهُنَّ شُؤونُ

فقالت: أُحْسِنُه، ولا أقيمُ لَحْنه، ولكن مُطَارحه لتستغني به عنه، لِقُرْبِه منه، وأنا به أحْذَقُ، ثم غنّت:

ومَا زِلْتُ مُذ شَطَّتْ بك الدارُ باكياً أؤمِّلُ منك العَطْفَ حينَ تؤوبُ[1]
فأَضْعَفْتَ ما بي حين أُبْتَ وَزِدْتَني عَذاباً وإعراضاً وأنتَ قَريبُ

وقال الطاعن: جُعلت فِدَاك، أتحسنين:

أزِفَ الفِراقُ فأَعْلِني جَزَعَا وَدَعِي العتابَ فإننا سَفْرُ[2]
إنّ المُحِبَّ يَصُدُّ مُقْتَرِباً فإذا تَباعدَ شَفَّه الذِّكْرُ[3]

قالت: نعم، وأحسن منه ومن إيقاعه، ثم غنّت:

لأُقيمنَّ مأتماً عَنْ قريبِ لَيْسَ بَعْدَ الفراقِ غَيْرُ النَّحيبِ
رُبما أَوْجَع النّوى للقلوبِ ثُمّ لا سِيّما فراقُ الحبيبِ

ثم قال السالف: جعلت فداك، أتحسنين:

كُنّا نُعاتبكم ليالِيَ عُودُكُمْ حُلْوُ المَذَاقِ وَفِيكُم مُسْتَعْتَبُ
فالآنَ حينَ بَدَا التنكُّر مِنْكُمُ ذَهَب العِتابُ فَلَيْسَ عَنكُمْ مَذْهَبُ

قالت: لا، ولكن أحسن منه في معناه: ثم غنّت:

وَصَلْتُكَ لما كانَ وِدُّك خالصاً وَأعرضتُ لما صار نَهْباً مُقَسّما
وَلَنْ يلبثَ الحوضُ الجديدُ بِناؤُهُ إذا كَثُرَ الوُرَّادُ أَنْ يتهَدَّما

فقال المستأنف: أتحسنين، جعلت فداك:

إنـي لأُعْظِمُ أن أَبوحَ بحاجتي وإذا قَرَأْتِ صَحيفتي فَتَفهَّمي
وَعليْكِ عَهْدُ الله إن أَبْثثتِهِ أَحَداً ولا آذنتِهِ بتكلُّمِ[4]

---

(١) شَطَّت الدار: بعدت. تؤوب: تَعود، ترجع.
(٢) أَزِفَ الفراق: دنا، قَرُب. والسَّفْرُ: المسافرون.
(٣) شَفَّهُ: أنحله وأهزله.
(٤) بَثَّ الخبر: أذاعه ونشره. وفي نسخة: «ولا أبديته بتكلّمِ».

فقالت: نعم، ومن غناء صاحبه[1]؛ ثم غنّت:

لَعَمْرُكَ ما اسْتَودَعْتُ سِرِّي وَسِرَّهَا سِوانا، حِذاراً أَن تَذِيعَ السَّرائرُ
وَلاَ خَالَطَتْها مُقْلَتايَ بِنَظْرَةٍ فَتَعْلَمُ نَجْوَانَا العيونُ النواظرُ[2]
وَلكنْ جَعلْتُ الوَهْمَ بيني وبينها رَسُولاً فأَدّى ما تُجِنُّ الضمائرُ[3]
أُكاتمُ ما في النفسِ خَوْفاً من الهَوى مَخافةَ أن يُغْرَى بِذِكْرِك ذَاكِرُ

فتفرقوا وكلّهم قد أومأ بحاجته، وأَجابته بجوابه.

[بين ابن المعتز وقينة]

قال أبو العباس بن المعتز: كان لنا مجلس حظّ أرسلت بسببه خادمة إلى قينة فأجابت، فلما مرَّت في الطريق وَجَدَتْ فيه حارساً فرجعت، فأرسلتُ أُعاتبها فكتبت إلي: لم أتخلّف عن المسير إلى سيدي في عشيتي أَمس لأرى وَجْهَهُ المبارك وأُجيب دعاءه، إلاَّ لعلّة قد عَرَفَتْها فلانة، ثم خِفْتُ أن يسبقَ إلى قلبه الطاهر أنّي قد تَخلّفْتُ بغير عذر؛ فأَحْبَبْتُ أن تقرأ عذري بخطّي، ووالله ما أقدر على الحركة، ولا شيء أسرّ إلي من رؤيتك، والجلوس بين يَدَيْك، وأنت يا مولاي جاهي وسَندي، لا فَقدْتُ قربك، ولك رأيك في بسط العُذر موفقاً.

وكتبت في أسفل الكتاب:

أَلَيْسَ من الحرمانِ حَظٌّ سُلبتهُ وَأَحْوَجني فيه البلاءُ إلى العُذْرِ
فَصبْراً فما هذا بأوّلِ حادثٍ رَمَتْني به الأقدارُ مِنْ حيثُ لا أَدْري

فأجبتها: كيف أَردُّ عُذر من لا تتسلّط التهمة عليه، ولا تهتدي المَوْجِدة إليه[4]! وكيف أعلمه قبولَ المعاذير، ولستُ آمَنُ بعضَ خواطره أن تشير إلى انتهاز فرصة فيما دعا إلى الفرقة؛ وإن سَلِمْتُ من ذلك فمن يُجيرني من توكله على تقديم العُذْر، ووقوعه مواقع

(١) في نسخة: «أحسن من غناء صاحبه».
(٢) النجوى: إسرار الحديث، وقد ناجاه مُناجاةً وَنِجاءً: سارَّهُ، ويقال: بات الهمُّ يناجيه: لازمه واستولى عليه.
(٣) تُجِنُّ: تخفي، تستر.
(٤) الموجدة: وَجَدَ عليه مَوْجِدةً: غضب، ووجد به وَجْداً: أحبه.

التصديق في كل وقت، فَتتَّصل أيامُ الشغل والعِلّة، وتنقضي أيامُ الفراغ والصحّة، فتطولُ مدةُ الغيبة، وتَدْرُس آثار المودّة، وكَتبْتُ في آخر الرقعة:

إذا غِبْتِ لَمْ تَعْرِفْ مكانيَ لَذةٌ ولَم يَلْقَ نفسي لَهْوُها وسُرُورُها
وَحدّثتُ سَمْعاً وَاهِناً غير مُمْسِكٍ لِقولي، وَعيناً لا يَراني ضَمِيرُها[١]

[بين ابن المعتز وبعض الوزراء]

وكتب إلى بعض الوزراء: ما زال الحاسدُ لنا عليك أيها الوزير يَنْصِبُ الحبائلَ، ويطلب الغوائل، حتى انتهز فرصته، وأَبلغك تشنيعاً زَخْرَفهُ، وكذباً زَوَّره، وكيف الاحتراس ممن يحضر وأغِيبُ، ويقول وأمْسِكُ؟ مرتصداً لا يَغْفل ومَاكِراً لا يَفْتر؛ وربما استنصح الغاش، وصدق الكاذب؛ والحظوة لا تُدْرَكُ بالحيلة، ولا يجري أكثرها على حسب السَّبَب والوسيلة.

فأجابه: حصول الثقة بك ـ أعزَّك الله! ـ تُغْني عن حضورك، وصدق حالتك يحتجُّ عنك، وما تقرَّر عندنا من نيّتك وطويّتك يُغْنِي عن اعتذارِك.

[من شعر ابن المعتز]

وقد قال ابن المعتز:

أَخْنَى عليكَ الدَّهْرُ مُقْتَدِراً وَالدَّهْرُ أَلأمُ غالبٍ ظَفَرا[٢]
ما زِلْتَ تَلْقَى كُلَّ حادثةٍ حتى حَنَاكَ وَبيَّض الشَّعَرَا[٣]
فَالآنَ هَلْ لكَ في مُقَاربةٍ فَلَقَدْ بَلغْتَ الشَّيْبَ والكِبَرا
لِلَّه إخوانٌ فَقَدْتُهُمُ سَكَنُوا بُطُونَ الأَرْضِ وَالحُفَرا
أَيْنَ السبيلُ إلى لِقائهمُ أَمْ مَنْ يُحدِّث عَنْهُمُ خَبَرا
كَمْ مُورِقٍ بالبِشْر مُبْتَسِمٍ لا أَجْتَنِي مِنْ غُصْنِه ثَمَرَا
ما زالَ يُولِيني خَلائقهُ وَصَبَرْتُ أَرْقُبهُ وما صَبَرَا

---

(١) الواهن: الضعيف.
(٢) أَخنى: أفسد.
(٣) حَنَى الشيء: ثناه.

وَعَـدُوٍّ غَيْـبِ طَـالِـبٍ لِـدَمـي ... لَـوْ يَسْتَطِيـعُ لَجَـاوَزَ القَـدَرا
يُـورِي زنـادي كَـيْ يُخَـادِعنـي ... وَيُطِيـر فـي أثـوابـي الشَّـرَرا

وقال أيضاً[١]:

وَإنّـي علـى إشفـاقِ عَيْنـي مِـنَ القَـذَى ... لَتَجْمَـحُ منّـي نَظْـرَةٌ ثـم أُطْـرِقُ[٢]
كمـا حُلِّئَـتْ مـن بَـرْدِ مَـاءِ طَـرِيـدَةٌ ... تَمـدُّ إليـه جِيـدَهـا وَهْـيَ تَفْـرَقُ[٣]

وقال[٤]:

وَمَـا زِلْـتُ مـذ شَـدَّتْ يـدي عِقْـدَ مِئْزَري ... غِنَـايَ لغيـري وافتقـاري علـى نَفْسـي[٥]
وَدلَّ علـيّ الحَمْـدَ مَجْـدِي وَعِفَّتـي ... كمـا دلَّ إشـراقُ الصَّبـاحِ علـى الشمـسِ

وقال[٦]:

سَعَـى إلـى الـدَّنِّ بـالمِبْـزَالِ يَنْقُـرهُ ... سـاقٍ تَـوشَّـحَ بِـالمِنْـدِيـلِ حيـنَ وَثَـبْ[٧]
لمـا وَجـاهَـا بَـدَتْ صفـراءَ صـافيـةً ... كـأنمـا قَـدَّ سَيْـراً مِـنْ أديـمِ ذَهَـبْ[٨]

وقال[٩]:

لَبِسَـتْ صُفْـرَةً فكـم فَتَنَـتْ مـن ... أعْيُـنٍ قَـدْ رَأَيْتَهـا وَعُقُـولِ[١٠]
مِثْـلُ شَمْـسِ الغُـرُوبِ تَسْحَـبُ ذيـلاً ... صَبَغَتْـهُ بِـزَعْفَـرَانِ الأَصِيـلِ

(١) ابن المعتز، الديوان: ص ٥٢٨.
(٢) الإشفاق: الخوف. أطرق: أحني رأسي.
(٣) حُلِّئَت: مُنِعَت وَطُرِدَت. تفرق: تخاف.
(٤) ابن المعتز، الديوان: ص ٤١٨.
(٥) في الديوان:
وَما زالَ مُذْ شَدَّتْ يَدِي عِقْدَ مِئْزَري ... غِنائي بِغَيْري وافْتِقاري على نَفْسِي
يقول: ما زلت منذ بلغت الفتوة أفقر نفسي لأغني سواي.
(٦) ابن المعتز، الديوان: ص ١٠٣.
(٧) المبزال: أداة لثقب الدنّ.
(٨) وجاها: ثقبها. وفي الديوان: «كأنَّهُ قَدَّ سَيْراً مِنْ سَبيكِ ذَهَبْ».
(٩) ابن المعتز، الديوان: ص ٥٩٩.
(١٠) في الديوان: «أَعْيُن إذْ رَأَيْتَها وَعُقولِ».

والشمس عند طلوعها، وعند غروبها، تمكّنُ الناظر إليها فيمكن التشبيه بها؛ قال قيس بن الخطيم[١]:

فَرأيتُ مِثْلَ الشمسِ عِنْدَ طُلوعها ... في الحسنِ أو كَدُنوِّها لِغُروبِ

[جرير في المدينة يغْري بشعر قيس بن الخطيم]

ولما قدم جرير بن الخَطَفى المدينةَ اجتمع إليه أهلُها، وقالوا: يا أبا حَزْرَة! أنشدنا من شعرك، قال: ما تصنعون به؟ وفيكم من يقول:

أنّى سَرَبْتُ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبِ ... وَتُقَرِّبُ الأَحلامُ غَيرَ قريبِ[٢]

ما تَمْنَعي يَقْظَى فَقَدْ نَوّلتهِ ... في النومِ غيرَ مُصَرّدٍ مَحْسُوبِ[٣]

كان المنى يُلقي بِها فَلقِيتُها ... فَلَهَوْتُ عن لَهْوِ امرىء مَكْذُوبِ

فَرأيتُ مِثْلَ الشمسِ عِنْدَ طلوعها ... في الحُسْنِ أو كَدُنوِّها لِغُروبِ

تَخْطُو على بَرْدِيَّتَيْنِ غَذاهُمَا ... غَدِقٌ بِساحَةِ حَائرٍ يَعْقُوبِ[٤]

[يعقوب بن داود]

وقَّع يزيد بن خالد الكوفي رقعة إلى يعقوب بن داود ضمنها:

قُلْ لابْنِ دَاودَ وَالأَنباءُ سَائرةٌ: ... لا يُحْرِزُ الأَجْرَ إلاَّ مَنْ لهُ عَمَلُ

---

(١) هو أبو يزيد، قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر الأوسي: شاعر مكثر مجيد، حسن الديباجة، من أشعر أهل المدينة في الجاهلية. قُتل والده وجده وهو صغير، فأخذ على نفسه أن يثأر لهما، فظفر بقاتل أبيه في يثرب، وبقاتل أبيه في ذي المجاز. وقيل: أدرك الإسلام ولم يسلم، ولكن أسلمت زوجته حواء بنت زيد. توفي سنة ٢ ق. هـ/ ٦٢٠ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٣/٣؛ الآمدي، المؤتلف والمختلف: ١٥٩).

(٢) سَرَبَ فلان سُروباً: خرج، وسرب في الأرض: ذهب على وجهه فيها، وسرب في حاجته: مضى فيها.

(٣) المُصرَّدُ: المُقَطَّعُ.

(٤) البردة: كساءٌ مُخطَّطٌ يُلْتَحفُ به. غَدِقٌ: كثير الماء، وقد أغدق المطر: كثر قطره، وَغَدِقَت الأرض: كثر فيها الماء. والحائر: المكان المطمئن الوسط، المرتفع الحروف، يكون فيه الماء، وجمعه حُوران. واليعبوب: الطويل، أو الجدول الكثير الماء، الشديد الجِرْيَة، واليعبوب: الفرس الطويل السريع.

يـا ذا الـذي لـمْ تـزلْ يُمْنـاه مُـذْ خُلِقـتْ فيهـا لبـاغـي نَـدَاه العَـلُّ والنَّهَـلُ[١]
إن كُنْـتَ مُسْـدِيَ مَعْـرُوفٍ إلـى رَجُـلٍ لِفَضْـلِ شُكْـرٍ فـإنّـي ذلـك الـرَّجُـلُ
فَـامْنُـنْ علـيَّ بِبِـرٍّ مِنْـكَ يَنْعَشُنـي فَـإننـي شَـاكِـرُ المعـروفِ مُحْتَمِـلُ

قال يعقوب: قد جرَّبنا شكرك فوجدناه قد سبق برَّنا، وقد أمرتُ لك بعشرة آلاف درهم [تصلح حالك]، وليست آخر ما عندنا لك، فاستوفاها حتى مات.

ولما سخط المهديّ على يعقوب أحضره، فقال: يا يعقوب! قال: لبَّيْك يا أَمير المؤمنين تلبية مكروبٍ لِمَوْجِدَتك[٢]، شَرِق بِغُصَّتك، قال: ألم أرفع قَدْرَك وأنتَ خامل، وأسيِّر ذكرك وأنت هامل، وأَلْبسْكَ من نِعَم الله تعالى ونِعَمِي ما لم أَجِدْ عندك طاقةً لحمله، ولا قياماً بشكْرِه؟ فكيف رأيت الله تعالى أظهر عليك، وردَّ كَيْدَكَ إليك؟

قال: يا أَميرَ المؤمنين؛ إن كنت قلت هذا بتيقّن وعلم فإني معترف، وإن كان بسعاية الباغين، ونمائم المعاندين، فأنت أعلم بأكثرها؛ وأنا عائذ بكرمك، وعميم شرفك.

فقال: لولا الحنث[٣] في دَمك لألبستك قميصاً لا تَشد عليه زرًّا؛ ثم أمر به إلى الحبس، فتولّى وهو يقول: الوفاءُ يا أَمير المؤمنين كَرَم؛ والمودة رَحِم، وما على العفو نَدَم، وأنت بالعفو جَدير، وبالمحاسن خَليق. فأقام في السجن إلى أن أخرجه الرشيد.

* * *

أخذ معنى قول المهدي: «لألبسنك قميصاً لا تشدّ عليه زراً» أبو تمام فقال[٤]:

طَـوّقْتُـهُ بـالحُسـامِ طَـوْقَ رَدَى أَغْنـاهُ عـن مَـسِّ طَـوْقِـهِ بِيَـدِهْ

وقال ابن عمر في معنى قول الطائي:

طَـوّقْتُـهُ بِحُسـامٍ طَـوْقَ داهيـةٍ لا يَسْتَطيـعُ عليـه شَـدَّ أزرارِ

* * *

(١) عَلَّ عَلاًّ وعَلَلاً: شرب ثانيةً أو تِباعاً. ونَهَلَ نَهلاً وَمنْهَلاً: شرب الشرب الأول.
(٢) الموجدة: الغضب.
(٣) حَنِثَ في يمينه حِنْثاً: لم يبرّ فيها وأثم، وحنث فلان: مال من حقٍّ إلى باطل. والحِنْثُ: الذنب.
(٤) لم يرد هذا البيت في ديوانه.

ولما قبض المهدي على يعقوب ورأى أبو الحسن النميري مَيْلَ الناس عليه، وكان مختلطاً به قال:

يَعْقُوبُ لا تَبْعَد وَجُنِّبْتَ الرَّدَى فَلأَبكينَّ كما بكَى الغُصْنُ النَّدَى[١]
لَوْ أَنَّ خَيْرَكَ كان شرًّا كُلُّهُ عِنْدَ الذين عَدَوْا عليكَ لما عَدَا

أخذ هذا المعنى بعض المحدثين [في الغزل] فقال:

لَوْ أَنَّ هَجْرَكَ كانَ وَصْلاً كُلُّهُ مِمّا أقاسِي مِنْكَ كانَ قَلِيلاَ

[بين أحمد بن أبي دواد والواثق]

قال أبو العيناء: قال لي أحمد بن أبي دُوَاد: دخلت على الواثق فقال لي: ما زال اليوم قومٌ في ثَلْبك[٢] ونَقْصك! فقال: يا أَمير المؤمنين، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم، والذي تولَّى كِبْرَه منهم له عذاب عظيم، واللَّهُ وليُّ جزائه؛ وعقابُ أَمير المؤمنين من ورائه، وما ذَلَّ ـ يا أَمير المؤمنين ـ مَنْ كُنْتَ نَاصِره، وما ضاق مَنْ كُنْتَ جاراً له، فما قلت لهم يا أَمير المؤمنين؟ قال: قلت يا أبا عبد اللَّه:

وَسعَى إليَّ بِصَرْمِ عَزَّة مَعْشَرٌ جَعَلَ الإلهُ خُدُودَهُنَّ نِعَالَهَا[٣]

قال الفتح بن خاقان: ما رأيت أطرف من ابن أبي دواد؛ كنت يوماً أُلاعب المتوكل بالنَّرْد، فاستُؤْذن له عليه، فلما قَرُب منا هممت برفعها، فمنعني المتوكل وقال: أجاهرُ اللَّهَ وأَسْتُره من عباده؟ فقال له المتوكل: لما دَخَلْتَ أراد الفتح أن يرفع النَّرْد! قال: خاف يا أَمير المؤمنين أن أعلم عليه! فاستحليناه، وقد كنا تجهَّمناه.

[من خطباء العرب شبيب بن شيبة وخالد بن صفوان]

قيل لبعض الأمراء: إن شبيب بن شيبة يتعمَّل الكلام ويستدعيه[٤]، فلو أمرته أن يَصْعَدَ المنبر فجأة لافتضح؛ فأمر رسولاً فأخذ بيده فصعد به المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى

---

(١) في رواية: «فَلأَبْكِيَنَّكَ ما بكى الغُصْنَ الندى».
(٢) ثَلَبَ الشيء ثَلْباً: ثلمه، وثلب فلاناً: عابه وتَنَقَّصهُ.
(٣) البيت لِكُثَيِّر بن عبد الرحمن، المعروف بكثير عزَّة.
(٤) يَتَعَّمل الكلام: يتكلفه.

على النبي ﷺ ثم قال: إنّ لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة: الأسد الخادر[١]، والبحر الزاخر، والقمر الباهر، والربيع الناضر، فأما الأسد الخادر فأشبه صَوْلَتَهُ ومَضَاءَهُ، وأما البحر الزاخر فأشبه جُودَهُ وعطاءَهُ، وأما القمرُ الباهر فأشبه نُورَه وضياءه، وأما الربيعُ الناضرُ فأشبه حُسْنَهُ وَبَهاءَهُ، ثم نزل.

وهذا الكلام يُنْسَبُ إلى ابن عباس يقوله في علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وكان شبيب بن شيبة من أفصح الناس وأخطبهم، ويشبَّه بخالد بن صفوان؛ غير أن خالداً كان أعلى منه قدراً في الخاصة والعامة. وذكر خالد شبيباً فقال: ليس له صديقٌ في السرِّ ولا عدوّ في العلانية. وكانت بينهما معارضة للنسب والجوار والصناعة، ولما قال الشاعر:

فَنَحِّ شَبِيباً عَنْ قِراعِ كَتِيبةٍ ... وَأَدْنِ شَبِيباً مِنْ كلامٍ مُلَفَّقِ[٢]

وكان لا ينظر إليه أحد وهو يخطب إلاَّ تبين فيه الخجل.

وقال أبو تمام لعلي بن الجهم[٣]:

لَوْ كُنْتُ يَوْماً بالنجومِ مُصَدِّقاً ... لَزَعَمْتُ أنَّك نِلْتَ شَكْلَ عُطَارِدِ[٤]

أَوْ قَدَّمَتْكَ السِّنُّ خِلتُ بِأنّه ... مِنْ لَفْظِك اشْتُقَّتْ بلاغَةُ خَالِدِ[٥]

وقالت له امرأة: إنكَ لَجميل يا أبا صفوان. قال: كيف تقولين هذا وما فيَّ عمودُ الجمال ولا رِدَاؤه، ولا بُرْنُسهُ[٦]. عمودُه الطول، ولست بطويل، ورِدَاؤه البياض، ولست بأبيض، وبُرْنُسهُ سواد الشَّعَرِ، وأنا أشمط! ولكن قولي: إنك لمليح.

---

(١) خادر: اسم فاعل من خدر الأسد إذا لزم عرينه وأقام فيه.

(٢) القراع: المجالدة. والكتيبة: القطعة من الجيش. قال النابغة الذبياني:

وَلا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أَنَّ سُيوفَهُمْ ... بهِنَّ فُلُولٌ مِن قِراعِ الكتائبِ

(ديوانه: ص ١١). وَلفَّقَ الحديث: زَخْرَفَهُ، وَزَيَّنَهُ، ومَوَّههُ بالباطل.

(٣) أبو تمام، الديوان: ١/ ٢٢٦.

(٤) في الديوان: «لَزعمتُ أنَّكَ أنْتَ بِكْرُ عُطَارِدِ». وعطارد: نجم يزعم المنجمون أنّه يتولّى الشعراء والكُتّاب.

(٥) خالد: هو خالد بن صفوان التميمي.

(٦) البُرْنُس: كل ثوب رأسه منه، ملتزق به، أو هو رداء ذو كُمَّين يلبس بعد الاستحمام، أو قلنسوة طويلة، الجمع برانس.

وكان خالد حافظاً لأخبار الإسلام، وأيام الفتن، وأحاديث الخلفاء، ونوادر الرواة، وكل ما تصرف فيه أهل الأدب، وله يقول مكي بن سوادة:

عَليم بِتَنْزيلِ الكتابِ مُلقَّنٌ ... ذَكُورٌ لما سَدَّاهُ أَوَّلَ أَوَّلاَ

يَبُذّ قَرِيعَ القومِ في كلّ مَحْفلٍ ... وَلو كانَ سُحْبانَ الخطيبَ وَدَغْفَلا[١]

تَرى خُطَبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ ٱرتجالِهِ ... كأنَّهمُ الكَرْوَانُ صَادف أَجْدَلاَ[٢]

أما سَحْبَان الذي ذكره فهو خطيبُ العربِ بأسْرِها غير منازع ولا مدافع، وكان إذا خطب لم يُعِدْ حرفاً، ولم يتوقّف، ولم يَتحبَّسْ، ولم يفكر في استنباط، وكان يسيل غَرْباً، كأنّه آذيُّ بَحْرٍ[٣].

ويقال: إنّ معاوية قدم عليه وفد من خراسان وجَّهَهم سعيد بن عثمان، وطلب سَحْبان فلم يوجد عامّة النهار، ثم اقْتُضِبَ من ناحية كان فيها اقتضاباً، فدخل عليه فقال: تكلَّم، فقال: انظروا لي عصاً تُقِيم من أَودي، فقال له معاوية: ما تصنعُ بها؟ فقال: ما كان يَصْنَعُ موسى عليه الصَّلاة والسَّلام وهو يخاطبُ ربَّه وعصاه بيده، فجاءوه بعصا فلم يَرْضَها. فقال: جيئوني بعصاي، فأخذها، ثم قام فتكلم منذ صلاة الظهر إلى [أن فاتت] صلاةُ العصر، ما تَنَحْنَحَ، ولا سَعَلَ، ولا توقّف، ولا تحبّس، ولا ابتدأ في معنى فخرج منه إلى غيرِه حتى أتمّه ولم يبق منه شيء، ولا سأل عن أي جنس من الكلام يخطب فيه، فما زالت تلك حاله وكلّ عين في السماطين شاخصةٌ إلى أن أشار له معاويةُ بيده أن اسكُت، فأشار سُحبان بيده أن دَعْني لا تَقْطَعْ عليّ كلامي، فقال له معاوية: [الصلاة، فقال: هي أمامك ونحن في صلاة يتبعها تحميد وتمجيد، وعظة وتنبيه وتذكير ووعد ووعيد، فقال معاوية:] إنك أخطبُ العرب، فقال سحبان: والعجم، والجنّ، والإنس.

[عجلان بن سحبان]

وكان ابنه عجلان حُلْوَ اللسان، جيِّدَ الكلام، مليح الإشارة، يجمعُ مع خطابته شعراً

---

(١) بَذَّهُ بَذًّا: غلبه، وفاقه، وسبقه.

(٢) الكروان: طائر طويل الرجلين أغبر، نحو الحمامة، حسن الصوت. والأجدل: الصقر، وهو من كواسر الطير.

(٣) الآذي: الموج.

جيداً، ويضرب الأمثال إذا خطب، وينتزع النادرَ من الشعر، والسائرَ من المثل، فَتَحْلُو خُطْبته، وكان يَزِنُ كلامَه وَزْناً.

[دغفل بن حنظلة النسابة]

وأما دَغْفَل الذي ذكره مكي بن سَواده فهو دَغْفَل بن حَنْظلة بن يزيد أحد بني ذهل بن ثعلبة النسّابة، وكان أعلمَ الناس بأنساب العرب، والآباء والأمهات، وأحفظهم لِمَثالِبها، وأشدّهم تنقيراً وَبَحْثاً عن معايب العرب، ومثالب النسب.

قال له معاوية يوماً: والله لئن قلت في هذا البيت من قريش ما تجد في آل حَرْبٍ مقالاً؛ فتبسّم دَغفل؛ فقال له معاوية: والله لتخبرنّي بتبسمك، وما انضمَّتْ عليه جوانحُك، أو لأضربنّ عنقك، وما آمَنُ أن تَكْذب أو تزيد.

فقال: يا أَمير المؤمنين، أنتم من بني عبد مناف كَسَنَام كَوْماء فتيَّة[١]، ذاتِ مرعًى خصيب، وماءٍ عَذْب، وأَكَمةٍ بارزة، فهل يوجد في سَنام هذه مَدَبّ قُراد من عاهة[٢]؟ فقال له معاوية: أَوْلى لك! لو قلتَ غير هذا؛ أما على ذلك لو رأيت هنداً وأباها، وزوجها، وأخاها، وعمّها، وخالها، لرأيت رجالاً تَحَارُ أبصارُ مَنْ رآهم فيهم، فلا تجاوزهم إلى غيرهم، جلالةً وبهاءً.

[وصف العصا لأعرابي بين يدي الحجاج]

وعلى ذكر العصا لقي الحجّاج أعرابياً فقال: من أين أقبلت؟ قال: من البادية. قال: ما بيدك؟ قال: عصا أركِزُها[٣] لِصَلاَتِي، وأُعِدُّها لِعُدَاتِي، وأَسوقُ بها دابّتي، وأقْوَى بها على سَفَري، وأَعْتَمِدُ بها في مشيتي، لِيَتَّسِعَ بها خَطْوِي، وأَعْبُرُ بها النهر فتؤمنني؛ وأُلقي عليها كسائي فَتَسْتُرني من الحرّ، وتقيني من القُرّ[٤]، وتُدْنِي ما بعد مني، وهي مِحْمَل سُفْرتي[٥]، وعَلاقَة إدَاوَتي[٦]، ومِشْجَب ثيابي[٧]، أعتمدُ بها عند الضِّراب، وأَقْرَعُ بها الأبواب، وأَتَّقي

---

(١) الكوماء: الناقة العظيمة السنام.

(٢) القُرَادُ: دُويبة مُتطفلة ذات أرجل كثيرة، تعيش على الدواب والطيور، ومنها أجناس، الواحدة قُرادة.

(٣) ركز الشيء رَكْزاً: أَمَرّه وأثبته، ويقال: ركز السهم في الأرض: غرزه.

(٤) القُرّ: البرد.

(٥) السُّفْرَةُ: طعام يُصنع للمسافر، وما يُحْمَلُ فيه هذا الطعام، والمائدة وما عليها من الطعام.

(٦) الإداوة: إناء صغير يُحْمَلُ فيه الماء.

(٧) المِشْجَبُ: ما تُعلَّق عليه الثياب ونحوها.

بها عَقُور الكِلاَب[١]، تنوبُ عن الرُّمح في الطّعان، وعن الْحِرْزِ[٢] عند منازلة الأقْرَان، ورِثْتُها عن أبي، وأورثُهَا بعدي ابني، وأَهُشُّ بها على غَنَمِي، ولي فيها مآرِب[٣] أخرى، كثيرة لا تُحْصَى.

[عِزّة الخليل بن أحمد]

قال النضر بن شميل: كتب سليمان بن علي إلى الخليل بن أحمد[٤] يستدعيه الخروج إليه، وبعث إليه بمال كثير، فردّه وكتب إليه:

أبلغْ سُليمانَ أني عَنْهُ في سَعَةٍ ... وَفي غِنًى غَيْرَ أَني لَسْتُ ذا مَالِ
يَسْخُو بِنَفْسِيَ أني لا أرَى أَحداً ... يَمُوت هُزلا ولا يَبْقَى على حَالِ
وَالفَقْرُ في النّفسِ لا في المال نَعْرِفهُ ... وَمِثْلُ ذاك الغنى في النَّفسِ لا المالِ
وَالمالُ يَغْشَى أناساً لا خَلاَقَ لَهُمْ ... كالسَّيْلِ يَغْشَى أُصولَ الدِّنْدِنِ البالي[٥]
كلُّ امرئٍ بِسَبيلِ الموتِ مُرْتَهَنٌ ... فَاعمَلْ لِنَفْسِكَ، إنّي شاغلٌ بالي

أخذ هذا الطائي فقال[٦]:

لا تُنْكِري عُطْلَ الكَريمِ منَ الغِنَى ... فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلمكانِ العالِي[٧]

(١) عقور: كثير العَقْر، وقد عَقَرَ الكلبُ الولد: عَضَّهُ.
(٢) الحِرْزُ: الوعاء الحصين يُحْفَظُ فيه الشيء، والمكان المنيع يُلجأ إليه.
(٣) أهش بها على غنمي: أي أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقها فترعاه غنمه. والمآرب: الحاجات، مفردها مأرب. وفي التزيل العزيز: ﴿ومَا تلْكَ بِيَمِينكَ يا مُوسَى، قال هِي عَصَايَ أتوكَّأُ عَليها، وَأَهُشُّ بها على غَنَمِي، وَلي فيها مآربُ أُخْرَى﴾ (سورة طه، آية ١٨).
(٤) هو أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، الأزدي، اليحمدي، البصري: نحوي، لغوي، وأول من استخرج العروض، وحصّن به أشعار العرب. توفي بالبصرة سنة ١٧٠ هـ/ ٧٨٦ م. من آثاره: «العروض» و«الشواهد» «النقط والشكل»، وغيرها. (عمر كحالة، معجم المؤلفين: ٤/ ١١٢).
(٥) الدِنْدِنُ: كلّ ما اسودّ من نبات أو شجر.
(٦) أبو تمام، الديوان: ٢/ ٣٧. والبيت من قصيدة يمدح بها الحسن بن رجاء وقبله قوله:
عَادَتْ لَهُ أَيَّامُهُ مُسْوَدَّةً ... حَتَّى تَوهَّمَ أنَّهُنَّ لَيالي
(٧) العَطَلُ: التجرّد من الزينة، استعاره للغنى. يقول: لا تدهشي إذا رأيت كريماً فقيراً من المال، فالسيل يجتاح السهول، ولا يبلغ قمم الجبال.

وقال أيضاً يصف قوماً خُصُّوا بابن أبي دوادٍ[١]:

نَزلوا مَرْكِزَ النَّدَى وَذَرَاهُ ... وَعَدَتْنَا مِنْ دُونِ ذاكَ العَوَادِي[٢]

غَيْرَ أَن الرُّبَا إلى سُبُلِ الأَنْـ ... ـواءِ أَدْنَى، والحظُّ حَظُّ الوِهَادِ[٣]

وهذا الشعر من أصلح شعر الخليل، وكان شعره قليلاً ضعيفاً، بالإضافة إليه وهو أستاذ النحو والغريب، وقد اخترع علم العروض من غير مثال تقدمه، وعنه أخذ سيبويه، وسعيد بن مسعدة، وأئمة البصريين، وكان أوسع الناس فِطْنةً، وألطفهم ذهناً. قال الطائي[٤]:

فَلَوْ نُشِرَ الخليلُ إذاً لَعفَّتْ ... رَزايَاهُ على فِطَنِ الخليلِ[٥]

[من رسائل الصابي]

للصابي يعزي عن طفل

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى محمّد بن عباس يعزيه عن طفل:

الدنيا، أطال الله بقاء الرئيس، أقدارٌ تَرِدُ في أوقاتها، وقضايا تَجْرِي إلى غاياتها، ولا يُرَدُّ منها شيءٌ عن مَدَاه، ولا يصدُّ عن مطلبه ومَنْحَاه؛ فهي كالسهام التي تثبت في الأَغراض، ولا ترجعُ بالاعتراض؛ ومن عرف ذلك معرفةَ الرئيس لم يغضّ من الزيادة، ولم يَقْنَط من النقيصة[٦]، وأَمِنَ أن يستخفّ أحدُ الطرفين حلمه، ويستنزل أحدُ الأمرين حَزْمَه، ولم يَدَعْ أن يُوطِّنَ نفسه على النازلة قبلَ نزولها، ويأخذ الأُهْبَة للحادثة قبل حلولها، وأن

(١) أبو تمام، الديوان: ١/ ٢١٠. والبيت من قصيدة يمدح بها أبا عبد اللَّه أحمد بن أبي دؤاد.

(٢) في الديوان:

لَزِمُوا مَرْكَزَ النَّدى وَذَراهُ ... وَعَدتْنَا عَنْ مِثْلِ ذاكَ العَوادِي

ذراه: ملجأه. عدتنا: صرفتنا. العوادي: الشغل الذي يصرفك عن الشيء.

(٣) السبل: المطر النازل من السماء قبل أن يصل إلى الأرض. يقول: كانوا إليك أقرب، ولك ألزم، وقد خُصِصْتُ بمعروفك، كما أنَّ الرُّبى إلى المطر أقرب، وتَقَرّه الوهاد.

(٤) أبو تمام، الديوان: ٢/ ٢٥٤. والبيت من قصيدة يهجو بها عياش بن لَهيعة.

(٥) في الديوان: «فلو نُشِرَ الخليلُ لَهُ لَعفَّتْ».

(٦) القنوط: أشدّ اليأس. والنقيصة: النَّقْصُ، والوقيعة أو الطعن في الناس، والخصلة الدنيئة. ساوره مساورةً وَسِواراً: واثبه وصارعه.

يجاور الخيرَ بالشكر، ويساورَ المِحْنَة بالصبر(١)؛ فيتخيّر فائدةَ الأولى عاجلاً، ويستمرىء عائدةَ الأخرى آجلاً.

وقد نَفَذَ من قضاء الله تعالى في المولى الجليل قَدْراً، الحديث سنًّا، ما أَرْمَض، وأَوْمَض، وأَقْلَق، وأقضّ؛ ومسني من التألم له ما يحقُّ على مثلي ممن توافَتْ أيادي الرئيس إليه، ووجبت مشاركتُه في الملمّ عليه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبه غُصْناً ذَوى، وشهاباً خَبَا، وفرعاً دَلّ على أَصله، وخَطِّياً أَنبته(٢) وَشِيجُه؛ وإياه أسألُ أن يجعَله للرئيس فَرَطاً صالحاً، وذُخْراً عتيداً، وأَن يَنْفَعَهُ يوم الدين، حيث لا ينفعُ إلاَّ مثلُه بين البنين، بجوده ومَجْدِه.

ولئن كان المصابُ عظيماً، والحادثُ فيه جسيماً، لقد أحسن اللَّهُ إليه، وإلى الرئيس فيه؛ أَمّا إليه فإن الله نزّهه بالاخترام(٣)، عن اقترافِ الآثام، وصانه بالاختصار، عن ملابسة الأوزار، فورد دُنْياه رشيداً، وصدَر عنها سعيداً، نقي الصحيفة من سوادِ الذنوب، بريّ الساحة من دَرَن العيوب، لم تُدَنِّسه الجرائرُ(٤)، ولم تعلَقْ به الصغائر والكبائر، قد رفع اللَّهُ عنه دقيقَ الحساب، وأَسْهَم له الثواب مع أهلِ الصواب، وأَلحقه بالصديقين الفاضلين في المَعَاد، وبَوَّأه حيث أفضلهم من غير سَعْيٍ ولا اجتهاد.

وأما الرئيس فإن الله عزّ وجل لما اختار ذلك له قبضَه قبل رؤيته إياه على الحالة التي تكون معها الرقة، ومعاينته التي تتضاعفُ معها الحُرْقة، وحَمَاه من فِتْنَة المرافقة، ليرفعَه عن جزع المفارقة، [وكان هو المبقّى] في دنياه، وهو الواحدُ الماضي الذخيرة لأخراه، وقد قيل: إن تسلم الجلَّةُ فالسّخل هدر(٥)؛ وعزيز عليّ أن أقول قولَ المهوّن للأمر من بعده، وألاّ أوفي التوجّع عليه واجبَ فَقْدِه، فهو له سُلاَلة، ومنه بَضْعة، ولكن ذلك طريقُ التسلية، وسبيلُ التعزية، والمنهَجُ المسلوك في مخاطبة مثله، ممن يقبل منفعة الذكرى وإن أغناه الاستبصار، ولا يأبى وُرُودَ الموعظة وإن كَفَاه الاعتبار، والله تعالى يقي الرئيسَ المصائب،

(١) الخَطِّي: المنسوب إلى الخط، وهو موضع كانت تنسب إليه الرماح.
(٢) الوشِيج: ما نبت من القنا والقصب مُلتَفًّا، الواحدة وشيجة.
(٣) الاخترام: الموت.
(٤) الجرائر: جمع جريرة: الجناية والذنب.
(٥) الجلَّة: المسان من الإبل، أي الكبار منها، والسخل: ولد الشاة، الواحدة سخلة.

ويعيذُه من النوائب، ويرعاه بعينه التي لا تنامُ، ويجعله في حِمَاهُ الذي لا يُرام، ويُبْقيه موفوراً غير مُنْتَقَصٍ، ويقدِّمنا إلى السوء أمامه، وإلى المحذور قدّامه، ويبدأ بي من بينهم في هذه الدعوة، إذْ كنت أراها من أسعد أحوالي، وأَعُدُّها من أبلغ أمانيّ وآمالي.

من الصابي إلى بعض الرؤساء

وكتب إلى بعض الرؤساء:

قد جَرَتِ العادةُ ـ أطال الله بقاءَ الأمير! ـ بالتمهيد للحاجة قبل موردها، وإسلاف الظنون الداعية إلى نجاحها، وسالكُ هذه السبيل يسيء الظن بالمسؤول؛ فهو لا يلتمسُ فَضْلَهُ إلاَّ جزاء، ولا يستدعي طَوْلَهُ إلاَّ قضاء؛ والأميرُ بكرمه الغريب، ومذهبه البديع، يؤثر أن يكون السلفُ له، والابتداءُ منه، ويوجب للمهاجم برغبته عليه حقَّ الثقة به منه، والحمدُ لله الذي أَفرده بالطرائق الشريفة، وتوحّده[1] بالخلائق المُنِيفة، وجعله عَيْنَ زمانه البصيرة، وَلَمْعَتِهِ الثاقبة المنيرة.

[من رسائل البديع]

كتاب منه إلى بعض أصحابه

وكتب البديع في بابه إلى بعض أصحابه:

لك أعزَّك الله عادةُ فضل، في كل فصل، ولنا شِبْهُ مَقْت، في كل وقت؛ ولعمري إن ذا الحاجة مَقِيتُ الطَّلْعَة، ثقيل الوطأة، ولكن ليسوا سواء [؛ أولوا حاجة تحتاج إليهم الأموال، وأولو حاجة تحوجهم الآمال.

والأمير أبو تمام عبدُ السَّلام بن الفضل المطيعُ لله أَمير المؤمنين ـ أيّده الله ـ إن أحوجه الزمانُ فطالما خَدَمه، وإن أهانه فكثيراً ما أكرمه ونعّمه. وقديماً أقلّه السرير، وعرّفه الخَوَرْنَقُ والسدير[2]. وإن نقصه المال فالعِرْضُ وافر، وإن جفاه الملك فالفَضْلُ ظاهر، وإن ابتلاه الله فَلِيَبْتَلِيكم به فينظر كيف تفعلون. وأن تقابلُ مورده عليك من الإعظام، بما يستحقّ من الإكرام، فلا تنظرن إلى ثوبٍ بال، فَتَحْتَهُ شرفٌ عال، ولا تقس على البُرْدِ، ما وراءه من

(١) توحّده وأوحده: أفرده.

(٢) الخورنق: قصر كان للنعمان الأكبر بالعراق. والسدير: بناء ذو ثلاث شعب، أو قبة في ثلاثة قبب متداخلة.

المجد، ولكن إن نظرت ففي شامخ أصله، وراسخ عقله، وشهادة الفراسة له. ثم ليأت بعد هذه الآيات ما هو قضيةُ المروءة معه، والأخوة معي، بَالِغاً في ذلك غاية جهده، والسَّيْفُ لا يرى في غِمْده، والحمد لله حق حَمْده.

كتاب منه إلى إبراهيم بن أحمد بن حمزة

وله إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن حمزة:

لو كانت الدنيا ـ أطال الله بقاءَ الشيخ! ـ على مرادي تجري، لاخترت أن أضرب بهذه الحضرة أطناب عمري، وأنفق على هذه الخدمة أيام دهري، ولكن في أولاد الزنا كثرة. وَلِعَيْنِ الزمان نظرة، وقد كنتُ حَظِيتُ من خدمة الشيخ المحسن بشرعة أُنْسٍ نَغَّصها بعضُ الوشاة عليّ، وذكر أني أقمت بطوس بعد استئذاني إلى مَرْوَ، وفي هذا ما يعلمه الشيخ، فإن رأى أن يحسن جَبْري بكتاب يطرز به مقدمي فعل إن شاء الله تعالى.

كتاب آخر إلى أبي نصر الميكالي

وله في هذا الباب إلى أبي نصر الميكالي:

الشيخ ـ أعزّه الله ـ ملَكَ من قلبي مكاناً فارغاً، فنزله غير منزلَ قَلْعَة[١]، ومن مودتي ثوباً سابغاً، فلبسه غير لِبْسَة خلعة، ومن نصب تلك الشمائل شبكاً، وأرسل تلك الأخلاق شركاً، قَنَصَ الأحرار فاستحبّهم، وصادر الإخوان واسترقهم.

وتالله ما يُغْبَنُ إلاَّ من اشترى عبداً وهو يجدُ حرًّا بأرخص من العبد ثمناً، وأقلّ في البيع غبناً، ثم لا يهتبل[٢] غرّةَ وجوده، وينتهز فرصة امتلاكه بجوده، وأنا أنم للشيخ على مكرمة يتيمة، ونعمة وسيمة. فليعتزل من الرأي ما كان بهيماً، وليطلق من النشاط ما كان عقيماً، وليحلل حَبْوة التقصير، وليتجنبْ جانب التأخير، وليفتضَّ عُذْرَتها، وينقض حجّتها وعُمْرتها، برأي يجذبُ المجد باعه، ويعمر النشاط رباعَه؛ وتلك حاجةُ سيدي أبي فلان وقد ورد من الشيخ بحراً، وعقد به جسراً، وما عَسُرَ وَعْدٌ هو مستنجزُه، ولا بَعُدَ أمرٌ هو منتهزه، ولا ضاعت نعمة أنا بَرِيدُ شكرها، وعزيم نشرها، ووليّ أمرها؛ وهذا الفاضل قرارة مائها، وعماد بنائها؛ وقد شاهدت من ظَرْفه، ما أعجز عن وصفه، وعرفت من باطنه ما لم يُدْرَ

(١) منزل قلعة: لا يطول المقام فيه.
(٢) لا يهتبل: لا ينتهز.

بظاهره، ورأيتُ من أوله ما نَمَّ على آخره، ثم له البيت المرموق، والنسب المموموق، والأولية القديمة، والشيمة الكريمة؛ وقد جَمَعَتْنَا في الود حَلْقة، ونظمَتْنَا في السفر رفقة، وعرفني بما أنهض له وفيه، فضمنت له عن الشيخ كَرَماً لا يُغْلَق بابه، وغَدَقاً[١] لا يُخْلفُ سحابُه؛ فليخرجني الشيخ من عهدة هذه الثقة، زادها إليه تأكداً، وإن رأى أن أسأل الشيخ في معناه عرفني كيف المأتىٰ له، وإنما أطَلْتُ ليعلم صِدْقَ اهتمامي، وفَرْطَ تقليدي للمنّة والتزامي.

جواب منه عن صنيعة

وله جواب عن صنيعة صاحب هذه العناية:

ورد فلان سيدي وهو عينُ بلدتنا وإنسانُها، ومقلتها ولسانها؛ فأظهر آيات فضله، لا جرم أنه وصل إلى الصميم، من الإيجاب الكريم، وهو الآن مقيمٌ بين رَوْح ورَيْحان وجنة نعيم، تحيّتُه فيها سلام، وآخر دعواه ذكرك وحسن الثناء عليك بما أنت أهله، وأنا أصدقُ دعواه، وأفتخر به افتخار الخصيّ بمتاع مولاه، وقد عرفته وَلَسَنه، وكَيف يَجُرُّ في البلاغة رَسَنَه، فما ظنك به؟ وقد ملكتها المجالس ولحظتها العيون، وسلّ صارماً من فيه، يُعِيدُ شكرك ويُبْدِيه، وينشر ذكرك ويطويه؛ والجماعة تمدحُ لمدحه، وتجرح بجرحه، فرأيك في تحفظ أخلاقك التي أثمرت هذا الشكر، وأنتجت هذه المآثر الغر، موفقاً إن شاء الله تعالى.

المقامة الأذربيجانية

ومن إنشائه في مقامات الإسكندري، قال:

حدَّثنا عيسى بن هشام، قال: لما نَطّقَنِي الغِنى بفاضل ذَيْلِه، اتُّهمت بمال سلَبْتُه، أو كنز أصبتُه، فَخَفَرَني الليلُ، وَسَرَتْ بي الخيلُ. وَسَلكْتُ في هربي مسالِكَ لم يَرْضْها السيرُ، ولا اهتدَتْ إليها الطيرُ، حتى طويتُ أرضَ الرُّعْبِ وتجاوزْتُ حدّه، وصرتُ إلى حِمَى الأمنِ ووجدتُ بَرْدَه، وبلغتُ أذربيجان وقد حَفِيَت الرواحلُ، وأكلتْها المراحلُ[٢]، ولما بلغتها:

نَــزلنــا علــى أَنَّ المُقــامَ ثَــلاَثَــةٌ ... فَطــابَــتْ لنــا حَتّــى أَقمنــا بهــا شَهْــرا

(١) الغَدَقُ: الماء الكثير.

(٢) الرواحل: جمع راحلة، وهي من الإبل ما صَلُحَ للأسفار والأحمال. والمراحل: جمع مرحلة، وهي المسافة يقطعها المسافر في نحو يوم.

فبينا أنا يوماً في بعض أسواقها إذ طلع رجل بِرُكْوَةٍ قد اعتضدها[١]، وعصا قد اعتمدها، ودنيّة قد تَقَلَّسَها، وفوطةٍ قد تَطَيْلَسَها[٢]؛ فرفع عقيرته وقال: اللّهمّ يا مُبْدِىء الأشياء وَمُعيدَها، ومحيي العظام وَمُبيدَها، وخالق المصباح ومديره، وفالقَ الإصباح ومنيره، وموصِلَ الآلاءِ سابغة إلينا، ومُمْسِك السماءِ أن تقعَ علينا، وبارىء النَّسَم أزواجاً، وجاعلَ الشمس سراجاً، والسماءِ سَقْفاً، والأرض فراشاً، وجاعلَ الليل سَكَناً والنهار معاشاً، ومنشىء السحاب ثِقالاً، ومرسل الصواعق نَكالاً، وعالِمَ ما فوق النجوم، وما تحت التخوم. أسألُك الصلاة على سيد المرسلين محمّد وآلِه الطاهرين، وأن تعينني على الغربة أثني حَبْلَها، وعلى العُسْرَةِ أعدو ظِلَّها، وأن تُسهِّل لي على يدَيْ مَنْ فَطَرَتْهُ الفِطْرة، وأطلعَتْهُ الطُّهْرَة، وَسَعِدَ بالدِّين المتين، ولم يَعْمَ عن الحق المبين، راحلةً تَطْوي هذا الطريق، وزاداً يسعني والرفيق.

قال عيسى بن هشام: فناجيتُ نفسي بأن هذا الرجلَ أفصحُ من إسكندريّنَا أبي الفتح، والتفتُّ لفتةً، فإذا هو أبو الفتح. فقلتُ: يا أبا الفتْح، بَلَغ هذه الأرضَ كيدُك، وانتهى إلى هذا الشِّعْبِ صيدك؟! فأنشأ يقول:

أنا جَوَّالةَ البلا ... دِ وجَوَّابةُ الأُفُقْ
أنا خُذْروفةُ الزما ... نِ وَعَمَّارةُ الطُّرُقْ[٣]
لا تَلُمْنِي لك الرشا ... دُ على كُدْيَتِي وَذُقْ[٤]

* * *

وقال الطرماح بن حكيم[٥]:

---

(١) الركوة: وعاء يجمع فيه ما يُحصِّلهُ. والرِّكْوَةُ (بكسر الراء): إناء صغير من جلد يُشْرَب به، والدلو الصغيرة. واعتضدها: جعلها في عضده.

(٢) تطيلسها: لبسها.

(٣) الخذروف: عُوَيْدٌ مشقوق في وسطه يُشَدُّ بخيط وَيُدوَّر فَيُسْمَعُ له حنين، ويُشَبَّه به كلّ سريع في جريه، وكلّ شيء منتشرٌ من شيء.

(٤) الكُدْيَةُ: حرفة السائل المُلِحّ، وقد أكدى فلان: أَلَحَّ في المسألة.

(٥) هو أبو نصر، وأبو ضبينة، الطِّرمَّاح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جحدر الطائي: شاعر إسلامي فحل، ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة. ودرس فيها واعتنق مذهب الشراة الأزارقة، وكان معاصراً للكميت، صديقاً له، ولا يكادان يفترقان على ما بينهما من بعد في النسب والمذهب والبلاد. توفي نحو ١٢٥ هـ/٧٤٣ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٢/ ٤٨٩).

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ بيعةً مِنَ الدهرِ إذْ أَهْلُ الصفاءِ جميعُ
وَإذ دَهْرُنا فيه اعْتِزازٌ، وطَيْرُنا سَواكِنُ في أوكَارهِنّ وُقُوعُ
فَهَلْ لِليالينا بنِعْفٍ مَليحةٌ وَأيامُهنَّ الصَّالحاتُ رُجوعُ[1]؟
كأنْ لم يَرُعْكَ الظاعنونَ إلى بِلًى وَمِثْلُ فِراقِ الظاعنينَ يَرُوعُ]

[أيام الشباب وأيام المشيب]

لعلي العلوي

وقال علي بن محمّد [بن الحسن] العلوي:

وَاهاً لأيامِ الشَّبا بِ وما لَبِسْنَ مِنَ الزَّخارفْ
وَذَهَابِهنّ بما عَرفْ نَ من المَناكرِ وَالمَعَارِفْ
أيام ذِكْرِك في دَوا وين الصِّبا صَدْرَ الصحائفْ
وَاهاً لأيّامي وَأَيّا م الشَّهياتِ المَرَاشفْ[2]
الغارساتِ البَانَ قُضْـ ـباناً على كُثُبِ الرَّوَادِفْ
وَالجاعلاتِ البَدْرَ ما بيْنَ الحواجبِ وَالسَّوالِفْ
أيام يُظْهِرْنَ الخِلا فَ بغَيْرِ نِيَّاتِ المَخَالِفْ
وَقفَ النعيمُ على الصِّبَا وَزَلَلْتُ من تِلْكَ المواقِفْ

لابن المعتز

وقال ابن المعتز[3]:

دَعَتْني إلى عهدِ الصِّبا رَبّةُ الخِدرِ وَأَلْقتْ قِناعَ الخزِّ عن وَاضحِ الثَّغْرِ
وَقالتْ وَماءُ العينِ يَخْلُطُ كُحْلَها بِصُفْرَةِ ماءِ الزعفران على النَّحْرِ
لِمنْ تَطْلُب الدنيا إذا كُنْتَ قابضاً عَنانكَ عن ذاتِ الوِشَاحينِ وَالشَّذْرِ[4]

---

(١) النَّعْفُ من الأرض: ما انحدر عن السفح وَغَلُظ وكان فيه صعود وهبوط، وقيل: هو ناحية من الجبل أو ناحية من رأسه، ولعله أراد بـ «نعف» مكاناً بعينه.
(٢) المراشف: جمع مرشف: موضع الرشف (الثغر).
(٣) لم نجد هذه الأبيات في ديوانه.
(٤) الشَّذْرُ: قطع الذهب تلتقط من معدنه، وخرز يُفْصل به بين حبات العقد ونحوه، واللؤلؤ الصغار، الواحدة شذرة، والجمع شذور.

أَراكِ جَعَلْتَ الشَّيْبَ لِلهَجْرِ عِلّةً كَأَنَّ هِلاَلَ الشهرِ لَيْسَ من الشهرِ

لأحمد بن أبي طاهر

وقال [أحمد بن أبي طاهر]:

يَا مَنْ كَلِفتُ بِحبِّهِ كَلَفِي بكاساتِ العُقارْ[1]
وَحياةِ مَا فِي وَجنتيـ ـكَ من الشَّقائِقِ والبَهارْ[2]
وَوُلُوع رِدْفِكَ بالتَّرَجْـ ـرُجِ تَحْتَ خَصْرك في الإزارْ
ما إن رأيتُ لِحُسْنِ وَجْـ ـهِك في البريَّة من نِجارْ[3]
لما رأيتُ الشيبَ مِنْ وَجْهِي بما يحكي الخِمارْ
[قَالَتْ غُبارٌ قَدْ علا كَ فَقلْتُ ذا غَيْرُ الغُبارْ
هذا الذي نَقَلَ المُلو كَ إلى القُبورِ مِنَ الديارْ]
قَالتْ ذَهَبْتِ بِحُجَّتي عني بِحُسْنِ الاعتذارْ
يا هذهِ أرأيتِ ليـ ـلاً مذْ خُلِقْتِ بلا نَهارْ

لخالد الكاتب

وقال خالد الكاتب:

نَظرتْ إليَّ بِعَيْنِ مَنْ لَمْ يَعْدلِ لما تَمكّن طَرْفُهَا مِنْ مَقْتَلِي
لَمّا رأتْ شيباً ألمّ بِمَفْرَقِي صَدّتْ صُدودَ مُفَارِقٍ مُتَحَمِّلِ
وَظَلَلْتُ أطْلُبُ وَصْلَهَا بِتَملُّقٍ وَالشَّيْبُ يَغْمِزُهَا بألاَّ تَفْعَلي

لابن الرومي

وقال ابن الرومي[4]:

(١) كَلِفَ الشَّيْءَ وبه: أَحبَّهُ وأُولِعَ به. والعُقار: الخمر.
(٢) البَهَارُ: زهر طيب الريح، ينبت أيام الربيع، ويقال له: العَرَار.
(٣) النّجار: الأصل والحَسَب.
(٤) ابن الرومي، الديوان: ٢/١١٢. والأبيات من قصيدة يمدح بها صاعد بن مُخلَد.

كَفَى حَزَناً أَنَّ الشبابَ مُعَجَّلٌ قَصيرُ الليالي وَالمشيبُ مُخلَّدُ
وَعَزَّاكَ عن ليلِ الشبابِ مَعاشرٌ فقالوا: نَهارُ الشيبِ أهْدَى وأرْشَدُ
فَقُلْتُ: نهارُ المرءِ أهْدَى لِسَعْيِهِ وَلكنَّ ظِلَّ الليلِ أنْدى وأبْرَدُ[(١)]
مَحَارُ الفتى شَيْخُوخَةٌ أو منيّةٌ وَمَرْجوعُ وَهَّاجِ المصابيحِ رِمْدَدُ[(٢)]

وقال[(٣)]:

كانَ الشبابُ وَقلْبي فيه مُنْغَمِسٌ في لَذَّةٍ لَسْتُ أَدري ما دَوَاعِيها[(٤)]
رَوْحٌ على النفسِ منه كادَ يُبْرِدُها بَرْدَ النسيمِ ولا يَنْفَكُّ يُحْييها[(٥)]
كأَنَّ نَفْسِيَ كانتْ مِنْهُ سارحةً في جنَّةٍ باتَ ساقي المُزْنِ يَسقِيها[(٦)]
يَمضي الشبابُ وَيَبْقَى مِنْ لُبَاناتِه شَجْوٌ على النفسِ لا ينفكُّ يُشْجيها[(٧)]
ما كانَ أَعْظَمَ عِنْدي قَدْرَ نِعْمَتِهِ لِنَفْسِهِ لا لِحلمٍ كان يُصْبيها[(٨)]
ما كانَ يُوزَنُ إعجابُ النِّساءُ بِهِ وَالنفسُ أَوْجَبُ إعْجاباً بما فِيها[(٩)]

وقال[(١٠)]:

إذا ما رأتك البِيضُ صَدَّت، وَرُبَّما غَدَوْتَ وطَرْفُ البيضِ نَحْوَكَ أَصْوَرُ[(١١)]

---

(١) في الديوان: «وكان نهار المرء أَهْدَى لسعيه».
(٢) المَحَارُ: المرجع. والرمدد: الهالك، يقال: رماد أرمد وَرِمْدِدٌ وَرِمْدَدٌ وَرمْديدٌ: كثير دقيق جداً، ورماد رمدد أي هالك، جعلوه صفة، وقيل: الرِّمْدِدُ: المتناهي في الاحتراق والدقة.
(٣) ابن الرومي، الديوان: ٦/ ٣٨٢. والأبيات من قصيدة قالها يتذكر الشباب وأيامه.
(٤) في الديوان: «في فرجة لست أدري ما دواعيها».
(٥) في الديوان: «كان يبردها».
(٦) في الديوان: «في رَوْضَةٍ بات ساقي المُزْنِ ساقيها».
(٧) في الديوان:
يَمْضِي الشبابُ وَيُبْقي من لُباناتِهِ شَجْواً على النَّفْسِ يَشْجُوهَا وَيُشْجِيها
(٨) في الديوان: «لِنَفْسِهِ لا لِخَوْدٍ «كان يُصْبِيها»، والخود: المرأة الشابة الناعمة.
(٩) في الديوان: «ما كان أكثر إعجابَ النساءِ به».
(١٠) ابن الرومي، الديوان: ٣/ ١٧٤، وقبله:
كَبُرْتَ وَفي خَمْسٍ وَخَمْسِينَ مَكْبَرُ وَشِبْتَ فَألْحاظُ المَها مِنْك نُفَّرُ
(١١) أَصور: أكثر ميلاً.

وَمـا ظلَمتْـكَ الغـانيـاتُ بِصـدِّهـا ... وَإنْ كـانَ فـي أحكـامها مـا يُجـوَّرُ[١]

أعِـرْ طَـرْفـكَ المـرآة وَانْظُـرْ؛ فـإن نَبَـا ... بِعَيْنيـكَ عَنْـكَ الشيـبُ فَـالبيـضُ أَعـذرُ

إذا شَنِئـتْ عيـنُ الفتـى شَيْـب نَفْسِـهِ ... فَعَيْـنُ سِـوَاه بِـالشَّنَـاءةِ أجْـدَرُ[٢]

لكشاجم

وقال كشاجم:

وَقَفَتْنِـي مـا بيـن حُـزْنٍ وَبُـوسِ ... وَثَنَـتْ بَعْـدَ ضِحْكَـةٍ بِعُبُـوس

إذْ رأتنـي مَشَطَـتْ عـاجـاً بعـاجٍ ... وَهِـيَ الآبنـوس بـالآبنـوسِ[٣]

لأبي نواس

وقال أبو نواس[٤]:

بَكَـرَتْ تُبصِّـرنـي الـرَّشـادَ كـأنني ... لا أهتـدي لِمَـذاهـب الأبـرارِ

وَتقـولُ: وَيْحـكَ قـد كبـرتَ عـن الصِّبـا ... ورَمَـى الـزمـانُ إليـك بـالأَعْـذَارِ

فـإلـى متـى تَصْبُـو وأنـت مُتيَّـمٌ ... مُتقلِّـبٌ فـي راحـةِ الإقتـارِ

فَـأَجَبْتُهـا إنـي عَـرَفْـتُ مَـذاهبـي ... فَصَـرَفْـتُ مَعْـرِفتـي إلـى الإنكـارِ

لأحمد بن زياد

وقال أحمد بن زياد الكاتب:

وَلمّـا رأيـتُ الشيـبَ حَـلَّ بَيـاضُـهُ ... بِمَفْـرَق رأسـي قُلْـتُ: أهـلاً ومَـرْحَبـا

وَلـو خِلْـتُ أنـي إن تـركـتُ تحيتـي ... تَنَكَّـبَ عنـي رُمْـتُ أنْ يَتنكَّبـا

وَلكـنْ إذا مـا حـلَّ كُـرهٌ فَسـامحَـتْ ... بـهِ النفـسُ يـومـاً كـان لِلكُـرْهِ أذْهَبـا

---

(١) في الديوان: «من أحكامها».

(٢) في الديوان: «وَجْه نفسه». شنئت: بغضت وكرهت، والشناءة: البغض والكره.

(٣) العاج (الأولى): الشعر لبياضه، والعاج (الثانية): المشط المصنوع من العاج وهو أبيض اللون. والآبنوس: شجر ينبت في الحبشة والهند، وخشبه أسود اللون صُلب، ويصنع منه بعض الأدوات والأواني والأثاث، وأراد به شعرها الأسود (كناية عن شبابها) ومشطها الأسود اللون.

(٤) لم نجد هذه الأبيات في ديوانه.

كأن هذا البيت ينظر إلى قول الأول:

وَجــاشَــتْ إلــيَّ النفــسُ أولَ مَــرَّةٍ فَــرُدَّتْ إلــى مَعْــرُوفهــا فَــاسْتَقَــرَّتِ

للمتنبي

أبو الطيب[١]:

أنْكَــرْتُ طَــارقَــة الحــوادثِ مَــرّةً ثُــمَّ اعْتَــرَفْــتُ بهــا فَصــارتْ دَيْــدَنَــا[٢]

لابن الرومي

ابن الرومي[٣]:

لاح شَيْبــي فَصِــرْتُ أَمْــرَحُ فيــهِ مَــرَحَ الطِّــرْف فــي العِــذَارِ المُحلَّــى[٤]

وَتَــولَّــى الشبــابُ فَــازْدَدْتُ غَيّــا فــي ميــاديــن بَــاطِلــي إذْ تَــولَّــى[٥]

إنَّ مَــنْ سَــاءَهُ الــزّمــانُ بِشــيءٍ لأحــقُّ الــوَرَى بــأَنْ يَتَسَلّــى[٦]

المتنبي[٧]:

أَتُــرانــي أَسُــوءُ نَفْسِــيَ لمّــا سَــاءنــي الــدَّهْــرُ؟ لا، لَعَمْــرِيَ، كَــلاَّ

للمتنبي

المتنبي[٨]:

تَصْفُــو الحيــاةُ لِجَــاهِــلٍ أو غَــافــلٍ عَمّــا مضَــى فيهــا وَمَــا يُتَــوَقَّــعُ

---

(١) المتنبي، الديوان: ١/ ٢٩٣.

(٢) الديدن: العادة. يقول: لما طرقته حوادث الدهر أول مرة استغربها لعدم سبقِ عهده بها، فلما عاودته وكثر طروقها له، اعترف بأُلفتها، وصارت عادة لازمة له.

(٣) ابن الرومي، الديوان: ٥/ ٨١.

(٤) في الديوان: «فَرُحْتُ أَمرحُ فيه».

(٥) في الديوان: «فازددت ركضاً».

(٦) في الديوان: «لاحقّ امرىءٍ بأن يتسلى».

(٧) لم نجد هذا البيت في ديوانه.

(٨) المتنبي، الديوان: ٢/ ٣٠٨. والبيتان من قصيدة يرثي بها أبا شجاع فاتك بعد خروجه من مصر.

وَلِمَنْ يُغالِطُ في الحقائقِ نَفْسَهُ ... وَيَسُومها طَلَبَ المُحالِ فَيَطْمَعُ[١]

للبحتري

البحتري:

يَكْفِيكَ مِنْ حَقٍّ تَخَيُّلُ بَاطِلٍ ... تَرْدَى بِهِ نَفْسُ اللَّهِيفِ فَتَرْجِعُ

لأبي تمام الطائي

وقلما تصحُّ مغالطات أهل العقول، عند أهل التحصيل، وما أحسن ما قال الطائي[٢]:

لَعِبَ الشيبُ بالمَفَارِقِ، بل جَدّ ... فَأَبْكَى تُمَاضِراً وَلعوبَا[٣]

يا نَسِيبَ الثَّغَام ذَنْبُكَ أبقى ... حَسَناتي عِنْدَ الحسانِ ذُنُوبا[٤]

لَو رأى الله أَنَّ فِي الشيبِ فَضْلاً ... جَاوَرَتْهُ الأَبرارُ في الخُلْدِ شِيبا[٥]

لابن الرومي

وقد جاء في التشاغل عن الدهر وأحداثه، ونكباته، ومصائبه، وفجعاته، والتسلي عن الهموم، بماء الكروم، شعرٌ كثير؛ فمما يتعلّق منه بذكر الشيب قول ابن الرومي[٦]:

سَأُعْرِضُ عَمّن أَعْرَضَ الدهرُ دونهُ ... وَأَشْرَبُها صِرْفاً وإن لامَ لُوَّمُ[٧]

فإني رأيتُ الكأسَ أكرَمَ خُلَّةً ... وَفَتْ لي ورأسي بالمشيب مُعَمَّمُ

وَصَلْتُ فلم تَبْخَلْ عليَّ بوصْلِها ... وَقدْ بخِلَتْ بالوصلِ عَنّيَ تَكْتُمُ[٨]

---

(١) يسومها: يكلفها. وفي الديوان: «فَتَطْمَعُ».

(٢) أبو تمام، الديوان: ١/ ١٣٣. والأبيات من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثَّغْرِيّ.

(٣) تماضر ولعوب: من أسماء النساء.

(٤) أراد بنسيم الثغام: الشيب، لأن الثغام نبت أبيض. الحسان: النساء الغنيات بحسنهن وجمالهن عن التزيّن.

(٥) فضلاً: ويروى: «خيراً».

(٦) ابن الرومي، الديوان: ٥/ ٢٨٦. والأبيات من قصيدة طويلة يمدح بها عبيد اللَّه بن عبد اللَّه.

(٧) في الديوان: «سَأُعرض عمَّا».

(٨) تكتم: اسم امرأة.

وَمَـنْ صـارمَ اللـذاتِ إنْ خـانَ بعضهـا ... لِيُـرْغِـمَ دهـراً سـاءهُ فهـو أرْغَـمُ
أمِـنْ بعـدِ مَثْـوَى المـرءِ فـي بَطْـنِ أُمّـهِ ... إلـى ضيـقِ مَثْـوَاه مـن القبـر يَسْلَـمُ[(١)]
ولـم يَبْـقَ بيـنَ الضيـقِ والضيـقِ فُـرْجَـةٌ ... أبـى الله! إنَّ اللّـهَ بـالعبـد أرحـمُ[(٢)]!

للعطوي

وقال العَطوي:

أَعجِبْتُـنَّ إنْ أنـاخَ بـيَ الـدهـ ... ـرُ فَحـاكمتُـهُ إلـى الأقـداحِ
لا تُـرَدّ الهمُـوم يُنْشِبْـنَ أظفـا ... راً حِـدَاداً بِشُـرْبِ مـاءِ قـراحِ
أَحمـد الله، صَـارتْ الكـأسُ تـأْسُـو ... دُونَ إخـوانـي الثقـاتِ جـراحـي

لابن الرومي

وقال ابن الرومي [ونحله بشاراً][(٣)]:

وَقَـدْ كُنْـتُ ذا حَـالٍ أُطِيـلُ ادِّكـارهـا ... وَإرعـاءهـا قلبـي لأهتـز مُعجبَـا[(٤)]
فَبُـدِّلْـتُ حـالاً غيـر هـاتيـكَ، غـايتـي ... تنـاسِـيَّ ذِكـراهـا لِتَغْـرُبَ مَغْـرِبَـا
وَكُنْـتُ أُديـر الكـأس مَـلأى رَوِيَّـةً ... لأجْـذَلَ مَسْـروراً بهـا ولأَطْـرَبَـا[(٥)]
وَكـانَـتْ مَـزيـداً فـي سُـروري وَمُتْعَتِـي ... فَـأَضْحَـتْ مَفـرًّا مِـنْ هُمـومـي وَمَهْـرَبَـا

وهذا كما قال في قَيْنَة وإن لم يكن من هذا الباب[(٦)]:

شَاهَدْتُ في بَعْضِ ما شَاهَدْتُ مُسْمِعَةً ... كـأنَّمـا يَـوْمُهـا يـومـانِ فـي يَـوْمِ
ظَللـتُ أشـربُ بـالأرطـالِ، لا طَـرَبـاً ... بِـذاكَ، بـلْ طلبـاً لِلسُّكْـرِ والنـومِ

---

(١) في الديوان: «أمن ضيق مثوى المرء في بطن أمه».
(٢) في الديوان:
وَلَمْ يَلْقَ بَيْنَ الضِّيقِ والضِّيقِ فُسْحَةً ... أَبـى ذاكَ أَنَّ الله بـالعَبْـدِ أَرْحَـمُ
(٣) ابن الرومي، الديوان: ١/٤٠٨.
(٤) ادّكارها: ذكرها. أهتز: أفرح.
(٥) الجذل والسرور والطرب بمعنى واحد.
(٦) ابن الرومي، الديوان: ٥/٣٠١.

ومن مليح شعره في الشيب[(١)]:

وَمِنْ نَكَدِ الدنيا إذا ما تَنَكَّرتْ ... أُمورٌ - وإن عُدَّتْ صِغَاراً - عَظائمُ
إذا رُمْتُ بالمنقاشِ نَتْفَ أَشَاهبي ... أُتِيحَ لَهُ من بَيْنِهن الأداهِمُ[(٢)]
يُرَوِّعُ مِنْقَاشي نُجُوم مَسَائحي ... وَهُنَّ لِعَيْني طالعاتٌ نَوَاجِمُ[(٣)]

لأبي الفتح كشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم:

أخي قُمْ فَعاوِنّي على نَتْفِ شَيْبَةٍ ... فَإنيَ مِنْهَا في عذابٍ وَفي حَرْبِ
إذا ما مَضَى المنقاشُ يأتي بها أَتَتْ ... وَقَد أَخَذَتْ مِنْ دُونها جَارة الجَنْبِ
كَجانٍ على السلطانِ يُجْزَى بِذَنْبِهِ ... تَعَلَّقَ بالجيرانِ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ

وقد وشَّحت هذا الكتاب بقطع مختارة في الشيب والشباب، وجئت هٰهنا بِجُمْلة، وهذا النوع أعظم من أن نحيط به اختياراً، أو نبلغه اختباراً.

شذور لأهل العصر، في وصف الشيب ومدحه وذمّه

ذَوَى غُصْنُ شبابه. بَدَت في رأسه طلائع المشيب، [أخذ الشيب بِعِنَان شبابه]، غزاه الشَّيْبُ بجيوشه، طَرَّز الشيبُ شبابَهُ، أَقْمَرَ ليلُ شبابه، أَلجمه بلجامه، وقاده بزِمامه، علاه غبارُ وقائع الدهرِ. وزن هذا لابن المعتز: هذا غبارُ وقائع الدهر، بينا هو راقد في ليل الشباب، أيقظه صبحُ المشيب. طوى مراحلَ الشباب، وأنفق عمره بغير حساب. جاوز من الشباب مَرَاحل، ووردَ من الشَّيْبِ مَناهل. فَلَّ الدهرُ شبَا شبابه[(٤)]، وَمَحا محاسنَ رُوَائه. قضى باكورة الشباب، وأَنْفَقَ نَضَارَةَ الزمان. أَخْلَق بُرْدَةَ الصِّبا، ونهاه النهى عن الهوى. طار غرابُ شبابه. انتهى شبابه، وشاب أترابه. استبدل بالأدهم الأبْلَقَ، وبالغراب العَقْعق[(٥)].

---

(١) ابن الرومي، الديوان: ٥/ ٣٠٢.
(٢) المنقاش: الآلة التي يُنْقَشُ بها، والشهبة في ألوان الخيل: أن تشق معظم لونه شعرة أو شعرات بيض.
(٣) في الديوان: «يُراوِغُ مِنْقَاشي».
(٤) فَلَّ السيفَ فلاًّ: ثلمه وكسره في حَدِّه. وشباة الشيء: حَدُّ طرفه.
(٥) الأدهم: الأسود. والأبلق: الذي لونه البلقة، وهي سواد في بياض. والعقعق: طائر لونه مختلط من سواد وبياض.

انتهى إلى أَشُدِّ الكهل، واستعاض من حَلَك الغراب بقادمةِ النَّسر. افترّ عن نَابِ القارح[١]، وقرع نَاجِذَ الحلم، وارتاضَ بلِجام الدَّهرِ، وأدرك عصر الحُنْكة وأوان المسكة. جمع قوَّة الشباب إلى وَقَار المشيب. أسفر صبح المشيب، وعَلَتْه أبهة الكِبَر. خرج عن حدّ الحداثة، وارتفع عن غِرَّةِ الغَرَارة. نَفَض حِبَرَةَ الصبا، وَوَلَّى داعية الحجا. لما قام له الشيب مقام النصيح، عدل عن علائق الحداثة بتَوْبة نَصُوح. الشيب حِلْية العقل وشِيمة الوقار. الشيب زبدةٌ مَخَضَتْها الأيام، وفِضّة سبكتها التجارب. سرى في طريق الرُّشد بمصباح الشَّيب. عصى شياطين الشباب، وأطاع ملائكة الشَّيْب. الشيخ يقول عن عِيان، والشاب عن سَماع. في الشيب استحكام الوَقَار وتناهي الجلال، ومِيسَم التجرِبة[٢]، وشاهد الحُنْكة. الشيب مُقَدَّمَة الموت والهَرَم، والمؤذِنِ بالخَرَف، والقائد للموت. الشيبُ رسول المنية. الشيب عُنْوَان الفساد. والموتُ ساحل، والشيبُ سفينة تقرب من الساحل. صفا فلان على طول العمر، صفاء التِّبْر على شعَب الجمر. لقد تناهت به الأيامُ تهذيباً وتحليماً، وتناهت به السّنُّ تجريباً وتحنيكاً. قد وعظه الشَّيْبُ بِوَخْطِه[٣]، وخَبطه السن بابنه وسِبْطِه، قد تضاعفت عقودُ عمره، وأخذت الأيام من جسمه. وَجَد مَسّ الكبر، ولحقه ضَعْفُ الشيخوخة، وأساء إليه أثر السنّ، واعتراض الوَهن. هو من ذوي الأسنان العالية، والصحبة للأيام الخالية. هو هِمٌّ هَرِم، قد أخذ الزمانُ من عَقْله، كما أخذ من عمره. ثَلَمَه الدهر ثَلْمَ الإناء، وتركه كذِي الغارب المنكوب، والسَّنام المجبوب. رماه من قوسه الكِبَر. أُريق ماءُ شبابه، واستشنَّ أديمه[٤]. كسر الزمانُ جناحَه، ونقض مِرَّته[٥]. طوى الدهر منه ما نشر، وقيّده الكبر، يرسُفُ رسَفَان المقيّد، هو شيخ مجتثّ الجثّة، واهِي المُنَّة، مغلول القوة ومفلول الفتوة، ثَقُلَتْ عليه الحركة، واختلفت إليه رُسل المنيّة. ما هو إلاّ شمسُ العصر، على القصر. أركانه قد وهَتْ، ومُدَّتُه قد تناهَتْ. هل بعد الغاية منزلة، أو بَعْدَ الشيب سوى الموت مرحلة؟ ما الذي يُرْجَى ممن كان مثله في تعاجز الْخُطا، وتخاذُل القُوَى، وتَدَاني المدى،

(١) القارح من ذي الحافر: ما استتمّ الخامسة وسقطت سنّه التي تلي الرباعية، ونبت مكانها نابه، الجمع قوارح.

(٢) المِيسَمُ: السِّمة، والعلامة، وأثر الحسن والجمال.

(٣) وَخَط الشيبُ فلاناً: فشا فيه، أو استوى سواده وبياضه، والوَخْطُ من الشيء: النُّبْذُ منه.

(٤) استشنَّ الجلد وتشنَّن: يبس وتقلّص.

(٥) المِرَّةُ: القُوَّةُ، وإحكام الفتل، والأصالة، ويقال: إنَّهُ لذو مِرّة: عقل وأصالة وإحكام.

والتوجّه إلى الدار الأُخرى، أبعد دِقّة العظم، ورقّة الجلد، وضَعْف الحسّ، وتخاذل الأعضاء، وتفاوت الاعتدال، والقُرْب من الزوال. والذي بقي منه ذَماء[١]، يَرقبُه المُنُون بمَرْصَد، وحُشاشة هي هَامَة اليوم أو غد. قد خَلق عمره، وانطوى عيشُه، وبلغ ساحلَ الحياة، ووقف على ثَنِيَّةِ الوداع، وأشرف على دار المقام، فلم يبق إلاَّ أنفاسٌ معدودة، وحركات محصورة. نَضب غديرُ شَبابه.

فقر لغير واحد في المشيب

قيس بن عاصم: الشيبُ خطام المنية. أكثم بن صيفي: المَشِيب عنوان الموت. الحجاج بن يوسف: الشيبُ نذير الآخرة. غيره: الشيبُ نومُ الموت. العتبي: الشيبُ مجمع الأمراض. العتابي: الشيبُ نذير المنيّة. محمود الوراق: الشيبُ أحد الميتتين. ابن المعتز: الشيبُ أول مَواعد الفَناء. وقال: عظِّم الكبير فإنه عرَف اللَّهَ قبلَك، وارْحَم الصغير فإنّه أغرُّ بالدنيا منك. غيره: الشيب قِنَاعُ الموتِ. الشيب غَمامٌ قَطْرُه الغموم. الشيبُ قَذَى عينِ الشباب.

نظر سليمان بن وهب في المرآة فرأى الشيب، فقال: عَيْبٌ لا عدمناه!

وقيل لأبي العيناء: كيف أصبحت؟ فقال: في داء يتمناه الناس!

ابن المعتز[٢]:

أنكَرَتْ شَرَّ مَشِيبي وَوَلَّتْ ... بِدُموعٍ في الرداءِ سُجُومْ[٣]
اعذري يا شرَّ شَيْبي بِهَمٍّ ... إنَّ شيبَ الرأسِ نَوْرُ الهمُومْ[٤]

مسلم بن الوليد:

الشَّيْبُ كُرْهٌ، وَكُرْهٌ أن أُفارِقَهُ ... أَعْجِبْ لشيءٍ على البغضاءِ مَوْدُودِ
يَمْضِي الشبابُ فيأتي بَعْدَهُ بَدَلٌ ... وَالشَّيْبُ يَذهبُ مفقوداً بِمَفْقُودِ

(١) الذَّمَاءُ: بقية النفس.
(٢) ابن المعتز، الديوان: ص ٦٤٢.
(٣) في الديوان:
أنكَرَتْ هِنْدُ مَشِيبي وَدلَّتْ ... بِدُمُوعٍ في الرِّداءِ تَحُومْ
(٤) في الديوان: «فاعذري يا هند شيبي بِهَمِّي».

وقال آخر:

لـــو أنَّ عُمْـــرَ الفتـــى حِسَـــابٌ كـــانَ لَـــهُ شَيْبُـــهُ فَـــذَالِـــكْ[١]

وقال بعضهم:

وَلـي صـاحبٌ مـا كنتُ أَهـوى اقترابَـهُ فَلَمَّـا التقينـا كـان أَكْـرَمَ صَـاحـبِ
عَـزيـزٌ علينـا أنْ يُفـارِقَ بَعْـدَمَـا تَمنَّيـتُ دَهْـراً أن يَكُـونَ مُجَـانبـي

يعني الشيب، يقول: لم أكن أشتهي اقترابه، فلمّا حل كان أكرم صاحب، عزيز عليَّ مجانبته؛ لأنه لا يجانَبُ إلاَّ بالموت.

أبو إسحاق الصابي:

وَالعُمْـــرُ مِثْـــلُ الكـــاسِ يَـــرْ سُـــبُ فـــي أَواخِـــرهـــا القَـــذَى

أبو الفضل الميكالي:

أَمْتِـعْ شَبـابـك مـن لَهْـوٍ ومـن طَـرَبٍ وَلا تُصِـخْ لِمـلامٍ سَمْـعَ مُكْتَـرِثِ
فَخَيـرُ عُمْـرِ الفتـى رَيْعَـانُ جِـدَّتِـهِ وَالعُمْـرُ مـن فضـةٍ والشيـبُ مِـنْ خَبَـثِ

[بعض ما قالوه في الخِضَاب]

في ذكر الخضاب: الخضاب أحدُ الشبابين.

عبدان الأصبهاني:

فـــي مَشيبـــي شمَـــاتـــةٌ لِعُـــدَاتـــي وَهـــو نـــاعٍ مُنغِّـــصٌ لـــي حيـــاتـــي
وَيعيـــبُ الخِضـــابَ قَـــوْمٌ، وفيـــهِ لِـــيَ أنـــسٌ إلـــى حُضـــورِ وَفـــاتـــي
لا ومَـــنْ يَعْلَـــمُ الســـرائـــرَ إنـــي مـــا تَطلبـــتُ خُلَّـــةَ الغـــانيـــاتِ[٢]
إنَّمـــا رُمْـــتُ أَنْ يُغَيَّـــبَ عَنِّـــي مـــا تُـــرِينِيـــه كُـــلَّ يـــومٍ مِـــرَاتـــي[٣]
وَهـــو نـــاعٍ إلـــيَّ نَفْســـي، ومَـــنْ ذا سَـــرّهُ أنْ يَـــرى وُجُـــوهَ النُّعَـــاةِ؟

(١) الفذالك: جمع فذلكة، وهي جملة الحساب.
(٢) الخُلَّةُ: الخصلة.
(٣) مِراتي: مرآتي.

ابن المعتز[١]:

رَأَتْ شَيْبَةً قد كُنتُ أَغفلتُ قَصَّها ... وَلم تَتعهَّدْها أَكُفّ الْخَواضبِ[٢]

فَقالتْ: أَشَيْبٌ ما أرى؟ قلتُ: شَامةٌ ... فَقالتْ: لقد شَانَتْكَ عِنْدَ الحبائبِ[٣]

الأمير أبو الفضل الميكالي:

قَدْ أَبَى لي خِضَابَ شَيْبي فُؤادٌ ... فيهِ وَجْدٌ بِكَتْمِ سِرِّي وَلُوعُ

خَافَ أَنْ يُحْدِثَ الخِضابُ نُصُولاً ... وَنُصُولُ الخِضاب شيءٌ بَدِيعُ

وقالوا: الخضاب من شهود الزور، والخضاب حدادُ المشيب، [إن خضب الشعرُ] فكيف يخضب الكِبَرَ. الخضاب كفنُ الشيب.

ابن الرومي[٤]:

لَيْسَ تُغْني شهادةُ الشَّعَر الأَسْـ ... ـودِ شيئاً إذا اسْتَشَنَّ الأديمُ[٥]

أفيرجو مُسَوّدٌ أَنْ يُزَكَّى ... شاهدُ الخضب؟ أين ضلَّ الحليمُ[٦]؟!

لا لَعَمْري ما لِلْخِضَابِ لَدَى الأبـ ... ـصارِ إلَّا التكذيبُ والتأثيمُ[٧]

يَدَّعي لِلكبيرِ شَرْخَ شبابٍ ... قَدْ تَوَلّى به الشبابُ القديمُ[٨]

وَالسَّوادُ الدَّعِيُّ أَوْجَبُ تَكذيـ ... ـباً إذا كُذِّبَ السَّوادُ الصَّميمُ[٩]

---

(١) ابن المعتز، الديوان: ص ١٠١.

(٢) في الديوان:
رَأَتْ طَالِعاً لِلشَّيْبِ أَغْفَلْتُ أَمْرَهُ ... وَلَمْ تَتعهّدهُ أَكُفُّ الخَواضِبِ

(٣) شانتك: خذلتك وأظهرت عيوبك.

(٤) ابن الرومي، الديوان: ٦/ ١٧٠.

(٥) في الديوان: «ليس تُغني الشعر الأسود شيئاً». واستشنَّ الأديم: تغضّن عند الهرم، يبس وتقبَّض.

(٦) في الديوان: «شاهدُ الخطرِ».

(٧) أي: أن الخضاب لا يجلب لصاحبه إلَّا التكذيب والتأثيم.

(٨) في الديوان: «قد تولَّى به الزمان البهيمُ».

(٩) في الديوان: «والسواد المخضوبُ أوجب تكذيباً».

وله أيضاً في هذا المعنى[١]:

كَمَا لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نُحِيلَ شبابنا مَشيباً ولم يَأْتِ المشيبُ تَعذَّرا[٢]
كَذلِكَ يُعْنِينا إحالةُ شَيْبِنَا شَباباً إذا ثَوْبُ الشبابِ تَحسَّرا[٣]
أَبى اللَّه تَدبيرِ ابنِ آدمَ نَفْسَهُ وأنّى يكونُ العَبْدُ إلاَّ مُدَبَّرا

وقال[٤]:

قُلْ لِلمسوِّدِ حينَ شَيَّبَ: هكذا غِشُّ الغَوَانِي في الهَوَى إيّاكا
كَذَبَ الغوانِيَ في سَوَادِ عِذارِهِ فَكَذبْنَهُ في وِدِّهِنَّ كَذَاكا
هَيهاتَ غَرّكَ أنْ يُقَالَ غرائرٌ أيّ الدواهي غَيرهنّ دَهَاكا[٥]
لا تَحْسَبنَّ خَدَعْتَهُنّ بحيلةٍ بل أَنْتَ وَيْحَكَ خَادَعَتْكَ مُنَاكا[٦]؟

وقال أبو الطيب المتنبي[٧]:

ومِنْ هَوَى كلِّ مَنْ لَيستْ مُمَوِّهَةً تَركْتُ لَوْنَ مَشِيبِي غَيْرَ مَخْضُوبِ[٨]
وَمِنْ هَوَى الصدقِ في قولِي وَعادتِه رَغِبْتُ عن شَعَرٍ في الوجهِ مَكْذُوبِ[٩]
لَيتَ الحوادثَ بَاعَتْنِي الذي أخذَتْ مني بِحِلْمِي الذي أعْطَتْ وَتَجْرِيبِي[١٠]

(١) ابن الرومي، الديوان: ٣/ ٢٠٥.
(٢) في الديوان: «ولم يأن المشيبُ».
(٣) في الديوان: «كذلك تُعْيِينا إحالةُ شَيْبِنا».
(٤) ابن الرومي، الديوان: ٥/ ٣٩.
(٥) في الديوان: «أَيُّ الدهاة كَدهْيهِنَّ دَهاكا».
(٦) في الديوان: «لا تَحْسَبنْكَ خدعتهنَّ بخُدعةٍ».
(٧) المتنبي، الديوان: ٢/ ٢٥٣. والأبيات من قصيدة قالها في مدح كافور الإخشيدي بمصر.
(٨) التمويه في الأصل: الطلي بماء الذهب أو الفضة، ثم استعمل بمعنى التزوير والتزيين. يقول: لأجل حبي كلّ امرأةٍ لا تموه حسنها تركت بياض شيبي بغير خضاب، لأن الخضاب تمويه أيضاً.
(٩) في الديوان: «رغبت عن شعر في الرأس مكذوب».
(١٠) الحلم: العقل والأناة. يريد أن الحوادث أخذت شبابه وأعطته الحلم والتجربة، ثم يتمنى لو باعته الذي أخذت بالذي أعطت، أي لو ردَّت عليه الشباب واستردّت الحلم.

فمـا الحَـدَاثَـةُ مِـنْ حِلْـمٍ بمـانعـةٍ قَدْ يُوجَدُ الحِلْمُ في الشبَّانِ وَالشِّيبِ(١)

غيره:

يـا خَـاضِبَ الشيبِ بـالحنَّاءِ يَسْتُرهُ سَـلِ الإلـٰـهَ لـه سِتْـراً مِـنَ النـارِ

وقد سلك أبو القاسم مسلكاً طريفاً في قوله:

أَفْـدِي المُغَـاضِبـةَ التـي أتبَعْتُهَـا نَفَسـاً يُشَيّـعُ عِيسَهَـا إذْ آبـا(٢)
وَالله لـولا أَنْ يُسَفِّهنـي الصِّبَـا وَيَقُـولَ بَعْـضُ القـائليـنَ تَصَـابَـى
لَكَسَـرْتُ دُمْلُجَهَـا لِضِيـقِ عِنَـاقِـهِ وَلَثَمْـتُ مـن فِيهَـا البَـرُودِ رُضَـابـا(٣)
بِنْتُـم فلـولا أَنْ أُغَيِّـر لِمَّتـي عَتَبـاً وألقـاكـم علـيَّ غِضَـابـا
لَخضبـت شَيْبـاً فـي عِـذَاري كـامِنـاً وَمَحَـوْتُ مَحْـوَ النِّقْـسِ مِنْـهُ شَبـابـا(٤)
وَخَلعتـهُ خَلْـعَ النجـادِ مُـذمَّمـاً وَاعْتَضْـتُ مِـنْ جِلْبـابـه جِلْبَـابَـا(٥)
وَلبسـتُ مُبْيَـضَّ الحِـدَاد عليكـمُ لـو أَنَّنـي أَجِـدُ البيـاضَ خِضَـابـا
وَإذا أردتَ إلـى المشيـب وِفـادةً فَـاجْعَـلْ إليـهِ مَطِيّـكَ الأَحْقَـابَـا(٦)
فَلتـأخـذنَّ مِـنَ الـزَّمـانِ حَمـامَـةً وَلتـدفعـنَّ إلـى الـزمـانِ غُـرَابـا
مـاذا أَقـولُ لِـرَيْـبِ دَهْـرٍ خـائـنٍ جَمَـعَ العِـدَاةَ وفَـرَّق الأَحْبَـابـا

[الوليد بن يزيد وقد غلبت عليه لذاته]

وقيل للوليد بن يزيد بن عبد الملك لَمَّا غلبت عليه لذَّاته، وملكته شهواته: يا أَمير المؤمنين؛ إن الرعية ضاعت بتضييعك أَمْرَها، وتركك ما يجب عليك من مصلحتها. فقال:

---

(١) يقول: حداثة السن لا تمنع من وجود الحلم، فإن المرء قد يكون حليماً في الشباب، كما يكون حليماً في المشيب.
(٢) العيسُ: جمع أعيس، وهو من الإبل: الذي يخالط بياضه شقرة، وقيل: هو الكريم منها.
(٣) الدملج والدملوج: سوار يحيط بالعضد. والرضاب: ماء الفم، الريق.
(٤) النِّقْسُ: المدادُ يُكْتَبُ به.
(٥) النِّجادُ: حمائل السيف.
(٦) الأحقاب: جمع حُقْب، وهي المدة الطويلة من الدهر لا وقت لها. والأحقاب: جمع حَقَب: الحزام الذي يلي حَقْوَ البعير.

ما الذي أَغفلناه من واجب حقّها، وأسقطناه من مفروض ذمامها؟ أَمَا كَرمُنا دائم، ومعروفُنا شامل، وسلطانُنا قائم؛ وإنما لنا ما نحن فيه، بُسِط لنا في النعمة، ومُكِّن لَنا في المكرمة، وأذلت لنا الأمة، ومُدَّ لنا في الحُرمة، فإن تركتُ ما به وسع، وامتنعت عما به أنعم، كنت أنا المزيل لنعمتي بما لا ينال الرعيةَ ضره، ولا يؤُودُهم ثِقْله(1). يا حاجب لا تَأْذَنْ لأحد في الكلام.

وقال عمرو بن عتبة للوليد بن يزيد، وكان خاصاً به: يا أَمير المؤمنين؛ أنطقتني بالأُنْس، وأنا أَسكت بالهَيْبة، وأَراك تأمرنا بأَشياء أنا أَخافُها عليك، أفأَسكت مطيعاً أم أَقُولُ مشفقاً؟ قال: كلٌّ مقبولٌ منك، معلوم فيه ثقتك؛ ولله فينا عِلْمُ غيب نحن صائرون إليه! وتعود فتقول. فقتل الوليد بعد ذلك بشهر.

[بين الحجّاج وأهل العراق]

وقال عبد الملك بن مَرْوان للحجاج: إني استعملتك على العراق، فاخْرُج إليها كَمِيش الإزار(2)، شديد الغِرَار، قَلِيل العثار، مُنْطَوي الخصيلة، قَلِيل الثميلة(3)، غرار النوم، طويل اليوم، واضغط الكوفة ضَغْطة تَحْبِق منها البصرة.

وشكا الحجّاجُ يوماً سوءَ طاعةِ أهل العراق، وسقم مذهبهم، وسخط طريقتهم، فقال له جامع المحاربي: أَما إنهم لو أَحبوك لأطاعوك، على أنّهم ما شنِئُوك لبلدك، ولا لذاتِ يَدِك، إلاَّ لِمَا نَقَمُوه من أفعالك؛ فدَعْ ما يُبْعِدهم عنك إلى ما يُدْنيهم منك، والتمس العافيةَ ممن دونك تُعْطَها ممن فوقك، وليكن إيقاعُك بعد وعيدك، ووعيدُك بعد وَعْدِك ثلاثاً.

فقال له الحجاجُ: والله ما أَرى أن أردّ بني اللَّخناء(4) إلى طاعتي إلاَّ بالسيف. فقال جامع: أيها الأمير؛ إنّ السيف إذا لاقى السيفَ ذهب الخيارُ. قال الحجاج: الخيارُ يومئذ لله. قال جامع: أجل، ولكن لا ندري لمن يجعله الله. فغضب الحجاج وقال: يا هَنَاه؛ إنك من محارب، فقال جامع:

---

(١) لا يؤودهم: لا يثقلهم ولا يعجزهم.

(٢) كميش الإزار: مُشَمِّراً، وهو كناية عن الجدّ.

(٣) الخصيلة: كل لحمة فيها عصب، يقال: ارتعدت فرائصه واضطربت خصائله، يريدون: اشتد خوفه. والثميلة: بقية الطعام في البطن.

(٤) اللخناء: يقال لخن الرجل ولخنت المرأة: أنتنت أرفاغهما، والأرفاغ: المواطن التي يجتمع فيها الوسخ من البدن. وألخن الرجل: قَبُحَ كلامه، فهو ألخن، وهي لخناء.

وَلِلحَرْبِ سُمِّينا وَكُنّا مُحارِباً إذا ما القَنا أَمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أحمرا

فقال له الحجاج: والله لقد هَمِمْتُ أَن أَخْلع لسانك، فأَضربَ به وجهك. فقال جامع: إن صَدقناك أغضبناك، وإن كذَبناك أغضبْنَا الله. فقال الحجاج: أجل، وسكن سلطانه، وشغل ببعض الأمر، وخرج جامع وانسلَّ من صفوف الناس، وانحاز إلى جبل العراق.

[جامع المحاربي]

وكان جامع لَسِناً مُفَوَّهاً، وهو الذي يقولُ للحجّاج حين بنى واسطاً: بَنَيْتَها في غير بَلدك، وأَورثتَها غَيْرَ ولدك.

وكان الحجاجُ من الفصحاء البلغاء، ويقال: ما رُئي حَضَرِي أَفْصح من الحجاج ومن الحسن البصري. وكان يحبُّ أهل الجهارَة والبلاغة، ويؤثرهم ويقربهم.

[أيوب بن القرية]

ولما دخل أيوب بن القرِّية على الحجاج ـ وكان فيمن أُسر من أصحاب عبد الرَّحمن بن الأشعث بن قيس الكندي ـ قال له: ما أعددتَ لهذا الموقف؟ قال: ثلاثة حروف، كأنّها ركب وُقوف: دُنْيا، وآخرة، ومعروف.

فقال له الحجاج: بئسما مَنَّيْتَ به نفسك يا بْنَ القريّة، أتراني ممن تخدعُه بكلامك وخُطبك؟ والله لأنت أقربُ إلى الآخرة من موضع نَعْلي هذا.

قال: أَقِلْني عَثْرتي، وأَسِغْني رِيقي، فإنّه لا بدّ للجواد من كَبْوة، والسيف من نَبْوَة، والحليم من صَبْوَة.

قال: أنت إلى القبر أقربُ منك إلى العفو، ألستَ القائل وأنت تحرّض حِزْبَ الشيطان، وعدوّ الرحمن: تغدّوا بالحجاج قبل أن يتعشّى بكم! وقد رُويت هذه اللفظة للغضبان بن القبعثري. ثم قدمه فضرب عنقه.

قال الخُرَيْمي لأبي دلف وأخذه من قول ابن القرّية:

لَهُ كَلِمٌ فِيكَ مَعْقولَةٌ إزاءَ القلوبِ كَرَكْبٍ وُقُوفْ

[كثير بن أبي كثير]

وبعث الحجاجُ إلى عامله بالبصرة: اخْتَرْ لِي عشرة من عندك، فاختار رجالاً فيهم كثير بن أبي كثير، وكان عربيًّا فصيحاً، فقال كثير: ما أراني أفْلِتُ من يد الحجاج إلاَّ باللَّحْن، فلما دخلنا عليه دعاني فقال: ما اسمُك؛ فقلت: كثير. قال: ابن مَنْ؟ فقلت في نفسي: إن قلت ابن أبي كثير لم آمن أن يتجاوَزَها، قلت: ابن أبا كثير، فقال: اعزب[١] لعنك الله ولعن مَنْ بعث معك!!

[من قولهم في المديح]

وقال النابغة الذبياني يمدحُ آل جَفْنَة[٢]:

وَلله عَيْنَا من رأى أَهْلَ قُبَّةٍ ... أَضرَّ بمن عادى وأَكثر نافعا

وأَعْظَم أحلاماً وأكثر سيّداً ... وأفضلَ مَشْفُوعاً إليه وشَافِعا

مَتى تَلْقَهُم لا تَلْقَ للبيتِ عورةً ... فلا الضيفَ ممنوعا ولا الجارَ ضَائِعا[٣]

وأنشد محمّد بن سلام الجمحي[٤] للنابغة الجعدي[٥]:

فَتىً كَمُلَتْ أخلاقُهُ غَيْرَ أنّهُ ... جَوادٌ فما يُبْقي مِنَ المالِ باقيا[٦]

فَتىً تَمّ فيه ما يَسُرُّ صديقَهُ ... على أنَّ فيه ما يَسُوءُ الأعاديا

---

(١) عَزَبَ الشيءُ عُزُوباً: بَعُدَ وخفي.

(٢) لم نجد البيتين الأول والثاني في ديوانه، وورد البيت الثالث مفرداً.

(٣) في الديوان: (١٢٩): «ولا الجارَ محروماً ولا الأمر ضائعاً». والعورة: كل ما يُسْتَحيا منه.

(٤) هو أبو عبد اللَّه، محمد بن سَلَّام بن عُبيد اللَّه بن سالم البصري، الجمحي: أديب، لغوي، أخباري، راوية، حافظ. قدم بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته سنة ٢٣١ هـ/ ٨٤٦ م. من آثاره: «طبقات الشعراء» و«بيوتات العرب»، و«غريب القرآن». (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٣٢٧/٥؛ كحالة، معجم المؤلفين: ١٠/ ٤١).

(٥) هو أبو ليلى، قيس بن عبد اللَّه، وقيل: حسّان بن قيس بن عبد اللَّه، من جعدة بن كعب بن ربيعة، والنابغة لقب اشتهر به: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم وشهد فتح فارس، وحارب مع علي يوم صفين، وكان مُغلَّباً إذا هوجي غُلِب. توفي نحو ٥٠ هـ/ نحو ٦٧٠ م (ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء: ١٢٣؛ الآمدي، المؤتلف والمختلف: ٢٩٣؛ المرزباني، معجم الشعراء: ١٩٥). والأبيات في ديوانه: ص ١٨٨.

(٦) وفي رواية: «فتى كملت خيراته».

[أَشَمّ طويلُ الساعدينِ شَمَرْدَلٌ ... إذا لم يَرُحْ للمجدِ أَصْبَحَ غاديا][1]

ومن حُرِّ المدح وجيّد الشعر قول الحطيئة:

تَزورُ امْرَأً يُعْطِي على الحمدِ مَالَهُ ... وَمَنْ يُعْطِ أَثْمانَ المحامِدِ يُحْمَدِ[2]
يَرَى البُخْلَ لا يُبْقِي على المرءِ مَالَهُ ... وَيَعْلَمُ أَنَّ المرءَ غَيْرُ مُخلَّدِ
كَسُوبٌ ومِتْلافٌ إذا ما سألتهُ ... تَهلَّلَ واهتزَّ اهتزازَ المُهَنَّدِ[3]
مَتَى تأتِه تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ ... تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عِنْدَها خَيْرُ مُوقِدِ[4]

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه هذا البيت فقال: ذاك رسول الله ﷺ، وقوله:

يَسُوسون أحلاماً بَعيداً أَناتُها ... وَإِنْ غَضِبوا جاءَ الحفيظةُ والجِدُّ[5]
أقِلُّوا عليهم لا أَباً لأبيكُمُ ... من اللومِ أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئك قومٌ إن بَنَوْا أَحْسَنُوا البِنا ... وَإِنْ عاهدوا أوفوا وإن عَقَدُوا شَدُّوا
وَإن كانت النعماءُ فيهم جَزَوْا بها ... وإن أنعموا لا كَدَّرُوها ولا كَدُّوا
مَطَاعِينُ في الهَيْجَا مَكَاشِيفُ لِلدُّجَى ... بَنَى لهمُ آباؤهم وَبَنَى الجَدُّ
وَتَعْذِلُني أبناءُ سَعْدٍ عليهمُ ... وَمَا قُلْتُ إلاَّ بالذي عَلِمَتْ سَعْدُ

لمنصور النمري

وقال منصور النمري:

تَرى الخيلَ يوم الحرب يَظْمَأْن تَحْتَهُ ... وَيَرْوَى القَنَا في كَفِّهِ والمَنَاصِلُ[6]
حَلالٌ لِأَطْرَافِ الأسِنَّةِ نَحْرُهُ ... حَرامٌ عليها مِنْهُ مَتْنٌ وكاهِلُ[7]

---

(١) الشمردل: الفتى الجَلْد، ومنه: جمل شمردل، وناقة شمردلة، لقوة سيرها، وفي الديوان: «أشم طويل الساعدين سميدع».
(٢) في (العمدة: ٢/١٣٧) «تزور فتًى» و«ومن يُعْطِ أثمان المكارم يُحْمَدِ».
(٣) أتلف ماله: أفناه إسرافاً. والمهند: السيف المصنوع في الهند.
(٤) عشا النار وإليها عَشْواً وَعُشُوًّا: رآها ليلاً فقصدها مستضيئاً بها.
(٥) الأناة: الحلم والوقار.
(٦) المناصل: جمع مُنْصُل، وهو السيف.
(٧) يريد أنه لا يفرّ فينال خصمه ظهره.

وقال آخر:

فَتًى دَهْرُه شَطْرَانِ فيما يَنُوبُهُ ... فَفِي بَأْسِهِ شَطْرٌ وَفِي جُودِهِ شَطْرُ

فلا مِنْ بُغَاة الخيرِ في عينهِ قَذًى ... وَلاَ مِنْ زئيرِ الحرب في أُذْنِهِ وَقْرُ

[الشراب وخطره]

وقال بعضُ الظرفاء: الشرابُ أولُ الخراب، ومِفْتَاح كلّ باب، يَمْحَق الأموال[١]، ويُذْهِبُ الجمال، ويَهْدِم المروءة، ويُوهِنُ القوة[٢]، وَيَضع الشريف، ويُهين الظريف، ويُذِلُّ العزيز، ويفلس التجار، ويَهْتِك الأستار، ويورث الشّنَار[٣].

وقال يزيد بن محمّد المهلبي[٤]:

لَعَمْرُكَ ما يُحْصَى على الكأس شَرُّها ... وَإِنْ كَانَ فيها لَذَّةٌ ورَخَاءُ

مِراراً تُريك الغَيَّ رُشْداً، وَتارةً ... تَخيّلُ أنَّ المُحسنينَ أساءوا

وَأَنَّ الصديقَ الماحِضَ الودّ مُبْغِضٌ ... وَأَنَّ مَديحَ المادحينَ هِجَاءُ

وَجَرَّبْتُ إخوانَ النبيذِ فَقَلّما ... يَدُومُ لإخوانِ النبيذِ إخاءُ

[من اعتلال الطفيليين، وحيلهم]

عُوتب طفيلي على التطفيل فقال: واللّهِ ما بُنيت المنازلُ إلاّ لِتُدْخَل، ولا نصبت الموائد إلاّ لِتُؤْكل، وإني لأجمع فيها خلالاً؛ أدخل مُجالساً، وأَقْعد مؤانساً، وأنبسط وإن كان ربُّ الدار عابساً؛ ولا أتكلّف مَغْرَماً، ولا أُنْفِقُ درهماً، ولا أتعب خادما.

وقال ابن الدراج الطفيلي لأصحابه: لا يهولنّكم إغلاقُ الباب، ولا شدّة الحجاب، وسوء الجواب، وعبوس البواب، ولا تحذير الغراب، ولا منابذة الألقاب[٥]؛ فإنَّ ذلك

(١) يمحق الأموال: يفنيها.

(٢) يوهن القوة: يضعفها.

(٣) الشَّنارُ: العار الشديد.

(٤) هو أبو خالد، يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة، من بني المهلب بن أبي صفرة: شاعر، راجز، نديم، راوية، من أهل البصرة. قدم بغداد، ونادم المتوكل العباسي، ومدحه، ورثاه بعد موته، وكان فيه اعتزاز وترفع، وتوفي ببغداد سنة ٢٥٩ هـ/ ٨٧٣ م. (الهواري، الشعر والشعراء: ص ٢٧٩).

(٥) منابذة الألقاب، كذا وردت، والصواب منابزة الألقاب (بالزاي)، من تنابز القوم بالألقاب: تعايروا وتداعوا بها.

صائر بكم إلى محمود النوال، ومُغنٍ لكم عن ذُلِّ السؤال، واحتملوا اللَّكْزَة المُوهِنة[١]، واللَّطْمَة المزمنة، في جنب الظفر بالبُغْيَة، والدرَك للأُمنية، والزَموا الطَّوْزَجَة للمعاشرين، والخِفّة للواردين والصادرين، والتملّق للمُلْهين والمطربين، والبشاشة للخادمين والموكلين؛ فإذا وصلتم إلى مُرَادكم فكلُوا محتكرين، وادّخروا لغدكم مجتهدين؛ فإنكم أحقّ بالطعام ممن دُعِي إليه، وأوْلَى به لمن وُضِعَ له، فكونوا لوقته حافظين، وفي طَلبه مُشَمّرين، واذكروا قول أبي نواس[٢]:

لِنَخْمُسَ مَالَ اللهِ مِنْ كُلِّ فاجِرٍ ... وَذِي بِطْنَةٍ للطيِّبَاتِ أَكُولِ[٣]

* * *

هذا يقوله أبو نواس في أبيات تُسْتَنْدَر كلُّها، ويستظرف جلُّهَا، وهي:

وَخَيْمَةِ نَاطُورٍ بِرَأْسِ مُنِيفَةٍ ... تَهُمُّ يَدَا مَنْ رَامَهَا بِزَلِيلِ[٤]

إذا عارضتها الشمسُ فاءت ظِلالُها ... وإن وَاجهَتْها آذَنَتْ بِدُخُولِ[٥]

حَطَطْنَا بها الأثقالَ فَلَّ هَجيرةٍ ... عَبُورِيَّةٍ تُذْكي بِغَيْرِ فَتِيلِ[٦]

تأَنَّتِ قليلاً ثم فاءَتْ بِمَذْقَةٍ ... من الظلِّ في رثِّ الإناء ضَئيلِ[٧]

كأنَّا لَدَيْها بين عِطْفَيْ نَعَامةٍ ... جَفَا زَوْرُها عن مَبْرَكٍ ومَقِيلِ[٨]

حَلَبْتُ لأصحابي بها دِرَّةَ الصِّبا ... بِصَفْراءَ من ماءِ الكروم شَمُولِ[٩]

---

(١) اللكزة: الضربة. والمُوهنة: المُضعفة.

(٢) أبو نواس، الديوان: ص ١٦.

(٣) لِنَخْمسَ مال الله: لِنَأْخُذَ خُمْسَهُ. والبطنة: امتلاء البطن.

(٤) الناطور: حارس الزرع. المنيفة: العالية. والزليل: الانزلاق.

(٥) عارضتها الشمس: جاءت من عرض، وواجهتها: جاءت من أمام.

(٦) فلّ هجيرة: يقال: قوم فلّ: منهزمون، والمراد أنهم مجهدون من حرّ الهجيرة. عبورية: نسبة إلى الشعرى العبور، وطلوعها أشد الحرّ.

(٧) في الديوان: «تأيت قليلاً»، وتأيت: تأنت. وفي الديوان: «في رث الأَباءِ ضئيلِ» ورث الأباء: بالِي القصب، وهو كل نبات ذي أنابيب. والمذقة: القطعة.

(٨) عِطفا النعامة: جانباها. الزَّوْرُ: وسط الصدر، أو ما ارتفع منه إلى الكتفين. والمبرك: مكان البروك. والمقيل: اسم مكان من القيلولة، وهي نصف النهار.

(٩) درة الصِّبا: الدِّرَّةُ: اللبن، كأنه يريد أن يقول: إن الخمر لبن الشباب وشرابه، وعليها غذاؤه، وبها حياته كاللبن للرضيع.

إذا ما أَتَتْ دون اللّهَاةِ من الفتى — دعا همُّهُ مِنْ صَدْرِه بِرَحِيلِ[(١)]
فلما توافَى الليلُ جُنْحاً من الدُّجَى — تصابَيْتُ واستجملتُ غيرَ جميلِ[(٢)]
وأعطيتُ مَنْ أهوى الحديثَ كما بَدَا — وَذلّلتُ صَعْباً كان غَيْرَ ذَلُولِ[(٣)]
فَغَنَّى وَقَدْ وَسَّدْتُ يُسْرَايَ خَدَّهُ — أَلا رُبَّمَا طَالَبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ[(٤)]
فَأَنزلتُ حاجاتِي بِحقوَيْ مُسَاعدي — وَإنْ كانَ أدنى صَاحِبٍ وَخَليلِ[(٥)]
فَأَصْبَحْتُ أَلْحَى السكرَ وَالسكرُ مُحْسِنٌ — أَلَا رُبَّ إحسانٍ عَلَيْكَ ثَقيلِ[(٦)]
كَفَى حَزَناً أنّ الجوادَ مُقتَّرٌ — عليهِ، ولا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخيلِ[(٧)]
سَأبغي الغِنَى إما وزيرَ خليفةٍ — يَقومُ سواءً أو مُخيفَ سبيلِ[(٨)]
بِكُلِّ فَتَى لا يُستَطَارُ فؤادهُ — إذا نَوَّه الزَّحْفَانِ باسم قتيلِ[(٩)]
لِنَخْمِسَ مالَ اللَّهِ من كل فَاجرٍ — وَذِي بِطنَةٍ للطيباتِ أَكُولِ
أَلم تر أنّ المال عَوْنٌ على التقى — وَلَيْسَ جَوَادٌ مُعْدِمٌ كَبَخِيلِ[(١٠)]

ألفاظ لأهل العصر في صفة الطفيليين والأكلة وغيرهم

شيطانُ مَعدته رَجيم، وسلطانها ظَلُوم. هو آكَلُ من النار، وأشْرَبُ من الرمل. لو أكل

---

(١) اللهاة: لحمة مشرفة على الحلق من آخر اللسان. يقول: إن هَمَّهُ أَنْ يرحل قبل أن تصل الخمر إلى لهاته.
(٢) في الديوان: «تَوفَّى الليل» أي استوفى. الجنح من الدجى: الطائفة منه.
(٣) في الديوان: «وعاطيتُ»، و«كان غير ذليلِ». وعاطيت: ناولت، من المعاطاة: المناولة. كما بدا: أي من غير تنميق ولا إعداد.
(٤) وَسَّدْتُ يُسْرَايَ خدَّهُ: جعلتها وسادة له.
(٥) حقوي: مثنى حقو، وهو الكشح ومعقد الإزار. أدنى: أقرب. والدخيل: الصديق الذي يداخلك في أمورك، ويطلع على بواطنك.
(٦) ألحى: ألومُ، أذمّ، أَقبّحُ.
(٧) لم يرد، هذا البيت في رواية الديوان.
(٨) في الديوان: «إما نديم خليفةٍ». سأبغي: سأطلب. سواء: عدلاً ووسطاً. مخيف سبيل: قاطع طريق.
(٩) في الديوان: «لا يستطار جَنَانُهُ». الجنان: القلب، ولا يستطار جنانه: لا يُذْعَرُ قلبه. نَوَّه: دعا.
(١٠) عون: معين. معدم: فقير. وقد أخذ الشريف الرضي هذا المعنى فقال:
قَدْ يَبْلُغُ الرَّجُلُ الجَبَانُ بِمالِهِ — ما لَيْسَ يَبْلُغُهُ الشُّجاعُ المُعْدِمُ

الفيلَ ما كفَاه، ولو شرب النيلَ ما أَرْوَاه، يجوبُ البلاد، حتى يقع على جَفْنَة جَوَاد. يرى ركوبَ البريد، في حضور الثّريد[١]. أصابعه ألزم للشِّواء، من سَفُّود الشَّوّاء[٢]، وأنامله كالشبكة، في صيد السمكة. هو أَجْوَعُ من ذئب مُعْتَس بين أَعاريب. العيون قد تقلّبت، والأكباد قد تلهبت، والأفواه قد تحلبت. امتدت إلى الخوان الأعناق، [واحتدت نحوه الأحداق]، وتحلّبت له الأشداق.

[وصف طائر]

سأل المهدي صباح بن خاقان عن طائر له جاء من آفاق الغابة فقال:

يا أَمير المؤمنين، لو لم يَبِنْ بحسن الصفة لَبَانَ بحسن الصورة. قال: صِفْه لي. قال: نعم، يا أَمير المؤمنين، قُدَّ قَدَّ الْجَلَم[٣]، وقوِّم تقويم القلَم، ينظر من جَمْرَتين، ويلفظ بلؤلؤتين، ويمشي على عقيقتين، تكفيه الحبَّة، وترويه الغُبَّة[٤]، إن كان في قفص قَلَقه، أو تحت ثوب خرقه، إذا أقبل فَدَيْنَاه، وإذا أدبر حميناه.

[أحظى النساء عند المهدي]

ودخل عبدُ اللَّه بن مصعب الزبيري على المهدي، فقال: ويحك يا زبيري؛ دَخَلْتُ على الخيزران، فلما قامت لِتُصْلِح من شأنها نظرتُ إلى حُسْنَةَ! فقلت: يا أَمير المؤمنين؛ أدركك في ذلك ما أدرك المخزومي حيث قال:

بينما نَحْنُ بالبَلاَكِثِ بالْقا ... عِ سِرَاعا والعِيسُ تَهْوي هُوِيّا

خَطَرتْ خَطْرَةٌ على القلبِ مِن ذِكْـ ... ـرَاكِ وَهْناً فما اسْتَطَعْتَ مُضِيّا[٥]

قُلْتُ: لَبيك إذ دعاني لك الشَّوْ ... قُ وَللحادِيَيْنِ كُرّا المَطِيّا

فأمر فَرُفِعَت الستور عن حُسْنة.

---

(١) الثريد: ما يُثْرَدُ من الخبز، وقد ثرد الخُبْزَ: فَتَّهُ ثم بَلَّهُ بِمَرَقٍ.
(٢) السَّفُّودُ: عود من حديد ينظم فيه اللحم لِيُشْوَى.
(٣) الجَلَمُ: المقصّ.
(٤) الغُبَّةُ: البُلْغَةُ من العيش، وقد غَبَّت الماشية في الوِرْدِ: شربت يوماً وتركت يوماً.
(٥) الوَهْنُ: نحو نصف الليل، أَو بعد ساعةٍ منه، وقيل: الضعف وذبول الحيوية.

ثم قال لي: يا زبيري، واسوأتاه من الخيزران! ثم انثنى راجعاً إليها فقلت: يا أمير المؤمنين، أدركك في هذا ما أدرك جميلاً[١] حيث يقول:

وَأَنْتِ التي حَبَّبْتِ شَغْباً إلى بَداً ... إليَّ وأوطاني بلادٌ سِواهُما[٢]

حَلَلْتِ بهذا حَلَّةً ثم حَلَّةً ... بِهذا فطابَ الوادِيانِ كِلاهُمَا

فدخل على الخيزران، فما لبث أَنْ خرج؛ قال الزبيري: فدخلت، فقال أنشدني فأنشدته لصخر بن الجعد[٣]:

هَنيئاً لِكأْسٍ جَذّهَا الحبلَ بَعْدَما ... عَقَدنا لِكَأْسٍ مَوْثِقاً لا نَخُونُها[٤]

وإشماتُها الأَعْدَاءَ لما تألَّبُوا ... حَواليَّ واشْتَدَّتْ عَلَيَّ ضُغُونُها[٥]

فَإِنْ تُصْبحي وَكَّلْتِ عَيْنَيَّ بِالبكا ... وَأَشْمَتِّ أعدائي فَقَرَّت عُيُونُها

فإنَّ حَراماً أَنْ أَخُونَكِ ما دَعَا ... بِيَلِيَلَ قُمْرِيُّ الحمامِ وَجُونُها[٦]

وَمَا طَرِدَ الليلُ النهارَ، وَمَا دَعَتْ ... على فَنَنٍ وَرْقَاءُ شاكٍ رَنِينُها[٧]

فأمر لي على كل بيت بألف دينار، وكانت الخيزران وحسنة أَحظى النساء عند المهدي.

[وصف غلام]

ووصف اليوسفي غلاماً فقال: كان يعرفُ المراد باللَّحْظ، كما يعرفه باللَّفظ، ويُعَايِنُ

---

(١) أراد جميل بن معمر العذري المعروف بجميل بثينة، ويروى البيتان لكثير بن عبد الرحمٰن المعروف بكثير عزّة.

(٢) الشَّغْبُ: الجلبة والخصام، وتهييج الشر والفتن.

(٣) هو صخر بن الجَعْد الخُضْرِيّ المُحاربيّ: شاعر فصيح، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ويعرف بحبه لكأس بنت بجير بن جندب. توفي نحو ١٤٠ هـ/ نحو ٧٥٧ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٢٢/٣٨ ـ ٤٩).

(٤) الحبل هنا: حبل المودة. والموثق والميثاق: العهد. والجَذُّ: القطع. وفي الأغاني: «قَطْعُهَا الحَبْلَ».

(٥) تألب الأعداء: تضافروا وتناصروا. والضغون: الأحقاد.

(٦) يليل: اسم موضع. القُمْرِيّ: طائر يشبه الحمام القمر البيض، والقمرية: ضرب من الحمام. والجون: الأسود.

(٧) الفنن: الغصن.

في الناظر، ما يجري في الخاطر، أقرب إلى داعيه، من يد مُعَاطِيهِ؛ حديدُ الذهن، ثاقبُ الفهم، خفيفُ الجسم، يُغنيك عن الملامة، ولا يحوجك إلى استزادة.

وقال أبو نواس:

وَمُنْتَظِرٍ رَجْعَ الحديثِ بِطَرْفِهِ إذا ما انثنى مِنْ لينِهِ فَضَحَ الغُصْنا
إذا جعلَ اللّحْظَ الخفيّ كلامَهُ جَعلْتُ لَهُ عَيْنِي لِتَفْهَمَهُ أُذْنا

وقال:

وَإني لِطَرْفِ العَيْن بالعَيْنِ زَاجِرٌ فَقَدْ كِدْتُ لا يَخْفَى عليَّ ضَميرُ

وقد طرق هذا المعنى وإن لم يكن منه [من قال]:

بَلَوْتُ أخِلاَّءَ هذا الزمانِ فَأَقْلَلْتُ بالهَجْرِ منهم نَصِيبي
وَكُلُّهُمُ إنْ تَصفَّحتَهُ صَديقُ العِيَان عَدُوُّ المغيبِ
تَفَقَّدْ مَساقِطَ لَحْظِ المُريبِ فَإنَّ العُيُونَ وُجوهُ القلوبِ

وهو كقول المهدي:

وَمطّلعٍ مِنْ نَفْسِهِ ما يَسُرُّهُ عليهِ مِنَ اللحظِ الخفيِّ دليلُ
إذا القلبُ لم يُبْدِ الذي في ضَميرِهِ فَفِي اللَّحْظِ والألفاظ مِنْهُ رَسُولُ

[بين خالد بن صفوان وعلي بن الجهم]

ودخل خالد بن صَفْوَان عَلَى عليّ بن الجهم بن أبي حذيفة فألفاه يريد الركوب فَقُرِّب إليه حمار ليركبه، فقال خالد: أما علمت أن العَيْر[١] عار، والحِمار شَنار، مُنْكَر الصوت، قبيح الفَوْت، مُتزّلج في الضَّحْل[٢]، مرتطم في الوحل، ليس بركوبة فحل، ولا بمطية رَحْل، راكبهُ مقرف[٣]، ومسايره مشرف.

فاستوحش ابن أبي حذيفة من ركوب الحمار ونزل عنه، وركب فرساً ودُفع الحمار

(١) العَيْرُ: الحمار.
(٢) الضحل: الماء القليل على الأرض لا عمق فيه.
(٣) مُقْرَفٌ: مُعَرَّضٌ للتهمة.

إلى خالد فركبه، فقال له: ويحك يا خالد! أتَنْهى عن شيء وتأتي مثله؟ فقال: أصلحك الله! عَيْرٌ من بنات الكُرْبال[١]، واضح السربال، مختلج القوائم، يحمل الرَّجْلة[٢]، ويبلغ العقبة، ويمنعني أن أكونَ جباراً عنيداً، إن لم أعترف بمكاني فقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين.

[كَرُّ الحدثان]

قال ابن دأب: خرجت مع بعض الأمراء في سفر إلى الشام، فمرَّ بي رجل كنت أعرفه حَسَنَ الحالِ من أصحاب الأموال الظاهرة في حال رثّة، فسلّم عليّ فقلت: ما الذي غيَّر حالك؟ فقال: تنقلُ الزمان، وكَرُّ الحدثان؛ فآثرت الضَّرْب في البُلْدَان، والبُعْد عن المعارف والخُلاّنِ، وقد كان الأمير الذي أنت معه صديقاً لي فاخترت البُعْدَ من الأشكال، حين حَصَّني الإقلال[٣]، واستعملت قول الشاعر:

سَأُعْمِل نَصَّ العِيسِ حتى يَكُفَّني ... غِنى المَالِ يوماً أو غِنَى الحدَثَانِ[٤]
فَلَلْمَوْتُ خيرٌ من حياة يُرى لهَا ... على المرءِ ذي العلياء مَسُّ هَوَانِ
مَتى يَتكلَّمْ يُلْغَ حُكمُ كلامِهِ ... وإنْ لم يَقُلْ قالوا عَدِيمُ بيَانِ
كأنّ الفتى في أهلِهِ بُورِكَ الفتى ... بِغَيْرِ لسانٍ ناطقٍ بلسانِ

قال ابن دَأْب: فلما اجتمَعْتُ مع الأمير في المنزل وصفت له الرجل، فقال لي: ويحك! اطلبه حتى أُصْلح من حاله، فطلبته فأَعْوَزَني.

[من قولهم في الرثاء]

لأبي الشيص

وقال أبو الشيص[٥] يرثي [قتيلاً]:

---

(١) الكُرْبَالُ: كورة من كور فارس.
(٢) الرَّجْلَةُ والرِّجَالُ: جمع رَجُل.
(٣) حَصَّني: قَصَّ جناحي. والإقلال: الفقر.
(٤) النَّصُّ من الشيء: منتهاه، ومبلغ أقصاه، ويقال: بلغنا من الأمر نَصَّه: شِدّته. وقد نصّ الدابة: استحثّها شديداً، أي سيَّرها أكثر ما تستطيع من السير.
(٥) هو أبو جعفر، محمد بن عبد اللّه بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي، ويلقب بأبي الشيص: شاعر مطبوع، سريع الخاطر، رقيق الألفاظ، وهو ابن عم دعبل الخزاعي الشاعر المشهور. قتله =

خَتَلَتْــهُ المنــونُ بَعْــدَ اختيــالٍ بَيْــنَ صَفَّيْــنِ مِــنْ قَنــاً وَنِصَــالِ[١]
فــي رِداءٍ مــن الصفيــحِ صَقِيــلٍ وَقميــصٍ مــن الحــديــدِ مُــذَالِ[٢]

لحارثة بن بدر الغداني

وقال حارثة بن بدر الغُداني يرثي زياداً[٣]:

صَلَّــى الإلٰــهُ علــى قَبْــرٍ وطَهّــرهُ عنــد الثُّــوِيَّــةِ يسفــي فَــوْقَــهُ المُــورُ[٤]
تَهْــدِي إليــه قــريــشٌ نَعْــشَ سَيِّــدهــا فَثَــمَّ حَــلَّ النــدى والعــزُّ والخِيــرُ[٥]
أبــا المغيــرة والــدنيــا مُفَجّعــةٌ وإنَّ مَــنْ غَــرَّت الــدنيــا لَمَغْــرُورُ
قَــدْ كــانَ عِنْــدَكَ لِلمعــروفِ عَــارِفَــةٌ وَكَــان عِنْــدكَ لِلنَّكْــرَاء تَنْكِيــرُ
وَكُنْــتَ تُغْشَــى فَتُعْطِــي المــالَ مــن سَعَــةٍ فــالآنَ بــابُــكَ أمســى وَهْــوَ مَهْجــورُ
وَلاَ تليــنُ إذا عُــوشِــرْتَ مُعْتَسِــراً وَكــانَ أَمْــرَك مــا يُــوسِــرْتَ مَيْسُــورُ
لــم يَعْــرِف النــاسُ مــذ غُيِّبْــتَ فِتْيَتَهــم وَلــمْ يُجَــلِّ ظَــلامــاً عَنْهُــمُ نــورُ
فــالنَّــاسُ بَعْــدَكَ قــد خَفَّــت حُلُــومُهُــمُ كــأنمــا نَفَّخَــتْ فيهــا الأعَــاصِيــرُ

أخذ هذا البيت من قول مهلهل بن ربيعة في أخيه كليب، وكان إذا انتدى[٦] لم تحلّ حَبْوَته[٧]، ولم ينطق أحد إلاَّ مجيباً له، إجلالاً ومهابة:

أُنْبِئْــتُ أنَّ النَّــارَ بَعْــدَكَ أُوقِــدَتْ وَاسْتَــبَّ بعــدك يــا كُلَيــبُ المجلــسُ
وَتحــدّثــوا فــي أمــرِ كُــلِّ عَظيمــةٍ لَــوْ كُنْــتَ حَــاضِــرَ أَمْــرِهــم لــم يَنْبِسُــوا

= بعض غلمانه وهو سكران سنة ١٩٦ هـ/ ٨١١ م. (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٧٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ١٠/ ٢٤٩).

(١) ختلته: خدعته عن غفلة.
(٢) رداء من الصفيح: أراد السيف، وقميص من الحديد: أراد الدرع. ومذال: طويل.
(٣) يريد أبا المغيرة زياد بن أبيه والي العراق في عهد معاوية بن أبي سفيان.
(٤) يسفى: يثور. المور: التراب. والثُّوِيَّةُ: موضع من الكوفة.
(٥) الخِيرُ: الشرف والكرم.
(٦) انتدى: جلس في النادي، وهو مجتمع القوم للسمر والمشورة.
(٧) الحَبْوة: الاحتباء، يقال: حلَّ فلان حبوته، والحبوة: ما يحتبى به من ثوب وغيره، وقد احتبى بالثوب: أداره على ساقيه وظهره وهو جالس ليَسْتَنِد.

من أخبار حارثة بن بدر

وكان حارثة ذَا بيان وجَهارة [وأدب]، وكان شاعراً عالماً بالأخبار [والأنساب]، وكان قد غلب على زياد، وكان حارثة منهوماً في الشراب، فَعُوتبَ زيادٌ في الاستئثار به، فقال: كيف أطَّرِح رجلاً يُسايرني مذ دخلت العراق، ولم يَصْكُكْ ركابُه ركابي، ولا تقدَّمني فنظرت إلى قَفَاه، ولا تأخر عني فلويت عنقي إليه، ولا أخذ عليّ الشمس في شتاء قط، ولا الرَّوْح في صيف، ولا سألته عن باب في العلم إلاَّ قدّرت أنه لا يحسن غيره.

وقال له زياد: من أخطب؟ أنا أم أنت؟ فقال: الأمير أخطب إذا تَوَعّد أو وعد، وبرَق ورعَد، وأنا أخطبُ في الوفادة، والثناء، والتحبير، وأنا أكْذب إذا خطبت، وأحشو كلامي بزيادات [مليحة] شهيّة، والأمير يَقْصد إلى الحق، وميزانِ العدل، ولا يزيدُ في كلامه، ولا ينقص منه.

فقال له زياد: [قاتلك الله!] لقد أجدتَ تخليص صفتي وصفتك.

ولما مات زياد جفاه عبيدُ اللَّه [ابنهُ]، فقال [له حارثة: أيها الأمير، ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة؟ فقال له عبيد اللَّه]: إن أبا المغيرة بلغ مبلغاً لا يلحقه فيه عيب، وأنا أُنْسَب إلى من يغلبُ عليّ، وأنت تُدِيمُ الشرابَ، وأنا حديثُ السن؛ فمتى قرَّبتك فظهرت منك رائحة الشراب لم آمَنْ أن يُظَنّ بي [ذلك]، فدَع الشراب وكن أول داخل وآخر خارج.

فقال له حارثة: أنا لا أدعه لمن يملك ضُرِّي ونَفْعي، أأَدَعهُ للحال عندك؟ ولكن صَرِّفني في بعض أعمالك. فَوَلاّه سُرَّق من بلاد الأهواز.

لأبي الأسود في حارثة بن بدر

وقال أبو الأسود الدؤلي، وكان صديقاً لحارثة:

أحـارِ بـن بَـدْرٍ قَـدْ وَلِيـتَ وِلايـةً ... فَكُـنْ جُـرَذاً فيهـا تَخُـونُ وَتَسْـرِقُ
وَلاَ تَـدَعَـنْ للنـاسِ شيئـاً تُصيبـهُ ... فَحَظُّـك مِـنْ مُلْـكِ العـراقيـنِ سُـرَّقُ
فَمَـا النـاسُ إلاَّ قـائـلٌ فَمُكَـذِّبٌ ... يَقُـولُ بمـا يَهْـوَى وَإمَّـا مُصَـدَّقُ
يَقُـولـون أَقـوالاً بِظَـنٍّ وَتُهْمَـةٍ ... فَـإنْ قِيـلَ هـاتـوا حَقِّقـوا لـم يُحقّقـوا

جواب حارثة بن بدر

فقال له حارثة:

جَزاكَ إِلٰهُ العرشِ خَيْرَ جزائِهِ فَقَدْ قُلْتَ مَعْرُوفاً وأَوْصيتَ كَافِيا
أَمَرْتَ بشيءٍ لو أَمَرْتَ بِغيرِهِ لأَلفيتِني فيهِ لأَمْرِكَ عَاصِيا

[وصف امرأة]

قال الأصمعي: سمعت امرأة من العرب تصفُ امرأةً وهي تقول: سَطعاء بَضَّةٌ[١]، بيضاء غضَّة[٢]، دَرْماء رَخْصَة[٣]، قَبَّاء طَفْلة[٤]، تنظر بعينَيْ شادن ظَمآن، وتبسم عن مُنَوَّر الأقحوان، في غبّ التّهتّان، وتشير بأساريع الكُثْبان[٥]، خلقها عميم، وَكَلاَمُها رخيم، فهي كما قال الشاعر:

كأنّها في القُمُصِ الرقاقِ مُخَّةُ ساقٍ بين كَفَّيْ ساقِ[٦]
أعْجَلَها الشاوي عنِ الإحراقِ

ووصف أعرابي امرأة يحبّها فقال: هي زينة [في] الحُضُور، وباب من أبواب السُّرور، وَلَذِكْرُها في المغيب، والبعد من الرقيب، أشهى إلينا من كل ولد ونسيب، وبها عرفت فضل الحور العين، واشْتَقْتُ بها إليهنَّ يوم الدين.

[من كلام الأعراب]

وسئل أعرابي عن سفر أكْدى فيه[٧]، فقال: ما غنمنا إلاَّ ما قَصَرْنَا من صلاتنا، فأمَّا ما أكلتْهُ منا الهواجر، ولقِيَتْهُ منا الأباعر، فأمرٌ استخففناه، لما أمّلناه.

---

(١) سَطْعَاءُ: طويلة العنق. بَضَّةٌ: ممتلئة نضرة.
(٢) غَضَّة: طَرِيّة، رقيقة الجلد، يقال: غضّت المرأة غضاضةً، وَغُضوضةً: رقَّ جلدها وظهر دمها.
(٣) درماء: تمشي مشية الأرنب، أي تقارب الخطو في عجلة. ويقال: درم الكعبُ والعظم: غطّاه الشحم واللحم حتى لم يبن له حجم. والرخصة: الناعمة الليّنة.
(٤) قَبّاءُ: دقيقة الخصر، ضامرة البطن. والطَّفْلةُ: الرخصة الناعمة الرقيقة.
(٥) الأساريع: ما يخرج من القضبان في أصل الكرم، ودودٌ بيض حمر الرؤوس، تُشَبَّه بها أصابع النساء، ومفردها أُسروع.
(٦) ساق (الأولى): ما بين الركبة والقدم، وساق (الثانية): الذي يطوف بالشراب.
(٧) أكدى الرجل: خاب ولم يظفر.

وقال عبد قيس بن خُفَاف البُرْجمي[١] لحاتم الطائي، وقد وَفد عليه في دماء حملها، قام ببعضها وعجز عن بعض: إني حملت دماء عَوَّلْتُ فيها على مالي وآمالي، فأمَّا مالي فَقدَّمتُه، وكنتَ أكبرَ آمالي، فإن تَحْمِلْها فكم من حقٍّ قضيت، وهمّ كفيت، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمم يومك، ولم آيس من غَدِك.

وقيل لأعرابي: لم لا تَضْرِبُ في البلاد[٢]؟ فقال: يمنعني من ذلك طفل بارك، ولِصٌّ سافك، ثم إني لستُ مع ذلك واثقاً بنُجْح طَلِبتي، ولا معتقداً بقضاء حاجتي، ولا راجياً عطف قرابتي؛ لأني أقْدم على قوم أَطْغَاهم الشيطان، واستمالَهم السلطان، وساعدهم الزّمان، وأسكرتْهُم حداثة الأسنان.

وخرج المهدي بعد هَدْأَةٍ من الليل يطوفُ بالبيت، فسمع أعرابية من جانب المسجد تقول: قوم متظلّمون، نَبَتْ عنهم العيون، وَفَدَحَتْهم الدُّيون؛ وَعَضَّتْهم السنون، بَادَ رجالهم، وذهبت أموالهم، وكثر عِيَالهم، أبناءُ سبيل، وأَنْضَاء طريق[٣]، وصية الله، ووصية رسول الله، فهل آمِرٌ بخير، كلأَه الله في سَفَره، وخلفه في أهله. فأمر نصراً الخادم، فدفع إليها خمسمائة درهم.

[من مقامات البديع]

المقامة الأزاذية

ومن إنشاء البديع في مقامات أبي الفتح الإسكندري: حدَّثني عيسى بن هشام قال: كنت ببغداذ، في وقت الأزاذ[٤]؛ فخرجتُ إلى السوق أَعتامُ[٥] من أنواعه، لابتياعه، فسرتُ غير بعيد إلى رجل قد أخذ أنواعَ الفواكه وصفّفها، وجمع أنواع الرُّطَب وصنّفها؛ فقبضتُ من كل شيء أحسنه، وقرضتُ من كل نوع أجوده؛ وحين جمعتُ حواشيَ الإزار، على

(١) هو أبو جُبَيْل، عبد قيس بن خفاف البُرْجُميّ التميميّ: شاعر جاهلي، عاصر حاتم الطائي ومدحه، وهجا أبا قابوس النعمان بن المنذر ملك الحيرة، ونحل هجاءه للنابغة الذبياني ليستعدي الملك عليه. (الأيوبي، معجم الشعراء: ص ٢٢٤).

(٢) لا تضرب في البلاد: لا تسافر.

(٣) أنضاء: جمع نِضْو (بكسر النون): المهزول.

(٤) الأزاذ: ضرب من التمر.

(٥) أعتام: أختار.

تلك الأوزار، أخذَتْ عيناي رَجُلاً قد لفَّ رأسه [ببرقع] حياء، ونصب جسده، وبسط يدَه، واحتضَنَ عِيالَه، وتأبَّط أطفاله، وهو يقول بصوت يَدْفَع الضعف في صدره، والحرَضَ في ظهره:

وَيْلي على كَفَّين من سَويقِ أو شَحْمَةٍ تُضْرَبُ بالدَّقيقِ
أو قَصْعَةٍ تُملأُ من خِرْدِيق تَفْثَأُ عنَّا سَطَوَاتِ الرِّيقِ[(١)]
تُقيمنا عَنْ مَنْهَج الطريقِ يا رازِقَ الثروةِ بعد الضيقِ
سَهِّلْ على كفّ فَتًى لَبيقِ ذي حَسَبٍ في مَجْدِه عَريقِ
يُهدي إلينا قَدمَ التوفيقِ يُنْقِذ عَيْشي من يدِ الترنيقِ[(٢)]

قال عيسى بن هشام: فأخذتُ من فاضل الكيس أخذةً وأنَلْتُه إياها، فقال:

يا من حَبَاني بجميلِ بِرّه أَفْضَى إلى الله بِحُسْنِ سِرِّه[(٣)]
وَاسْتَحْفَظ اللَّهَ جميلَ سَتْرِه إن كان لا طاقَةَ لي بِشُكْرِه
فاللَّهُ ربِّي مِنْ وَراءِ أمْرِه

قال عيسى بن هشام: فقلت: إن في الكيس فَضْلاً، فابْرُزْ لي عن باطنك أخرج لك عن آخره، فأماط لِثامه، فإذا شيخنا أبو الفتح السكندري، فقلت: ويحك! أي داهية أنت؟ فقال:

نُقضّي العُمْرَ تَشْبيهاً على الناس وَتَمْويهَا[(٤)]
أرى الأيامَ لا تَبْقى على حَالٍ فأحكيها
فَيوماً شَرُّها فِيّ وَيوماً شِرَّتي فيها[(٥)]

---

(١) القصعة: وعاء يُؤكل فيه وَيُثْرَد، وكان يُتخَّذ من الخشب غالباً. والخرديق: المرقة باللحم. فثأ الحارّ: كسر سخونته بالتبريد، وفثأ غضبه: كسر حِدَّته، وفثأ البارد: كسر برودته بالتسخين.

(٢) الترنيق: يقال: رَنَّقَ فلان: تحيَّر، وَرنَّقتْ عَيْنُهُ: انكسر طرفها من جوعٍ ونحوه، ورَنَّق القوم بالمكان: أقاموا واحتبسوا.

(٣) حباني: أعطاني، ويقال: حاباه محاباةً وحِباءً: اختصه ومال إليه. والبرّ: الخير.

(٤) التمويه: الزخرفة، ومزج الحق بالباطل، ويقال: موّه عليه الخبر: أخبره بخلاف ما سأله عنه.

(٥) الشِّرَّةُ: الحِدَّة، يقال: أعوذ بالله من شِرَّةِ الغضب، والشِّرَّةُ: النشاط، ويقال: للشباب شِرَّةٌ.

[من رسائل بديع الزمان]

وسأل البديع أبا نصر بن المرزبان ـ عاريةً ـ بعضَ ما يتجمَّل به، فأمسك عن إجابته؛ فأعاد الكتاب إليه بما نسخته:

لا أزالُ ـ أَطال الله تعالى بقاء مولانا الشيخ! ـ لسوء الانتقاد، وحسن الاعتقاد، أمْسَحُ جبينَ الخجل، وأمدُّ يمين العَجَل، ولضعف الحاسّة، في الفِراسة، أَحسبُ الوَرَمَ شَحْماً[١]، والسَّرابَ شراباً، حتى إذا تجشمت موارده، لأَشرب بَارِده، لم أَجِدْ شيئاً.

وما حسبت الشيخَ سيدي ممن تعنيه هذه الجملة حتى عرضت على النار عُودَه، ونشرت بالسؤال جُودَه، وكاتَبْتُه أستعيره حلية جمال، سحابةَ يوم أو شَطْرَه، بل مسافةَ ميل أو قَدْرَه، فَغاص في الفِطْنَة غوصاً عميقاً، وَنَظَر في الكَيْس نَظراً دقيقاً، وقال: هذا رجل مشحوذ المُدْية، في أبواب الكُدْية[٢]، قد جعل استعارة الأعلاق طريقَ افتراسها، وسبب احتباسها، وقد منَّى ضِرْسَه، وحدَّثَ بالمحال نفسه، ولا لطيفة في هذا الباب، أحسن من التغافل عن الجواب، فَضْلاً عن الإيجاب، وكلا فما في أبواب الردِّ أقبح مما قرع، ولا في شرائع البخل أوشح مما شَرع؛ ثم العُذر له من جهتي مبسوط إن بسطه الفَضْل، ومقبول إن قَبِله المجد، وإنما كاتبتُه لأعيد الحال القديمة، وأشرط له على نفسي أن أُريحه من سَوْم الحاجات من بعد، فمن لم يَسْتَحْي منْ «أعْطِنِي»، لم يُسْتَحْيَ له من «أعفني»؛ وعلى حسب جوابه أجرى المودة فيما بعد، فإن رأى أن يجِيبَ فعل إن شاء الله.

كتاب منه إلى سهل بن محمّد

وله إلى سهل بن محمّد بن سليمان:

أنا إذا طويت عن خِدْمَة مولاي ـ أطال الله بقاءه ـ يوماً لم أرفع له بَصري، ولم أعدّه من عمري، وكأني بالشيخ ـ أعزّه الله ـ إذا أغفلت مفروض خِدْمته، من قَصْدِ حضرته، والمثولِ في حاشيته، وجملة غاشيته[٣]، يقول: إن هذا الجائع لَمّا شَبع تضلّع، واكتسى وتلفَّع[٤]،

---

(١) هو من قول المتنبي لسيف الدولة الحمداني:
أُعِيذُها نَظَراتٍ منكَ صادِقَةً ... أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ

(٢) المُدْيَةُ: السِّكِّين. والكُدْيَةُ: السُّؤال والشحاذة (حرفة السائل الملحّ).

(٣) الغاشية: السُّؤَّال يأتونك مُسْتَجْدِين، والزُّوَّار والأصدقاء ينتابونك.

(٤) تَلفَّع فلان بالثوب والتفع: اشتمل به حتى يُجلِّل جسده.

وتجلّل وتَبَرْقَع، وتربّع وترفّع، فما يطوفُ بهذا الْجَناب، ولا يَظْهَرُ بهذا الباب؛ وأنا الرجل الذي آواه من قَقْرٍ، وأغناه من فَقْرٍ، وآمنه من خَوْف، إذ لا حُرَّ بوادِي عَوْف[١]؛ حتى إذا وردت عليه رُقعتي هذه، وأعارها طَرْف كرمه، وظَرْف شِيَمِه، ونَظَر في عنوانها اسْمِي قال: بُعداً وسحقاً، [وسبّاً وتبّاً] وحتّاً ونحتاً[٢]، وطَعْناً ولَعْناً، فما أكذبَ سَرَابَ أخلاقه، وأكثر أسْرَاب نفاقه، فالآن انحلَّ من عقدته، وانتَبه من رَقْدَته. وكاتبني يستعيدني، كلاَّ لا أُزَوِّجُهُ الرِّضَا ولا قُلاَمةً[٣]، ولا أمنحه المُنَى ولا كرامة، بل أدعُه يركب رَاسه، ويُقاسي أنفاسه، فستأتيني به الليالي، والكيس الخالي، ثم أُرِيه ميزانَ قَدْرِه، وأُذِيقُه وبالَ أمره، حتى إذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال: مَأْرُبَةٌ لا حَفَاوة، ووَطرٌ سَاقَهُ، لا نِزَاعٌ شَاقَه[٤]، فهذا بِذَا، ولا أبعد من تلك الهمم العالية، والأخلاق السامية أن يقول: مرحباً بالرّقعة وكاتبها، وأهلاً بالمخاطبة وصاحبها [وقضاء الحاجة بإنْحَائها، وإبرازها، وهي الرقعة التي سالت إلى من التمسته، كما اقترحته بما طالبته، فَرَأْيُهُ فيه موفق إن شاء الله تعالى].

كتاب منه إلى بعض الرؤساء

وله أيضاً إلى بعض الرؤساء يسأله إطلاق محبوس [بسببه]:

الشيخ ـ أطال الله بقاءه ـ إذا وصل يدي بيده لم ألمس الجَوْزَاء إلاَّ قاعداً، وقد نَاطَها مِنّةً في عُنُق الدهر، وصاغها إكليلاً لجبين الشّكر. وما أقْصَر يَدِي عن الجزاء، ولساني عن الثناء. وهذا الجاهلُ قد عرف نفسَه، وقلع ضرسه، ورأى ميزان قَدْرِه، وذاق وبال أمره، وجهز إليّ كتيبة عجائز عاجزات؛ فأَطْلَقْن العويل والأليل[٥]، وبعثني شفيعاً إلي، واستعنَّ

---

(١) «لا حُرَّ بوادي عوف»: مثل قيل في عوف بن مُحَلِّم بن ذهل بن شيبان، وذلك أن عمرو بن هند ملك الحيرة طلب منه رجلاً، وهو مروان بن القَرَظ، وكان قد أجاره، فمنعه عوف وأبى أن يسلمه، فقال الملك: لا حُرَّ بوادي عوف، أي أنه يقهر من حلَّ بواديه، فكل من فيه كالعبد له لطاعته إياه. (الميداني، مجمع الأمثال: ٢/٢٣٦).

(٢) حَتَّ الشيء: حَطَّهُ، وحتَّ الشيء عن الثوب وغيره: فَرَكَهُ وأَزالَهُ.

(٣) القُلامَةُ: ما قُطع من طرف الظفر أو الحافِر أو العود، وقلامة الظفر: مثل في القلّة والحقارة، يقال: لم يُغْنِ عَنّي قلامة ظفر.

(٤) نزاع: أراد به نزوع القلب إليه، وشاقه: أعجبه، والمراد أنه إنما بعثه على الكتابة الحاجة إليه لا المحبة.

(٥) الأَليل: الثُّكلُ، والأَنين.

بي عليّ، وتوسَّلْنَ بكلمة الاستسلام، ولحمة الإسلام، في فَكِّ هذا الغلام؛ فإن أَحبَّ الشيخُ أن يجمعَ في الطَّوْلِ[1] بين الحوض والكوثر، وينظم في الفَضْل ما بين الروض والمطر، شفَع في إطلاقه مَكَارِمَه، وشرَّف بذلك خادمه، وأنجزنا بالإفراج عنه، مُوَفَّقاً إن شاء الله تعالى.

[عفو عن ذي جَرِيرة]

المأمون

وقال رجل لإبراهيم بن المهدي: اشفع لي إلى أَمير المؤمنين في فَك أخي من حَبْسه، وكان محبوساً في عِدَاد العُصاة، فقال المأمون: ليس للعاصي بعد القُدْرة عليه ذَنب، وليس للمصاب بعد الملك عذر. فقال: صدقت؛ فما طَلِبَتك؟ قال: فلان هَبْه لي. قال: هو لك.

أحمد بن أبي خالد

وسأل أبو عبادة أحمد بن أبي خالد أن يطلق له أسارى، ففعل، فقال له: قد فككنا أسْرَاكَ. فقال: لا فَكَّ الله رِقَابَ الأحرار من أياديك!

ألفاظ لأهل العصر في التهنئة بالإطلاق من الأسر

الحَمْدُ لله حَمْدَ الإخلاص، على حسن الْخَلاَصِ، الذي أَفْضَى بك من ذِلَّةِ رِقّ، إلى عزَّة عِتْق، ومن تَصْلِيَةِ جحيم، إلى جنَّةِ نعيم. خَرج من العِقَال، خروج السيفِ من الصِّقال. خرج من إساره، خروجَ البَدْرِ من سِرارِه. الحمدُ لله الذي فكَّ أسراً، وجعل من بعد العُسْرِ يُسراً. خرج من البلاء، خروج السيف من الجلاء. قد جعل الله لك من مَضَايق الأمور مخرجاً نَجِيحاً، ومن مغالق الأهوال مَسْرحاً فسيحاً[2].

[أبو نواس يمدح الأمين]

مدح أبو نواس الأمين محمّداً في [أول] خلافته بقصيدته التي يقول فيها[3]:

أقول والعِيسُ تَعْرَوْري الفَلاةَ بنا صُعْرَ الأزِمة من مَثْنىً وَوُحْدانِ[4]

---

(١) الطَّوْلُ: الفَضْلُ والغِنى واليُسْرُ.

(٢) المسرح: مكان السراح، وهو الانطلاق والفكاك.

(٣) أبو نواس، الديوان: ص ٤٢٠.

(٤) العيس: الإبل الكريمة، أو التي يخالط بياضها شقرةٌ، والواحد أعيس، والأنثى عيساء. =

يـا نـاق لا تسأمي أو تَبْلُغي مَلِكاً ... تَقْبِيلُ رَاحَتِهِ والرُّكْنُ سِيّانِ[١]
مُقابلاً بينَ أملاكٍ تُفضلُهُ ... وِلادَتانِ مِنَ المنصورِ ثِنْتانِ[٢]
مَتَى تَحُطّي إليهِ الرَّحْلَ سالمةً ... تَسْتَجْمِعِي الخَلْقَ في تمثالِ إنسانِ

قال [الحسن]: هذا لأن محمّداً ولدهُ المنصور مرتين من قِبَل أن أباه هارون الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، ومن قِبل أن أمه أَمة العزيز بنت جعفر بن [أبي جعفر] المنصور، وكان المنصور دخل عليها وهي طفلة تلعب، فقال: ما أنت إلاَّ زُبَيْدة، فغلب عليها هذا اللقب، ولم يَلِ الخلافة مَنْ أبواه هاشميان غير علي بن أبي طالب وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وابنه الحسن، وزوجه فاطمة بنت النبي ﷺ، والأمين محمّد بن الرشيد.

رجع القول ـ فلما أنشده القصيدة قال: ما ينبغي أن يُسْمَع مدحُك بعد قولك في الخصيب بن عبد الحميد[٣]:

إذا لم تَزُرْ أرضَ الخصيبِ رِكابُنا ... فَأَيُّ فَتى بَعْدَ الخَصيبِ تَزُورُ؟
فَتًى يَشْتَرِي حُسْنَ الثناءِ بمالِهِ ... وَيَعْلَمُ أَنَّ الدائراتِ تَدُورُ
فما فَاتَهُ جُودٌ، وَلاَ حَلَّ دُونَهُ ... وَلكنْ يَسيرُ الجودُ حَيْثُ يَسيرُ[٤]

فقال: يا أَمير المؤمنين، كلُّ مدح في الخصيب وغيره فَمَدْح فيك؛ لأني أقول، ثم ارتجل[٥]:

= أعرورى: سار في الأرض وحده. صعر الأزمة: إثبات الصعر للأزمة مجاز، والصعر: ميل في الوجه أو في أحد الشقين، أو داء في البعير يلوي عنقه منه، أو قد يكون من سير مُصعَّر: أي شديد.

(١) الركن: أي ركن الكعبة.

(٢) في الديوان: «مقابلٌ بين أملاكٍ».

(٣) أبو نواس، الديوان: ص ٤٨١.

(٤) في الديوان:

فما جَازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَهُ ... وَلكِنْ يَصيرُ الجودُ حَيْثُ يَصِيرُ

وجازه: تخطاه. والمعنى من قول الشاعر يمدح عبد اللّه بن الحشرج:

إِنَّ السَّماحَةَ والمُروءَةَ والنَّدَى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابن الحَشْرَجِ

(٥) أبو النواس، الديوان: ص ٤١٥.

مَلَكْتَ على طَيْرِ السَّعادةِ واليُمْنِ وَجاءتْ لك العلياءُ مُقتَبِلَ السنِّ[١]
بمحيا وُجودِ الدِّين تَحْيا مُهنأً بِحُسْنٍ وَإحسانٍ مع اليُمْنِ والأمْنِ[٢]
لَقدْ طابتِ الدنيا بطيبِ ثنائه وَزادتْ بهِ الأيامُ حُسناً إلى حُسْنِ[٣]
لَقدْ فَكَّ أَرقابَ العُفَاةِ مُحمَّدٌ وَأسكنَ أهلَ الخوفِ في كنفِ الأمْنِ[٤]
إذا نَحْنُ أثنينا عليكَ بِصالحٍ فأَنْتَ كما نُثْني وفَوْقَ الذي نُثْني
وَإنْ جَرَتِ الألفاظُ يوماً بِمُدْحَةٍ لِغَيْرِكَ إنساناً فأنْتَ الذي نَعْني[٥]

قال: صدقت، مَدْحُ عبدي مدح لي؛ وَوَصَلَهُ وقرَّبه.

* * *

وأما قول أبي نواس:

إذا نَحْنُ أثنينا عليك بِصَالحٍ

فمن قول الخنساء[٦]:

فما بلغَ المُهْدُونَ للناسِ مِدْحَةً وَإنْ أطنبوا إلاَّ الذي فيك أفْضَلُ
وَمَا بلغتْ كفُّ امرئٍ مُتناوَلاً مِن المجدِ إلاَّ والذي نِلْتَ أطْوَلُ

[بين الأخطل ومعاوية]

وفد الأخطل على معاوية، فقال: إني قد امتدحتُك بأبيات فاسمعها، فقال: إن كنت شَبَّهْتَني بالحية، أو الأسد، أو الصقر، فلا حاجةَ لي بها، وإن كنت [قلت] كما قالت الخنساء، وأنشد البيتين، فقل. فقال الأخطل: والله لقد أحسَنْتَ، وقد قلت فيك بيتين ما هما بدونهما، ثم أنشد:

---

(١) في الديوان: «وَحُزْتَ إليكَ المُلْكَ مُقْتَبلَ السِّنِّ».
(٢) لا وجود لهذا البيت في رواية الديوان.
(٣) في الديوان: «وَزِيدَتْ به الأَيّامُ».
(٤) في الديوان: «لقد فَكَّ أَغلالَ العَناءِ مُحمّدٌ» و«أنزل أهل الخوف». والعُفاة: طالبو المعروف.
(٥) في الديوان: «مِنَّا بِمُدْحَةٍ».
(٦) الخنساء، الديوان: ص ١٠٧. وفيه:
وَلا بَلَغَ المُهْدُونَ في القَوْلِ مِدْحَةً وَلا صَدَقُوا إلاَّ الذي فِيكَ أَفْضَلُ

إذا مُتَّ ماتَ العُرْفُ وانقطع النَّدَى فلم يَبْقَ إلاَّ مِنْ قليلٍ مُصرَّدِ[١]
وَرُدَّتْ أَكُفُّ السائلين وأمسكوا عن الدينِ والدنيا بِحُزْنٍ مُجدَّدِ

* * *

وقول أبي نواس:

وإن جَرَتِ الألفاظُ يوماً بِمِدْحَةٍ

من قول كثير في عبد العزيز بن مروان:

مَتَى ما أَقُلْ في سالفِ الدَّهْرِ مِدْحَةً فما هي إلاَّ لابنِ لَيْلَى المُعَظّمِ

وقال الفرزدق[٢]:

وَمَا أَمرتْني النفسُ في رِحْلَةٍ لها إلى أَحَدٍ إلاَّ إليكَ ضَمِيرُهَا[٣]

ولما أنشد أبو تمام أحمد بن أبي دُوَاد قصيدته[٤]:

سَقَى عَهْدَ الحِمَى صَوْبُ العِهَادِ

وانتهى إلى قوله:

وَما سَافَرْتُ في الآفاق إلاّ وَمِنْ جَدْوَاك راحِلَتي وزادي
مُقيمُ الظنِّ عِنْدَكَ والأماني وإنْ قَلِقَتْ رِكابي في البلادِ

قال له ابن أبي دُوَاد: هذا المعنى لك أو أخذته؟ قال: هُو لي، وقد ألممتُ فيه بقول أبي نواس:

وإنْ جَرَت الألفاظُ يوماً بِمِدْحَةٍ لِغيركَ إنساناً فأنتَ الذي نَعْني

وأخذه المتنبي فقال[٥]:

---

(١) العُرْفُ: المعروف. المُصرَّدُ: المُقَطَّعُ.
(٢) الفرزدق، الديوان: ١/٢٤٦. والبيت من قصيدة يمدح بها أيوب بن سليمان بن عبد الملك.
(٣) في الديوان: «فيأْمُرني إلاَّ إليكَ ضَميرُها».
(٤) أبو تمام، الديوان: ١/٢١٣، والبيت بتمامه:
سَقَى عَهْدَ الحِمَى سَبَلُ العِهادِ ورَوّضَ حافِرٌ مِنْهُ وبَادِي
(٥) المتنبي، الديوان: ١/٢١٢، والبيتان من قصيدة يمدح بها عَلِيًّا بن إبراهيم التنوخي.

أشَــرْتَ أبــا الْحُسَيْــنِ بمــدحِ قَــوْمٍ نَــزلْــتُ بهــم فَــرُحْــتُ بِغَيْــرِ زَادِ(١)
وَظَنُّــونِــي مَــدَحْتُهُــمُ قَــدِيمــاً وأنــتَ بمــا مَــدَحْتهُــمُ مُــرَادِي(٢)

وأما قول أبي تمام: «وما سافرتُ في الآفاق ـ البيت» فمن قول المثقب العبدي(٣)، [وذكر ناقَتَه(٤)]:

إلــى عَمْــرِو بــن حَمْــدَان أبينــي أخــي النَّجْــدَاتِ والمجـدِ الــرصيــنِ(٥)

* * *

وأما قولُ أبي نواس: فما فاته جود ولا حَلَّ دونه، البيت، فمن قول الشمردل بن شريك [اليربوعي](٦):

مـا قَصّـرَ المَجْـدُ عَنْكُـمْ يـا بنـي حَكَـمٍ وَلاَ تَجــاوَزكُــمْ يــا آل مَسعــودِ

(١) في الديوان: «أَشِرْتُ» بكسر الشين وضم التاء، من الأشر، وهو الفرح بالشيء والاغترار به، كأنه يقول: إني اغتررت بمدحهم فلم أنل منهم شيئاً، ورحلت عنهم بغير زاد. والرواية بفتح الشين والتاء «أَشَرْتَ» من الإشارة كأن الممدوح أشار على الشاعر بمدح هؤلاء القوم.

(٢) يقول: ظنوا أن مدحي كان لهم، وإنما كنت أمدحهم وأعنيك بذلك المدح، لأنك تستحقه دونهم، وهو معنى غير مُسْتَحسن.

(٣) هو أبو عمرو، العائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني نكرة بن عبد القيس، من ربيعة: شاعر جاهلي مجيد، غريب الألفاظ، متين التركيب. أقام في البحرين، واتصل بالملك عمرو بن هند ومدحه، ومدح النعمان بن المنذر، وهو أقدم من النابغة الذبياني. توفي نحو ٣٥ ق. هـ/ ٥٨٨ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ١/ ٣١١؛ المرزباني، معجم الشعراء: ١٦٧؛ شيخو، شعراء النصرانية: ١/ ٤٠٠).

(٤) البيت من قصيدة طويلة يمدح بها عمرو بن هند ملك الحيرة، ومطلعها:
أفــاطِــمَ قَبْــلَ بَيْنِــكِ ودِّعينــي وَمَنْعُــكِ مــا سَــأَلْتُــكِ أَنْ تبينــي
والقصيدة من مَشُوباتِ العرب السبع (شيخو، شعراء النصرانية: ١/ ٤٠٥).

(٥) في شعراء النصرانية: «إلى عَمْرٍو وَمِنْ عَمْرٍو أَتَتْني».

(٦) هو الشَّمَرْدَل بن شريك بن عبد الملك، من بني ثعلبة بن يربوع، من تميم: شاعر أموي هجّاء، يجيد القصيد والرجز. عاصر الفرزدق وجرير، وله مع الفرزدق أخبار طريفة. أشهر فنونه الرثاء في أخوته الثلاثة. والشعراء المعروفون باسم «الشمردل» خمسة هذا أشهرهم. توفي نحو ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م. (الأصفهاني، الأغاني: ١٣/ ٣٥١؛ الآمدي، المؤتلف والمختلف: ٢٠٥).

يَحِلُّ حَيْثُ حَلَلْتُمْ لا يَرِيمكُمُ ... ما عاقبَ الدَّهْر بين البيضِ والسُّودِ[١]
إنْ يَشْهَدُوا يُوجَدُ المعروفُ عِنْدَهُمُ ... حِذْناً وَلَيْسَ إذا غابوا بِمَوْجُودِ

وقد قال الكميت الأسدي[٢]:

يَسيرُ أبانُ قَرِيعُ السما ... ح والمَكْرُمَاتُ مَعاً حَيْثُ سَارَا

* * *

وقول أبي نواس أيضاً:

فتًى يَشْتَرِي حُسْنَ الثناء بِمَالِهِ

مأخوذ من قول الراعي:

فَتًى يَشْتَرِي حُسْنَ الثناءِ بِمالِهِ ... إذا ما اشْتَرى المَخْزَاةَ بالمَجْدِ بَيْهَسُ

[بين السفاح وأبي نخيلة]

دخل أبو نُخَيْلة[٣] على أبي العباس السفاح، فاستأذنه في الإنشاد، فقال: لعنك الله! أَلَسْتَ القائل لمسلمة بن عبد الملك:

أَمسلمةٌ يا نَجْلَ خَيْرِ خَليفةٍ ... وَيَا فارِسَ الهَيْجَا ويا جَبَلَ الأَرْضِ
شَكَرْتُكَ إنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ من التُّقى ... وَمَا كُلُّ مَنْ أُولِيتَهُ نِعْمةً يَقْضِي
وَأَلقيتَ لما أنْ أتيتُكَ زائراً ... عليَّ لِحافاً سابغَ الطول والعرضِ
وَنبَّهْتَ مِنْ ذِكْري وما كانَ خَامِلاً ... وَلكنَّ بَعْضَ الذكرِ أَنْبَهُ من بَعْضِ[٤]

(١) لا يريمكم: لا يفارقكم. البيض: الأيام، والسود: الليالي.
(٢) هو أبو المستهل، الكُميت بن زيد بن الأخنس الأسدي: شاعر مقدم، وخطيب مفوه، وفارس شجاع، وعالم بلغات العرب وخبير بأيامها وأنسابها. عاش في أيام بني أمية، وكان يتشيع لبني هاشم، وقصائده الهاشميات من أجود شعره. توفي سنة ١٢٦ هـ/ ٧٤٤ م. (البغدادي، خزانة الأدب: ١/ ١٤٤؛ حاجي خليفة، كشف الظنون: ٨٠٨؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١/ ٢٤٢).
(٣) هو يعمر، من بني حمّان بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ويكنى أبا نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة. وهو شاعر راجز، أدرك الدولتين الأموية والعباسية، وكان جشعاً للمال، سليط اللسان، عاقاً لأبيه. توفي سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م. «ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٦٣».
(٤) في العمدة لابن رشيق: «وَأَحْيَيْتَ من ذكري».

ثم أمره بأن ينشد، فأنشده أرجوزة يقول فيها:

كُنّا أناساً نَرْهَبُ الهُلاَّكا وَنَرْكَبُ الأعْجَازَ والأوراكا
وَكلّ ما قَدْ مَرّ في سِوَاكا زُورٌ، وقد كَفّرَ هذا ذاكا

واسم أبي نخيلة الجنيد بن الجون[١]، [وهو مولى لبني حماد]، كان مقصّداً راجزاً.

قيل للخنساء: لئن مَدحْتِ أخاك لقد هجوت أباك! فقالت[٢]:

جَارَى أباهُ فَأَقْبَلا وَهُمَا يَتعاوَرَان مُلاءَةَ الحُضْرِ[٣]
حتى إذا جَدَّ الجِراء وقَدْ سَاوَى هناك القدر بالقدرِ[٤]
وَعَلاَ صِياحُ الناسِ: أيهما؟ قال المجيبُ هناك: لا أدْرِي[٥]
بَرقَتْ صَحِيفَةُ وَجْهِ والدهِ وَمَضى على غُلَوَائه يَجْرِي[٦]
أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يُسَاوِيهُ لَوْلاَ جَلالُ السنِّ والكِبْرِ
وَهُما كَأنّهما وَقَدْ بَرَزا صَقْرَان قَدْ حَطّا على وَكْرِ

وقيل لأبي عبيدة: ليس هذا في شعر الخنساء. فقال: العامّةُ أسقط من أن يجاد عليها بمثل هذا.

* * *

وقد أحسن البحتري في نحو هذا؛ إذ يقول في يوسف بن أبي سعيد، [ومحمّد] بن يوسف الطائي[٧]:

---

(١) وزعم الأصفهاني في الأغاني أنَّ اسمه أبو نخيلة، وكنيته أبو الجنيد.
(٢) الخنساء، الديوان: ص ٧٦.
(٣) الحُضْرُ (بالضم): شدّة عدو الفرس. وفي الديوان: «مُلاءة الفَخْرِ».
(٤) الجراء: جري الفرس، وفي الديوان:
حَتَّى إذا نَزَت القُلوبُ وَقَدْ لَزَّتْ هُناكَ العُذْرَ بِالعُذْرِ
ونزت: وثبت.
(٥) في الديوان: «وعلا هُتافُ الناس».
(٦) في الديوان: «بَرَزَتْ صحيفة وجه والده». والغُلَوَاءُ: نشاط الشباب وأوله.
(٧) البحتري، الديوان: ٢/ ٣١٣.

جَــدٌّ كجــد أبـــي سَعيـــدٍ إنّـــهُ تَـرَكَ السِّمـاكَ كَـأنَّـهُ لـم يُشْـرِفِ
قَـاسَمْتَـهُ أَخـلاقَـهُ وَهْـيَ الـرَّدى لِلْمُعْتَـدِي وَهْـيَ النَّـدَى لِلْمُعْتَفِـي[1]
وَإذا جَـرَى فـي غـايـةٍ وَجَـرَيْـتَ فـي أخـرى التقـى شَـأْواكُما فـي المَنْصَفِ[2]

* * *

قول الخنساء:

يَتَعَـاوَرَانِ مُـلاءة الحُـضْـرِ

أبرع استعارة، وأنصع عبارة، وقد قال عدي بن الرقاع[3]:

يَتعـاورانِ مـنَ الغُبَـارِ مُـلاءَةً غَبْـراءَ مُحْكَمَـةً هُمـا نَسَجَـاهـا[4]
تُطْـوَى إذَا وَرَدَا مكـانـاً جـاسِيـاً فـإذا السنـابِـكُ أَسْهَلَـتْ نَشَـرَاهـا[5]

وإلى هذا أشار الطائي في قوله[6]:

تُثِيـرُ عَجَـاجَـةً فـي كـلّ ثَغْـرٍ يَهيـمُ بهـا عَـديُّ بـنُ الـرِّقـاعِ[7]

وأول من نظر إلى هذا المعنى شاعر جاهلي من بني عقيل[8] فقال:

---

(١) المُعْتَفي: طالب المعروف.
(٢) الشأو: الأمد والغاية. والمنصف: النصف، يريد نصف الطريق. وفي الديوان: «فإذا جَرَى من غايةٍ وجَرَيْتَ مِنْ».
(٣) هو أبو داود، عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عاملة، ونسبه الناس إلى «الرقاع» جَدّ جدّه لشهرته: شاعر مقدم عند بني أمية. عاصر جريراً، وتعرّض له، ولم يجرؤ جرير على هجائه خوفاً من الوليد بن عبد الملك الذي كان يُقرّبه ويحسن إليه. توفي سنة ٩٥ هـ/ ٧١٤ م. (زيدان، تاريخ آداب اللغة: ٢٦٤؛ فروخ، تاريخ الأدب العربي: ١/ ٥٦٧).
(٤) يتعاوران: يتداولان.
(٥) مكان جاسٍ: غليظ، يابس، خشِن، صلب. السنابك: جمع سنبك، وهو طرف الحافر. والسنبك من كل شيء: أوّله.
(٦) أبو تمام، الديوان: ١/ ٤٠٤، والبيت من قصيدة يمدح بها مَهْدِيَّ بن أَصْرَم.
(٧) العجاجة: الغبار. وفي الديوان: «يهيم به».
(٨) من الناس من ينسب هذا الشعر لابن أحمر (ت نحو ٦٥ هـ/ ٦٨٥ م)، ومنهم من ينسبه لابن مقبل (ت بعد ٣٧ هـ/ ٦٥٧ م).

أَلَا يَا دِيَارَ الحَيِّ بِالسَّبُعَانِ ... عَفَتْ حِجَجاً بَعْدي وَهُنَّ ثَمانِ

فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ نُؤْيٍ مُهَدَّمٍ ... وَغيرُ أَثَافٍ كَالرُّكِيِّ رِعَانِ[١]

وَآيَاتِ هَابٍ أورق اللونِ سافَرتْ ... به الريحُ والأمطارُ كل مكانِ[٢]

قِفَارٌ مَرَوْرَاةٌ تَحارُ بها القَطا ... وَتُمْسِي بها الجابانُ تقتربانِ[٣]

يُثيرانِ مِنْ نَسْجِ الغبارِ عَلَيْهِمَا ... قَميصَيْنِ أَسْمَالاً وَيَرْتديانِ[٤]

ومن مستحسن رثاء الخنساء وليلى وغيرهما من النساء

من رثاء الخنساء

قال أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي: أنشد أبو السائب المخزومي قول الخنساء[٥]:

وَإِنَّ صَخْراً لَمَوْلاَنا وَسَيِّدُنا ... وَإِنّ صخراً إذا نَشْتُو لَنَحَّارُ[٦]

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الهداةُ بِهِ ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ[٧]

فقال: الطلاق لي لازم إن لم تكن قالت هذا وهي تتبختر في مشيها، وتنظر في عِطْفها.

من بديع رثاء الخنساء

ومن مستحسن رثاء الخنساء قولُها ترثي أخاها صخراً[٨]:

اذْهَبْ فلاَ يُبْعِدَنْكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ ... مَنَّاعِ ضَيْمٍ وَطَلاَّبٍ لأَوتارِ[٩]

---

(١) النؤي: مجرى يحفر حول الخيمة أو الخباء يقيها السيل. والأثافي: حجارة الموقد، الواحدة أثفية. والرُّكيُّ: جمع رَكيَّة، وهي البئر لم تُطْوَ. ورعان: جمع رَعْن: أنف الجبل الشاخص البارز، وجبل أرعن: ذو رعانٍ طوالٍ، أي أنوفٍ عظام شاخصة.

(٢) هابٍ: اسم فاعل من هبا الغبار هَبْواً وَهُبُوًّا: ثار وارتفع، والهابي من التراب: ما ارتفع ودقّ منه، وموضع هابي التراب: ترابه دقيق مثل الهباء.

(٣) المَرَوْرَاةُ: الأرض أو المفازة التي لا شيء فيها، والجمع: مَرَوْرَى، ومَرَوْرَياتٌ، ومَرَارِيّ.

(٤) أسمال: جمع سَمَل، وثوب سَمَلٌ: خَلَقٌ بالٍ.

(٥) الخنساء، الديوان: ٤٨.

(٦) في الديوان: «وإن صخراً لوالينا وسَيِّدُنا». تمتدحه بالجود، أي ينحر للناس إذا نزل بهم ضيق الشتاء.

(٧) تأتم به: تهتدي. الهداة: جمع هادٍ، وهو المرشد، المتقدم. والعلم: الجبل.

(٨) الخنساء، الديوان: ٥٨.

(٩) الضيم: الظلم. الأوتار: جمع وتر، وهو الثأر، أو الذحل، أو الظلم فيه.

قَدْ كُنْتَ فِينا صَرِيحاً غير مُؤْتَشَبٍ مُركّباً في نصابٍ غير خَوّارِ[١]
فَسَوْفَ أبكيكَ ما نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ وَمَا أضاءَتْ نُجُومُ الليلِ للسارِي
أَبكِي فَتَى الحيّ نَالَتْهُ مَنِيّتُهُ وَكُلّ نَفْسٍ إلى وَقْتٍ بِمِقْدَارِ

وقولها [تعنيه][٢]:

شَهَّادُ أنجيةٍ شَدَّاد أَوْهِيَةٍ قَطّاعُ أَودِيةٍ لِلوِتْرِ طَلاَّبا[٣]
سُمّ العُداة وَفكَّاكُ العُناة إذا لاقَىْ الوغَى لم يكُنْ لِلموت هَيّابا[٤]
يَهدي الرَّعيلَ إذا جَارَ السبيلُ بِهِمْ نَهْدَ التليلِ لِزُرْقِ السُّمْرِ ركّابا[٥]

[من ترجمة الخنساء، وليلى الأخيلية]

من أخبار الخنساء

والخنساء اسمها تماضر بنت عمرو [بن الحارث] بن الشريد بن رياح بن [يقظة بن عُصَيّة بن خُفاف] بن امرىء القيس، وتكنى أم عمرو، ومِصْدَاقُ ذلك قولُ أخيها [صخر]:

أَرى أُمَّ عمرو لا تَملُّ عِيَادتي وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمكاني

سليمى: امرأته، وإنما لقبت الخنساء كناية عن الظبية، وكذلك [تسميتهم] الذلفاء.

---

(١) المؤتشب: المختلط، من أشب القوم إذا تجمعوا واختلطوا، وقد أَشَبَ فلاناً بكذا أشباً: عابه. والخَوَّار من الرماح: ما ليس بصلب، يقال: خَوِرَ الرجل وخار: ضعف وانكسر. وفي الديوان: «قد كُنْتَ تحملُ قلباً غير مُهْتَضِمِ».

(٢) الخنساء، الديوان: ص ٨.

(٣) أنجية: جمع نجيّ، وهو المناجي، يقال: فلان نجيّ فلان، والنجيّ: السِّرُّ. والأوهية: جمع وَهْي، وهو الشقّ في الشيء. والأوهية: ما بين أعلى الجبل إلى مستقر الوادي. وفي الديوان:

حَمَّالُ أَلويةٍ قَطَّاعُ أَوْدِيةٍ شَهَّادُ أَنجيةٍ، لِلوترِ طَلاَّبا

والألوية: الرايات. وقيل: الأنجية: المجالس.

(٤) العُناةُ: الأسرى، مفردها عانٍ. والوغى: الحرب.

(٥) الرعيل: الجماعة القليلة من الخيل أو الرجال، أو التي تتقدم غيرها، يقال: فلان من الرعيل الأول: من السابقين. والنَّهْدُ: الكريم ينهض إلى معالي الأمور، والقوي الضخم، يقال: شاب نهد، وفرس نهد. والنهد أيضاً: الشيء المرتفع. والتليل: العُنق، ونهد التليل: مُرْتَفِعُهُ. وفي الديوان: «إذا ضاق السبيل بهم» و«لِصَعْبِ الأمرِ رَكّابا».

والذلف: قصر في الأنف؛ وإنما يريدون به أيضاً أن ذلك من صفات الظباء، وهي أشعر نساء العرب عند كثير من الرُّواة.

نسب ليلى

وكان الأصمعي يقدم ليلى الأخيلية، وهي ليلى بنت عبد اللّه بن كعب بن ذي الرحَالة ابن معاوية بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقيل لها الأخيلية لقول جدها كعب:

نَحْنُ الأَخايلُ ما يَزَالُ غُلامُنا حتى يَدِبَّ على العَصَا مَذْكُورا

موازنة بينهما

قال أبو زيد: [هذا البيت لها فَسُمّيت به، وليلي أغزر بحراً]، وأكثر تصرفاً، وأقوى لفظاً؛ والخنساء أذهب في عمود الرثاء.

قال المبرد: كانت الخنساءُ وليلى الأخيلية في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول، وقلما رأيت امرأةً تتقدّم في صناعة، وإن قل ذلك، فالجملة ما قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[1].

ومن أحسن المراثي ما خلط فيه مدحٌ بتفجعٍ على المرثي، فإذا وقع ذلك بكلام صحيح، ولَهْجَة معربة، ونظام غير متفاوت، فهو الغاية من كلام المخلوقين.

واعلم أن من أجَلّ الكلام قولُ الخنساء[2]:

يا صَخْرُ وَرَّادَ ماءٍ قَدْ تَناذَرَه أهْلُ المياهِ فما في وِرْدِهِ عَارُ[3]
مَشْيَ السَّبَنْتَىٰ إلى هَيْجَاء مُعْضِلَةٍ لها سِلاَحَانِ أنيابٌ وأظفارُ[4]

---

(١) سورة الزخرف، آية (١٨).
(٢) الخنساء، الديوان: ص ٤٨.
(٣) قولها: ورَّادَ ماءٍ، تعني الموت، لإقدامه على الحرب. تناذره: أنذر بعضهم بعضاً هَوْلَهُ وصعوبته. وأهل الموارد: أهل المياه. وقولها: ما في ورده عار: أي ليس يُعَيَّرُ أحد إن عجز عنه من صعوبة ردّه.
(٤) السبنتى: الجريء، المقدام، النَّمِرُ.

وَمَا عَجُولٌ على بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ ... لها حَنينانِ إعلانٌ وإسرارُ[(١)]
تَرتَعُ في غَفْلَةٍ حتى إذا ادَّكَرَتْ ... فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ[(٢)]
يوماً بأَوْجَعَ منّي حينَ فارقني ... صَخْرٌ، وللعيشِ إحْلاءٌ وإمْرَارُ[(٣)]
لم تَرَهُ جارةٌ يَمْشِي بِسَاحَتِها ... لِسَرِيْبَةٍ حينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الجارُ

قال: ومن كامل قولها[(٤)]:

فَلَوْلاَ كَثْرَةُ الباكِين حَوْلي ... على إخوانهم لَقَتَلْتُ نَفْسي
وَما يَبْكُونَ مِثْلَ أَخي، وَلَكِنْ ... أُسَلّي النفسَ عنه بالتَأَسّي[(٥)]
يُذَكِّرُني طُلوعُ الشمسِ صَخْراً ... وَأَذْكُره لِكُلِّ غُروبِ شمسِ[(٦)]

يعني أنَّها تذكره أول النهار للغارة، ووقت المغيب للأضياف.

* * *

لابن الرومي

وقد قال ابن الرومي فيما يتعلّق بِطَرفٍ من هذا المعنى[(٧)]:

رأيتُ الدهرَ يَجْرَحُ ثم يَأْسُو ... وَيُوسِي أو يُعَوِّضُ أو يُنَسِّي[(٨)]
أَبَتْ نفسي الهُلاَعَ لِرُزْءِ شيءٍ ... كفَى شَجْواً لِنَفْسِي رُزْءُ نَفْسي[(٩)]

---

(١) العجول: الثكلى من النساء الواله التي فقدت ولدها، سميت بذلك لعجلتها في مجيئها وذهابها جزعاً. البَوّ: أن ينحر ولد الناقة فيؤخذ جلده وَيُحْشى وَيُدْنَى من أمه فَتَرْأَمُهُ.
(٢) في الديوان: «ترتع مارتعت حتى إذا ادّكرت». وقولها: إقبال وإدبار، أي لا تنفك تقبل وتدبر.
(٣) في الديوان:
يَوْماً بِأَوْجَدَ مِنّي يومَ فَارقَني ... صَخْرٌ وَللدهرِ إحلاءٌ وإمرارُ
بأوجد: بأشد وجداً: حزناً.
(٤) الخنساء، الديوان: ص ٨٤.
(٥) في الديوان: «أُعزّي النفس».
(٦) أي أنها تذكره في ذهابه إلى الغزوات صباحاً، وفي عودته مساءً بالغنائم وقراه للضيوف.
(٧) ابن الرومي، الديوان: ٣/ ٢٥٢، والأبيات من قصيدة قالها في سليمان بن عبد الله بن طاهر.
(٨) في الديوان: «يُؤَسّي أو يُعَوِّضُ..».
(٩) الهُلاعُ: الجبن عند اللقاء. الرزء: المصيبة.

أَتجــزعُ وَحشــةً لفــراقِ إلْــفٍ ... وَقــد وَطَّنتُهــا لِحُلــولِ رَمْــسِ

وقد أنكر على من تعلَّل بالتأسي بما قال غيرُه، فقال في ذلك[١]:

خَليلــيَّ قَــدْ عَلّلتمــانــيَ بــالأســى ... فَــأَنْعَمتُمــا لَــوْ أنَنــي أتَعَلّــلُ
أللنَّــاسِ آثــارِي، وَإلاَّ فمــا الأســى ... وَعَيْشِكُمــا إلاَّ ضــلالٌ مُضَلّــلُ
وَمــا رَاحــةُ المــرزوءِ فــي رُزْءِ غيــرهِ ... أيَحْمِــلُ عَنْــهُ بَعْــضَ مــا يَتَحمَّــلُ
كِــلا حَــامِلَــيْ عِــبْءِ الــرزيــة مُثْقَــلٌ ... وَلَيْــسَ مُعينــاً مُثْقَــلَ الظَّهــرِ مُثْقَــلُ[٢]
وَضَــرْبٌ مِــن الظلــمِ الخفــيِّ مكــانــهُ ... تَعَــزّيــكَ بــالمــزروءِ حيــنَ تَــأَمَّــلُ
لأَنَّــكَ يــأْسُــوكَ الــذي هُــوَ كلمــهُ ... بِــلاَ بَصَــرٍ لــو أنَّ جَــوْرَكَ يَعْــدِلُ[٣]

للخنساء

وقالت الخنساء[٤]:

وَقــائلــةٍ والنعــشُ قــد فــاتَ خَطْــوَهَــا ... لِتُــدْرِكَــهُ يــا لَهْــفَ نفســي علــى صَخْــرِ
ألا ثكلــتْ أُمُّ الــذيــن غَــدَوْا بــهِ ... إلـى القبرِ! مـاذا يَحْمِلُـونَ إلـى القبـرِ[٥]؟!
وَمــا يُــوَارِي القبــرُ تحــتَ تُــرابــهِ ... من الجود يـا بُؤْس الحوادثِ والـدهرِ[٦]
فَشــأْنُ المنــايــا إذْ أصــابــك رَيْبُهــا ... لِتَغْــدُ عَلَــى الفِتْيَــانِ بَعْــدَكَ أو تَسْــرِي

وهذا المعنى كثير قد مرّت منه قطعة جيدة، ولم تزل الخنساء تبكي على أخويها صخرٍ ومعاوية، حتى أدركت الإسلام؛ فأقبل بها بنو عمّها وهي عجوز كبيرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فقالوا: يا أَمير المؤمنين! هذه الخنساء، وقد قرّحت آماقَها من البكاء في الجاهلية والإسلام، فلو نَهَيْتَهَا لرجونا أن تنتهي، فقال لها عمر رضي الله عنه: اتقي اللَّهَ وأيقني بالموت، قالت: أبكي أبي وخَيْرَ بني مضر صخراً ومعاوية، وإنّي لَمُوقِنَة بالموت، قال: أتبكين

(١) ابن الرومي، الديوان: ٥/ ١١٤.
(٢) في الديوان: «كِلا حَامِلَيْ أَوْقِ الرزيئة».
(٣) في الديوان: «بلا جُرُمٍ لو أن جورك يعدلُ».
(٤) الخنساء، الديوان: ص ٥٢.
(٥) في الديوان: «الذين مَشَوْا بِهِ».
(٦) في الديوان: «من الخير، يا بُؤس الحوادث والدهر».

عليهم وقد صاروا جَمْرَة في النار؟ قالت: ذلك أشدّ لبكائي عليهم! فرَقَّ لها عمر وقال: خلّوا عن عجوزكم لا أبا لكم! فكل امرىء يبكي شَجْوَهُ، ونام الْخَلِيُّ عن بكاء الشجي.

عمرو بن الشريد وابناه

وكان عمرو بن الشريد يأْخُذ بيد ابنيه معاوية وصخر في الموسم، ويقول: أنا أبو خَيْرَي مضر، فمن أنكر فليغيّر، فلا يغير ذلك عليه أحد، وكان يقول: من أتى بمثلهما أخوين من قبل فله حكمه، فتُقِرّ له العرب بذلك.

وكان النبي ﷺ يقول: أنا ابن الفواطم من قريش، والعواتك[1] من سُليم، وفي سُليم شرف كثير.

وكان يقال لمعاوية: فارس الجَوْن، والجَوْن من الأضداد، يقال للأسود والأبيض، وقتلته بنو مرّة، قتله هاشم بن حَرْمَلة، فطلبه دُرَيد بن الصِّمَّة حتى قتله، وأمّا صخر فغزا أسد بن خزيمة فأصاب فيهم، وطعنه ثور بن ربيعة الأسدي، فأدخل في جوفه حلقا من الدرع فانْدَمَل عليه، فنتأت قطعة من جنبه مثل اليد، فمرض لها حولاً، ثم أشير عليه بقطعها، فأحموا له شفرة ثم قطعوها، فما عاش إلاّ قليلاً.

من رثاء ليلى الأخيلية

ومن جيد شعر ليلى الأخيلية ترثي تَوْبَةَ بن الحُمَيّر الخفاجي[2]، وكان لها محبًّا، وله فيها شعرٌ كثير، وقتله بنو عوف بن عُقيل، قتله عبد اللَّه بن سالم:

نَظَرْتُ وَرُكْنٌ من عَمَايَةَ دُونَنَا وَأركانُ جِسْمي أيّ نَظْرة ناظِرِ[3]

---

(١) العواتك: جمع عاتكة: الكريمة، أو التي تكثر من الطيب حتى تحمّر بَشْرَتُها.

(٢) هو أبو حرب، توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة العقيلي العامري: شاعر رقيق غَزِل، من عُشّاق العرب المشهورين. أحب ليلى الأخيلية وخطبها، فَردّه أبوها، وزوّجها غيره، فانطلق يقول الشعر مُشبّباً بها، واشتهر أمره، فَأُهْدِر دمه. قُتِل في إحدى غزواته سنة ٨٥ هـ/ ٧٠٤ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/٣٥٦؛ الأصفهاني، الأغاني: ١١/١٤٩؛ الآمدي، المؤتلف والمختلف: ٩١).

(٣) عماية: جبل في بلاد نجد، من بلاد بني كعب وقشير وعقيل. وفي الأغاني (١١/٢١٢):
نَظَرْتُ وَرُكْنٌ من ذِقانَيْن دُونَهُ مَفاوِزُ حَوْضَى أيّ نَظْرَةَ ناظِرِ
ذقان: اسم جبل، وهما جبلان أحدهما لبني عمرو بن كلاب، والآخر لبني أبي بكر بن كلاب.

فَـآنسـتُ خَيْـلاً بـالـرقـيّ مُغِيـرةً سَـوابقُهـا مثـل القَطَـا المتـواتـرِ[(١)]

فَـإنْ تَكُـنِ القَتْلَـى بَـوَاءً فـإنَّكُـمْ فتًـى مـا قَتلتُـمْ آلَ عَـوْفِ بـن عـامـرِ[(٢)]

فـلا يُبْعِـدَنْـكَ الله يـا تَـوْبَ إنّمـا لِقـاءُ المنـايـا دَارِعـاً مِثْـلُ حَـاسِـرِ[(٣)]

أتَتْـهُ المنـايـا بيـن دِرْعٍ حصينـةٍ وَأَسْمَـرَ خَطـيٍّ وجَـرْداء ضَـامـرِ[(٤)]

كـأنَّ فَتَـى الفتيـان تَـوْبَـة لـم يُنِـخْ قَـلاَئِصَ يَفْحَصْـنَ الحَصَـى بـالكَـرَاكِـرِ[(٥)]

وَلـم يُـدْعَ يـومـاً لِلْحِفَـاظِ وللنُّهـى وَلِلحَـرْب تَـرْمِـي نَـارُهـا بـالشَّـرَائـرِ[(٦)]

وَللبـازِلِ الكَـوْمَـاء يَـرْغُـو حُـوَارُهـا وَللخيـلِ تَعْـدُو بـالكُمَـاةِ المَسَـاعِـرِ[(٧)]

فَتًـى لا تَخَطَّـاه الـرِّفَـاقُ، ولا يَـرى لِقِـدْرٍ عِيَـالا دُونَ جَـارٍ مُجَـاوِرِ

فَتًـى كـان أَحْيَـا مـن فَتـاةٍ حَيِيَّـةٍ وأشجـعَ مـن لَيْـثٍ بِخفَّـان خَـادِرِ[(٨)]

---

(١) الرُّقيّ: اسم موضع. سوابقها: أوائلها. المتواتر: المتتابع.

(٢) بَوَاءً: متكافئين متماثلين.

(٣) تقول: إن الموت واحد، سواء لقيه المرء دارعاً أم حاسراً.

(٤) خَطيّ: أي رمح خطيّ، منسوب إلى الخطّ (موضع اشتهر بصناعة الرماح أو باستيرادها). والجرداء: القصيرة الشعر. والضامر: الهضيم البطن، والمراد الفرس. وفي الأغاني:

أَتَتْـهُ المَنـايـا دُونَ زَعْـفٍ حَصِينَـةٍ وَأَسْمَـرَ خَطِّـي وَخَـوْصَـاءَ ضَـامـرِ

والزعف: الدرع المحكمة. وخوصت الدابة: اسودت إحدى عينيها وابيضت الأخرى مع بياض في سائر الجسد.

(٥) القلائص: جمع قلوص، وهي الناقة الفتية. والكراكر: جمع كركرة، وهي رحى زور البعير أو صدره.

(٦) في الأغاني: «للحفاظ وللندى»، و«وللحرب يرمي نارها». والحفاظ: المحافظة على ما تجب المحافظة عليه.

(٧) البازل: الناقة التي انشق نابها؛ وهي ما استكملت السنة الثامنة وطعنت في التاسعة. وهذا اللفظ مما يستوي فيه المذكر والمؤنث: يقال: ناقة بازلٌ وجملٌ بازلٌ. والكوماء: الناقة العظيمة السنام. والحُوار: ولد الناقة من حين يوضع إلى أَنْ يُفْطَم. والكماة: جمع كميّ، وهو الفارس المُتكَمّي في سلاحه، أي المُسْتَتِرُ فيه. والمساعر: جمع مسعر، وهو الذي يشعل نار الحرب ويوقدها.

(٨) في الأغاني:

وَتَـوْبَـةُ أَحْيَـا مِـنْ فَتـاةٍ حَيِيَّـةٍ وَأَجْـرَأُ مـن لَيْـثٍ بِخَفَّـانَ خَـادِرِ

والليث: الأسد، وخفّان: موضع قرب الكوفة، وهو مأسدة. وخادر: مقيم.

فَتًى لا تَراهُ النَّابُ إلْفاً لِسَقْبِها إذا اخْتَلَجَتْ بالناس إحْدَى الكبائرِ[١]
وَكُنْتَ إذا مَولاهُ خافَ ظُلامَةً أتاكَ فَلَمْ يَقْنَعْ سِوَاكَ بِنَاصِرِ[٢]
وَقَد كُنْتَ مَرْهُوبَ السّنان وبيِّنَ الْـ ـلِّسانَ وَمِدْلاجَ السُّرَى غيرَ فاترِ[٣]
وَلا تأخذُ الكُومُ الجِلاَدُ سِلاحَها لِتَوبةَ في حَدِّ الشتاءِ الصَّنَابِرِ[٤]

وفود ليلى على معاوية

وقال بعض الرواة: بينا معاوية يسير إذ رأى راكباً، فقال لبعض شُرَطه: ائتني به وإياك أن تَرُوعه. فأتاه فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: إياه أردت، فلما دنا الراكب حَدَر لثامه فإذا ليلى الأخيلية، فأنشأت تقول:

مُعاويَ لم أكَدْ آتيك تَهْوي بِرَحْلي نَحْوَ سَاحَتِكَ الرِّكابُ
تَجُوبُ الأرضَ نَحْوَكَ ما تَأَنَّى إذا ما الأُكْمُ قَنَّعها السَّرَابُ
وَكُنْتَ المُرْتَجى وَبِكَ اسْتَغاثتْ لِتَنْعشها إذا بَخِلَ السَّحابُ

قال: فقال: ما حاجتُك؟ قالت: ليس مثلي يَطْلُب إلى مثلك حاجة، فتخيّر أنت! فأعطاها خمسين من الإبل؛ ثم قال: أخبريني عن مُضَر، قالت: فاخِرْ بمضر، وحَارِب بقيس، وكاثِرْ بتميم، وناظر بأسد، فقال: ويحك يا ليلى! أكما يقول الناس كان تَوْبة؟ قالت: يا أَمير المؤمنين، ليس كل الناس يقول حقاً، الناسُ شجرةُ بَغْيٍ، يحسدون النّعم حيث كانَتْ، وعلى مَنْ كانَتْ؛ كان يا أَمير المؤمنين سَبْطَ البنان، حديدَ اللسان، شَجَى الأقران، كريم المَخْبَر، عفيف المِئزر، جميل المنظر، وكان كما قلت، ولم أتعدّ الحق فيه:

---

(١) السَّقْبُ: ولد الناقة الذَّكر ساعة يُولد.

(٢) في الأغاني:
وَكُنْتَ إذا مَوْلاَكَ خَافَ ظُلامةً دَعاكَ وَلَمْ يَهْتِفْ سِواكَ بِنَاصِرِ

(٣) في الأغاني:
وَقَدْ كان طَلاَّعَ النِّجادِ وَبيِّن اللِّـ ـسان وَمِدْلاجَ السّرى غَيْرَ فاتِر

(٤) في الأغاني:
وَلا تأخذُ الكومُ الجلادُ رِمَاحَها لِتَوْبَةَ في نَحْسِ الشِّتاءِ الصَّنابرِ
الكوم: جمع كوماء وهي العظيمة السنام من الإبل. والجلاد من الإبل: الغزيرات اللبن، كالمجاليد أو ما لا لبن لها ولا نتاج. ونحس الشتاء: ريحه الباردة. وصنابر الشتاء: شدّة برده.

بَعيدُ الثَّرى لا يَبْلُغُ القَوْمُ قَعْرَهُ ... أَلَدٌّ مُلِدٌّ يَغْلِبُ الحقَّ باطِلُهْ[1]

فقال معاوية: ويحك يا ليلى! يزعم الناس أنّه كان عاهراً خارباً، فقالت من ساعتها مرتجلة:

مَعاذَ إلٰهي كانَ والله تَوْبَةٌ ... جَواداً على العِلاَّت جَمّاً نَوافِلُهْ[2]

أَغَرَّ خَفَاجِيًّا يَرى البُخْلَ سُبَّةً ... تُحالِفُ كَفَّاهُ النَّدَى وَأَنامِلُهْ[3]

عَفيفاً بَعِيدَ الهَمّ صُلْباً قَنَاتُهُ ... جَميلاً مُحيّاهُ قَليلاً غَوائِلُهْ[4]

وَكانَ إذا ما الضَّيْفُ أَرْغَى بَعيرهُ ... لَدَيْهِ أتاه نَيْلُه وفَوَاضِلُهْ[5]

وَقَدْ عَلِمَ الجوعُ الذي كانَ سارِياً ... على الضيفِ والجيرانِ أنَّكَ قاتِلُهْ[6]

وَأنَّك رَحْبُ الباعِ يا تَوْبُ بالقِرَى ... إذا ما لَئِيمُ القومِ ضاقَتْ مَنازِلُهْ

يَبِيتُ قَريرَ العينِ مَنْ كان جَارَهُ ... وَيُضْحِي بِخَيْرٍ ضَيْفُهُ وَمُنَازِلُهْ[7]

فقال لها معاوية: ويحك يا ليلى! لقد جُزْتِ بتوبة قَدْرَه، فقالت: يا أمير المؤمنين. والله لو رأيتَهُ وخبَرْتَهُ لعلمت أنّي مقصرة في نَعْتِهِ، لا أبلغ كُنْهَ ما هو له أهل. فقال لها معاوية: في أي سنٍّ كان؟ فقالت: يا أمير المؤمنين:

أَتَتْهُ المنايا حينَ تمَّ تَمَامُهُ ... وأقْصَرَ عنه كلُّ قِرْنٍ يُنَاضِلُهْ[8]

وَصارَ كَلَيْثِ الغابِ يَحْمِي عَرِينَهُ ... فَتَرْضَى به أشبالُهُ وحلائِلُهْ[9]

---

(١) الألد: الكثير الجدل والخصومة، الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق، وملدٌ: وصف من ألددتَ بفلان إذا عسرت عليه في الخصومة.

(٢) جمًّا: كثيراً. والنوافل: جمع نافلة، وهي العطية. على العِلاَّت: أي على كلّ حالٍ من عسره ويسره. وفي الأغاني: «مَعاذَ إلٰهي كانَ والله سَيِّداً».

(٣) خفاجي: منسوب إلى خفاجة وهو من آباء توبة. وفي الأغاني: «تحلَّبُ كَفَّاهُ».

(٤) الغوائل: جمع غائلة، وهي الداهية، أو الفساد والشَّرُّ.

(٥) رغا البعير ونحوه رغواً وَرُغاءً: صَوَّت وَضجَّ، وأَرغَى البعيرَ: حمله على الرغاء.

(٦) في الأغاني: «الذي بات سارياً».

(٧) في الأغاني: «من بات جاره».

(٨) في الأغاني: «كلُّ قِرْنٍ يُطاوِلُهْ». والقِرْنُ: المثيل في الشجاعة والقتال.

(٩) في الأغاني: «وَكانَ كَلَيْثِ الغابِ».

عَطُوفٌ حليمٌ حين يُطْلَبُ حِلْمُهُ وسُمٌّ ذُعافٌ لا تُصَابُ مَقَاتِلُهُ[١]

فأمر لها بجائزة، وقال: أي ما قلت فيه أشعر؟ قالت: يا أَمير المؤمنين، ما قلت شيئاً إلاَّ والذي فيه من خِصَال الخير أكثر، ولقد أجَدْتُ حيث أقول:

جَزَى اللَّهُ خيراً والجزاءُ بكَفِّهِ فتًى من عُقيلٍ سادَ غَيْرَ مُكَلَّفِ

فتى كانت الدنيا تَهُون بأسْرِها عليه فلم يَنْفَكّ جَمَّ التَّصَرُّفِ[٢]

يَنَالُ عَلِيَّاتِ الأمور بِهَوْنَةٍ إذا هي أَعْيَتْ كلّ خِرْقٍ مُسَوِّفِ[٣]

هُوَ المِسْكُ بالأَرْيِ الضحاكي شِيبُهُ بِدِرْيَاقَةٍ من خَمْر بَيْسَان قَرْقَفِ[٤]

وفود ليلى على مروان بن الحكم

ويقال: إنها دخلت على مروان بن الحكم فقال: ويحك يا ليلى! أكما نَعَتِّ توبة كان؟ قالت: أصلح اللَّهُ الأمير! والله ما قلتُ إلاَّ حقاً، ولقد قصّرت، وما رأيت رجلاً قطّ كان أرْبَطَ على الموت جَأْشاً، ولا أَقَلَّ انحياشاً[٥] حين تحتدم بَرَاكاء الحرب[٦]، ويَحْمَى الوطيس[٧] بالطَّعن والضرب، كان والله كما قلت:

فَتًى لم يَزَلْ يزداد خَيْراً لَدُن نَشَا إلى أن عَلاَهُ الشَّيْبُ فوق المسايح

تَراهُ إذا ما الموتُ حلَّ بِوِرْدِهِ ضَرُوباً على أقْرَانِهِ بالصفائح[٨]

شُجاعٌ لدى الهيجاء ثَبْتٌ مُشَايِحٌ إذا انْحَازَ عن أَقْرَانِهِ كلُّ سَابحِ[٩]

---

(١) السُّمُّ الذعاف: القاتل لساعته.

(٢) في الأغاني: «ولا ينفك».

(٣) في الأغاني: «كُلَّ خِرْقٍ مُشَرَّفِ». الهونة: السهولة والرفق واللين. وأعياهُ الشيءُ: أكلَّهُ وأَعْجزَهُ. والخرق: الأحمق، وقيل: السخي أو الظريف في سخاوة، أو الفتى الحسن الكريم الخليقة. والمُسَوِّفُ: اسم فاعلٍ من سَوَّف فلان إذا مطل، أو صبر.

(٤) في الأغاني: «هو الذَّوبُ بَلْ أَرْيُ الخَلايَا شَبيهُهُ». الذَّوبُ والأري: العسل. وشبته: خلطته. الدرياقة: الخمر. بيسان: بلدة في الشام مشهورة بالخمر. والقرقف: الخمر يرعد عنها صاحبها.

(٥) انحاش عنه ومنه: ابتعد.

(٦) البُراكاء: ساحة الحرب، والثبات والجدّ في الحرب.

(٧) الوطيس: المعركة، وحمي الوطيس: جدَّت الحرب واشتدت.

(٨) الصفائح هنا: السيوف.

(٩) المُشَايِحُ: الغيورُ الحَذِرُ، وقد شاح في الأمر: جَدَّ.

فَعَـاش حَميـداً لا ذميمـاً فعـالـهُ وَصُـولاً لِقُـرْبـاه يُـرَى غَيْـرَ كـالـحِ

فقال لها مروان: كيف يكون تَوبة على ما تقولين وكان خارباً؟ «والخارب سارق الإبل خاصة»، فقالت: واللّهِ ما كان خارباً، ولا للموت هائباً، ولكنّه كان فتًى له جاهِلية، ولو طال عمره وأنسأه الموتُ لارْعَوَى قلبه، ولقضى في حب الله نَحْبه، وأقصر عن لهوه، ولكنه كما قال ابن عمه مسلمة بن زيد:

فَلِلّـهِ قَـوْمٌ غـادروا ابـنَ حُمَيِّـرٍ قَتيـلاً صَـريعـاً للسيـوفِ البـواتـرِ[١]

لَقـدْ غـادَرُوا حَـزْمـاً وعـزمـاً ونـائـلاً وَصَبْـراً علـى اليـوم العبـوسِ القمـاطـرِ[٢]

إذا هـابَ وِرْدَ المـوتِ كـلُّ غَضَنْفَـرٍ عَظيـم الحـوايسا لُبُّـه غَيْـرُ حـاضـرِ[٣]

مَضَـى قُـدُمـاً حَتَّـى يُـلاقـيَ وِرْدَهُ وَجَـاد بِسَيْـبٍ فـي السنيـنِ القَـوَاشـرِ[٤]

فقال لها مروان: يا ليلى، أعوذُ بالله من درك الشقاء، وسوءِ القضاء، وشماتة الأعداء، فوالله لقد مات تَوْبة، وإن كان من فتيان العرب وأشدائهم، ولكنه أدركه الشقاءُ، فهلك على أحوالِ الجاهلية، وترك لقومه عداوة.

ثم بعث إلى ناس من عقيل فقال: والله لئن بلغني عنكم أمرٌ أكرهُه من جهةِ توبة لأصلبنكم على جُذوع النخل، إيّاكم وَدَعْوَى الجاهلية، فإن الله قد جاء بالإسلام، وَهَدَم ذلك كله.

قدوم ليلى على الحجاج

وروى أبو عبيدة عن محمّد بن عمران المرزباني قال: قال أبو عمرو بن العلاء الشيباني: قَدِمَتْ ليلى الأخيلية على الحجاج بن يوسف وعنده وجوهُ أصحابه وأشرافهم، فبينا هو جالسٌ معهم إذ أقبلت جارية فأشار إليها وأشارت إليه؛ فلم تلبث أن جاءت جاريةٌ من أجملِ النساء وأكملهن، وأتمهن خَلْقاً، وأحسنهن محاورة؛ فلما دنت منه سلّمت ثم قالت: أتأذنُ أيها الأمير؟ قال: نعم، فأنشدت[٥]:

---

(١) بواتر: قواطع.
(٢) القماطر: الشديد، أو المُتَجمِّعُ المُتقبِّضُ.
(٣) الغضنفر: الأسد، ورجل غضنفر: غليظ الجثة.
(٤) القواشر: جمع قاشرة، كأنها تقشر الجلد من جدبها.
(٥) الأبيات في الأغاني: ١١/ ٢٣٢.

أحجَّاجُ إن الله أعطاك غايةً يُقَصِّرُ عنها مَنْ أراد مَدَاهَا
أَحَجَّاجُ لا يُفْلَلْ سِلاحُك إنَّما الـ ـمنايَا بكفِّ الله حَيْثُ يَرَاهَا[١]
إذا وَرَدَ الحجّاجُ أَرضاً مَريضةً تَتَبَّع أقصى دَائِها فَشَفَاهَا[٢]
شفاها من الداءِ العَيَاءِ الذي بها غُلامٌ إذا هزَّ القناة ثَنَاهَا[٣]
إذا سَمِعَ الحجاجُ صَوْتَ كتيبةٍ أعدَّ لها قَبْلَ النُّزولِ قِراهَا[٤]
أَعدَّ لها مَصْقُولةً فَارِسِيَّةً بِأَيْدي رجال يَحْلُبون صَراهَا[٥]

حتى أتت على آخرها. فقال الحجاج لِمَنْ عنده: أتَعرفون مَنْ هذه؟ قالوا: ما نعرفها، ولكن ما رأينا امرأة أطْلَقَ لساناً منها، ولا أجمل وَجْهاً، ولا أحسن لَفْظاً، فَمَنْ هِيَ أصلح اللَّهُ الأمير؟ قال: هي ليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحمير التي يقول فيها:

وَلَوْ أَنَّ ليلى الأَخْيَلِيّة سَلَّمَتْ عليَّ وَدُوني جَنْدَلٌ وَصَفائِحُ[٦]
لَسلَّمْتُ تَسْليمَ البشاشةِ أوْ زَقَا إليها صَدًى مِنْ جانبِ القبرِ صَائِحُ[٧]

ثم قال لها: يا ليلى، أنشدينا بعض ما قاله فيك توبة، فأنشدته:

نَأَتْكَ بليلى دارها لا تَزُورُها وَشطَّتْ نواها واستمرَّ مَرِيرُها[٨]
وَكُنْتُ إذا ما زُرْتُ ليلى تَبَرْقَعَتْ وَقَدْ رَابني منها الغَدَاةَ سُفورُها[٩]

---

(١) في الأغاني: «حيث تراها».
(٢) في الأغاني: «إذا هبط الحجاج».
(٣) في الأغاني: «من الداء العُضال»، و«إذا هزَّ القناة سقاها».
(٤) في الأغاني: «رِزَّ كتيبة»، والرِزُّ: الصوت تسمعه من بعيد.
(٥) مصقولة فارسية: أراد السيف. الصَّرى في الأصل: بقية اللبن في الضرع، والمراد أنهم يأتون بآخر ما يمكن من الضرب بها.
(٦) في الأغاني: «تُرْبَةٌ وصفائحُ».
(٧) زقا: صاح. والصدى هنا: طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل ويصيح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره.
(٨) يقال: نآه ونأى عنه إذا بعد عنه. وشطت: بعدت. والنوى هنا: الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد، ومثله النية. واستمر: استحكم. والمرير هنا: العزيمة، ومثله المريرة. يقال: استمرت مريرة فلان على كذا إذا استحكم أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفهُ واعتادَهُ.
(٩) تبرقعت المرأة: غطت وجهها بالبرقع، وهو قناع المرأة، وسفرت المرأة كشفت عن وجهها.

عليَّ دِماءُ البُدْنِ إن كان زَوْجُها يَرَى ليَ ذنباً غَيْرَ أَنّي أَزُورُها[١]
وَأَنّي إذا ما زُرْتُها قُلْتُ: يا اسْلَمي فَهلْ كانَ في قولِ اسْلَمي ما يَضِيرُها[٢]
حمامةَ بَطْنِ الوادِيَيْنِ تَرَنَّمي سَقَاكِ من الغُرِّ الغوادي مَطيرُها
أبيني لنا لا زالَ رِيشُكِ ناعماً وَلا زِلْتِ في خَضْراءَ دَانٍ بَرِيرُها[٣]
وَقد تذهبُ الحاجاتُ يَطْلُبها الفَتَى شَعاعاً وَتَخْشَى النفسُ ما لا يَضِيرُها[٤]
أَيَذْهَبُ رَيْعَانُ الشبابِ ولم أَزُرْ عَرَائرَ من هَمْدَانَ بيضاً نُحُورُها
وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى فِي ذَرَى مُتَمَنِّعٍ بِنَجْرَانَ لاَلْتَفَّتْ عَلَيَّ قُصُورُها
يَقَرّ بعيني أَنْ أرى العِيسَ تَرْتمي بنا نَحو ليلى وَهْي تَجْري صُقُورُها
وَأُشْرِفُ بالغَوْرِ اليَفَاعِ لَعلَّني أرى نَار ليلى أو يَرَاني بَصِيرُها[٥]
أَرتنا حِمَام المَوْتِ لَيْلَى، وَرَاقَنا عُيونٌ نَقِيّاتُ الحواشي تُدِيرُها

حتى أتت على آخرها. فقال: يا ليلى، ما رَابه من سفورك؟ فقالت: أيها الأمير؛ ما رآني قط إلاّ متبرقعة، فأرسل إليّ رسولاً إنه ملمٌّ بنا، فنظر أهلُ الحيّ رسوله فأعدُّوا له وكمنوا؛ فَفَطِنْتُ لذلك من أمرهم، فلما جاء ألقيت بُرقعي وسَفَرْتُ فأنكر ذلك، فما زاد على التسليم وانصرف راجعاً. فقال لها الحجاج: لله درك! فهل كانت بينكما ريبة قط؟ قالت: لا والذي أسأله صلاحك، إلاَّ أني رأيت أنه قال قولاً فظننت أنَّه خضع لبعض الأمر، فقلت:

وَذِي حاجةٍ قُلْنا لهُ: لا تَبُحْ بها فَلَيْسَ إليها ما حَيِيتَ سَبيلُ
لنا صَاحِبٌ لا يَنْبَغي أَنْ نَخُونَهُ وَأَنْتَ لأُخْرى صَاحِبٌ وخَلِيلُ[٦]

فما كلمني بشيء بعد ذلك حتى فرّق الموت بيني وبينه. فقال لها: حاجتكِ! قالت:

---

(١) البُدن: جمع بَدَنَة، وهي الناقة أو البقرة تُسمَّن وَتُذْبح بمكة. وفي الأغاني: «إن كان بَعْلُها».
(٢) في الأغاني: «وما كان في قولي اسْلَمي ما يضيرُها».
(٣) البرير: ثمر الأراك.
(٤) الشَّعَاعُ: المتفرّق المنتشر. يقال: دَمٌ شعاع، وذهبت نفسه أو قلبه شعاعاً تفرقت هِمَمُها وآراؤها فلا تَتَّجهُ لأمْرٍ جَزْمٍ.
(٥) أشرف: أطلّ أو أنظر من مكانٍ عالٍ. وفي الأغاني: «وأشرف بالقوز اليفاع». والقوز: الكثيب من الرمل. واليفاع: المُشرف.
(٦) في الأغاني: «وأنت لأخرى فارغ وحليلُ.

أن تحملني إلى قتيبة بن مسلم على البريد إلى خراسان، فحملها فاستظرفها قتيبة وَوَصَلها، ثم رجعت فماتت بساوة[١]، وقَبْرُها هناك.

وروى المبرد أنّها لما أنشدته الأبيات «أحجاج إن الله أعطاك».. إلى قولها «غلام إذا هز القناة ثَنَاها» قال لها: لا تقولي غلام، ولكن قولي: همام، ثم قال لها: أي نسائي أَحَبُّ إليك أن أُنزلك عندها؟ قالت: ومن نساؤك أيها الأمير؟ قال: أم الجلاس بنتُ سعيد بن العاص الأموية، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية، وهند بنت المهلب بن أبي صُفْرة العَتَكية. قالت: هذه أحب إلي. فلما كان الغد دخلت إليه فقال: يا غلام أعطها خمسمائة قالت: أيها الأمير، اجعلها أُدْماً[٢]. قيل لها: إنما أمر لك بشاء، فقلت: الأميرُ أكرم من ذلك؛ فجعلها إبلاً أُدْماً استحياء؛ وإنما كان أمر لها بشاء [أولاً، والأدم أكرمها].

وأول هذا الحديث عن رجل من بني عامر بن صعصعة يقال له وَرْقاء قال: كنت عند الحجاج فدخل الآذِن[٣] فقال: أصلح اللَّهُ الأمير! بالباب امرأة تَهْدِرُ كما يَهْدِرُ البعير النادّ[٤]. قال: أَدْخِلْها، فلما دخلت نَسبها فانتسبَتْ له. فقال: ما أَتى بك يا ليلى؟ قالت: إخلافُ النجوم، وقلّةُ الغيوم، وكلَب البَرْد[٥]، وشدة الجَهْدِ، وكنت لنا بعد الله الرِّفْدَ.

قال لها: أخبريني عن الأرض. قالت: الأرض مُغْبَرَّة، والفِجَاج مقشعرّة[٦]، وأصابتنا سنون مُجْحِفة مُظْلِمة[٧]، لم تَدَعْ لنا هُبَعاً ولا رُبَعاً، ولا عافِطة ولا نافطة[٨] أهلكت الرجال، ومزَّقت العِيَال، وأفسدت الأموال، وأنشدت الأبيات التي مضت آنفاً؛ فالتفت الحجاجُ [إلى أصحابه]. وقال: هل تعرفون هذه؟ قالوا: لا، قال: هذه ليلى الأخيلية التي تقول:

---

(١) روى صاحب الأغاني أنها توفيت بالريّ.
(٢) الأدم: جمع أدماء، وهي السمراء اللون.
(٣) الآذن: الذي ينقل الإذن بالدخول، شبه الحاجب اليوم.
(٤) البعير النادّ: الشَّرُود.
(٥) كَلَبُ البرد: شِدَّتُه وَحِدَّتُه.
(٦) اقشعرار الأرض: تقبضها من المحل. والفجاج: جمع فجّ، وهو كلّ سعةٍ بين نشازين.
(٧) السنون هنا: القحوط. مجحفة: قاشرة تجترف المال وتذهب به.
(٨) الهُبَعُ: ابن الناقة الذي ينتج آخر فصل النتاج. والربع: الذي ينتج في وقت الربيع. والعافطة: الضائنة. والنافطة: الماعزة.

نَحْنُ الأَخايِلُ لا يَزالُ غُلامُنا حتَّى يَدِبَّ على العَصَا مَذْكُورا[١]
تَبْكِي الرِّماحُ إذا فَقَدْنَ أَكُفَّنا حُزْناً وَتَلقانا الرِّفاقُ بُحُورا[٢]

وفي آخر حديثها قال لها: أنشدينا بعض شعرك، فأنشدته:

لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا لم تُصِبْهُ في الحياة المَعَايِرُ
وَمَنْ كانَ مما يُحْدِثُ الدهرُ جازعاً فلا بُدّ يوماً أن يُرَى وَهْوَ صَابِرُ
فلا يُبْعِدَنْكَ الله يا تَوْبَ هالكاً لَدى الحربِ إن دارَت عليك المقادِرُ[٣]
فَكُلّ جديدٍ أو شبابٍ إلى بِلًى وَكُلّ امرئٍ يوماً إلى اللَّهِ صائِرُ[٤]
وَكُلّ قَرينَيْ أُلْفَةٍ لِتَفَرُّقٍ شَتَاتٍ وَإنْ ضَنّا وَطَالَ التَّعَاشُرُ
فَأَقْسَمْتُ أبكي بَعْدَ تَوْبَةَ هالكاً وَأَحْفِلُ مَنْ دَارتْ عليهِ الدوائِرُ[٥]

فقال الحجاج لصاحب له: اذهب فاقطع عني لسانها، فدعا لها بالحجام ليقطع لسانها. فقالت له: ويحك! إنما قال لك الأمير: اقطع لساني بالعطاء، فارجع إليه فاسأله، فسأله فاستشاط غيظاً، وهمّ بقطع لسانه، [ثم أمر بها فأدخلت] فقالت: أيها الأمير، كاد يقطع مِقْولي، وأنشدته:

حَجّاجُ أَنتَ الذي ما فَوْقَهُ أَحَدٌ إلاّ الخليفةُ والمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ
حَجاج أَنْتَ شِهابُ الحَرْب إن لَقحتْ وَأَنْتَ لِلناس نُورٌ في الدُّجا يَقِدُ[٦]

❊ ❊ ❊

احتذى الحجاجُ في قوله: «اقطع لسانها» قولَ النبي ﷺ لما أعطى المؤلّفة قلوبهم يوم حُنين مائة من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس أربعين فسخطها وقال:

---

(١) في الأغاني: «على العصا مشهورا».
(٢) في الأغاني: «جزعاً وتعرفنا الرفاق بحورا».
(٣) في الأغاني: «أخا الحرب».
(٤) في الأغاني: «إلى الموتِ صائرُ».
(٥) أي أقسمت لا أبكي.. ولا أحفل. وفي الأغاني: «فأقسمت أرثي».
(٦) في الأغاني:
حَجّاجُ أَنْتَ سِنَانُ الحَرْبِ إنْ نُهِجَتْ وَأَنْتَ للناسِ في الدَّاجي لنا تَقِدُ

أتجعلُ نَهْبِي وَنَهبَ العُبَيْد بينَ عُيَيْنَةَ وَالأَقرَعِ[١]
وَما كانَ حِصْنٌ ولا حَابِسٌ يَفُوقانِ مِرْداسَ في مَجْمَعِ
وَما كُنتُ إلاَّ امرأً منهمُ ومَنْ تَضَعِ اليوم لا يُرْفَعِ[٢]

العُبيد: اسم فرسه، وحصن [الذي ذكره] هو أبو عُيَيْنة بن حِصْن بن حذيفة بن بَدْر سيد فزارة، وحابس: أبو الأقرع بن حابس، وقد تقدم نسبه ـ فأمر النبي ﷺ بإحضاره، فقال: أنت القائل:

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة

وكان النبي عليه الصَّلاة والسَّلام كما قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾[٣]. فقال: قم يا علي فاقطع لسانه. قال العباس: فقلت: يا عليّ؛ وإنك لَقَاطعٌ لساني؟ قال: إني مُمْضٍ فيك ما أمرت، فمضى بي حتى أدخلني الحظائر، فقال: اعتدّ ما بين الأربعين إلى مائة، قلت: بأبي أنت وأمي! ما أَحلمكم وأعلمكم وأعدلكم وأكرمكم! فقال: إن رسولَ الله ﷺ أَعطاك أربعين، وجعلك من المهاجرين [فإن شئت] فَخُذْها، وإن شئت فَخُذْ مائة، وكن من المؤلَّفة قلوبُهم. فَقُلْت: أشِرْ عليّ. فقال: إني آمرك أن تأخذ ما أعطاك. فأخذتها.

* * *

وكانت ليلى الأخيلية قد حاجَّت النابغة الجَعْدي فأَفحمته[٤].

ودخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنّت فقال: ما رأى تَوْبَةُ فيك حتى أحبك؟ قالت: رأى فيّ ما رأى الناسُ فيك حين ولّوك! فضحك عبدُ الملك حتى بدَتْ له سن سوداء كان يُخْفِيها.

---

(١) في الأغاني: «فأصبح نهبي».
(٢) في الأغاني: «وما كُنْتُ دُونَ امرىءٍ مِنْهُما».
(٣) سورة يس، آية (٦٩).
(٤) في العمدة في محاسن الشعر (١/١٠٦): أن موت النابغة الجعدي كان بسبب ليلى الأخيلية؛ فرّ من بين يديها فمات في الطريق مسافراً، وقيل: هي التي ماتت في طلبه.

[عود إلى رثاء شوَاعر العرب]

لهند بنت أسد ترثي أخاها

وقالت هند بنت أسد الضبابية:

لقد ماتَ بالبيضاءِ من جانبِ الحِمَى فَتًى كانَ زَيْناً للمواكبِ والشَّرْبِ
يَلُوذُ به الجاني مَخَافةَ ما جَنَى كما لاذَتِ العَصْماءُ بالشاهقِ الصَّعْبِ
تَظلُّ بَناتُ العمِّ والخالِ حَوْلَهُ صَوادِيَ لاَ يَرْوَيْن بالباردِ العَذْبِ

لأم خالد النميرية

وقالت أم خالد النميرية [تشبب بأثال الكلابي[١]]:

إذا ما أتتنا الريحُ من نحوِ أرضهِ أتتنا بِريَّاهُ فَطابَ هُبوبُها[٢]
أتتنا بِمِسكٍ خالطَ المِسْكَ عَنْبَرٌ وَريحِ خُزامى باكَرَتْها جَنُوبُها
أَحِنُّ لِذِكْراه إذا ما ذَكَرْتُه وَتَنْهَلُّ عبراتٌ تَفِيضُ غُروبُها[٣]
حَنينَ أَسِيرٍ نازحٍ شُدَّ قَيْدُهُ وَإعوالَ نَفْسٍ غابَ عنها حَبِيبُها[٤]

وأنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى [ثعلب]، لأم الضحاك المحاربية وكانت تحب رجلاً من الضِّباب حباً شديداً:

يـأيها الراكبُ الغادي لِطيَّتِهِ عَرِّجْ أَبُثُّكَ عن بَعْضِ الذي أجِدُ[٥]
ما عَالَجَ الناسُ من وَجْدٍ تَضمّنهم إلاَّ وَجَدْتُ به فَوْقَ الذي وَجَدوا
حَسْبي رِضاهُ وأنّي في مَسرَّتهِ وَوُدِّهِ آخرَ الأيامِ أجتهدُ

وقالت:

---

(١) كذا ورد، والسياق يقضي بأن يكون هذا الشعر رثاءً لا تشبيباً.
(٢) الريَّا: الرائحة الطيبة.
(٣) عبرات: جمع عبرة: الدمعة. غُرُوبٌ: جمع غَرْب، وهو الدمع، أو مسيله.
(٤) الإعوال: من عوَّل الرجل إذا رفع صوته بالبكاء والصياح.
(٥) الطِّيَّةُ: الجهة أو الناحية البعيدة، والنيَّة، والحاجة.

هَلِ القلبُ إن لاَقَى الضَّبَابِيَّ خالياً لَدَى الرُّكْنِ أو عند الصَّفَا يَتَحرَّجُ
وأَزْعَجنا قُربُ الفراقِ، وَبَيْنَنَا حَديثٌ كَتنفيس المريضين مُزْعِجُ
حَديثٌ لَوَ اَنّ اللحمَ يُشْوَى بِحَرِّهِ غَرِيضاً أَتى أصحابَهُ وَهْوَ مُنْضَجُ(١)

لحليمة الخضرية

وأنشد الزبير بن بكار لحليمة الخُضْرية، وقد أنشدها المبرد لنبهان العَبْشَمِي(٢) وهو أشبه(٣):

يَقَرُّ بعيني أَن أَرى مَنْ مَكانُه ذُرَى عَقِداتِ الأَجرعِ المُتَقَاوِدِ(٤)
وَأَنْ أَرِدَ الماءَ الذي شَرِبَتْ بِه سُلَيْمَى وإن مَلَّ السُّرى كلُّ واحِدِ
وأُلْصِقَ أَحْشائي بِبَرْدِ تُرَابِه وَإنْ كانَ مَخْلُوطاً بِسُمِّ الأَساوِدِ(٥)

للفارعة بنت شداد

وقالت الفارعَة بنت شداد ترثي أخاها مسعوداً:

يا عينُ بَكّي لِمَسْعُود بن شَدَّادِ بُكاءَ ذي عَبَراتٍ شَجْوُه بَادِي
مَن لا يُذابُ له شَحْمُ السَّديفِ ولا يَجْفُو العِيالَ إذا ما ضُنَّ بالزادِ(٦)
ولا يحلُّ إذا ما حَلَّ مُنْتَبِذاً يَخْشَى الرزيةَ بين المالِ والنادي(٧)
قَوّالُ مُحْكَمةٍ، نَقّاضُ مُبْرَمَةٍ فَتّاحُ مُبْهَمَةٍ، حَبّاسُ أَوْرَادِ(٨)

---

(١) الغريض: اللحم الطريّ.
(٢) العبشمي: نسبة إلى عبد شمس، وقالوا في النسبة: عبدري، وعبقسي، نسبه إلى عبد الدار وعبد القيس.
(٣) يتضح من سياق الأبيات أن قائلها رجل وليس امرأة، خصوصاً ما ورد في البيت الثاني من ذكر امرأة (سليمى) يتشوق إليها رجل، مما يرجح لدينا أن الشعر للعبشمي وليس لحليمة الخضرية.
(٤) الأجرع: الأرض ذات الحزونة، تشاكل الرمل.
(٥) الأساود: جمع أسود، وهو العظيم من الحيات، وقيل: هو أخبثها وأنكاها.
(٦) السديف: لحم السنام.
(٧) انتبذ فلان: اعتزل ناحيةً، وانتبذ عن القوم: تنحَّى.
(٨) المُبْرمة: المحكمة. المبهمة: ما يصعب على الحاسّة إدراكه إن كان محسوساً، وعلى الفهم إن كان معقولاً. والأوراد: جمع وِرْد: الماء الذي يُورَد.

قَتَّـالُ مَسْغَبَـةٍ، وَثَّـاب مَـرْقَبَـةٍ مَنَّـاعُ مَغْلَبَـةٍ، فَكَّـاكُ أَقيَـادِ[(١)]
حَـلاَّلُ مُمْـرِعَـةٍ، فَـرَّاجُ مُفْظِعَـةٍ حَمَّـالُ مُضْلِعَـةٍ، طَـلاَّعُ أَنجـادِ[(٢)]
حَمَّـالُ ألْـويـةٍ، شهَّـادُ أنْـديـةٍ شَـدَّادُ أَوْهِيَـة، فَـرَّاجُ أَسْـدَادِ[(٣)]
جَمَّـاعُ كـلِّ خصـالِ الخيـرِ قَـدْ علمـوا زَيْـنُ القَـريـن ونِكْـلُ الظَـالـم العـادِي[(٤)]
أَبَـا زُرَارة لا تَبْعَـدْ فَكُـلُّ فَتًـى يَـوْمـاً رَهيـنُ صَفيحـاتٍ وأَعْـوَادِ
هَـلاَّ سَقيْتُـم، بنـي جَـرْمٍ، أسيـرَكُـم نَفْـسِي فِـداؤُك مـن ذِي كَـرْبـةٍ صَـادِي
نِعْـمَ الفتَـى، وَيميـنِ اللَّـهِ، قـد علمـوا يَخْلُـو بـه الحـيُّ أو يَغْـدو بـه الغَـادِي
هُـوَ الفَتَـى يَحْمَـدُ الجيـرانُ مَشْهَـدَهُ عِنْـدَ الشتـاءِ وقَـدْ هَمُّـوا بـإخمـادِ
الطـاعـنُ الطعنـةَ النّجـلاَءَ يَتْبَعُهـا مُثْعَنْجِـراً بَعْـدَ مـا تَغْلـي بـإزْبَـادِ[(٥)]
وَالسـابـىءُ الـزِّقّ لـلأضيـافِ إن نَـزلُـوا إلـى ذَرَاهُ وَغَيْـثُ المُحْـوَجِ الغَـادِي[(٦)]

والمحسنات من النساء كثير، وقد تفرّق لهن في أضعاف هذا الكتاب ما اختير.

[عَبَرات المحبين]

مما أنشده ثعلب

وأنشد أحمد بن يحيى ثعلب:

وَمُسْتَنجِـدٍ بـالحُـزْنِ دَمْعـاً كـأنـهُ علـى الخـدِّ ممـا لَيْـسَ يَـرْقَـأُ حَـائـرُ[(٧)]
إذا دِيمَـةٌ منـهُ استقلَّـتْ تَهلّلَـتْ أوائـلُ أخـرى مـا لَهُـنّ أَواخـرُ

(١) المَسْغَبَةُ: المجاعة، قال تعالى: ﴿أو إطعامٌ في يَوْمٍ ذي مَسْغَبَةٍ﴾ (سورة البلد، آية ١٤). المرقبة: موضع المراقبة.
(٢) المُمْرِعَةُ: المُخْصِبةُ. والأنجاد: المرتفعات.
(٣) الألوية: الرايات. الأندية: مجالس القوم. الأوهية: جمع وهي، وهو الشقّ في الشيء. والأسداد: جمع سَدّ، وهو الحاجز بين الشيئين، والبناء في مجرى الماء ليحجزه.
(٤) النِّكْلُ: القيد، ويقال: رجل نِكْلٌ: يغلب أقرانه، وهو نِكْلُ شرٍّ: قوي عليه.
(٥) طعنة نجلاء: واسعة. المثعنجر: السائل من الماء والدمع.
(٦) سبأ الخمر: اشتراها ليشربها.
(٧) رَقَأَ الدمع: سكن. و«ما» في قوله: «مما ليس يرقأ»: مصدرية، وتقدير الكلام: كأنه ـ من عدم سكونه ـ طائر.

مَلاَ مُقْلَتيهِ الدمعُ حتّى كأَنَّهُ لِمَا انهلَّ من عَيْنَيْهِ في الماءِ نَاظِرُ[١]
وَيَنظُرُ من بينِ الدموعِ بِمُقْلَةٍ رَمَى الشوقُ في إنسانِها فَهْوَ سَاهِرُ[٢]

مما ينسب إلى قيس بن الملوح

وقال آخر ـ ورُوِيَتْ لقيس بن الملوّح:

نَظرتُ كأنـي مِنْ وَراءِ زُجاجةٍ إلى الدارِ مِنْ ماءِ الصبابةِ أَنظرُ
فَعينايَ طَوْراً يَغْرقانِ من البُكا فأَغْشَى، وطَوراً تَحْسِران فأُبْصِرُ[٣]

لذي الرمة

وقال غيلان[٤]:

وَما شَنّتا خَرْقاء وَاهيةِ الكُلَى سَقى بِهما ساقٍ وَلمَّا تَبَلَّلا[٥]
بِأَضْيَعَ مِنْ عَينيكَ للدَّمعِ كُلّما تَوهَّمْتَ رَبعاً أو تَوسَّمْتَ مَنْزِلا

وقال آخر:

وَممّا شَجاني أنَّها يوم وَدّعتْ تَولّتْ وَمَاءُ الجَفْنِ في العينِ حَائِرُ[٦]
فَلمّا أَعادتْ مِنْ بَعيدٍ بِنَظْرَةٍ إليَّ التفاتاً أسْلَمَتْهُ المَحَاجِرُ[٧]

---

(١) ملا: أصله ملأ، مُخفَّف.
(٢) إنسان العين: ناظرها، سوادها.
(٣) يعشى: يضعفُ بَصَرُه.
(٤) هو أبو الحارث، غيلان بن عقبة بن بهئي بن مسعود بن عمرو بن ربيعة، من بني عَدِيّ، وسمّي ذا الرمّة بقوله في الوتد: «أشعث باقي رمّة التقليد». وهو من عشاق العرب المشهورين، وصاحبته ميّة بنت بن فلان بن طلبة بن عاصم. ولد ونشأ في البادية، وكان يذهب في شعره مذاهب الجاهليين، وقال أبو عمرو بن العلاء: خُتم الشعر بذي الرمة. توفي سنة ١١٧ هـ/ ٧٣٥ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٢/ ٤٣٧؛ الأصفهاني، الأغاني: ١٧/ ٣٠٦).
(٥) الشَّنَّةُ والشَّنُّ: القِرْبَةُ الخَلَقُ الصغيرة، يكون الماء فيها أبرد من غيرها. والكُلَى: جمع كُلْيَة، وهي من المزادة أو الراوية: جُلَيْدَةٌ مستديرة مشدودة العروة قد خُرِزَت مع الأديم تحت عروة المزادة، وكلية الإداوة: الرقعة التي تحت عروتها، وكلية السحابة: أسفلها.
(٦) شجاني: أحزنني.
(٧) أسلمته المحاجر: كناية عن انهمال الدمع.

للبحتري

أبو عُبَادة البحتري[١]:

وَقَفْنَا والعيونُ مُشغَّلاتٌ ... يُغَالبُ طَرفَها نَظَرٌ كَلِيلُ[٢]
نَهَتْهُ رِقْبَةُ الواشِينَ حتَّى ... تَعلَّقَ لا يَغيضُ ولا يَسِيلُ

مما أنشده جحظة

وأنشد أبو الحسن [جحظة]:

وَمِنْ طاعتِي إياه أمْطَرَ ناظري ... إذا هُو أَبْدَى من ثَناياهُ لي بَرْقَا
كأَنَّ دموعي تُبْصِرُ الوَصْلَ هارباً ... فَمِنْ أَجْلِهِ تَجْري لِتُدْرِكَهُ سَبْقَا

للمتنبي

أخذ البيت الأول المتنبي فقال[٣]:

يَبْتَلُّ خَدّي كلما ابْتَسَمَتْ ... مِنْ مَطَرٍ بَرْقُهُ ثَنَايَاهَا[٤]

لأبي الشيص

وقال أبو الشيص[٥]، واسمه محمّد بن عبيد اللَّه، وهو ابن عم دعبل:

وَقائلةٍ وَقَدْ بَصُرَتْ بِدَمْعٍ ... على الخَدَّيْنِ مُنْحَدِرٍ سَكُوبِ
أَتكذبُ في البكاءِ وأَنْتَ جَلْدٌ ... قَديماً ما جَسَرْتَ على الذنوبِ[٦]
قَميصُكَ والدموعُ تجولُ فيهِ ... وَقلبُكَ ليس بالقلبِ الكَئيبِ

---

(١) البحتري، الديوان: ١/٣٣٩. والبيتان من قصيدة يمدح بها أبا عيسى بن صاعد.
(٢) في الديوان: «يغالبُ دمعها».
(٣) المتنبي، الديوان: ٢/٣٦٧. والبيت من قصيدة يمدح بها عضد الدولة البويهي عند قدومه عليه بشيراز.
(٤) في الديوان: «تَبُلُّ خَدَّيّ». والثنايا: جمع ثنية، وهي السنُّ في مقدم الفم. يقول: كلما ابتسمت فلمعت ثناياها كالبرق، بكيت فجرى دمعي كالمطر، فكان هذا المطر عن ذلك البرق.
(٥) وردت ترجمته في مكان سابق.
(٦) الجَلْدُ: القوي، الصابر على المكروه، وجَسَرَ: شَجُعَ، أو مضى ونفذ.

كَمثْلِ قميصِ يُوسفَ حين جاءوا عليه عَشيّةً بِدَمٍ كَذُوبِ
[فَقُلْتُ لها: فِداك أبي وأمي رَجَمْتِ بِسُوءِ ظَنّكِ في الغُيوبِ]
أما واللَّهِ لو فَتّشتِ قلبي لَسَرَّكِ بالعويلِ وَبالنحيبِ
دُموعُ العاشقين إذا تَلاقَوْا بِظَهْرِ الغيبِ أَلسِنةُ القلوبِ

[من أخبار العباس بن الأحنف]

وقال بشار بن برد: ما زال فتى من بني حَنِيفة يُدْخِلُ نَفْسَهُ فينا ويُخرِجُها مِنّا حتى قال:

نَزَفَ البكاءُ دُموعَ عَيْنِكَ فاسْتَعِرْ عَيْناً لِغَيْرِكَ دَمْعُها مِدْرَارُ[1]
مَنْ ذَا يُعيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أرأيتَ عَيْناً للبكاءِ تُعَارُ؟!

قال: وهذا الذي عناه بشار هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن طلحة بن هارون بن كلدة بن خزيم بن شهاب [بن سالم] بن حبة بن كليب بن عدي بن عبد اللَّه بن حنيفة، وكان كما قال بعض مَنْ وصفه: كان أحسن خَلْقِ الله إذا حَدّث حديثاً، وأحسنهم إذا حُدِّث استماعاً، وأمسكهم عن مُلاحاةٍ إذا خُولِف، وكان ملوكي المذهب، ظاهر النِّعمة، حسنَ الهيئة، وكانت فيه آلاتُ الظَّرْفِ، كان جميلَ الوجه، فَارِه المركب، نظيفَ الثَّوْب، حَسَنَ الألفاظ، كثير النوادر، رطيب الحديث، باقياً على الشراب، كثيرَ المساعدة، شديد الاحتمال، ولم يكن هجّاءً، ولا مدّاحاً، كان يتنزّهُ عن ذلك، ويُشَبَّه من المتقدمين بعمر بن أبي ربيعة.

وسُئل أبو نواس عن العباس وقد ضمَّهما مجلس فقال: هو أَرَق من الوَهْم، وأحسن من الفهم.

وكان أبو الهُذَيل العلاف المعتزلي[2] إذا ذكره لَعَنَه وزَنّاه لأجل قوله:

وَضَعْتُ خَدِّي لأَدْنَى مَنْ يُطِيفُ بِكُمْ حتى احْتُقِرْتُ وما مِثْلِي بِمُحْتَقَرِ[3]

---

(١) نَزَفَ الدمع والماء أو نحوهما: أفناه، يقال: بكى حتى نَزَف دمعه، أي نفد وفني، والمدرار: الكثير الدَّرّ، يقال سحاب مدرار: كثير السحّ، وعين مدرار: كثيرة الدمع.

(٢) هو أبو الهذيل، حمدان بن الهذيل العلاف، مولى عبد القيس، وشيخ أهل البصرة من المعتزلة. أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل، عن واصل بن عطاء، ولقب بالعلاف لأن داره كانت في العلافين. توفي سنة ٢٢٦ هـ/ ٨٤١ م. (الشهرستاني، الملل والنحل: ١/ ٦٣).

(٣) وضعت خدّي: كناية عن الخضوع. وأدنى: أقل. ويطيف بكم: أراد من هو من خدمهم وحشمهم.

إذا أرَدْتُ انتصاراً كان ناصِرَكُمْ ... قَلبي، وَما أنا مِنْ قلبي بِمُنْتَصِرِ
فَأكْثِرُوا أو أَقِلُّوا مِنْ مَلامِكُمُ ... فَكُلُّ ذلك مَحْمُولٌ على القَدَرِ

وقوله في البيت الأوسط كقوله:

قَلبي إلى ما ضَرّني داعي ... يُكْثِرُ أسْقامي وأوْجاعي
لَقَلّما أبْقَى على ما أرَى ... يُوشِكُ أنْ يَنعانيَ الناعي
كَيْفَ احتراسي مِنْ عَدُوِّي إذا ... كانَ عَدُوِّي بَيْنَ أضلاعي

وقيل [لعنان] جارية الناطفي: من أشعرُ الناس؟ قالت: الذي يقول:

وَأَهْجُرُكُمْ حتى يَقُولوا: لقد سَلاَ ... وَلَسْتُ بِسالٍ عن هَوَاكِ إلى الْحَشْرِ[1]
وَلَكنْ إذا كانَ المُحِبُّ على الذي ... يُحِبُّ شَفيقاً نازَعَ الناسَ بِالهَجْرِ

وقال [العباس]:

جَرى السيلُ فاستبكانيَ السيلُ إذْ جرَى ... وَفاضَتْ له مِنْ مُقلتيَّ غُروبُ
وَمَا ذاكَ إلاَّ أنْ تَيَقَّنْتُ أنَّهُ ... يَمُرّ بِوَادٍ أنْتِ منهُ قَريبُ
يَكُونُ أُجاجاً دُونَكُمْ فإذا انتهى ... إليكُمْ تَلقَّى طِيبَكُمْ فَيَطِيبُ[2]
فيا سَاكِني شَرْقِيَّ دِجْلَةَ كُلُّكُمْ ... إلى القلبِ من أجلِ الحبيبِ حَبيبُ

موازنة بين العتابي والعباس

وقال الصولي: ناظرَ أبو أحمد علي بن يحيى المنجم رجلاً يُعْرَف بالمتفقه الموصلي في العباس بن الأحنف والعتّابي، فعمل عليٌّ في ذلك رسالة أنفذها لعلي بن عيسى؛ لأن الكلامَ في مجلسه جَرَى. وكان مما خاطبه به أن قال: ما أَهَّل نَفْسَهُ قط العتَّابي لتقديمها على العباس في الشعر، ولو خاطبه مخاطبٌ لَدَفَعه وأنكَره؛ لأنه كان عالماً لا يُؤتَى من قلة معرفة بالشعر، ولم أرَ أحداً من العلماء بالشعر مثل العتَّابي والعباس، فضلاً عن تقديم العتَّابي عليه لتباينهما [في ذلك]، وإن العتابي متكلف، والعباس يتدفّق طبعاً؛ وكلامُ هذا سهلٌ عَذْب، وكلامُ ذاك متعقّد كَزٌّ[3]، وفي شعر هذا رقّةٌ وحلاوة، وفي شعر ذاك غِلَظ

---

(١) سلاه، وسلاعنه سُلُوًّا، وَسَلْواً، وَسُلْواناً: نَسِيَهُ وطابت نفسه بعد فراقه.
(٢) الأجاج: ما يلذع الفم بمرارته وملوحته.
(٣) الكَزُّ: القبيح.

وجَسَاوة[١]، وشِعْرُ هذا في فنٍّ واحد وهو الغزل؛ وأكْثَرَ فيه وأحسن، وقد افتنَّ العتَّابي فلم يخرج في شيء منه عمَّا وصفناه.

وإن من أحسن شعر العتابي قصيدته التي مدح بها الرشيد وأولها:

يـا لَيْلـةً لِـيَ فـي حَـوْرَانَ سَـاهِـرةً حَتّـى تَكلَّـمَ فـي الصبـحِ العَصَـافيـرُ

وقال فيها:

أَفـي الأَمَـاقِـي انْقِبـاضٌ عَـنْ جُفُـونِهمـا أَمْ فـي الجفـون عَـنِ الآمـاقِ تَقْصِيـرُ

وهذا البيت أخذه من قول بشار الذي أحسن فيه كل الإحسان وهو قوله[٢]:

جَفَـتْ عَيْنِـي عـنِ التغميـضِ حتَّـى كـأنَّ جُفُـونَهـا عَنْهَـا قِصَـارُ[٣]

فمسخه العتابي، على أن بشاراً أخذه من قول جميل[٤]:

كـأَنَّ المُحِـبَّ لِطـولِ السُّهَـادِ قَصيـرُ الجفـونِ ولـم تَقْصُـرِ

إلاَّ أن بشاراً أحسن فيه؛ فنازعهما إياه فأساء، وإنَّ حقَّ من أخذ معنى قد سُبق إليه أن يصنعه أجود من صَنْعَة السابق إليه، أو يزيد عليه، حتى يستحقه، وأما إذا قصّر عنه فهو مسيءٌ مَعِيب بالسرقة، مذموم على التقصير.

ولقد هاجى أبا قابوس النصراني[٥] فَغُلِّبَ عليه في كثيرٍ مما جرى بينهما على ضَعْفِ مُنّة أبي قابوس في الشعر، ثم قال في هذه القصيدة:

مـاذا عَسَـى مَـادحٌ يُثْنِـي عليـك وَقَـدْ نَـادَاكَ بـالـوَحْـيِ تَقْـديـسٌ وَتَطْهيـرُ

---

(١) الجساوة: الخُشونة والصلابة.

(٢) بشّار بن برد، الديوان: ٣/ ٢١٧. والبيت من قصيدة يفتخر فيها بمضر، وانتصارهم لخلفاء بني أمية، وذلك قبل قيام الدولة العباسية.

(٣) جفت: بعدت. التغميض: إطباق الجفون، النوم.

(٤) لم نجد هذا البيت في ديوانه (دار صادر).

(٥) هو أبو قابوس، عمرو بن سليمان: شاعر نصراني من أهل الحيرة. عاش في زمن هارون الرشيد، ولم يرد لمولده ووفاته تاريخ. كان منقطعاً إلى البرامكة، وبهم تقرّب إلى الرشيد. وعاصر أبو قابوس الشاعرين كلثوم بن عمرو العتابي وأبا العتاهية وهجاهما. (المرزباني، معجم الشعراء: ٣١؛ شيخو، شعراء النصرانية: ٢/ ٢٤١).

فُـتَّ الممـادحَ إلاَّ أنَّ أَلْسُنَنَـا مُسْتَعْلِنَـاتٌ بمـا تُخْفِـي الضَّمـائِيـرُ[1]

فختم البيت فيها بأثقل لفظة لو وقعت في البَحر لكدَّرته، وهي صحيحة، وما شيء أملك بالشعر بعد صحَّة المعنى من حُسْنِ صِحَّة اللفظ، وهذا عمل التكلف، وسوء الطبع.

وللعباس بن الأحنف إحسان كثير، ولو لم يكن إلاَّ قوله:

أَنكـرَ النـاسُ سَـاطِـعَ المِسْـكَ مـن دِجْـ ـلـة قَـدْ أَوْسَـعَ المَشَـارِعَ طِيبَـا
فَهُـمُ يَعجَبُـون مِنْـهُ وَمـا يَـدْ رُون أَنْ قَـدْ حَلَلْـتُ مِنْـهُ قَـرِيبـا
قَـاسمينـي هـذا البـلاءَ، وإلاّ فَـاجْعَلِـي لـي مِـنَ التَّعـزِّي نَصِيبـا
إنْ بَعْـضَ العتـابِ يَـدْعُـو إلـى العَتْـ ـبِ، وَيُـؤذِي بـه المُحِـبُّ الحَبِيبـا
وَإذا مـا القُلُـوبُ لـم تُضْمِـر العَطْـ ـف فَلَـنْ يَعْطِـفَ العِتَـابُ القُلـوبـا[2]

وقوله:

قَـالَـتْ مَـرِضْـتُ فَعُـدْتُهـا فَتَبـرَّمَـتْ وَهِـي الصحيحـةُ والمـريـضُ العـائـدُ[3]
تَـاللَّـهِ لـو أَنَّ القلـوبَ كَقَلْبِهـا مـا رَقَّ لِلـولَـدِ الصغيـرِ الـوالِـدُ
إنْ كـانَ ذَنْبِـي فـي الـزيـارةِ فـاعْلَمِـي إنِّـي على كَسْـبِ الـذنـوبِ لَجَـاهِـدُ[4]
ألقيـتِ بيْـنَ جُفـونِ عَيْنـي فُـرْقَـةً فـإلـى متـى أنـا سَـاهِـرٌ يـا رَاقِـدُ
يَقَـعُ البـلاءُ ويَنْقضِـي عَـنْ أَهْلِـهِ وَبَـلاءُ حُبِّـكِ كُـلَّ يـومٍ زَائِـدُ
سَمَّـاكِ لـي نـاسٌ وقـالـوا: إنَّهـا لَهِـيَ التـي تَشْقَـى بهـا وَتُكَـابِـدُ
فَجَحَـدْتُهُـمْ لِيكُـونَ غَيـرِكِ ظَنّهـمْ إنـي لَيُعْجِبنـي المحـبُّ الجـاحِـدُ[5]

وقوله:

---

(١) الضمائير: أصله الضمائر، فأشبع كسرة الهمزة فتولدت ياءً، وقد وقع مثله في قول الفرزدق يصف ناقةً:

تَنْفِي يَداها الحَصَى في كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفْيَ الدَّراهِمِ تَنْقَادُ الصَّيـاريـف

(٢) لن يعطف العتاب القلوب: لن يميلها.
(٣) العائد: الزائر في المرض.
(٤) وردت «إنِّ» مكسورة الهمزة، والذي سوَّغ ذلك وجعله لازماً وُقوع اللاّم في خبرها.
(٥) جحد الأمر وبه جَحْداً، وَجُحوداً: أنكره مع علمه به.

إنّي وإنْ كُنْتِ قَدْ أَساْتِ بيَ الـ يَوْمَ لَراجٍ لِلعَطْفِ مِنْكِ غَدَا
أَسْتَمْتِعُ الله بالرجاءِ وإنْ لم أرَ مِنْكُم ما أرتجي أَبَدَا

وله:

أَهْدَى لَهُ أحبابُهُ أُتْرُجَّةً فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عِيَافَةِ زاجِرِ[١]
مُتَطَيِّراً منها أَتَتْه وَجِسْمُها لَونانِ بَاطنها خِلافُ الظّاهِرِ

ولئن وفّى أبو أحمد العباسَ حقّه، لقد ظلم العتّابي ما كان مستحقه، من سر الكلام، وجَوْدَةِ رصف النظام. قال الصولي في نسب العباس ـ وكان من خؤولته ـ: هو العباس بن الأحنف بن الأسود بن قُدَامة بن هيمان من بني [هفّان بن الحارث بن] ذهل بن [الديل بن] حنيفة. وله يقول الصريع[٢] يهجوه:

بَنُو حَنِيفَةَ لاَ يَرْضَى الدَّعِيُّ بِهِمْ فَاتْرُكْ حَنِيفةَ واطْلُب غَيْرَهَا نَسَبَا[٣]
اذْهَبْ إلى عَرَبٍ تَرْضَى بِنِسْبَتِهِمْ إنّي أَرَى لَكَ لَوْناً يُشْبِهُ العَرَبَا

وقال [أبو أحمد: قال] العباس:

حُرٌّ دعاهُ الهَوَى سِرًّا فَلَبَّاهُ طَوْعاً فأَضْحَكَ مَوْلاَهُ وأبكاهُ
فَشَاهَدَتْ بالذي يُخْفِي لَوَاحِظُه وَعَدَّلَتْها بِفَيْضِ الدمعِ عَيْنَاهُ
جَازَيْتِنِي إذ رَعَيْتُ الودَّ بعدكِ أنْ وَكَّلْتِ طَرْفِي بنجم الليل يرعاهُ
اللّهُ يشهدُ أني لم أَخُنْكِ هَوًى كَفَاكِ بَيِّنَةً أنْ يَشْهَدَ اللّهُ

وقال:

يا مَنْ يُكاتمنيَ تَغَيُّر قَلْبِهِ سَأَكُفُّ نفسي قَبْلَ أَنْ تَتبرَّما
وَأَصُدُّ عنكِ وَفي يَدِيَّ بَقِيَّةٌ مِنْ حَبْلِ وِدِّك قبل أَنْ يَتَصرَّمَا
يا لَلرجالِ لِعاشِقَيْنِ تَواقَفَا وَتخاطَبا من غَيْرِ أنْ يَتكلَّما
حَتَّى إذا خافَا العيونَ وَأشفقا جَعلا الإشارةَ بالأناملِ سُلّمَا

(١) العيافة: زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها ومَمَرِّها، وقيل: هي الظنّ والحدس.
(٢) هو الشاعر مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني، وقد تقدمت ترجمته.
(٣) الدَّعِيُّ: المتهم في نسبه، أو المنسوب إلى غير أبيه.

وقال:

الله يعلمُ ما أَرَدْتُ بِهَجْرِكُمْ ... إلاَّ مُساتَرةَ العَدُوِّ الكاشحِ[1]
وَعَلِمْتُ أَنَّ تَسَتُّري وَتباعدي ... أبْقَى لِوَصْلِك من دُنوٍّ فاضحِ

وقال:

يَهيمُ بحرّان الجزيرةِ قَلْبُهُ ... وَفيها غَزَالٌ فاترُ الطَّرْفِ سَاحِرُهْ
يُؤَازِرُه قَلْبي عَليَّ وَلَيْسَ لي ... يَدَانِ بِمَنْ قلبي عَلَيَّ يُؤَازِرُهْ

[العين والقلب]

وقد قال سهل بن هارون:

أعان طَرْفي على قلبي وَأعضائي ... بِنَظْرَةٍ وَقَفَتْ جِسْمي على دَائي
وَكُنْتُ غِرًّا بما يُجْنَى على بَدَني ... لاَ عِلْمَ لي أنَّ بعضي بَعْضُ أعدائي

وقال النظام[2]:

إنَّ العُيونَ على القلوبِ إذا جَنَتْ ... كَانَتْ بَلِيَّتُها على الأجسادِ

البحتري[3]:

وَلَسْتُ أَعْجَبُ من عِصْيَانِ قلبك لِي ... حَقًّا إذا كانَ قلبِي فيكِ يَعْصِيني[4]

وقال الأصمعي: سمعتُ الرشيد يقول: قَلْبُ العاشق عليه مع مَعْشُوقِه. فقلت: هذا والله يا أمير المؤمنين أَحْسَنُ من قول عُروة بن حزام[5] لِعَفْراء في أبياته التي أنشدها:

---

(١) الكاشح: المُبْغِضُ.

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن سيّار بن هانيء البصري المعتزلي، المعروف بالنظام، وقد وردت ترجمته في مكان سابق.

(٣) البحتري، الديوان: ٢/ ٢٥، والبيت من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله بن حمدون ويعاتبه.

(٤) في الديوان: «عَمْداً إذا كان قلبي فيك يعصيني».

(٥) هو عُرْوَة بن حزام بن مُهاصر، أحد بني ضبة بن عبد من بني عذرة: شاعر إسلامي يتم من أبيه باكراً فعاش في كفالة عمه مالك، وهو من عشاق العرب المشهورين، أحبَّ ابنة عمّه عفراء، لكن أهلها زوجوها من غيره، فمات من أجلها كمداً نحو سنة ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م. (فروخ، تاريخ =

وإنّي لَتَعْرُوني لِذِكْراكِ رَوْعَةٌ ... لها بَيْنَ جِلْدي وَالعظامِ دَبيبُ
وَما هو إلاَّ أنْ أَراها فُجاءةً ... فَأُبْهَتَ حَتّى لا أكادُ أُجيبُ[(١)]
وَأُصْرَفُ عن دائي الذي كُنْت أَرتئي ... وَيَقْرُبُ مِنّي ذِكْرُه وَيَغِيبُ[(٢)]
وَيُضْمِرُ قَلْبي غَدْرَها وَيُعِينها ... عَليَّ، وَمَا لي في الفؤادِ نَصِيبُ[(٣)]

فقال الرشيد: من قال ذلك وَهْماً، فقد قلته علماً.

[من مأثور الحكم]

قال علي بنُ عبيدةَ الريحاني: احْمِ ودَّكَ فإنّه عِرْضُك، وصُنِ الأنس بك فإنه يُغْزِر حظك، ولا تستكثر من الطمأنينة إلاَّ بعد استحكام الثّقة؛ فإن الأنس سريرةُ العقل، والطمأنينة بَذْلَةُ المتحابّين، وليس لك بعدهما تُحْفَةٌ تَمْنحها صاحِبَك، ولا حِبَاء تُوجب به الشكر على من اصطفيت.

وقال: ما أنصف مَنْ عاتب أخاه بالإعراض على ذَنْبٍ كان منه، أو هجرِه لخلافٍ بما يَكْرَه عنده، إذا كان لا يعتدُّ في سالف أيام العشرة إلاَّ بالرضا عنه، ومشاكلته فيما يُؤْنسه منه. فإن كان العاتِب شَكَا جميع ما ستَره من أخيه أولاً، فلقد تُتَمِّمُ الموافقة حظَّ الاغتفار، وإن لم يكن وفى له بكلّ ما استحقّ منه فليقتصّ مِمَّا وجَب منه عليه لأخيه بقدر ذنبه، ثم العودة إلى الألفة أولى من تَشَتُّتِ الشَّمْلِ، وأَشْبَهُ بأهل التصافي، وأَكْرَمُ في الأحدوثة عند الناس.

وقال: الحياءُ لِبَاسٌ سابغ، وحِجَاب وَاق، وسِتْر من المساوي، وأَخُو العفاف، وحَلِيف الدّين، ومُصَاحب بالصّنع، ورَقيب من العِصْمَة وعين كَالِئَةٌ[(٤)] تذودُ عن الفساد، وَتنْهى عن الفحشاء والأدناس[(٥)].

= الأدب العربي: ١/٢٩٨؛ الأصفهاني، الأغاني: ٢٣/٣٠٠).

(١) في الأغاني: «فَما هي إلاَّ أَنْ أراها فُجاءةً» و«ما أكاد».

(٢) في الأغاني: «وَأُصْدِفُ عن رأيي» و«أنسى الذي أزمعتُ حين يغيبُ».

(٣) في الأغاني: «وَيُظهر قلبي عُذْرَها وَيُعينها».

(٤) كالئة: حافظة، اسم فاعل من كلأه: حفظه ورعاه.

(٥) تذود: تمنع وتدفع. والأدناس: جمع دَنَس، وهو الوَسَخ.

وقال: لا يخلو أحد من صَبْوَةٍ إلاَّ أن يكونَ جَاسِيَ الْخِلْقَةِ[١]، منقوص البِنْية، أو على خلاف تركيب الاعتدال.

[الهوى]

ورأى سعيد بن سلم بن قتيبة ابناً له قد شرع في رقيقِ الشعر وروايته، فأنكر عليه، فقيل له: إنّه قد عشق، فقال: دعُوه فإنّه يَلْطُف، ويَنْظُف، ويَظْرُف.

وقال الفضل بن أحمد بن أبي طاهر، واسم أبي طاهر طيفور: وَصَفَ الهوى قومٌ وقالوا: إنه فضيلة، وإنه ينتج الحيلة، ويشجّع قَلْب الجبان، ويسخّي قَلْبَ البخيل، ويصفّي ذِهن الغبي، ويطلق بالشِّعْر لسانَ المُفْحَم، ويبعث حَزْم العاجز الضعيف، وإنه عزيز تذل له عزَّةُ الملوك، وتَضْرعُ فيه صَوْلَةُ الشجاع، وتَنْقَاد له طاعةُ كل ممتنع، ويذَلّل كلّ مُستصعَب، ويُبرز كل محتجب، وهو داعية الأدب، وأولُ باب تُفتّقُ به الأذهان والفِطَن، وتستخرج به دقائقُ المكايد والحِيَل، وإليه تستريح الهِمَمُ، وتسكن نوافِرُ الأخلاق والشِّيَم[٢]، يُمتّع جليسه، ويُؤْنس أليفَه، وله سرورٌ يجول في النفس، وفرَحٌ مستكِن في القلب، وبه يتعاطف أَهلُ المودَّة، ويَتَّصل أهْلُ الأُلفة، وعليه تتألَّف الأشكال، وله صَوْلَات على القدر، ومكَايد تُبْطِلُ لطائف الحيل، وظَرْفٌ يَظْهرُ في الأخلاق والخِلَق، وأَرواح تَسْطَع من أهلها، وتَعْبق من ذويها.

وقال اليماني بن عمرو مولى ذي الرياستين: كان ذو الرياستين يَبْعَثُ بي وبأحداثٍ من أهله إلى شيخ بخراسان ويقول: تعلَّمُوا منه الحكمة؛ فكنَّا نأْتِيَه، وإذا انصرفنا من عنده اعترضَنَا ذُو الرياستين يسأَلُنا عما أفادنا فنخبره؛ فَسِرْنا إلى الشيخ يوماً فقال لنا: أنتم أدباء، وقد سَمِعْتُم الحكمة، وفيكم أحداث، ولكم نِعَم، فهل فيكم عاشق؟ قلنا: لا، قال: اعشقوا؛ فإنّ العشق يُطْلِق الغبيّ، وَيَفْتَحُ جِبِلَّة البليد[٣]، وَيُسخِّي كفَّ البخيل، وَيَبْعَثُ على النظافة وحُسنِ الهيئة، ويَدْعُو إلى الحركةِ والذكاء، وشرف الهمة، وإيّاكم والحرام.

قال: فانصرفنا، فسألنا عما أَفادنا في يومنا؛ فَهِبْناه أَن نخبره، فَعزَم علينا. فقلنا له:

---

(١) جاسي الخلقة: جافاً غليظاً.

(٢) الشِّيَمُ: جمع شيمة، وهي الخصلة والخلة والسجية.

(٣) الجِبِلّة: الخلقة.

أمرنا بكذا وكذا، قال: صَدَقَ، أتعلمون من أين أَخذَ هذا الأدب؟ قلنا: لا. قال: إن بَهْرَام جور كان له ابنٌ رشَّحَه للملك من بعده، فنشأ ساقطَ الهِمّة، خامل المروءة، دَنِيء النفس، سَيِّىء الأدب، كليل القريحة، كَهَام الفِكْرِ[١]؛ فغمَّه ذلك، ووكَّل به من المؤدبين والمنجّمين والحكماء مَنْ يُلازِمُه ويُعَلّمه، وكان يسألهم فَيحْكُون له ما يسوءُه، إلى أن قال له بعض مؤدبيه: قد كنا نخافُ سوءَ أدبه فَحدَث من أمره ما صِرْنَا إلى اليأس منه، قال: وما ذلك؟ قال: رأى ابنة فلان المرزُبان فَعَشِقَها فغلبَتْ عليه، فهو لا يهذِي إلاَّ بأمرها، ولا يتشاغَلُ إلاَّ بِذِكْرِها، فقال بهرام جُور: الآن رَجَوْتُ صَلاحَه.

ثم دعا بأبي الجارية فقال: إني مُسِرٌّ لك سرًّا فلا يَعْدُوَنّك[٢]. فضَمِن له سَتْره فأعلمه أن ابنَه قد عشقَ ابنته، وأنه يريد أن يُنْكِحها إياه، وأَمره أَن يأخذها بإطماعه بنفسها، ومراسلته من غير أَنْ يراها، أو تَقَعَ عَيْنُه عليها؛ فإذا استحكم طَمَعُه فيها تجنَّتْ عليه، وهجَرَتْه، فإذا استعتبها أَعلمته أنها لا تَصْلُح إلاَّ لملك، أو مَنْ هِمَّتُه همةُ ملك، وأن ذلك يمنعها من مُوَاصلته، ثم ليعلمه خَبَرَهَا وخَبَرَه، ولا يُطْلِعها على ما أَسَرَّ إليه، فقبل ذلك أبوها منه.

ثم قال للمؤدّب: خَوِّفْهُ بي، وَشجِّعْهُ على مراسلة الجارية، ففعل ذلك، وفعلت الجاريةُ ما أمرها به أبوها؛ فلما انتهت إلى التجنّي عليه، وعلم الفتى السببَ الذي كرِهَتْهُ من أجله أَخذَ في الأدب، وطلب الحكمة، والعلم، والفروسية، ولعب الصَّوالجة، والرّماية، حتى مَهَر في ذلك، ورُفِع إلى أبيه أنّه يحتاجُ من المطاعم والآلات والدوابّ والملابس والوزراء فوق الذي كان له؛ فَسُرَّ الملِكُ بذلك، وأمر له بما أراد، ودعا بمؤدِّبِه، فقال: إنَّ الموضع الذي وَضع ابني نفسَه فيه بحبِّ هذه المرأة لا يُزْرِي به[٣]؛ فتقدّمْ إليه أن يرفع أمرَها إليَّ ويسألني أن أزوِّجَه إياها، ففعل، فزوَّجها منه، وأمر بتعجيل نَقْلِها إليه، وقال له: إذا اجتمعت أَنت وهي فلا تُحْدِثْ شيئاً حتى أَصير إليك. فلما اجتمعا صار إليه فقال: يا بني، لا يضعنَّ منها عندك مراسَلَتُها إيّاك، وليست في حِبالِك، فأَنا أمرتُها بذلك، وهي من أَعظم الناس مِنّةً عليك، بما دَعَتك إليه من طلب الحكمة، والتخلُّق بأخلاق الملوك، حتى بَلَغْتَ الحدَّ الذي تصلحُ معه للمُلْكِ بعدي؛ فَزِدْهَا في التشريف والإكرام بِقَدْرِ ما تستحقّ منك.

---

(١) كهام الفكر: ضعيفه متبلده.

(٢) لا يعدونَّك: لا يتجاوزنك إلى غيرك، يأمره بكتمان السرّ.

(٣) لا يزري به: لا يعيبه، ولا ينقصه، ولا يضع من قدره.

ففعل الفتى ذلك، وعاش مسروراً بالجارية، وأبوه مسروراً به، وزاد في إكرام المرزبان، ورَفع مرتبته وشرّفه بِصيانته لِسرّه وطاعته، وأحسن جائزته وجائزة المؤدّب بامتثاله أمره، وعَقَدَ لابنه الملك من بعده. قال اليماني: وكان الشيخ الحسن بن مصعب.

ثم قال ذو الرياستين: قال علي بن بلال:

سَيَهْلِكُ في الدنيا شَفِيقٌ عَلَيْكُمُ إذا غالَهُ مِنْ حادِثِ الدَّهْرِ غائِلُهْ[١]
وَيُخْفِي لَكُمْ حُبّاً شَديداً وَرَهْبَةً وَللناسِ أَشغالٌ، وَحُبُّكَ شاغِلُهْ
كَرِيمٌ يُمِيتُ السرَّ حتى كأَنَّهُ، إذا استخبروه عَنْ حَديثِكَ، جَاهِلُهْ
يَوَدُّ بأن يُمْسِي عَليلاً لَعلّها إذا سَمِعَتْ عنهُ بِشَكْوَى تُراسِلُهْ
وَيَرْتَاحُ للمعروفِ في طَلَبِ العُلاَ لِتُحْمَدَ يوماً عِنْدَ لَيْلَى شَمَائِلُهْ[٢]

وذكر أعرابي الهوى فقال: هو أَعظمُ مَسْلَكاً في القَلْبِ من الرُّوح في الجسم، وأَملك بالنفس من النَّفس، يَظْهَر وَيَبْطُن، ويَكْثُف ويَلْطُف، فامتنعَ عن وَصْفِه اللسانُ، وعَيِيَ عنه البيانُ! فهو بين السِّحْرِ والجفون، لطيفُ المسلك والكُمُون[٣]. وأنشد:

يَقُولونَ لو دَبَّرْتَ بالعَقْلِ حُبَّها وَلاَ خَيْرَ في حُبٍّ يُدَبَّرُ بِالعَقْلِ

[من رسائل الميكالي]

فصل للأمير أبي الفضل الميكالي:

لا زالت الأَيام تَزِيدُ رُتْبَتَهُ ارتفاعاً، وباعَه اتِّساعاً، وَعِزَّتَهُ غلبةً وأمتناعاً، فلا يبقى مجدٌ إلاَّ شيَّدَتْهُ معاليه ومكارِمُه، ولا ملك إلاَّ افْتَرَعَتْهُ صرائِمُه وصَوَارِمُه[٤].

وله فصل: لا زالت حياة الأحرار بفضله مُتَّسِمةً، ووجوهُ المكارمِ بِغُرَرِ أيامه مبتسمةً، وأهواء الصّدور بِخِدْمَةِ وُدِّه مُرْتَسمةً، [وغنائم الشكر بين محاسن قوله وفعله مقتسمةً].

---

(١) غاله غَوْلاً: أهلكه، أو أخذه من حيث لا يدري فأهلكه.
(٢) الشمائل: جمع شمال، وهي الخصلة.
(٣) الكُمون: يقال: كَمَنَ في المكان كُمُوناً: توارى، وكمن له: استخفى في مكمنٍ لا يُفْطَنُ له.
(٤) الصرائم: جمع صريمة، وهي العزيمة، وإحكام الأمر. والصوارم: جمع صارم، وهو السيف القاطع.

وله: واللهُ يُديم رايةَ الأمير الجليل محفوفةً بالفَلْج والنصر، مكنوفة[١] بالغَلَبة والقَهْر، حتى لا يزاول خَطْباً إلاَّ تذلّلت به صِعَابُه، ولا يُمَارِس أمراً إلاَّ تيسَّرَتْ أسبابُه، ولا يَرُوم حالاً إلاَّ أَذْعَن لهيبته وسُلْطانه[٢]، وَخَضَع لسيفه وسِنانِه، وذلَّ لِمَعْقِد لوائه، وَمُثْنَى عنانه، إلى أن ينالَ من آماله أَقاصِيهَا، ويَمْلِك من مَبَاغِيه أَزِمَّتها ونواصيهَا [ويُسَامِي الثريا بعلوِّ همته ويناصيها].

وله فصل: إنما أَشكو إليك زماناً سَلَب ضِعْفَ ما وَهب، وفَجع بِأَكْثرَ مما أَمْتع، وأوحش فوق ما آنَس، وعنف في نَزْع ما ألبس؛ فإنه لم يُذِقْنَا حلاوة الاجتماع، حتى جَرَّعَنا مرارةَ الفراق، ولم يمتعنا بأُنْس الالتقاء، حتى غادَرَنا رَهْنَ التلهُّفِ والاشتياق، والحمدُ لله تعالى على كل حال يُسِيء ويسر، ويَحْلو وَيَمُرّ، ولا أَيأس من رَوْحِ الله في إباحة صُنْع يجعل رَبْعَه مُنَاخي[٣]، ويقَصِّر مدة البِعَاد والتراخي، فأُلاحظ الزمانَ بعين رَاض، ويُقْبِلُ إليّ حظّي بعد إعراض، وأَستأنف بعزَّته عيشاً سابغَ الذيول والأَعطاف، رقيقَ المعاني والأوصاف، عَذْب الموارِدِ والمناهل، مأمونَ الآفاتِ والغوائل[٤].

وله فصل: أنا أسأل الله تعالى أَن يردَّ علي بَرْدَ العيش الذي فَقَدْتُه، وفسحة السرور الذي عَهِدته؛ فَيَقْصر من الفراق أَمدُه، ويعلو للالتقاء حكمه ويَدُه، ويَرْجِع ذلك العهدُ الذي رَقَّت غلائله[٥]، وصَفَتْ من الأَقْذَاء مَنَاهله[٦]، فَلم أتهنّأ بعده بأُنس مقيم، ولا تعلّقت يوماً إلاَّ بعيش بَهِيم[٧].

فَلَو تَسْرَجِعُ الأَيسامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... بِذي الأَثْلِ صَيْفاً مِثْلَ صَيْفِي ومَرْبعي[٨]
أَشُدُّ بِأَعناقِ النوى بَعْدَ هذهِ ... مَرائِرُ إنْ جَاذَبْتُهَا لم تَقَطّعِ[٩]

---

(١) الفَلْجُ: الظفر. مكنوفة: محوطة.
(٢) لا يروم: لا يطلب. وأَذعن: خضع وذلّ.
(٣) المناخ: موضع الإناخة، وأصلها بروك الإبل، وأراد بها الإقامة.
(٤) الغوائل: جمع غائلة، وهي الداهية، أو الفساد والشرّ.
(٥) الغلائل: جمع غِلالة، وهي الستر الرقيق.
(٦) الأقذاء: جمع قذى، مفردهُ قذاة: ما وقع في العين والشراب والماء من تراب وغيره. والمناهل: جمع منهل، وهو المورد، أي الموضع الذي فيه المَشْرَب.
(٧) البهيم: الأسود، وليل بهيم: لا ضوء فيه إلى الصباح.
(٨) ذو الأثل: موضع.
(٩) المرائر: جمع مريرة، وهي طاقة الحبل، والعزيمة.

وما على الله بعزيز أن يُقَرِّبَ بعيداً، ويَهَب طالعاً سعيداً، ويُسَهّل عسيراً، ويفكّ من رِقِّ الاشتياق أسيراً.

وله فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك الثعالبي:

قرأتُ خبرَ سلامته، فَسَرَى السرورُ في الجوانح، واهتزَّت النفسُ له اهتزازَ الغُصْنِ تحت البارح[1]:

أَلَيْسَ لِأَخْبَارِ الأحبّةِ فَرْحَةٌ وَلاَ فَرْحَة العطشانِ فَاجَأَهُ القَطْرُ
يَقولونَ: قد أَوْفَى لِوَقْتِ كتابِهِ فَتَنْتَشِرُ البُشْرَى وَيَنْشَرِحُ الصَّدْرُ

ثم سألت الله تعالى أن يحرسَ علينا سلامَته سابغَة الملابس والمطَارف، موصولة التالِدِ بالطَّارِف.

وله فصل من كتاب تَعْزية عن أبي العباس بن الإمام أبي الطيب:

لئن كانت الرزيّة مُمِضَّة[2] مؤلمة، وطُرُقُ العَزاء والسلوة مُبْهمة، لقد حلَّت بساحةِ من لا تَنْتقِضُ بأمثالها مَرَائِرُه، ولا تَضْعُفُ عن احتمالها بَصَائِرُه، قد يتلقَّاها بصَدْرٍ فسيح، يحمي أن يبيح الحُزْن جنابَه، وَصَبْرٍ مشيح[3]، يحمي أن يُحْبِطَ الجزَعُ أجرَه وثوابَه؛ كيف لا وآدابُ الدين من عنده تُلْتَمس، وأحكامُ الشرعِ من لسانه ويده تُستفاد وَتُقْتَبس، والعيون تَرْمُقه في هذه الحالِ لِتَجْري على سَنَنِه، وتأخذ بآدابه وسُنَنِه؛ فإن تعزّت القلوب فَبِحَسبِ تماسكه عزاؤُها، وإن حسنت الأفعال فإلى حميد أفعاله ومذاهبه اعتزاؤُها.

[من شعر الميكالي]

جملة من شعره في تحسين القوافي والغزل.

قال:

عَذِيري مِنْ جُفونٍ رَامياتٍ بِسهْمِ السّحْرِ مِنْ عَيْنَيْ غزالِ

---

(١) بارح: اسم فاعل من برح المكان: زال عنه وغادره. والبارح: الريح الحارّة في الصيف.
(٢) مُمِضَّةٌ: مُؤلِمةٌ، من مَضَّهُ مَضًّا، وَمَضيضاً: آلمهُ.
(٣) مُشيح: يقال: شاح في الأمر شَيْحاً: جَدَّ، وأشاح وجهه أو بوجهه عنه: أعرض مُبْدياً كُرْهاً أو ازدراءً.

غَـزانـي طَـرْفُـهُ حتَّـى سَبَـانِـي ... لأَنْتَصِـرنَّ منـه بِمَـنْ غَـزَالـي

وله أيضاً:

أَمَـا حـانَ أَنْ يَشْتَفِـي المُسْتَهَـامُ ... بِـزَوْرَةِ وَصْـلٍ وَتَـأْوِي لَـهُ[1]

يُجَمْجِـمُ عَـنْ سُـؤْلِـهِ هَيْبَـةً ... وَيَعْلَـمِ عِلْمُـكَ تَـأوِيلَـهُ[2]

وقال أيضاً:

شَكَـوْتُ إليـه مـا أُلاقـي فَقَـالَ لـي: ... رُوَيْـداً ففـي حُكْـمِ الهَـوَى أَنْـتَ مُـؤْتلي

فَلَـو كـانَ حقًّـا مـا ادَّعيـتَ مِـن الجَـوَى ... لَقَـلَّ بمـا ألقـى إذاً أَنْ تَمُـوتَ لـي

وقال أيضاً:

تَفَـرّق قلبـي فـي هَـواهُ فَعِنْـدَهُ ... فَـريـقٌ وَعِنْـدي شُعْبَـةٌ وَفَـرِيـقُ

إذا ظَمِئَـتْ نفسـي أقـول لهـا: اسْقِنِـي ... فـإنْ لـم يَكُـنْ راحٌ لَـديْـكِ فَـريـقُ[3]

وَقال أيضاً:

شَـافَـهَ كَفِّـي رَشـأً ... بِقُبْلَـةٍ مـا شَفَـتِ

فَقُلْـتُ إذْ قَبَّلَهـا ... يَـا لَيْـتَ كفِّـي شَفَتِـي

وقال:

يـا شـادِنـاً غـابَ نَجْـمُ الحُسْـنِ لَـوْلاَهُ ... قَـدْ كـانَ يُـوسـفُ لمـا مـاتَ وَلاَّهُ

وَلاّه رقِّـيَ طَـرْفٌ فـي شمـائلـهِ ... فَـاشْتَـطَّ فـي الحكـمِ لـولا أَنْ تَـولاّهُ

ارْحَـمْ فَتًـى مُـدْنَفـاً مَـا إنْ يُخَلِّصُـهُ ... مِـنْ غَمْـرَةِ الـوَجْـدِ إلاَّ أنـتَ وَاللَّـهُ[4]

[الاهتزاز لقضاء حوائج النّاس]

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْرٍ الجاحظُ: حدَّثني أبو الهيثم بن السندي بن شاهك قال:

---

(١) المستهام: المُحبُّ المشتاق. والزورة: الزيارة.
(٢) جَمْجَمَ فلانٌ: لم يُبيِّن كلامه. وجَمْجَمَ الشيءَ في صدره: أخفاه.
(٣) الريق هنا: ماء الفم.
(٤) المُدْنَفُ: الذي براه الحبُّ وأضناه.

قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من أهلها لا يجفُّ قلمه ولا تستريح يَدُه، ولا تسكُن حركتُه في طلب حوائج الناس، وإدخال المنافع على الضعفاء، وكان رجلاً مُفَوّهاً: أخبرني عن الشيء الذي هوَّن عليك النَّصَب، وقوَّاك على التَّعبِ، ما هو؟ قال: قد، واللَّهِ، سمعتُ تغريدَ الأطيار بالأسْحَارِ على أفنان الأشجار، وسمعت [خَفْق] أوتارِ العيدان، وترجيعَ أصوات القِيَان، فما طَرِبْتُ من صوتٍ قطُّ طَرَبي من ثناءٍ حسن، على رجلٍ قد أحسن، ومن شاكر مُنْعِم، ومن شفاعةِ شفيع محتسب لطالب ذاكر.

فقال أبو الهيثم: فقلت له: لله أبوك! لقد حُشِيتَ كرماً! فبأي شيء سَهُلَتْ عليك المُعَاوَدةُ والطلب؟ قال: لا أبلغ المجهود، ولا أسأل إلاَّ ما يجوز، وليس صدقُ العذْرِ بأكره إليَّ من إنجاز الوعد، ولست لإكراه السائل بأكرهَ مني لإجحاف المسؤول، ولا أرى الراغب أوْجَبَ حقاً عليَّ للذي قدم من حُسْنِ ظنه من المرغوب إليه للذي احتمل من كله. قال إبراهيم: ما سمعتُ كلاماً قطّ أشدّ مؤالفة لموضعه، ولا أليق بمكانه، من هذا الكلام.

[بين عميلة الفزاري وأسيد بن عنقاء]

وروى أبو بكر بن شُقَير النحوي عن أحمد بن عبيد قال:

كان أُسيد بن عنقاء الفزاري مِنْ أكبر أهل زمانه وأشدّهم عارضة[1] ولساناً، وطال عمرُه، ونكبَه دهرُه؛ فاختلّت حالُه، فخرج يتبقل[2] لأهله؛ فمرَّ عليه عُمَيلة الفزاري، فسلم عليه، وقال: يا عم؛ ما أصارك إلى ما أرى؟ قال: بُخْلُ مثلك بماله، وصَوْنُ وجهي عن مسألة الناس. قال: أما والله لئن بقيتُ إلى غدٍ لأغيرَنَّ من حالك ما أرى، فرجع ابن عَنْقاء إلى أهله فأخبرهم بما قال عُميلة، فقالوا له: غرَّك كلامُ غلامٍ جُنْحَ ظلام فكأنما ألقموا فاهُ حجراً؛ فباتَ مُتَمَلْملاً بين رجاء ويأس، فلما كان السَّحَر سَمِع رُغاء الإبل، وثُغَاء الشاء، وصهيل الخيلِ، وَلَجبَ الأموال، فقال: ما هذا؟ قالوا: عُمَيلة قد ساق إليك مالَه، فخرج ابنُ عنقاء له، فقسم مالَه شَطْرَين، وساهمَ عليه، فأنشأ ابن عنقاء يقول:

رآني على ما بي عُمَيلةُ فاشتكى ... إلى مالِهِ حالِي، أَسرّ كما جَهَرْ

(١) العارض: صفحة الخدّ، والثنية من الأسنان، ويقال: هو قوي العارضة: ذو جَلَدٍ وصرامةٍ وقدرةٍ على الكلام، وذو بديهةٍ ورأي جيّد.
(٢) يَتَبَقَّلُ لأهله: يطلب لهم البَقْل.

دَعاني فَوَاساني، وَلو ضَنَّ لم يُلَمْ ... على حينَ لا بَدْوٌ يُرَجَّى ولا حَضَرْ
فَقُلْتُ له خَيْراً، وأَثْنيتُ فِعْلَهُ ... وَأوفاك ما أوليت مَنْ ذَمّ أو شكرْ
وَلما رأى المجدَ استُعيرتْ ثِيابُهُ ... تَردّى بِثَوْبٍ سابغ الذيلِ واتّزَرْ[١]
غُلامٌ رماه اللَّهُ بالحسنِ يافعاً ... له سِيمِياءٌ لا تَشُقُّ على البَصَرْ[٢]
كأنَّ الثريا عُلِّقَتْ في جبينهِ ... وَفي أنفه الشِّعرى وَفي خَدِّه القَمَرْ
إذا قِيلَت العوراءُ أغْضى كأَنَّهُ ... ذَليلٌ بلا ذُلٍّ، وَلو شاءَ لانْتَصَرْ[٣]

[من غرر المدائح]

وأنشد أبو حاتم عن أبي عبيدة لِلْعَرَنْدَس أحد بني بكر بن كلاب يمدح بني عمرو الغَنَويين، وكان الأصمعي يقول: هذا من المحال، كلابيٌّ يمدح غَنَوياً!

هَيْنُون لَيْنُون أيسارٌ ذوو كرمٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أبناء أيسارِ
إن يسألوا العُرفَ يُعْطُوهُ، وإن خُبِروا ... في الجهد أُدْرِكَ مِنْهُمْ طِيبُ أخبارِ[٤]
لا يَنطِقونَ عن الأهواءِ إنْ نَطقوا ... وَلاَ يُمارون إن مارَوْا بإكثارِ[٥]
مَن تَلْقَ مِنْهُم تَقُلْ لاقيتُ سَيِّدَهم ... مِثْلَ النجوم التي يَسْري بها الساري
مِنْهُمْ وَفِيهم يُعَدّ الخيرُ مُتَّلِداً ... وَلا يُعَدُّ نَثا خِزْيٍ ولا عارِ[٦]

[صُرُوف الدهر]

فصل لبعض الكتاب ـ ما تعجُّبك مما لقيت من الحَيْفِ[٧]! هل ضمن الدهرُ أن يُنْصِف ولا يَحِيفَ[٨]، أو يُبْرِم فلا يَنْقُض، أو يُعَافِي فلا يُمْرِض، أو يصفو فلا يكدّر، أو يَفي فلا

---

(١) تردى بالثوب: لبسه.
(٢) سِيمياءُ: سيما: علامة.
(٣) العوراء: الكلمة القبيحة.
(٤) العُرْفُ: المعروف.
(٥) ماراه مِراءً، وَمُماراةً: ناظره وجادله، وماری فلاناً: خالفه وتلوَّى عليه، وتمارى في الشيء: شَكَّ فيه.
(٦) نَثا خزي: يقال: نَثَّ الخبر نثًّا: أفشاه وحَقّه أنْ يُكْتَم، ونثا الحديث: بَثَّهُ.
(٧) الحَيْفُ: الظلم.
(٨) يحيف: يجور ويظلم.

يَغْدر؟ قَدّر أن تَعْذب لي مَشَارِبُه، وتَلين لي جوانبُهُ، فَحُكْمُ الدنيا لا تترك حامداً لها إلاَّ أَسكتته، ولا ضاحكاً إلاَّ أبكته، أقوى ما كان بها ثقة، وأشد ما كان لها مِقَة[١]، وأوكد ما كان رُكوناً إليها، وأعظم ما كان حرصاً عليها.

[من لا يُوفِي النعمَ حقَّها]

وقال بعض الكتّاب يصف رجلاً بالذم:

ما ظنّك بمن يعنف بالنعم عنف من ساءَتْهُ مجاوَرَتُهَا، ويستخفّ بحقّها استخفافَ من ثَقُلَ عليه حَمْلُها، وَيطَّرِحُ الشكر عليها اطِّراح مَنْ لا يَعْلَمُ أنْ الشكرَ يَرْتَبِطها.

* * *

[عَوْد إلى غرر المدائح]

لأبي الشيص

وقال أبو الشيص[٢]:

يـا مَـنْ تَمنّـى علـى الـدنيـا مَبَـالِغَهَـا ... هَـلاَّ سَـأَلْـتَ أَبـا بِشْـرٍ فَتُعْطَـاهـا

مـا هَبَّـت الـريـحُ إلاَّ هَـبَّ نَـائِلُـهُ ... وَلاَ ارْتَقَـى غـايـةً إلاَّ تَخطَّـاهـا

غيره:

طِـلاَبُ العُـلاَ إلاَّ عليـك يَسِيـرُ ... وَبَـاعُ الأعـادِي عَـنْ مَـدَاكَ قَصِيـرُ

إذا عُـدَّ أهـلُ الفضـلِ كُنْـتَ الـذي لـهُ ... وَلِلفَضْـلِ فيـهِ أَوّلٌ وأَخِيـرُ

لأبي الحجناء

وقال أبو الحجناء الأَصغر نُصيب[٣] يصف إسحاق بن صباح:

---

(١) المقة: الحُبُّ أو أَشَدُّه.

(٢) هو أبو جعفر، محمد بن عبد اللَّه بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي، ويلقب بأبي الشيص: شاعر مطبوع، سريع الخاطر، رقيق الألفاظ، وهو ابن عم دعبل الخزاعي الشاعر المشهور. اتصل بالرشيد ومدحه، وقتله بعض غلمانه وهو سكران سنة ١٩٦ هـ/ ٨١١ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٢/ ٧٢١؛ ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٧٢؛ البغدادي، تاريخ بغداد: ٥/ ٤٠١).

(٣) هو أبو الحجناء، نصيب الأصغر، مولى المهدي: عبد نشأ باليمامة، واشْتُرِيَ للمهدي في حياة =

كــأنّ ابْــنَ صَبّــاحٍ، وَكِنْــدَةُ حَــوْلَــهُ إذا مــا بَــدَا، بَــدْرٌ تَــوَسَّــطَ أَنْجُمــا
علــى أنَّ فــي البــدرِ المحــاقَ، وإن ذا تَمــامٌ فمــا يــزدادُ إلاَّ تَـتَمُّمــا[١]
تَــرى المِنْبَــر الغَــرْبِــيَّ يَهتــزُّ تَحْتَــهُ إذا مــا عَــلا أَعْــوَادَهُ وَتَكَلَّمــا
فَــأَنْــتَ ابْــنُ خيــرِ النــاسِ إلاَّ نُبــوّةً وَمِــنْ قَبْلِهــا كُنْــتَ السَّنــامَ المُقَــدَّمــا

لنصيب في البرامكة

ونُصيب هو القائل في البرامكة، وكان منقطعاً إليهم:

عِنْــدَ الملــوكِ مَضَــرَّةٌ وَمَنَــافِــعُ وَأَرى البــرامــكَ لا تَضُــرُّ وَتَنْفَــعُ
إنّ العــروقَ إذا اسْتَسَــرَّ بهــا الثَّــرَى أَثَّ النبــاتُ بِهــا وَطــاب المَــزْرَعُ[٢]
فــإذا جَهِلْــتَ مــن امْــرِىءٍ أعْــرَاقَــهُ وَقَــدِيمَــهُ فَــانْظُــرْ إلــى مــا يَصْنَــعُ[٣]

أخذ هذا من قول سَلْم الخاسر:

لا تَسْــأَل المَــرْءَ عَــنْ خــلاَئِقِــهِ فــي وَجْهِــهِ شَــاهِــدٌ مِــنَ الخبــرِ

لنصيب في بني سليمان بن علي

وَقال نُصَيْب في بني سليمان بن عليّ:

بَنــي سُليمــانَ حُــزْتُــمْ كُــلَّ مَكْــرُمَــةٍ وَلَيْــسَ فَــوْقَكُــم فَخْــرٌ لِمُفْتَخِــرِ
لا تســأَلِ المــرءَ يَــوْمــاً عَــنْ خَــلائقــهِ فــي وَجْهِــهِ شَــاهِــدٌ يُنْبِيــكَ عــن خَبَــرِ
حَسْــبُ امــرىء شَــرفــاً أَنْ ســاد أُسْرَتَــهُ وَأنْــتَ سُــدْتَ جَمِيــعَ الجِــنِّ والبَشَــرِ

= المنصور، فلما سمع شعره قال: والله ما هو بدون نُصيب مولى بني مروان، فأعتقه، وزوجه جارية له يقال لها: جعفرة، وكناه أبا الحجناء، وأقطعه ضيعة بالسواد، وَعُمِّر بعده. (الأصفهاني، الأغاني: ٢٢/ ٤٠٠).

(١) المحاق ما يُرى في القمر من نقص في جرمه وضوئه بعد انتهاء ليالي اكتماله.

(٢) أَثَّ النباتُ: كثُرَ والتفّ. وفي الأغاني (٢٢/ ٤٢٧): «أَشِرَ النَّباتُ».

(٣) في الأغاني: «فإذا نكرت». وقيل: إن أبا محمد إسحاق بن إبراهيم أنشد الفضل بن يحيى هذه الأبيات، فقال: كأني والله لم أسمع هذه الأبيات إلاَّ الساعة، وماله عندي إلاَّ أني لم أكافئه عليها، فقال أبو محمد: وكيف ذلك أصلحك الله، وقد وهبت له ثلاثين ألف درهم؟ فقال: لا والله، ما ثلاثون ألف دينار بمكافأة له، فكيف ثلاثون ألف درهم؟

سأل سعيد بن عبد الرَّحمن بن حسان بن ثابت رجلاً حاجة، فلم يقضها، وسأل آخر، فقضاها، فقال للأول:

ذُممْتَ ولَمْ تُحْمدْ، وَأُبْتُ بحاجةٍ ... تَوَلّى سِوَاكُمْ شُكْرَهَا وَاصْطِناعهَا

أَبى لكَ فِعْلَ الخير رَأْيٌ مُقصّرٌ ... وَنَفْسٌ أضاقَ الله بالبخلِ بَاعَهَا[1]

إذا ما أرادتْهُ على الخيرِ مَرَّةً ... عَصَاها، وَإنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أطاعَهَا

[فعَلَات الأجواد]

هشام بن عبد الملك

قال رجلٌ لهشام بن عبد الملك: قد افتقرتُ يا أَميرَ المؤمنين إلى ظهور حُسْن رأيك، فإن رأيتَ إظهارهُ بسرور الصديق، ورَغْم العدو، فعلت، قال هشام: أوجزت وملحتَ فيما سألت؛ فلا تردّ لك طَلِبَة، فما سأله شيئاً إلاّ أعطاهُ أكثر منه.

عمرو بن مسعدة

قال حميد بن بلال: وُلي عَمْرُو بن مَسْعَدة فارس وكرمان، فقال له بعض أصحابه: أيها الأمير، لو كان الحياء يُظهر سؤالاً لدعاك حيائي من كرمك في جميع أهليك إلى الإقبالِ عَلَيَّ بما يكثرُ به حَسَدُ عدوّي، دون أن أسألك، فقال عمرو: لا تَبْغِ ذلك بابتذالِكَ ماءَ وجهك، ونحن نُغْنِيك عن إراقته في خوض السؤال، فَارْفَعْ ما تريدُه في رُقعة يصل إليك مِرًّا، ففعل.

مُحَمَّد بن طَيْفُور

وقال رجل من أهل فارس قدم على محمّد بن طيفور، وهو عامل على بلاد أصبهان لبعض أهلها: كم تقدّرون صلات محمّد في كلِّ سنةٍ للشعراء والمتوسلين؟ قالوا: مائة ألف دينار، سوى الخِلع والحملان.

وورد عليه يوماً كتابٌ من بعض إخوانه في شأن رجل استماحه له في دَرْجِه[2]: أنْتَ

---

(١) الباع: مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يميناً وشمالاً، ويقال: فلان طويل الباع: طويل الجسم، وطويل الباع في كذا: بلغ الغاية فيه.

(٢) الدَّرْجُ: يقال: نحن دَرْجُ يديك: طوع يديك، وأنفذته في درج كتابي: في طَيِّه. والدَّرْجُ: الورق الذي يُكْتَبُ فيه. واستماحه: سأله أن يعطيه أو يشفع له.

أعَزَّكَ الله تعالى أجَلّ من أن يُتَوَسَّلَ بغيرك إليك، وأن يُسْتَمَاح جُودُكَ إلاَّ بك، غير أني أذكرك بكتابي في أمر حامله، ما شَرَع كرمُك [من الشكر] وزَرَع إحسانك من الأجر، قِبَل الصادرين والوارِدِين؛ فهنَّأك اللَّهُ تعالى ذلك، ولا زالَتْ يَدُ الله بجميل إحسانه ونعمته متواترةً عليك.

فقال محمّد للرجل: احتكم لك وله؛ فأخذ منه ألفَ دينار، ولمن كتب له مثلها.

إبراهيم بن المهدي

وقال رجل لإبراهيم بن المهديّ: قد أوحشني منك تَرَدُّدُ غليلٍ في صدري أهابُكَ عن إظهاره، وأجِلّك عن كَشْفه، فقال له إبراهيم: لكني أكشف لك معروفي، وأُظْهِر إحساني؛ فإن يكن غير هذين في خَلَدِك، فاكْتُبْ رقعة يخرج توقيعي سرًّا لِتقفَ على ما تُحبّ، فبلغ كلامُه المهدي فقال: هذا والله غاية الكرم.

محمّد بن طيفور

وكتب محمّد بن طيفور لبعض خاصته بمالٍ كثير وصَلَهُ به، فكتب الرجلُ إليه: قد استغرقَتْ نِعْمَتُكَ وجُوهَ الشكر لك، وَغُرَرَ الحمدِ فيما سلف منك، ولولا فَرْطُ عجزي عن تلقّي ما يجبُ لك من الحمد لقبلتُ ما أنفذتَه.

فكتب إليه محمّد: قد صغَّرَ شكرُك لنا ما أسلفناه إليك؛ فَخُذْ ما أنفذناه ثواباً عن معرفتك بِشُكْرِ التافه عندي، وإلاَّ سمح شكرُك بما رأيناك له أهلاً إلى أَنْ يتسع قبول مثلك ما يستحقّ به جميلَ الدعاء، وجزيلَ الثناء، إن شاء الله تعالى.

[من نوادر الرثاء]

قرد زبيدة بنت جعفر

ولما مات قِرْدُ زُبيدة بنت جعفر ساءها ذلك، ونالها من الغمّ ما عَرَفه الصغير والكبير من خاصَّتها، فكتب إليها أبو هارون العبديّ:

أيتها السيدة الخطيرة؛ إنَّ موقعَ الخَطْب بذهاب الصغير المعجب كموقع السرور بنَيْلِ الكثير الْمُفْرِح، ومَنْ جهل قَدْرَ التعزية عن التَّافِه الخفيّ، عَمِيَ عن التهنئة بالجليل السَّنِيّ، فلا نَقَصَكِ اللَّهُ الزائدَ في سرورك، ولا حَرَمَكِ أَجْرَ الذاهب من صغيرك.

فأَمَرَتْ له بجائزة.

ثور ابن قريعة

وكتب أبو إسحاق الصابي عن ابن بقية في أيام وزارته إلى أبي بكر بن قريعة يُعزِّيه عن ثور أبيض بقوله، وجلس للعزاء عنه تَرَاقُعاً وتحامُقاً:

التعزيةُ على المفقود أطال الله بقاءَ القاضي إنما تكونُ بحسب محلِّه من فاقده، من غير أن تُرَاعَى قِيمتُهُ ولا قَدْرُهُ، ولا ذَاتُهُ ولا عَيْنُهُ؛ إذ كان الغرض فيها تبريدَ الغُلَّة، وإخْمَادَ اللَّوْعَة، وتسكين الزَّفْرَة، وَتَنْفيس الكُرْبة، فَرُبَّ وَلَدٍ عاق، وشقيق مُشَاقّ[١]، وذي رحم أصبح لها قاطعاً، [ولأهله فاجعاً]، وقريب قوم قد قلّدَهم عاراً، وناطَ بهم شَنَاراً، فلا لَوْم على تَرْك التعزية عنه، وأَحْرِ بها أن تستحيل تهنئةً بالراحة منه؛ وربَّ مالٍ صامتٍ غيرِ ناطقٍ، قد كان صاحبُه به مستظهراً، وله مُسْتَثْمِراً، فالفجيعةُ به إذا فقد موضوعةٌ موضعها، والتعزيةُ عنه واقعةٌ منه موقعها. وقد بلغني أن القاضي أصيب بثور كان له، فجلس للعزاء عنه شاكياً، وأَجْهَش عليه باكياً، والندَم عليه وَالِهاً[٢]، وحُكيت عنه حكاياتٌ في التأبين له، وإقامة النّدبة عليه، وتعديد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرّقت في غيره، واجتمعَتْ فيه وَحْدَه؛ فصار كما قال أبو نواس، في مثله من الناس[٣]:

لَيْسَ على اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ[٤]

لأنه يَكْرُب الأرض مغمورة[٥]، ويُثيرها مزروعة، ويرقص في الدواليب ساقياً وفي الأرحاء طاحناً[٦]، ويحملُ الغَلاَّتِ مستقلاً، والأثقالَ مستخفاً؛ فلا يَؤُوده[٧] عظيم، ولا يُعْجزه جسيم، ولا يجري في الحائط[٨] مع شقيقه، ولا في الطريق مع رفيقه، إلاَّ كان جَلْداً لا يُسْبَق، ومبرِّزاً لا يُلحق، وفائتاً لا يُنال شَأْوه وغايتُه، ولا يبلغ مَدَاه ونهايتُه. ويشهدُ اللَّهُ

---

(١) شقيق مُشاقّ: مُخَالِفٌ، مُعَادٍ، وشَاقَّه: خالفه وعاداه.

(٢) التدم الرجل: اضطرب، والتدمت المرأة: ضربت صدرها ووجهها. الواله: الشديد الحزن.

(٣) أبو نواس، الديوان: ص ٤٥٤.

(٤) في الديوان: «وَلَيْسَ لله بِمُسْتَنْكَرٍ».

(٥) يكرب الأرض: يُثيرها للزرع.

(٦) الأرحاء، والرُّحِيُّ، والأَرْحِيةُ: جمع الرَّحا: الأداة التي يُطْحَنُ بها، وهي حجران مستديران، يوضع أحدهما على الآخر، وَيُدار الأعلى على قطب.

(٧) يؤوده: يُثْقِلهُ ويجهده.

(٨) الحائط هنا: البستان.

أنّ ما ساءه ساءني، وما آلمه آلمني، ولم يَجُزْ عندي في حق ودّه استصغارُ خَطْبٍ جلَّ عنده، فأرَّقُه وأمَضَّه وأقلقه، ولا تهوينُ صعبٍ بلغ منه وأرمضه، وشَفَّه وأمرضه؛ فكتبت هذه الرقعة، قاضياً بها من الحق في مصابه هذا بقَدْرِ ما أظهر من إكباره إياه، وأبانَ من إعظامه له؛ وأسألُ الله تعالى أن يخصَّه من المعوضة بأفضل ما خص به البشر، عن البقر، وأن يُفْرِدَ هذه البهيمة العجماء بأثَرَةٍ من الثواب، يضيفها إلى المكلَّفين من أهل الألباب[١]؛ فإنّها وإن لم تكن منهم، فقد استحقَّت ألَّا تُفرد عنهم، بأن مسّ القاضي سببُها، وصار إليه مُنْتَسبُها، حتى إذا أنجز اللَّهُ ما وعد به [عباده المؤمنين] من تمحيص سيئاتهم، وتضعيف حسناتهم، والإفضاء بهم إلى الجنة التي رَضِيهَا لهم داراً، وجعلها لجماعتهم قَرَاراً؛ وأورد القاضي ـ أيّده الله تعالى ـ مواردَ أهلِ النعيم، مع أَهْلِ الصراط المستقيم، جاء وثَوْرُه هذا مجنوبٌ معه، مسموح له به؛ وكما أنّ الجنّةَ لا يدخلها الخبث، ولا يكون من أهلها الحدث، ولكنه عَرَقٌ يجري من أعراضهم، كذلك يجعلُ الله ثَوْر القاضي مركباً من العَنْبَرِ الشِّحْري، وماءِ الوَرْدِ الْجُوري؛ [فيصير ثوراً له طوراً؛ وجُونَةَ عطرٍ[٢] له طورا] وليس ذلك بمستبعد ولا مستنكر، ولا مستصعَب ولا متعذّر؛ إذ كانت قدرةُ اللَّهِ بذلك محيطةً، ومواعيدُه لأمثاله ضامنة، بما أعدَّه الله في الجنّة لعبادِه الصادقين، وأوليائه الصالحين؛ ومن شهوات أنفسهم وملاذّ أعينهم، وما هو سبحانه مع غامر فضله وفائِض كرمه، بمانعه ذلك مع صالح مساعيه، ومحمود شِيَمه؛ وقلْبي متعلّق بمعرفة خبره، أدام اللَّهُ عزّه فيما ادّرعه من شعار الصبر، واحتفظ به من إيثار الأجْرِ، ورفع إليه من السكون لأمْرِ الله تعالى في الذي طَرَقَه، والشكر له فيما أزعجه وأقلقه، فليعرفني القاضي من ذلك ما أَكُونُ ضارباً معه بسَهْمِ المساعدة عليه، وآخذاً بقِسْطِ المشاركة فيها.

فصل من جواب أبي بكر: وصل توقيعُ سيدنا الوزير أطال اللَّهُ بقاه، وأدام تأييده ونعماه، وأكمل رفعته وعُلاه، وحَرس مُهْجته وَوَقاه، بالتعزية عن الثور الأبيض، الذي كان للحَرْثِ مثيراً، وللدواليب مُديراً، وبالسبْقِ إلى سائر المنافع شهيراً، وعلى شدائد الزمان مُساعداً وظَهيراً[٣]. لعمرُك لقَد كان بِعَمَلِه ناهضاً، ولحماقات البقر رافضاً، وأنّى لنا بمثله وشَرْواه[٤]، ولا شروى له؛ فإنّه كان من أعيان البقر، وأنفع أجناسه للبشر، مضاف ذلك إلى

---

(١) الألباب: العقول، واحدها لبٌّ.

(٢) الجونة: سلة صغيرة تُغشّى بالجلد، تكون مع العطارين.

(٣) الظَّهيرُ: المُعِينُ.

(٤) الشَّرْوَى: المثل والنظير.

خَلاّتٍ لولا خَوْفي من تجدُّد الحزن عليه، وتهييج الجزَع وانصرافه إليه لعدَدْتُها؛ ليعلمَ ـ أدام الله عزّه ـ أن الحزينَ عليه غيرُ مَلُوم. وكيف يُلام امرؤ فَقَدَ من ماله قطعةً يجب في مثلها الزكاة، ومن خَدَمِ معيشته بهيمة تُعين على الصوم والصَّلاة، وقد احتذيتُ ما مثّله الوزير من جميل الاحتساب، والصبر على المُصَاب؛ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون قولَ من علم أنّه أملك لنفسه وماله وأهله وأنه لا يملك شيئاً دونه؛ إذ كان جلَّ ثناؤه، وتقدَّست أسماؤه، هو الملك الوهّاب، المرتجع ما ارتجع مما يعوض عليه نفيس الثواب. وقد وجدت ـ أيّد الله الوزير ـ للبقر خاصةً فضيلةً على سائر بهيمة الأنعام، تشهد بها العقولُ والأفهام، وذكر جملة من فضائلها.

* * *

وكأنَّ أبَا نواس في قوله:

لَيْسَ على الله بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ

نَظَر في هذا المعنى إلى قول جرير[1]:

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنو تميمٍ ... حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضَابا

[عَوْدٌ إلى المختار من الرثاء]

لامرأة العباس بن عبد المطلب

وقالت امرأةٌ من العرب، يقال: إنّها امرأةُ العباسِ عمّ النبي ﷺ، ترثي بنيها[2]:

رَعَوْا من المجدِ أَكنافاً إلى أجلٍ ... حَتَّى إذا كَمُلَتْ أَظماؤهم وَرَدُوا

مَيْتٌ بمصرٍ، وَمَيْتٌ بالعراق، ومَيْـ ... ـتٌ بِالحجازِ، مَنايَا بينهم بَدَدُ[3]

كانتْ لهم هِمَمٌ فَرَّقْنَ بَيْنَهُمُ ... إذا القَعاديدُ عنْ أمثالِهمْ قَعَدُوا[4]

بَثّ الجميلِ، وَتَفْريجُ الجليلِ، وإعْـ ... ـطَاء الجَزيلِ الذي لَمْ يُعْطِه أحدُ[5]

---

(١) جرير، الديوان: ص ٦٤. والبيت من قصيدة يهجو بها الراعي النميري.

(٢) وتنسب هذه الأبيات أيضاً إلى فاطمة بنت الأحجم الخزاعية.

(٣) بَدَدُ: يقال: بَدَّ الشيءَ فرّقه، وتَبَدَّدَ القوم الشيء: اقتسموه حِصَصاً.

(٤) القعاديد: جمع قُعْدُد، وهو الجبان، والخامل يقعد عن المكارم.

(٥) ويروى هذا البيت لأم معدان الأعرابية (العمدة: ١/ ٢١٥)، وفيه: «فعل الجميل وتفريج الجليل...».

وقال عبدة بن الطبيب[١] بن قيس بن عاصم:

عَلَيْكَ سلامُ اللهِ قَيْسُ بنَ عاصمٍ ... وَرَحْمَتُهُ ما شاءَ أَنْ يَتَرَحَّما
تَحيَّةَ مَنْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ نِعْمةً ... إذا زارَ عن شَحْطٍ بِلادَكَ سلَّما[٢]
فَما كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ ... وَلكنَّه بُنْيانُ قَوْمٍ تَهدَّما[٣]

وقيس بن عاصم هو القائل:

إنِّي امْرُؤٌ لا يَعْتَري حَسَبي ... دَنَسٌ يُغَيِّرُهُ ولا أَفْنُ[٤]
مِنْ مِنْقَرٍ في بيتِ مَكْرُمةٍ ... وَالأصلُ يَنْبتُ حَوْلَهُ الغُصْنُ
خُطباءُ حينَ يقولُ قائلُهُمْ ... بِيضُ الوُجوهِ أَعِفَّةٌ لُسْنُ
لا يَفْطِنُونَ لِعَيْبِ جارِهِمِ ... وَهُمُ لِحُسْنِ جِوارِهِ فُطْنُ

لأخت الوليد بن طريف

وقالت أختُ الوليد بن طريف الشيباني ترثيه:

أيا شجَرَ الخابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً ... كأنَّكَ لم تَجْزَعْ على ابنِ طَريفِ
فَتًى لا يَعُدّ الزادَ إلاَّ مِنَ التّقى ... وَلا المالَ إلاَّ مِنْ قَناً وَسُيوفِ
عَلَيْكَ سلامُ اللهِ وَقْفاً؛ لأنّني ... أَرى الموتَ وَقَّاعاً بِكُلّ شَريفِ
فَقَدْنَاكَ فِقْدانَ الربيعِ، وَلَيْتَنا ... فَدَيْنَاكَ مِنْ فِتْيانِنا بِأُلوفِ

لبكر بن النطاح

وخرج الوليد في أيام الرشيد، فقتله يزيد بن مَزْيد، وفي ذلك يقول بكر بن النطاح الحنفي[٥]:

---

(١) هو عبدة بن يزيد (الطيب) بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد اللّه، من تميم: شاعر فحل، مجيد، غير مكثر. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم، ويقال: إنه ترفع عن الهجاء، وترك اللجوء إليه، لما في تركه من مروءة وشرف. توفي نحو ٢٥ هـ/ ٦٤٥ م. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٦١٣/٢؛ الأصفهاني، الأغاني: ٢٨/٢١.

(٢) عن شَحط: عن بُعْدٍ.

(٣) الأبيات الثلاثة في العمدة: ١٥٣/٢. ويقال: إنَّ قوله: «فما كان قيس هُلْكُه...». هو أرثى بيت قالته العرب.

(٤) الأَفْنُ: نقصان العقل.

(٥) هو أبو وائل، بكر بن النطَّاح بن أبي حمار الحنفي: شاعر بصري غزل، نزل بغداد في زمن =

يـا بنـي تَغْلِـب لَقَـدْ فَجَعَتْكُـمْ مِـنْ يَـزيـدٍ سُيـوفُـهُ بِـالـوَليـدِ
لَـوْ سيـوفٌ سِـوى سُيـوفِ يـزيـدٍ قَـارَعَتْـهُ لاقَـتْ خِـلافَ السُّعـودِ[١]
وَاتـرٌ بَعْضُهـا يُقَتِّـلُ بَعْضـاً لا يَفُـلُّ الحـديـدَ غَيْـرُ الحَـديـدِ[٢]

* * *

[من شعر بكر بن النطاح]

وكان بكر كثيرَ التعصب لربيعة والمدحِ فيهم، وهو القائل[٣]:

وَمَـنْ يَفْتَقـر مِنّـا يَعِـشْ بِحُسـامِـهِ وَمَـنْ يَفْـتَقـرْ مِـنْ سـائـرِ النـاسِ يَسْـأَلِ
وَنَحْـنُ وُصِفْنَـا دُونَ كـلَّ قبيلـةٍ بِشِـدةِ بـأْس فـي الكتـابِ المُنَـزَّلِ[٤]
وَإِنّـا لَنَلْهُـو بـالسيـوفِ كمـا لَهَـتْ فَتـاةٌ بِعِقْـدٍ أو سِخَـابِ قَـرَنْفُـلِ[٥]

يريد قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[٦]. جاء في بعض التفاسير أنّهم بنو حنيفة قوم مُسيلمة الكذاب.

وبكر القائل أيضاً في أبي دُلَفَ:

يـا عِصْمَـةَ العُـرْبِ الـذي لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ حَيّـاً لَقَـدْ كـانـتْ بِغَيْـرِ عِمَـادِ
إنّ العيـونَ إذا رأَتْـكَ حِـدادُهـا رَجَعَـتْ مِـنَ الإجـلالِ غَيْـرَ حِـدَادِ
وَإذا رَمَيْـتَ الثغـرَ مِنْـكَ بِعَـزْمـةٍ فَتَّحْـتَ مِنْـهُ مَـواضِـعَ الأَسْـدادِ[٧]

= هارون الرشيد، واتصل بأبي دلف العجلي، فجعل له رزقاً سلطانياً عاش به وكفَّ عن الصعلقة وقطع الطرق. توفي سنة ١٩٢ هـ/ ٨٠٨ م. (الخطيب التبريزي، شرح الحماسة: ٣/ ١٤٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٧/ ٩٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ١٠/ ٢١٦).

(١) قارعته: ضاربته.

(٢) فَلَّ الحديد أو السيف: ثلمه وكسره في حدّه.

(٣) الأبيات في العمدة: ٢/ ١٤٥، وفيه أن الرشيد بسبب هذه الأبيات وأشباهها قد طلب بَكْراً بن النطاح أشدّ الطلب، وقال: يفتخر على مضر ومنهم رسول الله ﷺ خير البشر؟

(٤) في العمدة: «ببأسٍ شَديدٍ في الكتابِ المُنَزَّلِ».

(٥) السِّخابُ: قلادة تتخذ من قرنفل وسُكٍّ ومَحْلَب، ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء.

(٦) سورة الفتح، آية (١٦).

(٧) الأسداد: الحواجز، والأقفال.

فَكــأَنَّ رُمْحَــكَ مُنْقَــعٌ فــي عُصْفُــرٍ ... وَكــأَنَّ سَيْفَــكَ سُــلَّ مِــنْ فِــرْصَــادِ[١]

لَـوْ صَـالَ مِـنْ غَضَـبٍ أبـو دلـفٍ علـى ... بِيـضِ السيـوفِ لَـذُبْـن فـي الأغمـادِ

أَذْكَــى وأَوقَــدَ لِلعَــداوةِ وَالقِــرَى ... نَــارَيْــن نــارَ وَغًــى وَنَــارَ زِنَــادِ

نسب أبي دلف العجلي

وأبو دلف هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شنج بن معاوية بن خُزَاعى بن عبد العزّى بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم.

* * *

وقد رُوِيت الأبيات التي مرّت لأخت الوليد بن طريف لعبد الملك بن بجرة النميري.

لدعبل الخزاعي

وقال أبو هَفّان واسمه منصور بن بجرة، قال: أنشدني دعبل لنفسه:

وَدَاعُــكَ مِثْــلُ وَدَاعِ الــربيــعِ ... وَفَقْــدُكَ مِثْــلُ افْتِقــادِ الــدِّيَــمْ[٢]

عَلَيْــكَ السَّــلامُ فَكَــمْ مِــنْ وَفــاءٍ ... أُفــارِقُ مِنْــكَ وَكَــمْ مِــنْ كَــرَمْ

فقلت: أحسنت، ولكن سرقت البيتين من ربيعيين: الأول من قول القَطامي:

مــا لِلكَــواعــبِ وَدَّعْــنَ الحيــاةَ كمــا ... وَدّعْنَنِــي وَاتَّخــذْنَ الشَّيْــبَ مِيعَــادي[٣]

والثاني من قول ابن بجرة:

فَقَــدْنَــاكَ فِقْــدَانَ الــرَّبيــعِ وَلَيْتَنَــا

وأنشد البيت. فقال: بلى، والله سرق الطائي من ابن بجرة بيتاً كاملاً فقال[٤]:

عَلَيْــكَ سَــلامُ الله وَقْفــاً فــإِنَّنــي ... رَأَيْــتُ الكـريـمَ الحُـرَّ لَيْـسَ لَـهُ عُمْـرُ

(١) الفِرْصَادُ: اسم يُطْلَقُ على التوت، وصِبْغٌ أحمر، ونَوَى العِنَب.
(٢) الدِّيَم: جمع ديمة: السحابة الممطرة.
(٣) الكواعب: جمع كاعب، وهي الفتاة التي نهد ثَدْيُها.
(٤) أبو تمام، الديوان: ٢/ ٣٠٤. والبيت من قصيدة يرثي بها محمد بن حميد الطوسي الطائي الذي قُتِل في خلافة المأمون، وهو يحارب الخُرَّمية سنة ٢١٤ هـ/ ٨٢٩ م.

كذا وردت الحكاية من غير وجه، وكان يجب إذا كان من ربيعيين أن يكون «فَقَدْناك فقدان الربيع» لأخت الوليد.

وقد قال السموأل[١] في قِصَرِ العمر:

يُقَرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنَا لنا ... وَتَكْرَهُهُ آجالُهُمْ فَتَطُولُ

رثاء عمر بن الخطاب

وقال ابن قتيبة: أخذ النميري قوله: «أيا شجر الخابور» من قول الجن في عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أَبَعْدَ قَتِيلٍ بالمدينةِ أَظْلَمَتْ ... لَهُ الأَرضُ تَهْتَزُّ العِضَاهُ بِأَسْوُقِ[٢]

وقد أنشده أبو تمام الطائي للشماخ في أَبيات أولها:

جَزَى الله خيراً مِنْ أميرٍ وَبارَكَتْ ... يَدُ الله في ذاكَ الأديمِ المُمَزَّقِ

[وَمَنْ يَسْعَ أو يركَبْ جناحي نَعامةٍ ... لِيُدْرِكَ ما قَدَّمْتَ بالأمسِ يُسْبَقِ]

قَضيتَ أموراً ثم غادرتَ بَعْدَها ... نَوافجَ في أَكْمامِها لم تُفَتَّقِ[٣]

وَما كُنْتُ أخشى أن تكونَ وفاتُهُ ... بِكَفَّيْ سَبَنْتَى أزرق العينِ مُطرِقِ[٤]

تَظَلُّ الحَصَانُ البِكرُ تُلْقي جَنِينَها ... نَثَا خَبَرٍ فَوْقَ المطيِّ مُعلَّقِ

لبشار

وقد قال بشار قريباً من قوله: [ولا المال إلاّ من قنا وسيوف][٥]:

---

(١) هو السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي: شاعر جاهلي حكيم، من سكان خيبر شمالي المدينة. وهو صاحب حصن الأبلق بتيماء، وكان يضرب المثل بوفائه، وقصته مع امرىء القيس الشاعر مشهورة. توفي نحو ٦٥ ق. هـ/نحو ٥٦٠ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ٢٧٩؛ الأصفهاني، الأغاني: ٢٢/١٠٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/ ٧٥).

(٢) العِضَاهُ: كلّ شجر له شوك صَغُرَ أو كبر، الواحدة عَضاهَةٌ.

(٣) النوافج: جمع نافجة، وهي وعاء المسك. والأكمام: جمع كمّ، وهو وعاء الطلع، وهو أيضاً الغلاف الذي ينشق عن الثمر. ولم تفتق: لم تفتح.

(٤) السَّبَنْتَى: الجريء، المقدام، النَّمِر.

(٥) بشار بن برد، الديوان: ٤/ ١٠٦.

علـى جَنَبـاتِ المُلْـكِ مِنْـهُ مَهَـابـةٌ وَفي الدرعِ عَبْلُ الساعدَين قَرُوعُ[١]
إذا اخْتَـزنَ المـالَ البُخيـلُ فـإنَّمـا خَـزائنُهُـم خَطِّيّـةٌ وَدُروعُ[٢]

للمتنبي في فاتك

وهذا كقول أبي الطيب المتنبي في فاتك الإخشيدي[٣]:

كُنَّـا نَظُـنُّ دِيـارَهُ مُمْلُـوءَةً ذَهَبـاً فمـاتَ وَكُـلُّ دَارٍ بَلْقَـعُ[٤]
وَإذا المكـارمُ والصَّـوارمُ وَالقنـا وَبَنَـاتُ أعْـوَجَ كُـلُّ شـيءٍ يَجْمَـعُ[٥]

لعبد الملك الحارثي

ومن بارع هذا النحو قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي:

وَإنـي لأربـابِ القُبُـورِ لَغَـابِـطٌ لِسُكْنـى سعيـدٍ بيـنَ أهـلِ المقـابـرِ
وَإنـي لَمَفْجـوعٌ بـه إذْ تكـاثـرَتْ عِـداتـي وَلـم أهْتِـفْ سِـواهُ بنَـاصِـرِ
وَكُنْـتُ كَمغلـوبٍ علـى نَصْـلِ سَيفـهِ وَقـد حزّ فيـه نَصْـلُ حَـرَّان بـاتـرِ[٦]
أتينـاهُ زُوَّاراً فَـأمْجَـدَنَـا قِـرًى مِـن البَثِّ والـداءِ الـدخيـلِ المُخـامِرِ[٧]
وأُبْنَـا بِـزَرْعٍ قَـدْ نَمـا فـي صُـدُورنـا مـن الـوَجْـدِ يُسْقَـى بـالـدمُـوعِ البَـوادِرِ
وَلمـا حَضَـرْنَـا لِاقْتِسـام تُـرَاثِـهِ أَصَبْنَـا عَظيمـاتِ اللُّهـى والمـآثـرِ[٨]

---

(١) في الديوان: «على خَشَباتِ الملك مِنْكَ مهابةٌ». العبل: الضخم. قروع: مبالغة من قرع، إذا دقّ وضرب.
(٢) في الديوان: «إذا خَزَنَ»، و«خَزَائِنُهُ خَطِّيَةٌ». الخطية: الرماح الخطية: المصنوعة أو المجلوبة من الخط، وهو موضع بالبحرين، اشتهر بصناعة الرماح أو باستيرادها.
(٣) المتنبي، الديوان: ٢/٣٠٨.
(٤) بلقع: خالية.
(٥) المكارم: أفعال الكرم. الصوارم: السيوف القاطعة. القنا: الرماح. بنات أعوج: الخيل الأعوجية، نسبة إلى أعوج، وهو فحل مشهور من خيل العرب.
(٦) حرَّان: ظمآن. باتر: قاطع.
(٧) المخامر: يقال: خامر به: استتر، وخامر الشيء: مارسه وخالطه، يقال: خامره الداء، وخامره الشكّ.
(٨) اللُّهى: العطايا الجزيلة.

أي لم نصب مالاً، ولكنا أصبنا فعالاً.

[من كلاب الأعراب]

دخلت أعرابية على عبد اللّه بن أبي بكرة بالبصرة، فوقفت بين السِّماطين[١]، فقالت: أصلح الله الأمير، وأمتَعَ به؛ حَدَرتْنَا إليك سَنَةٌ اشتدّ بلاؤها، وانكشف غِطاؤها، أقودُ صبية صغاراً، وآخرين كباراً، في بلد شاسعة، تَخْفِضُنا خافضة، وَتَرْفَعُنا رافعة، لِمُلّماتٍ من الدهر بَرَيْن عَظْمي، وأذهبن لحمي، وتركنني والهةً أدورُ بالحضيض، وقد ضاق بي البلدُ العريض، فسألت في أحياءِ العرب: مَن الكاملةُ فضائلُه، المُعْطَى سائلُه، المكفيُّ نَائله؛ فَدُلِلْت عليك - أصلحك الله تعالى - وأنا امرأة من هَوازن؛ وقد مات الوالد، وغاب الرَّافد، وأنْتَ بعد الله غياثي، ومنتهى أملي، فافعلْ بي إحدى ثلاث: إما أن تردّني إلى بلدي، أو تحسن صَفَدي[٢]، أو تقيم أَوَدي[٣]! فقال: بل أجمعها لك، فلم يَزَلْ يُجْرِي عليها كما يُجْرِي على عياله، حتى ماتت.

أعرابي بباب عبيد اللّه بن زياد

قال العتبيّ: وقف أعرابيّ بباب عبيد اللّه بن زياد، فقال: يا أَهْلَ الغَضَارة[٤]، حَقِب السحابُ[٥]، وانقشعَ الرَّبَابُ[٦]، واستأسدت الذِّئَاب، وردم الثَّمَد[٧]، وقلَّ الحَفَد[٨]، ومات الولد، وكنت كثيرَ العُفَاةِ[٩]، صَخِب السقاة، عظيمَ الدُّلاة[١٠]، لا أتضاءل للزمان، ولا أحفل بالْحِدْثَان، حَيٌّ حِلاَل[١١]، وعَدَدٌ ومَالٌ، فتفرقنا أَيْدِي سَبَا، بعد فقد الأبناء والآباء؛

(١) السِّماطُ: الصَّفُّ.
(٢) الصَّفَدُ: العطاءُ.
(٣) الأَوَدُ: العَوَجُ.
(٤) الغضارة: النعمة.
(٥) حَقِبَ السحاب: احتبس، والمراد المطر.
(٦) الرباب: السحاب الأبيض.
(٧) الثَّمَدُ: الماء القليل الذي ليس له مدد، وقيل: المكان يجتمع فيه الماء.
(٨) الحَفَدُ: الأعوان والأنصار.
(٩) العُفاةُ: طالبو المعروف.
(١٠) الدلاة: جمع دالٍ، وهو المستقي بالدلو من البئر.
(١١) حَيٌّ حلال: مقيمون.

وكنت حسنَ الشارة[١]، خصيب الدَّارَة، سليم الجارةِ، وكان محلي حِمى، وقومي أسًى، وعَزْمي جَداً؛ قضى الله ولا رُجْعان لما قضى، بِسَوَافِ المال[٢]، وشتات الرجال، وتَغَيّر الحال، فأغيثوا مَنْ شَخْصُه شاهدُهُ، ولسانهُ وَافدُهُ، وفَقْرُه سائِقُهُ وقائِدُه.

[من مقامات بديع الزمان]

المقامة البصرية

ومن مقامات الإسكندرية من إنشاء بديع الزمان، قال:

حدثنا عيسى بن هشام، قال: دخلت البَصرة وأنا من سنيٍّ في فَتَاء[٣]، ومن الزِّيِّ في حِبَرٍ ووِشَاء[٤]، ومن الغنى في بَقَرٍ وشَاء؛ فأتيت المِرْبَد مع رُفْقَة تأخذهم العيون، ودخلنا غير بعيد في بعض تلك المتنزهات، ومَشَينا في تلك المتَوَجَّهات، وملكتنا أرضٌ فحللناها، وعَمَدنا لِقِدَاح اللَّهو فأَجَلْنَاهَا، مُطَّرِحِينَ للحِشْمَةِ، إذْ لم يكن فينا إلا منَّا، فما كان إلاَّ بأسْرَع من ارتداد الطَّرْف حتى عنَّ لنا سَوَادٌ، تَخْفِضُهُ وِهَاد، وترفعه نِجَاد، وعلمنا أنه يَهُمُّ بنا، فأتلعنا[٥] له، حتى انتهى إلينا سيرهُ، ولقينا بتحية الإسلام، ورددنا عليه مقتضى السلام؛ ثم أجال فينا طَرْفَه وقال: يا قوم؛ ما منكُمْ إلاَّ من يلحظني شَزْراً، ويوسعني زَجْراً[٦]، ولا ينبئكم عني، بأصدق مني؛ أنا رجل من أهل الإسكندرية، من الثغور الأموية، قد وطّأ لي الفضل كنَفَه، ورحبت بي عبس، ونَمانِي بيت، ثم جَعْجَعَ بي الدهر عن ثُمِّهِ ورُمِّه[٧]، وأتَلاَنِي زغاليلَ حُمْرٍ[٨] الحواصل:

كأنهُمْ حَيَّاتُ أرضٍ مَحْلَةٍ فَلَوْ يَعَضُّون لَذَكَّى سُمُّهُمْ
إذا نَزَلْنَا أرسلوني كاسباً وَإنْ رَحَلْنَا رَكِبُوني كُلُّهُمْ

(١) الشارة: الهيئة، واللباس الحسن، والجمال الرائع.
(٢) سواف المال: هلاكه.
(٣) فتاء السن: ميعته ونضارته.
(٤) الحبر: جمع حبرة، وهو ضرب من الوشي. والوشاء: نوع من اللباس مطرز.
(٥) أتلعنا له: استشرفنا ومددنا أعناقنا نحوه.
(٦) الشَّزْرُ: نظرة الإعراض، أو الغضب، أو الاستهانة. والزَّجْرُ: الكفُّ والمنع.
(٧) جعجع: صَوَّت، وجَعْجَعهُ: شَرَّده. ثمُّه ورمّه: قليله وكثيره.
(٨) أتلاني: أتبعني. زغاليل: أراد بهم أطفاله. وحمر الحواصل: كناية عن صغرهم.

ونشزت علينا البيض، وشمسَتْ منا الصُّفر[١]، وأكلتنا السُّودُ، وحطمتنا الحمر[٢]، وانتابنا أبو مالك، فما تَلَقَّانَا أبو جابر إلاَّ عن عُفْر[٣]، وهذه البصرة ماؤها هَضُوم، وفقيرها مهضوم، والمرءُ من ضِرْسِه في شُغْل، ومن نفسه في كلّ، فكيف بمن:

يُطَوِّف ما يُطَوِّف ثم يَأوي ... إلى زُغْبٍ مُحَدَّدَةِ العُيونِ[٤]

كَسَاهُنَّ البِلَى شُعْثا فَتُمْسِي ... جِيَاع الناب ضامِرَةَ البُطُونِ

ولقد أصْبَحْنَ اليَوْمَ وقد سَرَّحْنَ الطَّرْف في حيٍّ كَمَيْتٍ، وفي بيت كلا بيت، وقَلَبْنَ الأكفّ على لَيْت، فَقَضَضْنَ عقد الضلوع، وأفَضْنَ ماء الدموع، وتَدَاعَيْنَ باسمِ الجوعِ:

وَالفَقْرُ في زَمَنِ اللئا ... مِ لكلِّ ذي كَرَمٍ عَلاَمَهْ

وقد اخترتُكم يا سادة، ودلّتني عليكم السعادة، وَقُلْتُ: قسماً، إن فيهم شِيماً، فهل من فتى يُعشّيهن، أو يُغَشِّيهِنّ؟ وهل من حُرٍّ يُغَدِّيهن، أو يُرَدِّيهن[٥]؟

قال عيسى بن هشام: فوالله ما استأذن على سَمْعِي كلامٌ رائع أبرع مما سمعت، لا جرمَ أنّا استَمَحْنَا الأوساط، ونَفَضْنَا الأكمام، وبَحَثْنَا الجيوب[٦]؛ وأنلْتُهُ مُطْرَفي، وأخذت الجماعةُ أخْذي، وقلنا له: الحق بأطفالك، فأعرض عَنَّا بعد شكر وفّاه، وَنَشْرٍ مَلأَ بِهِ فَاهُ.

[من رسائل البديع]

رسالة منه لبعض الرؤساء

ومن رسائله إلى بعض الرؤساء:

خُلقت ـ أطال الله بقاء السيد وأدام تأييده ـ مشروحَ جَنَانِ الصدر، جَمُوحَ عِنَانِ الحلم، فسيحَ رُقعة الصدر:

---

(١) نشزت وشمست: فارقت. البيض: الدراهم لكونها من فضة. والصفر: الدنانير لكونها من ذهب.
(٢) السود: الليالي. والحمر: السنوات المجدبة.
(٣) أبو مالك: الفقر. وأبو جابر: الخير. وما تلقانا إلاَّ عن عفر: يعني كل حين مرّة.
(٤) زُغْبٌ: جمع أزغب: الذي نبت زغبه (ريشه أو شعره).
(٥) غَشَّى الشيءَ وعليه: جعل عليه غشاءً يُغَطِّيه. ورَدَّاهُ: ألبسه رِداءً.
(٦) بحثنا الجيوب: فتّشناها.

حَمُولاً صَبُوراً لو تَعَمَّدَني الرَّدى ... لَسِرْتُ إليه مُشْرِقَ الوَجْهِ راضياً
ألوفاً وفيًّا لو رُدِدْتُ إلى الصِّبَا ... لَفارقتُ شَيْبي مُوجَعَ القلب بَاكِيا[١]

والله لأحيلَنَّ السيد على الأيام، ولأكِلَنَّ استحالة رأيه فِيَّ على الليالي، ولا أزال أصفيه الولاء، وأسنيه الثناء، وأفرش له من صدري الدَّهْنَاءِ[٢]، وأعيره أذنا صماء، حتى يعلم أيَّ عِلْقٍ باع[٣]، وأيّ فتى أضاع، وليقفَنَّ موقف اعتذار، وليعلمنَّ بِنُصْح أتى الواشون أم بِجُبُول[٤]، ولا أقول: يا حالف اذكر حِلاًّ، ولكن يا عاقِدُ اذكر حَلاًّ، ولست كمن يشكو إلى رسول الله ﷺ أذى رَهْطِه، ويَشْتَاقُ إلى رمي يزيد لِسِبْطه، ولكني أقول[٥]:

هَنيئاً مَريئاً غَيْرَ داءٍ مُخَامِرٍ ... لِعَزَّةَ مِنْ أعراضنا ما اسْتَحَلَّتِ

وأما أعلم أن السيدَ لا يخرج عن تلك الحلية، بهذه الرُّقْية، وأن جوابَه أخشنُ من لقائه، فإن نشط للإجابة فلتكن المخاطبةُ قرأت رقعتك، فهو أخف مؤنة، وأقل تَبِعة.

رسالة منه إلى الشيخ العميد

وله إلى [الشيخ] العميد:

أنا ـ أطال الله بقاء الشيخ العميد ـ [مع إخوان نيسابور] في ضيعة لا فيها أُعان، ولا عنها أُصان، وشيمة ليست بي تُناط، ولا عني تُماط، وحرفة لا عَنّي تُزَال، ولا فيها أُدَال، وهي الكُدْية[٦] التي عليَّ تَبِعتُها، وليس لي منفعَتُها، فهل للشيخ العميد أن يلطف بصنيعته لطفاً يحط عنه دَرَنَ العار، وشيمة التكسّب بالأشعار، ليخفَّ على القلوب ظِلّه، ويرتفع عن الأحرار كَلّه[٧]، ولا يثقل على الأجفان شَخْصُه، بإتمام ما كان عَرَضَه عليه من أشغاله،

---

(١) هذا من قول المتنبي:
خُلِقْتُ أَلوفاً لو رَجَعْتُ إلى الصِّبَا ... لَفارَقْتُ شَيْبي مُوجَعَ القلب باكيا
(ديوانه: ٢/ ٢٤٢).
(٢) الدهناء: الفلاة.
(٣) العِلْقُ: النفيس من كُلِّ شيء.
(٤) هذا عجز بيت لكثير عزّة، وصدره: «فلا تعجلي يا عزُّ أنْ تفهمي».
(٥) البيت لكثير عزَّة (الهواري، أحلى قصائد الغزل ـ العصر الأموي ص ٢٠). وسبط رسول الله ﷺ هو الحسين بن علي بن أبي طالب.
(٦) الكُدْيَةُ: حرفة السائل المُلِحّ.
(٧) الكَلُّ: الثقل.

ليعلقَ بأذياله، ويستفيدَ من خلاله؛ فيكون قد صان العلم عن ابتذاله، والفضلَ عن إذلاله، واشترى حُسْنَ الثناء بجاهه، كما يشتريه بماله، والشيخ العميد فيما يوجبه من وَعْدٍ يعتمده، ووفاء يَتْلوما يَعده، عالِ رأيه إن شاء الله.

[عود إلى غُرَرِ المديح]

لأبي العباس الناشىء

وقال بعض أهل العصر، وهو أبو العباس الناشيء، يمدحُ سعد الدولة أبا المعالي شريف بن سيف الدولة علي بن عبد اللّٰه بن حمدان:

كَأَنَّ مِرآةَ فَهْمِ الدَّهْرِ في يَدِهِ ... يَرَى بها غائبَ الأشياءِ لم يَغِبِ
ما يَرْفَعُ الفَلَكُ العالي سَماءَ عُلاً ... إلا عَلاها شَريفٌ كَوْكَبُ العربِ
يا مَنْ بِعَيْنِ الرضا يَلقَى مُؤَمِّلَهُ ... وَالبُخْلُ يُطْبِقُ أجفانا على الغَضَبِ
لو يَكْتُبُ المَلْك أسماءَ الملوك إذاً ... أعطاكَ مَوْضِعَ بسم الله في الكُتُبِ
غَرَّبتَ في كُلّ يومٍ مِنْكَ مَكْرُمةً ... فَلَيْسَ ذِكْرُكَ في أرضٍ بِمُغْتَرِبِ

بيته الأول كقول القائل:

أطَلَّ على الأشياءِ حتى كأنَّما ... لَهُ من وراءِ الغَيْبِ مُقْلَةُ شَاهِدِ

[وكما قال] أبو تمام الطائي:(١)

أطَلَّ على كِلاَ الأفقينِ حتَّى ... كَأنَّ الأرضَ في عَيْنيهِ دارُ(٢)

وأفرط ابن الرومي فقال:

أحَاطَ عِلْماً بِكُلِّ خَافيةٍ ... كأنَّما الأَرْضُ في يديهِ كُرَهْ

وقال محمد بن وهيب:

عَليمٌ بأعقابِ الأمورِ، كأنَّما ... يُخاطبه مِنْ كلّ أمرٍ عَواقِبُهْ

---

(١) أبو تمام، الديوان: ١/٣١٦. والبيت من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة.
(٢) في الديوان: «أطلّ على كُلَى الآفاقِ». الكلى: مفردها كُلية، استعارها للآفاق. وأراد بأطلّ عليها: أنه خبر أمرها، لأن الكلية لا تكون إلاَّ في الباطن.

وقال بعض شعراء بني عبد اللّه بن طاهر:

وُقوفُكَ تحتَ ظلالِ السيوفِ أقرّ الخلافةَ في دارِها
كأنَّكَ مُطّلعٌ في القلوبِ إذا ما تَناجَتْ بِأسرارِها

وقال البحتري للفتح بن خاقان:

كأنَّكَ عَيْنٌ في القلوبِ بَصيرةٌ تَرَى ما عليه مُسْتقيمٌ ومَائلُ

وقال في سليمان بن عبد اللّه بن طاهر:

يُنالُ بالظنِّ ما فاتَ اليقينُ بهِ إذا تَلَبَّس دُون الظنِ إيقانُ
كأنّ آراءَه وَالظنُّ يَجْمَعُهُا تُريهِ كُلَّ خفيٍّ وَهْوَ إعلانُ
ما غابَ عَنْ عَيْنِهِ فالقلبُ يَذْكُرهُ وَإنْ تَنَمْ عَيْنُهُ فَالقلبُ يَقْظَانُ

لأحمد بن محمد يمدح ابن وهب

وقال أبو الحسن أحمد بن محمد الكاتب يمدح عبيد اللّه بن سليمان [بن وهب الوزير]:

إذا أبو قاسم جَادَتْ لنا يَدُهُ لَمْ يُحْمَدِ الأجْوَدَانِ البحرُ والمطَرُ
وَإنْ أضاءتْ لنا أنوارُ غُرَّتِهِ تَضاءلَ الأنورانِ الشمسُ والقَمَرُ
وَإنْ مضَى رأيُهُ أوحَدُّ عَزْمَتِهِ تَأَخَّرَ الماضيانِ السيفُ والقَدَرُ
مَنْ لم يَبِتْ حَذِراً من خَوْفِ سَطْوَتِهِ لم يدرِ ما المُزْعِجَانِ الخَوْفُ والحَذَرُ
يَنالُ بالظنِّ ما يَعْيَا العِيَانُ بهِ وَالشاهدانِ عليه العَيْنُ والأثَرُ
كأنَّهُ الدهرُ في نُعْمَى وفي نعمٍ إذا تعاقبَ منهُ النفعُ والضَّررُ
كَأَنَّهُ وَزِمامُ الدهرِ في يَدهِ يَرى عَواقبَ ما يأتي وَما يَذَرُ

وأصل هذا قولُ أوسِ بن حَجَر[١]:

الألمعيّ الذي يَظنُّ بِكَ الظَّنَّ كأَنْ قَدْ رأى وَقدْ سَمِعَا[٢]

وهذا المعنى قد مرّ في أثناء الكتاب.

---

(١) أوس بن حجر، الديوان: ص ٥٣.

(٢) في الديوان: «يظنُّ لك». والألمعيُّ: الحديد اللسان والقلب، وقد أبانه بقوله: «الذي يظن بك كأن قد رأى وقد سمعا».

لأعرابي

قال أبو الحسن جحظة البرمكي: قلت لخالد الكاتب: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت أرقَّ الناس شعراً، قلت: أتعرف قولَ الأعرابي:

فما وَجْدُ أعرابيةٍ قَذَفَتْ بها ... صُروفُ الليالي حَيْثُ لم تَكُ ظَنَّتِ

تَمنَّتْ أحاليبَ الرعاءِ، وَخَيْمَةً ... بِنَجْدٍ، فلم يُقْدَرْ لها ما تَمنَّتِ

إذا ذَكَرَتْ ماءَ العِضَاهِ وَطِيبَهُ ... وَريحَ الصبا من نَحْو نجدٍ أرنّتِ[١]

بأعْظَمَ من وَجْدٍ بِلَيْلى وَجَدْتُهُ ... غَداةَ غَدَوْنَا غَدْوَةً واطْمَأَنَّتِ

وَكَانَتْ رِياحٌ تَحْمِلُ الحاجَ بيننا ... فَقَدْ بَخِلَتْ تلك الرياحُ وَضَنّتِ[٢]

فصاح خالد وقال: ويحك! ويلك يا جحظة! هذا والله أَرَقّ من شعري.

[تكاليف المجد]

فصل لأبي العباس بن المعتز

لن تكسب ـ أعزك الله ـ المحامد، وتستوجب الشرفَ، إلا بالْحَمْلِ على النفس والجال[٣]، والنهوض بحمل الأثقال، وبَذْل الجاهِ والمالِ، ولو كانت المكارمُ تُنَال بغير مُؤْنَة لاشترك فيها السَّفَلُ والأحْرَار، وتساهَمَهَا الوُضَعَاء مع ذوي الأخطار؛ ولكنَّ الله تعالى خصَّ الكُرماء الذينَ جعلهم أهْلَها، فخفّف عليهم حملها، وسوَّغهم فَضْلَها، وحَظَرها على السَّفِلَة لِصِغَرِ أقدارهم عنها، وَبُعْدِ طباعهم منها، وَنُفُورِها عنهم، واقشعرارها منهم.

وقال أبو الطيب المتنبي[٤]:

[لَوْلا المشقّةُ سادَ الناسُ كُلُّهمُ ... الجودُ يُفْقِرُ والإقدامُ قَتَّالُ][٥]

---

(١) أرنَّت: صوّتت، والرنين: الصوت.

(٢) الحَاجُ: جمع حاجة: ما يفتقر إليه الإنسان ويطلبه. وضَنَّت: بخلت.

(٣) الجال: العقل والعزم.

(٤) المتنبي، الديوان: ٢/٣٠٦. والبيت من قصيدة يمدح بها أبا شجاع فاتك بمصر.

(٥) يقول: لولا أنّ في بلوغ السيادة مشقة لصار الناس كلهم سادةً، ثم بيَّن تلك المشقة فقال: الجود يفضي إلى الفقر، والإقدام يفضي إلى القتل، ولا سيادة بدون هذين الأمرين.

وقال الطائي(١):

وَالحمـــدُ شَهْـــدٌ لا يُـــرى مُشْتـــارُهُ يَجْنيـــهِ إلاَّ مِـــنْ نَقيـــعِ الحَنْظَـــلِ(٢)
شَـــرٌّ لِحـــاملـــهِ، وَيحْسَبُـــهُ الَّـــذي لَـــمْ يُـؤْذِ عـاتِقَـه خَفيـفَ المَحْمَـلِ(٣)

أخذه الطائي من قول مسلم بن الوليد، وقيل غيره:

الجُـودُ أخْشَـنُ مَسًّـا يـا بَنـي مَطَـرٍ مِـنْ أنْ تَبَـزَّكَمُـوه كَـفُّ مُسْتَلِـبِ
مـا أعْلَـم النـاسَ أنّ الجـودَ مَـدْفَعَـةٌ لِلـذَّمِّ لَكِنّـه يـأْتِـي علـى النّشـبِ(٤)

وقال بعض الأجواد: إنا لَنَجِدُ كما يجد البخلاء، ولكنَّا نصبر ولا يصبرون.

[احمال الغضب]

وقال الجاحظ: قيل لأبي عَبَّادٍ وزير المأمون، وكان أسرع الناس غضباً: إنَّ لقمان الحكيم قال لابنه: ما الحمل الثقيل؟ قال: الغَضب. قال أبو عباد: لكنّه والله أخَفُّ عليَّ من الريش! قيل له: إنما عنى لقمان أنَّ احتمالَ الغضَب ثقيل، فقال: لا، والله لا يَقْوَى على احتمال الغضب من الناس إلا الجمل!

وغضب يوماً على بعض كتّابه، فرماه بِدَوَاةٍ كانت بين يديه فَشجَّهُ، فقال أبو عبّاد: صدق الله تعالى في قوله(٥): (والذين إذا ما غضبوا هم يَغْفِرون). فبلغ ذلك المأمونَ

---

(١) أبو تمام، الديوان: ٢/ ٢١. والبيتان من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب.

(٢) المُشْتَارُ: مستخرج العسل، وقد اشتار العسل: جناه من كوارته. وفي الديوان: «لا ترى مُشْتارَهُ». ونظير هذا قول المتنبي:

تُـريـديـن لُقْيَـان المَعـالـي رَخيصـةً وَلاَ بُـدَّ دُونَ الشَّهْـدِ مـن إبَـرِ النَّحْـلِ

(ديوانه: ٢/ ٣٣٩).

(٣) في الديوان:

غِـلٌّ لِحـامِلِـهِ وَيَحْسَبُـهُ الـذي لَـمْ يُـوهِ عـاتِقَـهُ خَفِيـفَ المَحْمَـلِ

يوهي: يضعف. العاتق: ما بين المنكب والكتف، والغلّ: القيد. يقول: إن اكتساب الحمد صعب ثقيل على صاحبه، فهو يقيده، بينما يحسبه الناس خفيفاً.

(٤) النَّشَبُ: المال، والعَقار.

(٥) الآية كما وردت في كتاب الله تعالى: ﴿والذين يَجْتَنِبونَ كَبائِرَ الإثْمِ والفَواحِش، وإذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (سورة الشورى، آية ٣٧).

فأحضره، وقال له: ويحك! ما تُحْسِن تقرأ آيةً من كتاب الله تعالى! قال: بلى يا أمير المؤمنين، إني لأحفظ من سورة واحدة ألْفَ آية؛ فضحك المأمون وأمر بإخراجه(١).

نبذة من لطائف ابن المعتز، وفضل تحققه بالبديع والاستعارات مما تتعيّن العناية بمطالعتها

قال أبو بكر الصولي: اجتمعت مع جماعةٍ من الشعراء عند أبي العباس عبد اللّه بن المعتز، وكان يتحقق بعلم البَديع تحققاً يَنْصُرُه دعواه فيه لسانُ مذاكرته، فلم يَبْقَ مَسْلَكٌ من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شِعْباً من شِعَابه، وأوردنا أَحْسَنَ ما قيلَ في بابه، إلى أن قال أبو العباس: ما أحسن استعارة اشتمل عليها بيت واحد من الشعر؟ قال الأسدي: قول لبيد(٢):

وَغَداةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقِرَّةٍ ... إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمالِ زِمامُها(٣)

وقال أبو العباس: هذا حسن، وغيره أحمد منه، وقد أخذه من قول ثعلبة بن صُعَيْرة المازني(٤):

فَتَذَاكَرَا ثَقَلاً رَثِيداً بَعْدَما ... أَلْقَتْ ذُكاءُ يَمِينَها في كافِرِ(٥)

وقول ذي الرمة أعجب إليّ منه:

أَلا طَرَقَتْ مَيٌّ هَيُوماً بِذِكْرِهَا ... وَأَيْدِي الثُّرَيَّا جُنَّحٌ في المَغَارِبِ

وقال بعضنا: بل قول لبيد أيضاً(٦):

---

(١) الذي أضحك المأمون من ذلك الرجل أنه رآه جاهلاً بالقرآن جهلاً تاماً، حيث ذكر أنه يحفظ من سورة واحدة ألف آية، ونعلم أن أكبر سور القرآن الكريم وهي سورة البقرة تشتمل على مائتين وست وثمانين آية فقط.

(٢) لبيد بن ربيعة العامري، الديوان: ص ١٧٦. وفيه: «وَغداةِ ريح قد وَزَعْتُ وَقَرَّةٍ».

(٣) وغداة ريحٍ: أي وَرُبَّ غداة ريح. كشفت: أي بالطعام والكسوة وإيقاد النيران. والقرُّ والقِرَّة: البرد.

(٤) في لسان العرب (ذرع): «ثعلبة بن صُعَيْر المازني».

(٥) ذكاء: الشمس. والكافر: الليل، سمّي بذلك لِكَفْرِه الأشياء، أي سَتْرِها. ومنه قول لبيد بن ربيعة:

حَتَّى إذا أَلقت يداً في كافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوراتِ الثُّغورِ ظَلامُها

(٦) لبيد بن ربيعة، الديوان: ص ١٧٦.

ولَقَدَ حَمَيْتُ الخيلَ تَحْمِلُ شِكّتِي فُرُطٌ، وِشَاحي ـ إن غَدَوْتُ ـ لِجامُها[١]

قال أبو العباس: هذا حسن، ولكن نَعدل عن لبيد.

وقال آخر: [قول الهذلي]:

وَلو أنّني اسْتَوْدَعْتُه الشمسَ لاهْتَدَتْ إليهِ المنايا عَيْنُها وَرَسُولُها

قال أبو العباس: هذا حسن، وأحسن منه ـ في استعارة لفظِ الاستيداع ـ قول الحُصَيْن بن الحُمَام[٢]؛ لأنه جمع الاستعارة والمقابلة في قوله:

نُطَارِدُهم نَسْتَوْدِعُ البيضَ هَامَهُمْ وَيَسْتَوْدِعُونا السّمْهَرِيَّ المُقَوَّما[٣]

وقال آخر: بل قولُ ذي الرُّمة:

أقامَتْ بِهِ حتى ذَوَى العودُ في الثّرى وَسَاقَ الثُّرَيَّا في مُلاَءَتِهِ الفَجْرُ

قال أبو العباس: هذا لعمري نهايةُ الخبرة؛ وذو الرمة أبدعُ الناسِ استعارةً، وأبرعهم عبارةً، إلا أنَّ الصواب حتى «ذوى العود والثرى»؛ لأن العود لا يَذْوي ما دام في الثرى، وقد أنكره على ذي الرمة غير ابن المعتز. قال أبو عمرو بن العلاء: كانت يدي في يد الفرزدق فأنشدته هذا البيت، فقال: أُرْشِدُكَ أم أدَعُك؟ قال: فقلت: بل أرْشِدْني، فقال: إنَّ العود لا يَذْوي في الثّرى، والصوابُ «حتى ذوى العود والثرى».

قال الصولي: وكأنه نبه على ذي الرمة؛ فقلت: بل قوله:

وَلَمّا رأيتُ الليلَ والشمسُ حَيّةٌ حَياةَ الذي يَقْضي حُشَاشَةَ نَازِعِ

---

(١) ويروى: «وَلَقَدْ حَمَيْتُ الحَيَّ»، (شرح المعلقات العشر: ٢١٢). الشِّكَّةُ: السلاح. فرط: فرس متقدمة، سريعة، خفيفة. وقوله: «فرط وشاحي...» أي: أنَّ الفرسان كان أحدهم يتوشح اللجام ليكون قريباً منه ساعة الشدّة والفزع.

(٢) هو أبو يزيد، الحُصَيْن بن حمام بن ربيعة المري الذبياني: شاعر جاهلي، فارس، مقدم. كان سيد بني سهم بن مرة بن ذبيان، ويلقب بمانع الضيم. توفي نحو ١٠ق. هـ/نحو ٦١٢ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ١٥٥؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٢/٥٤٢).

(٣) البيض: السيوف. الهام: الرؤوس. السَّمْهَرِيّ: الرمح المنسوب إلى سمهر. وقد حذف نون الرفع من قوله: «ويستودعونا» من غير ناصبٍ ولا جازم، وكان الأصوب أن يقول: «ويستودعوننا».

قال أبو العباس: اقْتَدَحْتَ زَنْدك يا أبا بكر فأوْرَى[١]، هذا بارعٌ جداً، وقد سبقَه إلى هذه الاستعارة جرير حيث يقول:

تُحْيِي الرَّوامِسُ رَبْعَها وَتُجِدُّهُ ... بَعْدَ البِلَى فَتُميتُهُ الأمْطارُ[٢]

وهذا بيتٌ جمع الاستعارة والمطابقة؛ لأنه جاء بالإحياء والإماتة، والبلى والجِدة، ولَكِنْ ذو الرمة قد استوفى ذِكْرَ الإحياءِ والإماتة في موضعٍ آخر فأَحْسَن، وهو قوله:

وَنَشْوَانَ مِنْ طُولِ النعاسِ كَأَنَّهُ ... بِحَبْلَيـنِ فـي مَشْطُونَـةٍ يَتَـرجَّـحُ[٣]

إذا مات فَوْقَ الرَّحْلِ أَحْيَيْتُ رُوحَهُ ... بِذكْرِكَ والعِيسُ المَراسِلُ جُنَّحُ[٤]

فما أحد من الجماعة انصرف من ذلك المجلس إلا وقد غمره من تَجْرِ أبي العباس ما غاض معه مَعِينهُ، ولم ينهض حتى زوّدنا من بِرِّهِ ولطفه نهاية ما اتسعت له حالُه.

[كتمان الحب]

لابن المعتز

وقال ابن المعتز[٥]:

لَمَّا رأيتُ الحُبَّ يَفْضَحُني ... وَنَمَتْ عَلَيَّ شَواهِدُ الصّبِّ[٦]

---

(١) أورى الزند: أخرج النار.

(٢) الروامس والرامسات: الرياح الزافيات التي تنقل التراب من بلدٍ إلى آخر، وربما عفّت وجه الأرض بتراب أرضٍ أخرى، وقيل: الروامس: الرياح التي تثير التراب وتدفن الآثار.

(٣) في لسان العرب (شطن): «في مشطونة يتَطوّحُ». والمشطونة: البئر، ويقال: الشُّطُون من الآبار: التي تُنْزَعُ بحبلين من جانبيها، وهي متسعة الأعلى، ضيقة الأسفل، فإن نزعها بحبلٍ واحدٍ جَرَّها على الطيِّ فتخرَّقت.

(٤) العيس: النوق الكريمة، أو التي يخالط بياضها شُقْرَةٌ. المراسل لعله أراد المراسيل: جمع مرسال، وهي الناقة السهلة السير، وقيل: هي السريعة في سيرها، قال كعب بن زهير:

أَضْحَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لا يُبَلِّغُها ... إلاَّ العِتَاقُ النَّجِيباتُ المَراسِيلُ

(ديوانه: ص ٨٦).

(٥) ابن المعتز، الديوان: ص ٦٤.

(٦) في الديوان:

لما رأيتُ الدَّمْعَ يَفْضَحُني ... وَقَضَتْ عليه شَواهِدُ الصَّبِّ

والصبُّ: المُحبُّ المُشتاق المُعذَّب.

أَلقيتُ غَيْرَكِ في ظُنونِهمُ ... وَسَتَرْتُ وَجْهَ الحُبِّ بالْحُبِّ

لابن الأحنف

عباس بن الأحنف في هذا المعنى:

قَدْ جَرَّر الناسُ أذيالَ الظنون بنا ... وَفرَّق الناسُ فينا قَوْلَهُمْ فِرَقا

فَكاذِبٌ قَدْ رَمى بالظَّنِّ غَيْرَكُم ... وَصادِقٌ لَيْسَ يَدْري أنّهُ صدَقا

للفارضي

[وقريب من هذا المعنى قول الفارضي رضي الله عنه، وإن لم يكن منه:

تَخالفتِ الأقوالُ فينا تَبايُناً ... بِرَجْمِ أصولٍ بَيْنَنَا ما لها أصْلُ

فَشنَّعَ قَومٌ بالوِصالِ، وَلم أصِلْ ... وَأَرْجفَ بِالسلوانِ قَوْمٌ ولم أسْلُ[1]

وَما صَدَقَ التشنيعُ عنها لِشقْوَتي ... وَقد كَذبَتْ عني الأرَاجِيفُ والنقلُ][2]

لابن المعتز

وقال ابن المعتز[3]:

لنا عَزْمَةٌ صَمّاء لا تَسْمعُ الرّقى ... تُبيتُ أنوفَ الحاسدين علَى رَغْمِ[4]

وَإنّا لَنُعْطي الحقَّ مِنْ غَيْرِ حاكمٍ ... عَلَيْنَا، وَلَوْ شِئْنَا لَمِلْنا مع الظلمِ[5]

لأعرابي

وقد أخذه أبو العباس من قول أعرابي:

---

(١) شَنَّعَ الشيء: قَبَّحَهُ، وشَنَّع على فلانٍ: فضحه وشَوَّه سمعته. وأرجف القوم: خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن.

(٢) الأراجيف: جمع إرجاف، وهو الخبر الكاذب المثير للفتن.

(٣) ابن المعتز، الديوان: ص ٦٢١.

(٤) في الديوان: «تُبيتُ قُلوبَ العاذلين على رُغْمِ». والرُّقى: جمع رُقْيَة، وهي العوذة التي يُرْقَى بها المريض ونحوه.

(٥) في الديوان: «ولو شئنا كتمنا على ظُلْمِ». وكتمنا على ظلم: صبرنا عليه.

أَلا يا شِفاءَ النفسِ لَيْسَ بعالمٍ ... بِكَ الناسُ حَتّى يَعْلَموا لَيْلَةَ القَدْرِ
سِوَى رَجْمِهِم بالظنِّ والظنُّ كاذِبٌ ... مِراراً وَفيهِمْ مَنْ يُصِيبُ ولا يَدْري

للحسين بن مطير

وقال الحسين بن مطير[١]:

لقد كُنْتُ جَلْداً قبل أَنْ تُوقِدَ النوى ... على كَبِدِي نَاراً بَطيئاً خُمودُها[٢]
وَلو تُرِكَتْ نارُ الهوى لَتَضَرَّمَتْ ... وَلكنَّ شوقاً كلَّ يوم يَزيدُها[٣]
وَقد كنتُ أرجو أن تَمُوتَ صَبابتي ... إذا قَدِمت أيامُها وَعُهودُها[٤]
فقد جعَلَتْ في حبَّةِ القلبِ والحشَا ... عِهَادُ الهوَى تُولَى بِشوقٍ يُعيدُها[٥]
بِمُرتَجَّةِ الأرداف هِيفٌ خُصُورها ... عِذابٌ ثناياها عِجافٌ نُهودُها[٦]
وَصُفْرٌ تَراقِيها، وَحُمْرٌ أكفُّهَا ... وَسودٌ نَواصيها، وَبيضٌ خُدودُها[٧]
مُخصَّرة الأوساطِ زَانتْ عُقودَها ... بأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقودُها
يُمَنِّيَنَنا حتَّى تَرِفَّ قُلوبُنا ... رَفيفَ الْخُزامَى بات طَلٌّ يَجُودُها[٨]

---

(١) هو الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي: شاعر مقدم في القصيد والرجز من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وكان كلامه وزيّه يشبهان مذاهب الأعراب وأهل البادية. وقيل: إنه أحذق الشعراء في وصف السحاب. توفي نحو ١٧٠ هـ/ ٨٧٦ م. (الأصفهاني، الأغاني: ١٥/ ٣٣١؛ البغدادي، خزانة الأدب: ٥/ ٤٧٥).

(٢) الجلد: القوي الشديد.

(٣) تضرمت النار: اشتعلت والتهبت.

(٤) الصبابة: رقة الشوق وحرارته.

(٥) العهاد: أول المطر الوسمي، وقيل: هو كلُّ مطر بعد مطر، وعهاد الحب: أوائله.

(٦) الأرداف: الأعجاز، الواحد رِدْفٌ. هيف: ناحلة. الثنايا: أسنان الفم الأمامية. والعجف: ذهاب السمن، والهزال، ويقال: نصل أعجف، إذا كان رقيقاً، وفي رواية: «عجافٌ قُيودُها».

(٧) التراقي: أعالي الصدر. والنواصي: جمع ناصية، وهي شعر مقدم الرأس. وفي العمدة (٢/ ١١):
بِسُودِ نواصيها وَحُمْرٍ أكُفِّها ... وَصُفْرٍ تَراقيها وبِيضٍ خُدُودُها

(٨) رفَّ: لمع من النضارة. الخزامى: عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الريح، لها نَوْرٌ كنور البنفسج. والطلُّ: أخف المطر وأضعفه، وقيل: هو الدائم منه. يجودها: يسقيها بمائه الغزير.

وَفيهــنَّ مِقْــلاقُ الــوِشَــاحِ كــأَنَّهــا مَهــاةٌ بِتُـرْبَـانِ طَـويـلٌ عَمُـودُهـا[١]

وقال:

قَضَـى الله يـا أسمـاءُ أنْ لَسْـتُ بـارِحـاً أحبّـكِ حَتّـى يُغْمِـضَ العَيْـنَ مُغْمِـضُ
فَحُبُّـكِ بَلْـوَى غَيْـرَ أنْ لا يَسُـرُّنـي وَإن كـانَ بَلْـوَى أنَّنـي لَـكِ مُبْغِـضُ
فَـواكبِـدا مِـنْ لَـوْعَـةِ البَيْـنِ كُلّمـا ذَكَرْتُ وَمِنْ رفض الهوَى حينَ يرفضُ
وَمـنْ عَبْـرةٍ تُـذْري الـدُّمـوعَ وَزفـرةٍ تُقَضْقِـضُ أطـرافَ الحشَـا ثـم تَنْهَـضُ[٢]
فيـاليتنـي أقْـرَضْـتُ جَلْـداً صَبـابَتـي وَأقـرضَنـي صَبْـراً علـى الشـوقِ مُقْـرِضُ
إذا أنـا رُضْـتُ القلـبَ فـي حُـبّ غَيْـرِها بَـدَا حُبُّهـا مِـنْ دُونِـه يَتَعَـرّضُ[٣]

وكان الحسين قويّ أسْرِ الكلام، جَزْلَ الألفاظ، شديدَ العارِضة، وهو القائل في المهدي:

لَـهُ يَـومُ بـؤسٍ فيـه للنـاس أَبْـؤُسٌ وَيَـومُ نعيـمٍ فيـهِ للنـاس أنْعُـمُ
فَيُمطِـرُ يَـوْمَ الجـودِ مِـنْ كفِّـه النَّـدَى وَيَقْطُـرُ يَـوْمَ البـؤسِ مِـن كفِّـهِ الـدَّمُ
فَلَـو أنّ يَـومَ البُـؤْس خلّـى عِقـابَـهُ على الناسِ لم يُصْبِحْ على الأرضِ مُجْرِمُ
وَلَـوْ أنّ يَـومَ الجـودِ خَلّـى نَـوَالَـهُ على الأرضِ لم يُصْبِحْ على الأرضِ مُعْدِمُ[٤]

وأنشد أبو هفّان له:

أيـنَ أهـلُ العتـابِ بـالـدَّهْنـاءِ أيـنَ جيـرانُنـا علـى الأحْسـاءِ[٥]
جَـاورونـا والأرضُ مُلبَسَـةٌ نَـوْ رَ الأقـاحـي تُجَـادُ بـالأنْـواءِ[٦]
كُـلّ يـومٍ بـأقحـوانٍ جَـديـدٍ تَضْحَـكُ الأرضُ مِـنْ بكـاءِ السمـاءِ

(١) المهاة: البقرة الوحشية. تربان: اسم موضع.
(٢) قَضْقَضَ الشيء: كَسَرهُ وَدقَّهُ.
(٣) راضه رَوْضاً، وَرياضاً، ورياضةً: ذَلَّلهُ.
(٤) النوال: العطاء. المعدم: الفقير.
(٥) في الأغاني (١٥/ ٣٣٣): «أين أهل القباب».
(٦) في الأغاني: «فارَقُونا والأرض قُلْبَةٌ». وتُجادُ: تُمْطَرُ.

لدعبل الخزاعي

أخذ هذا المعنى دعبل، ونقله إلى معنى آخر، فقال:

أيـنَ الشبـابُ؟ وأيـةً سَلكَـا؟ أم أيـنَ يُطلَـب؟ ضَـلَّ، بـل هَلَكَـا
لا تَعْجَبـي يـا سَلْـمُ مِـنْ رجـلٍ ضَحِـكَ المشيـبُ بِـرأسِـهِ فبَكَـى

لمسلم بن الوليد

وقال مسلم بن الوليد في هذا المعنى:

مُسْتَعْبِـرٌ يبكـي علـى دِمْنَـةٍ وَرأسُـهُ يَضْحَـكُ فيـه المَشِيـبُ[1]

[معالي الأخلاق]

مما أنشده الزبير بن بكار

وأنشد الزبير بن بكّار:

أُحِبّ مُعالـيَ الأخـلاقِ جَهْـدِي وَأكْـرَهُ أنْ أعيـبَ وَأنْ أعـابـا
وَأصْفَـحُ عـن سِبَـابِ النـاسِ حِلْمـاً وَشـرُّ النـاسِ مَـنْ حَـبَّ السِّبـابـا
وَأتْـرُكُ قـائِـلَ العَـوْراءِ عَمْـداً لِأُهْلِكَـهُ ومَـا أعْيَـا الجـوابـا[2]
وَمَـنْ هَـابَ الـرجـالَ تَهَيَّبُـوهُ وَمـنْ حَقَـرَ الـرجـال فَلَـنْ يُهـابـا

[رياضة النفس على الفراق]

وعلى ذكر قوله:

إذا أنـا رُضْـتُ القلـب فـي حُـبِّ غَيْـرِهـا

أنشد الأصمعي لغلام من بني فزارة:

وأُعـرِضُ حَتَّـى يَحْسَـبَ النـاسُ أنمـا بِـيَ الهَجْـرُ، لا والله مـا بـي لهـا هَجْـرُ
[وَلكـنْ أروضُ النفـسَ أَنْظُـرُ هَـلْ لهـا إذا فَـارقَـتْ يَـوْمـاً أحِبَّتَهَـا صَبْـرُ]

---

(١) الدمنة: آثار الدار، الجمع دِمَنٌ.

(٢) العوراء: الكلمة أو الفعلة القبيحة.

قال إسحاق الموصلي: قال لي الرشيد: ما أَحْسَنُ ما قيل في رياضة النفس على الفراق؟ قلت: قول أعرابي:

وَإنـي لأَسْتَحْيـي عُيـونـاً، وأتَّقـي كَثيـراً، وأَسْتَبقـي المـودَّةَ بـالهَجْـرِ
فَـأُنـذِرُ بـالهجـرانِ نَفْسـي أَروضُهـا لأَعْلَـمَ عِنْدَ الهَجْرِ هَـلْ لِـيَ مِـنْ صَبْـرِ

[فقال الرشيد: هذا مليح، ولكني أستملح قول أعرابي آخر:

خَشيـتُ عليهـا العَيْنَ مـن طولِ وَصْلِها فَهـاجَـرتُهـا يَـوْمَيـنِ خَـوْفـاً مِـنَ الهَجْـرِ
وَمـا كـانَ هِجْـرانـي لهـا عـن مَـلاَلـةٍ وَلكنَّـي جَـرَّبْـتُ نَفْسِـيَ بِـالصَّبْـرِ][1]

لابن الأحنف

قال الصولي: قال لي المبرد: عمك إبراهيم بن العباس أحزمُ رأياً من خاله العباس بن الأحنف في قوله:

كـانَ خُـرُوجـي مِـنْ عِنْـدِكُـمْ قَـدَراً وَحـادِثـاً مِـنْ حَـوادثِ الـزَّمَـنِ
مِـنْ قَبْـلِ أنْ أعْـرِضَ الفِـراقَ علـى قَلْبـي، وَأنْ أَسْتَعِـدَّ لِلحَـزَنِ

وقال عمك إبراهيم:

وَنـاجَيْـتُ نَفْسـي بـالفـراقِ أرُوضُهـا فَقـالـتْ: رُوَيْـداً لا أَغـرُّك مِـنْ صَبْـري
فَقُلْـتُ لهـا: فَـالهَجْـرُ والبَيْـنُ وَاحِـدٌ فَقَـالـتْ أأُمْنَـى بـالفـراقِ وَبـالهَجْـرِ[2]

فقلت له: إنه نقل كلام خاله:

عَـرَضْـتُ علـى قلبـي الفِـراقَ فقـالَ لـي مِـنَ الآن فَـايـأسْ لا أغـرّكَ مِـنْ صَبْـري
إذا صَـدَّ مَـنْ أهْـوَى رَجَـوْتُ وِصَـالَـهُ وَفُـرْقَـةُ مَـنْ أهـوى أحـرُّ مِـنَ الْجَمْـرِ

لابن الأحنف

وقال العباس بن الأحنف:

---

(١) الملالة: السأم والكراهية.
(٢) البين: الفراق. أمْنَى: يقدر الله ذلك عليَّ.

أرُوضُ على الهِجْرَانِ نَفْسي لَعلَّها تَماسَكُ لي أسبابُها حينَ أَهْجُرُ
وَأَعْلَمُ أنَّ النفسَ تَكْذِبُ وَعْدَها إذا صَدقَ الهِجْرانُ يوماً وتَغْدُرُ
وَما عَرضَتْ لي نَظْرةٌ مُذْعَرَفْتُها فَأنظر إلى ما مثّلتْ حِينَ أنْظُرُ

للمتنبي

[وقال المتنبي من المعنى(١):

حَبيْتُكَ قَلْبي قَبْلَ حُبِّيَ مَنْ نَأَى وَقد كانَ غدّاراً فَكُنْ أنْتَ وافيا(٢)
وَأعْلَمُ أنَّ البَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَها فَلسْتَ فُؤادي إن وَجدْتُكَ شاكيا](٣)

لأبي صَخْرٍ الهذلي

قال الحاتمي: والذي أراه وأذهب إليه أن أحسن من هذا المعنى قول أبي صَخْرٍ الهذلي:

وَيَمْنعُني من بَعْضِ إنكارِ ظُلْمِها إذا ظَلمَتْ يوماً وإن كانَ لي عُذْرُ
مَخافةُ أنّي قَدْ عَلِمْتُ لئِنْ بَدَا لِيَ الهَجْرُ منها ما على هَجْرِها صَبْرُ
وَأنِّيَ لا أدري إذا النَّفْسُ أشْرفَتْ على هَجْرِها ما يَبْلُغَنَّ بيَ الهَجْرُ
فَيا حُبَّها زِدْني جَوّى كُلَّ لَيْلَةٍ وَيا سَلْوَةَ الأحزانِ مَوْعِدُك الحَشْرُ(٤)

شذور من كلام أهل العصر في مكارم الأخلاق

ابن المعتز ـ العقلُ غريزة تزينها التجارب. وله: العاقلُ من عَقلَ لسانه(٥)، والجاهلُ من جَهِل قَدْرَه.

غيره: إذا تمّ العقلُ نقص الكلام. حُسْنُ الصورة الجمالُ الظاهر، وحسن الخلق

---

(١) المتنبي، الديوان: ٢/ ٢٤١. والبيتان من قصيدة يمدح بها كافوراً الإخشيدي سلطان مصر.
(٢) في الديوان: «قبل حُبِّكَ من نأى».
(٣) في الديوان: «يشكيك بعده»، و«إن رأيتك شاكياً». يشكيك: يحملك على الشكوى.
(٤) الجوى: شدّة الوجد. وموعدك الحشر، أي: يوم القيامة.
(٥) عقل لسانه: ربطه، وهو من عقل البعير إذا ضمَّ رُسْغَ يده إلى عضده وربطهما معاً بالعقال ليبقى باركاً.

الجمالُ الباطن. ما أبينَ وجوه الخيرِ والشرِّ في مِرْآةِ العقل إذا لم يُصْدِئها الهوى. أحْرِ بمن كان عاقلا أن يكونَ ما لا يَعْنِيه غافلا. التواضعُ من مصايد الشرف. من لم يتَّضِعْ عند نفسه لم يرتفع عنده غيره.

يحيى بن معاذ ـ التكبُّر على المتكبر تواضع. الحلم حجابُ الآفات. أحيوا الحياءَ بمجاورة من يُسْتَحْيَا منه. مَنْ كساه الحياءُ ثوبَه، ستر عن الناس عَيْبَه. الصبرُ تَجرُّع الغُصَص، وانتظارُ الفُرَص. قلوبُ العقلاء حصون الأسرار. انفَرِدْ بسرِّك ولا تودعه حازماً فيزلّ، ولا جاهلاً فيخون. الأناة[١] حُسْنُ السلامة، والعجلة مفتاح الندامة. من حَسُنَ خُلقه وجَب حقُّه. إنما يستحق اسم الإنسانية مَنْ حَسُنَ خُلقه. يكاد سيء الخلق يُعَدُّ من البهائم والسباع.

رسطاطاليس ـ المروءة استحياءُ المرءِ نفسه. المعروف حِصْنُ النعم من صروف الزمن. للحازم كنزٌ في الآخرة من عمله، وفي الدنيا من معروفه. لا تستحي من القليل فإنّ الحرمان أقلُّ منه.

أبو بكر الخُوَارَزْمي ـ الطِّرف[٢] يجري وبه هُزَال، [والسيف يمضي وبه انفلال]، والحرُّ يُعْطِي وبه إقلال[٣]. وبَذْلُ الجاه أحدُ المالين. شفاعةُ اللسانِ أفضلُ زكاة الإنسان. بَذْلُ الجاهِ رِفْدُ للمستعين[٤]. الشفيعُ جناحُ الطالب. التقوى هي العُدّة الباقية، والجُنّة الواقية. ظاهرُ التقوى شرفُ الدنيا، وباطنها شرف الآخرة. من عفّت أطرافه، حسنت أوصافه. قال أبو الطيب المتنبي[٥]:

وَلا عِفَّةٌ في سَيْفِهِ وَسِنانِهِ ... وَلكنَّها في الكفِّ والفَرْجِ وَالفَمِ[٦]

لقمان ـ الصَّمْتُ حُكْمٌ وقليل فاعِلُه. أرْبعُ كلمات صدرت عن أربعة ملوك كأنما رُميت

(١) الأناة: الحلم والوقار.
(٢) الطِّرْفُ: الكريم من الناس والخيل ونحوها، والمراد هنا: الفرس.
(٣) انفلال: تَثَلُّمٌ وتكسُّرٌ. والإقلال: قِلّة المال.
(٤) الرِّفْدُ: العطاء.
(٥) المتنبي، الديوان: ٢/ ٢٦٦. والبيت من قصيدة يمدح بها كافوراً الإخشيدي.
(٦) أي: هو عفيف النفس، وليس بعفيف السلاح، إذا شهد الحرب قتل الأقران، ولم يتعفّف عن دمائهم.

عن قَوْسٍ واحدة؛ قال كسرى: لم أندم على ما لم أقل، وَنَدِمْتُ على ما قلت مراراً. قيصر: أنا على ردّ ما لم أقل أقدرُ مني على ردِّ ما قلت. ملك الصين: إذا تكلّمت بالكلمة ملكتني، وإذا لم أتكلم بها ملكتها. ملك الهند: عَجِبْتُ ممن يتكلّمُ بالكلمة إن رُفِعَتْ ضَرَّته، وإن لم تُرْفَع لم تنفعه. ما الدُّخان على النار، ولا العَجَاج[1] على الريح، بأدلَّ من ظاهر الرجل على باطنه. وأنشد:

قَدْ يُسْتَدَلّ بِظَاهِرٍ عَنْ بَاطِنٍ حَيْثُ الدُّخَانَ فَثَمَّ مَوْقِدُ نَارِ

مَنْ أصلح ماله فقد صَان الأكرمَيْن المالَ والعِرْضَ. من لم يجمد في التقدير ولم يَذُبْ في التدبير فهو سديد التدبير. عليك بالقَصْدِ بين الطرفين، لا مَنْعَ ولا إسراف، ولا بخل ولا إتراف. لا تكن رطباً فَتُعْصَر، ولا يابساً فتكسر، ولا حلواً فَتُسْتَرَط[2]، ولا مرًّا فَتُلْفَظ.

المأمون بن الرشيد ـ الثناء أكثر من الاستحقاق مَلَقٌ وهذَر، والتقصير عِيٌّ وَحَصَر.

إكرامُ الأضياف، من عادة الأشراف. وفي الخبر: لا تتكلَّفوا للضيف فتبغضوه؛ فمن أبغض الضيفَ أبغضه الله. ينبغي لصاحب الكريمَ أن يصبر عليه إذا جَمَعَتْهُما نَبْوَةُ الزمان، فليس ينتفع بالجوهرة الكريمة من لم ينتظر نَفَاقها.

مواعظ عقلها بعض أهل العصر تتعلق بهذا الفصل

أغْضِ على القَذَى، وإلا لم تَرْضَ أبدا[3]. أجْمِل الطلبَ فسيأتيك [ما قُدِر لك] صُنْ عرضك، وإلاَّ أخْلَقْت وجهك. جاور الناسَ بالكفّ عن مساويهم. أنْس رِفْدَك، ولا تَنْسَ وعدَك، كَذِّبْ أسواء الظنون بأحسنها[4]. أغْنِ من وَلَّيته عن السرقة، فليس يكفيك من لم تكفه. ولا تتكلفْ ما كُفِيتَ فيضيع ما أوليت.

ابن المعتز ـ لا تُسْرِعْ إلى أرفع موضع في المجلس فالموضع الذي تُرْفَعُ إليه خيرٌ من

---

(١) العجاج: ما ثار من الغبار.

(٢) سَرَطَهُ سَرْطاً: بلعه.

(٣) هذا من قول بشار بن برد:

إذا أنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِراراً عَلى القَذَى ظَمِئْتَ وَأيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

(ديوانه: ١/١٥٧).

(٤) في رواية: «كَذِّب سوء الظن بأحسنه».

الموضع الذي تُحَطُّ منه. لا تذكر الميت بسوء فتكون الأرض أكتم عليك منك. ينبغي للعاقل أن يُدَاري زمانه مداراةَ السابح للماء الجاري.

العتابي ـ المداراةُ سياسة رفيعة تجْلِبُ المنفعة، وتدفع المضرَّة، ولا يستغني عنها ملك ولا سُوقَة، ولا يدع أحدٌ منها حظه إلا غمرته صروف المكاره.

[من رسائل العتابي وأدبه]

وكتب العتابي إلى بعض إخوانه:

لو اعتصم شوقي إليك بمثل سُلُوِّكَ عنّي لم أبذل وَجْهَ الرغبة إليك، ولم أتجشّم مرارةَ تماديك، ولكن اسْتَخَفَّتْنَا صبابتنا، فاحتملنا قَسْوتَك، لعظيم قَدْر مودتك، وأنت أحقُّ من أقتصَّ[١] لصلتنا من جفائه، ولشوقنا من إبطائه.

وله: كتبت إليك ونفسي رهينة بشكرك، ولساني علق بالثناء عليك، والغالبُ على ضميري لائمة لنفسي، واستقلالٌ لجهدي في مكافأتك، وأنت ـ أصلحك الله! ـ في عزِّ الغنى عني، وأنا تحت ذُلِّ الفاقةِ إلى عطفك، وليس من أخلاقك أن تُولي جانبَ النَّبْوَة منك مَنْ هو عَانٍ في الضَّراعة إليك.

ودخل العتابي على الرشيد فقال: تكلَّم يا عتابي؛ فقال: الإيناسُ قبل الإبساس[٢]، لا يُحْمَدُ المرءُ بأول صوابه، ولا يُذَمُّ بأول خطئه؛ لأنه بين كلام زَوَّرَه، أوعيّ حَصَره.

ومرّ العتابي بأبي نُوَاس وهو ينشد الناس[٣]:

ذَكَــرَ الكَــرْخَ نــازِحُ الأوطــانِ فَبَكَــى صَبْــوَةً وَلاَتَ أوانِ[٤]

---

(١) اقتص: من القصاص، وهو العقاب، ، أو الانتقام عامةً.

(٢) الإيناس: بعث الأنس في نفس الضيف، واقتلاع الوحشة منها. والإبساس: تقديم الطعام والقرى، وأصل الإبساس: الرفق بالناقة عند الحلب، وهو أن يقال: بس بس. وهو مثل يضرب في المداراة عند الطلب، ومنه قول الشاعر:

وَلقَـدْ رَفقْـتُ فَمـا حَلِيتُ بِطَـائـلٍ لا يَنْفَـعُ الإبْسَـاسُ بـالإينـاسِ

(الميداني، مجمع الأمثال: ١/ ٥٩).

(٣) أبو نواس، الديوان: ص ٤٧٦.

(٤) الكَرْخُ: من ضواحي بغداد. نازح الأوطان: بعيدها. وفي الديوان: «فَصَبَا صَبْوَةً».

فلما رآه قام إليه، وسأله الجلوس، فأبى وقال: أين أنا منك وأنت القائل، وقد أنصفك الزمان[١]:

قَدْ عَلِقْنَا مِنَ الخَصِيبِ حِبَالاً ... أَمَّنَتْنَا طَوارقَ الحِدْثَانِ[٢]

وأنا القائل وقد جار عليَّ، وأساء إليَّ:

لَفَظَتْنِي البِلادُ، وانطوتْ الأكـ ... ـفاءُ دُونِي، وَمَلَّنِي جِيرَانِي
والْتَقَتْ حَلْقَةٌ عليَّ من الدَّهْـ ... ـرِ فَمَاجَتْ بِكَلْكَلٍ وَجِرانِ[٣]
نَازعتني أحداثُها مُنْيَةَ النفـ ... ـسِ وهَدَّت خُطوبُها أركاني
خَاشِعٌ لِلهمُومِ مُعْتَرِفُ القَلْـ ... ـبِ كَئِيبٌ لِنَائِبَاتِ الزمانِ

[شعر الأعراب]

قال عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعي: سمعت عمِّي يحدث قال: أرِقْتُ ليلةً من الليالي بالبادية، وكنت نازلاً عند رجل من بني الصَّيْدَاء. وكان واسعَ الرَّحْلِ، كريم المحل، فأصبحتُ وقد عزَمْتُ على الرجوع إلى العراق، فأتيت أبا مَثْوَايَ[٤]، فقلت: إنِّي قد هَلِعت[٥] من الغُرْبَة، واشتقْتُ إلى أهلي، ولم أُفِدْ في قَدْمتي هذه كَبِيرَ علم. وإنما كنت أغتفِرُ وحشة الغربة وجفاءَ البادية للفائدة؛ فأظهر الجفاوة حتى أبرز غداء له فتغدّيت، وأمر بناقة مَهْرِيَّة[٦] كأنها سبيكة لُجَيْن [فارتحلها] واكتفلها، ثم رَكِبَ وأرْدَفني، وأقبلها مطلعَ

---

(١) أبو نواس، الديوان: ص ٤٧٧.

(٢) علقنا حبالاً: أمسكناها وتعلقنا بها. الحدثان: الحوادث والنوائب.

(٣) الكلكل: الصدر، وقَدْ يستعار لما ليس بجسم كالليل والدهر، قالت أعرابية ترثي ولدها:

أَلْقَى عليه الدَّهْرُ كَلْكَلَهُ ... مَنْ ذا يَقُوم بِكَلْكَلِ الدَّهْرِ

(ابن منظور، لسان العرب: كلل). والجران: باطن العنق من البعير وغيره، يقال: ألقى فلان على الأمر جرانه: وَطَّن نفسه عليه، وألقى عليه جرانه: ثِقْلَهُ.

(٤) المثوى: الإقامة، وأبو مثواي: أي مضيفي.

(٥) هَلِعْتُ: جَزِعْتُ.

(٦) ناقة مهرية: منسوبة إلى مَهْرَة بن حَيْدان (أبو قبيلة)، وهم حيٌّ عظيم، وجمع المهرية: مهاريٌّ، ومَهارٍ، ومَهارَى، قال رؤبة بن العجاج:

بِهِ تَمطَّتْ غَوْل كُلِّ مَهْمَهِ ... بِنَا حَراجِيجُ المَهارَى النُّفَّهِ

(ابن منظور، لسان العرب: مهر).

الشمس؛ فما سِرْنَا كبير مسير حتى لَقِيَنا شيخٌ على حمارٍ، له حُمَّة قد صَبَغها بالوَرْس[(١)]، كأنها قنبيطة، وهو يترَنَّمُ، فسلَّم عليه صاحبي. وسأله عن نسبه فَاعْتَزَى أسديا من بني ثَعْلبة. قال: أتروي أم تقول؟ قال: كُلًّا. قال: أين تؤُم؟ فأشار إلى موضع قريب من الموضع الذي نحنُ فيه. فأناخ الشيخ، وقال لي: خُذْ بيد عمك فأنزله عن حماره، ففعلت، وألقى له كساءً قد اكتفل به، ثم قال: أنشدنا يرحمك الله وتصدق على هذا الغريب بأبيات يبثهن عنك، ويذكرك بهن، فأنشدني له:

لَقَدْ طالَ يا سَوْداءُ مِنْكِ المَواعِدُ ... وَدُونَ الجَدَا المأمولِ مِنْكَ الفَرَاقِدُ[(٢)]
تُمَنِّيَنَنا بالوصلِ وَعْداً، وَغَيْمُكُمْ ... ضَبابٌ، فلا صَحْوٌ، ولا الغَيْمُ جائدُ[(٣)]
إذا أنْتَ أُعْطِيتَ الغِنى ثُمَّ لم تَجُدْ ... بِفَضْلِ الغِنى أُلْفِيتَ مَالَكَ حامِدُ[(٤)]
وَقَلَّ غَنَاءً عَنْكَ مالٌ جَمعتَهُ ... إذا صَارَ ميراثاً وَوَاراكَ لاَحِدُ[(٥)]
إذا أنْتَ لم تَعْرُكْ بِجَنْبَيْكَ بَعْضَ ما ... يَريبُ مِنَ الأدنى رَمَاكَ الأَباعِدُ
إذا الحلمُ لم يَغْلِبْ لَكَ الجَهْلَ لم تَزَلْ ... عليكَ بُروقٌ جَمّةٌ وَرواعِدُ[(٦)]
إذا العزمُ لم يَفْرُجْ لكَ الشكَّ لم تَزَلْ ... جَنيباً كما استَتْلَى الجَنيبةَ قَائِدُ[(٧)]
إذا أنتَ لم تَتْرُكْ طعاماً تُحبّهُ ... ولا مَقْعَداً تَدْعُو إليه الولائدُ[(٨)]
تَجَلَّلْتَ عاراً لا يَزالُ يَشُبُّهُ ... عَلَيْكَ الرجالُ نَثْرُهم والقَصائِدُ[(٩)]

وأنشدني لنفسه:

تَعَزَّ فإنَّ الصبرَ بالحُرِّ أجملُ ... وَلَيْسَ على رَيْبِ الزمان مَعَوَّلُ[(١٠)]

---

(١) الورس: نبت أصفر يشبه الزعفران.
(٢) الجدا: العطاء (الوصل).
(٣) جائد: من جاد الغيم الأرض: سقاها بمائه، أمطرها.
(٤) أُلْفِيتَ: وُجِدْتَ.
(٥) الغَنَاءُ: النفع والكفاية.
(٦) جَمَّةٌ: كثيرة.
(٧) استتلى: استتبع، وجعلها تاليةً. والجنيبة: الفرس تقودها من غير أن تركبها.
(٨) الولائد: جمع وليدة، وهي الأمَةُ، أو الصبية إلى أن تبلغ.
(٩) يَشُبُّهُ: يُوقِدُهُ، يُشْعِلُهُ، يُثِيرُهُ.
(١٠) رَيْبُ الزمان: حوادثه. مَعَوَّلُ: من عَوَّل عليه: اعتمد عليه واتكل، واستعان به، يقال: عوَّلنا =

فَلـو كـانَ يُغْنـي أن يُـرى المرءُ جـازعـاً — لِنــازلَــةٍ أو كــانَ يُغْنــي التــذلُّــلُ[١]
لَكــانَ التَّعــزِّي عِنْــدَ كُــلِّ مُصيبــةٍ — وَنــازلَــةٍ بــالحُــرِّ أولــى وأجْمَــلُ
فَكَيْـفَ وَكـلٌّ لـيـس يَعْـدُو حِمَـامَـهُ — وَمـا لامْـرئٍ مما قضَـى الله مَـزْحَـلُ[٢]
فَــإنْ تَكُــنِ الأيــامُ فينــا تَبــدَّلَــتْ — بنُعْمَــى وَبُــؤسَــى وَالحــوادثُ تَفْعــلُ
فمــا لَيَّنَــتْ منــا قَنَــاةً صَلِيبَــةً — وَلا ذلَّــلَتْنَــا للــذي لَيْــسَ يَجْمُــلُ[٣]
وَلكــنْ رَحَلْنــاهــا نُفُــوســاً كــريمَــةً — تُحمَّــلُ مــالا يُستطــاعُ فَتَحْمِــلُ
وَقَيْنَــا بِحــدِّ العَــزْمِ منــا نُفُــوسَنــا — فَصَحَّــتْ لنـا الأعـراضُ والنـاسُ هُـزَّلُ

قال: فقمت إليه، وقد نسيت أهلي، هان عليّ طولُ الغربة، وَضَنْكُ العيش، سروراً بما سمعت، ثم قال: يا بني؛ من لم يكن الأدب والعلمُ أَحَبَّ إليه من الأهل والولد لم يَنْجُب.

[خصومة قرشية]

خاصم بعض القرشيين عمر بن عثمان بن موسى بن عبيد اللّه بن معمر، فأسرع إليه القرشي فقال: على رِسْلك، فإنك لسريعُ الإيقاد وَشيكُ الصريمة[٤]، وإني والله ما أنا مكافئك دون أن تبلغَ غاية التعدي، فأبلغ غاية الإعذار.

[ادّعاء]

قال عبد اللّه بن عبد العزيز، وكان من أفاضل أهل زمانه: قال لي موسى بن عيسى: أُنْهِيَ[٥] إلى أمير المؤمنين، يعني الرشيد، أنك تشتمه، وتَدْعو عليه، فبأيّ شيء استجزت[٦]، ذلك؟ قال: أما شَتْمُه فهو والله إذاً أكرمُ عليّ من نفسي، وأما الدعاءُ عليه فوالله ما قلتُ: «اللهم إنه أصبح عِبْئاً ثقيلاً على أكتافنا، لا تطيقه أبداننا، وقَذًى في عيوننا، ولا تنطبق عليه أجفانُنا، وشجًى في حلوقنا، لا تسيغه أفواهُنا؛ فاكْفِنا مؤنته، وفرّق بيننا

= على فلان في حاجتنا فوجدناه نِعْمَ المُعوَّل.

(١) النازلة: المصيبة، الداهية.
(٢) المَزْحَلُ: المكان يُزْحَل إليه، ويقال: إن لي عنك مزحلاً، أي مُنْتَدحاً.
(٣) الصليبة: القوية الصلبة.
(٤) الصريمة: القطيعة، أو إحكام الأمر، والعزيمة فيه.
(٥) أُنْهِي إليه: رُفِعَ.
(٦) استجاز الشيء: جعله جائزاً.

وبينه»! ولكن قلت: «اللهم إن كان تَسمّى الرشيد ليرشد فأرْشِدْه، أو أتى غير ذلك فراجع به، اللهم إن له في الإسلام بالعباس حقًّا على كلِّ مسلم، وله بنبيك قرابة ورَحِماً، فَقرِّبْهُ من كل خير، وباعِدْهُ من كل شر، وأسْعِدنا به، وأصْلِحْه لنفسه ولنا». فقال له: يغفر الله لك يا عبد العزيز، كذلك بلغنا.

[عَزْلُ والٍ]

ولما حجّ الرشيد سنة ست وثمانين ومائة دخل مكة وعديله يحيى بن خالد؛ فانبرى إليه العُمري فقال: يا أمير المؤمنين، قف حتى أكلّمك! فقال: أرسلوا زِمَام الناقة، فأرسلوه، فوقفت فكأنما أوتِدَتْ[١]، فقال: [أقول؟ قال:] قل، فقال: أعزل عنا إسماعيل بن القاسم. [قال: ولم؟ قال:] لأنه يقبل الرشوة، ويُطِيل النَّشوة، ويضرب بالعشوة، قال: قد عزلناه [عنك]، ثم التفت إلى يحيى فقال: أعندك مثل هذه البديهة؟ فقال: إنه ليجب أن يحسن إليه، قال: إذا عزلنا عنه من يريد عَزْله فقد كافأناه.

[حُرْمة الكعبة]

ولما وجَّه عبدُ الملك بن مروان الحجاج بن يوسف إلى عبد اللّه بن الزبير وأوْصاه بما أراد أن يُوصِيَه، قال الأسود بن الهيثم النخعي: يا أمير المؤمنين، أوْصِ هذا الغلام [الثقفي] بالكعبة ألاَّ يَهْدِم أحجارَها، ولا يَهْتِكَ أستارَها، ولا يُنَفِّر أطيارها، وليأخذ على ابن الزبير شِعابها، وعقابها، وأنقابها[٢]، حتى يموتَ فيها جوعاً، ويخرج مخلوعاً.

[كتاب ينصر محارباً]

وكتبَ عبد اللّه بن طاهر إلى نَصْر بن شبيب وقد نزل به لِيُحارِبَهُ في جُنْده، فوجده متحصناً منه، فكتب إليه: اعتصامك بالقِلاَل قيَّد عزمَك عن القتَال[٣]، والتجاؤُك إلى الحصون، ليس ينجيك من المَنُون، ولستَ بِمُفْلتٍ من أمير المؤمنين، فإما فارس مُطَاعِن، أو راجل مُستأْمن. فلما قرأه حصره الرعب عن الجواب، فلم يلبث أن خرج مُستأْمناً.

---

(١) أُوْتِدَتْ: رُبِطَتْ بِوَتَدٍ.

(٢) العِقابُ: جمع عقبة، وهي ما صعب مرتقاه، من الجبال. والأنقاب: جمع نقب، وهو الطريق في الجبل.

(٣) القلال: قمم الجبال، واحدها قُلَّةٌ.

[من حكم الفرس]

قال بزرجمهر بن البختكان لبعض الملوك: أنعم تُشكر، وأرهِبْ تُحْذَر، ولا تهازل فتُحْقَر، فجعلهن الملك نَقْشَ خاتمه بدلاً من اسمه واسم أبيه.

ولما قتل أنو شروان بزرجمهر وجد في منطقته رقعةً فيها مكتوبٌ: إذا كانت الحظوظ بالجدُود فما الحِرْص؟ وإذا كانت الأمور ليست بدائمة فما السرور؟ وإذا كانت الدنيا غرَّارة فما الطمأنينة؟

[قال سقراط]: من كثر احتمالُه وظهر حِلْمُه قلّ ظلمُه وكثر أعوانه، ومن قلّ همُّه على ما فاته استراحت نفسُه وصفا ذِهْنُه وطال عمره. وقال: من تعاهد نفسَه بالمحاسبة أمن عليها المُدَاهنة. وقال: الأمانيُّ حِبَالُ الجهل، والعِشْرَةُ الحسنة وقايةٌ من الأسواء[1].

شَتَمه بعضُ الملوك وكان على فرس وعليه حُلَل وبِزّة ـ فقال له سقراط: إنما تفخر عليّ بغير جِنْسك، ولكن رد كلّ جنس إلى جنسه وتعال الآن فلنتكلم.

وقال سقراط: من أُعْطِي الحِكْمة فلا يجوع لِفَقْدِ الذهب والفضّة؛ لأن من أُعْطِيَ السلام والدَّعة لا يجوع لِفَقْدِ الألم والتعب؛ لأن ثمارَ الحكمة السلام والدّعة، وثمار الذهب والفضة الألم والتعب؛ وقال: القُـنْـيَـة ينبوع الأحزان[2]؛ فَأَقِلُّوا القنية تقلّ همومكم. وقال: القُـنْيَة مخدومة، ومن خدم غير نفسه فليس بحر.

وقال أبو الطيب[3]:

أبـــداً تَسْتَـــرِدُّ مـــا تَهَـــبُ الـــدنـ ـيـا فيـالَيْـتَ جُـودَهَـا كـانَ بُخْـلاَ

وَكَفَـــتْ كَـــوْنَ فَـــرْحَـــةٍ تُـــورِثُ الْهَـ ـمَّ وَخِـــلٌّ يُغَـــادِرُ الـــوَجْـــدَ خِـــلاّ

[حكم للهند]

وفي كتاب الهند: العاقلُ حقيقٌ أنْ تسخو نفسه عن الدنيا، عِلْماً بأنه لا ينالُ أحدٌ منها شيئاً إلا قلّ إمتاعه به وكَثُر عناؤه فيه، ووبالُه عليه، واشتدّت مؤنته عند فِراقِه، وعلى العاقل

---

(١) الأسواء: جمع سوء، وهو كلّ ما يضمّ الإنسان، أو كلّ ما يقبح.

(٢) القُنْيَةُ والقُنْوَةُ: ما اكْتُسِبَ من مالٍ ونحوه.

(٣) المتنبي، الديوان: ٢/ ١٩٥. والبيتان من قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة الصغرى، ويسليه ببقاء الكبرى.

أن يدوم ذِكْرُه لما بعد هذه الدار، ويتنزّه عما تسيّره إليه نفسه من هذه العاجلة، وَيَتَنَحَّى عن مشاركة الكَفَرةِ والجهال في حبِّ هذه الفانية التي لا يألفها ولا ينخدع بها إلا المغترون.

وفيه: لا يجدَّنَّ العاقلُ في صحبة الأحباب والأخلاء، ولا يحرصنَّ على ذلك كل الحِرْص. فإن صُحْبَتهم على ما فيها من السرور كثيرةُ الأذى، والمؤنات، والأحزان، ثم لا يفي[1] ذلك بعاقبة الفراق.

وفيه: ليس من شهوات الدنيا ولذاتِها شيء إلاّ وهو مولِّدٌ أذًى وحُزْنا، كالماء المالح الذي كلما ازداد له صاحبُه شرباً ازداد عطشاً، وكالقِطْعة من العسَل في أسْفَلها سمّ للذائق؛ فيه حلاوة عاجلة، وله في أسفلها سمّ ذعاف، وكأحلام النائم التي تسرُّه في منامه، فإذا استيقظ انقطع السرور، وكالبرق الذي يُضيء قليلاً، ويذهب وشيكاً[2]، ويبقى صاحبُه في الظلام مُقيماً، وكدودة الإبريسم ما ازدادتْ عليه لفّاً إلا ازدادَتْ من الخروج بعداً.

وفيه: صاحبُ الدين قد فكر؛ فعلته السكينة، وسكن فتواضع، وقَنع فاستَغْنَى، ورَضي فلم يهتمّ، وخلع الدنيا فنَجَا من الشرور، ورفض الشهوات فصار حرّاً، وطرح الحسد فظهرت له المحبّة، وسخَتْ نفسه عن كل فَانٍ، فاستَكْمَل العقل، وأبْصَر العاقبة، فأمِنَ الندامة، ولم يُؤْذِ الناسَ فيخافهم، ولم يُذْنِب إليهم فيسألهم العفو.

[وصية من عتبة بن أبي سفيان]

وقال سعد القصر مولى عُتبة بن أبي سفيان: وَلاّني عُتْبة أمواله بالحجاز، فلما ودَّعته قال: يا سعد، تعاهَدْ صغير مالي فيكبر، ولا تجف كبيره فيصغر؛ فإنه ليس يَمْنعُني كثير ما عندي، من إصلاح قليل ما في يدي، ولا يمنعني قليلُ ما عندي من كثير ما ينوبني[3]. قال: فقدمت الحجازَ، فحدثت به رجالاً من قريش، ففرّقوا به الكتب إلى الوكلاء.

[يزيد بن معاوية]

وقال يزيد بن معاوية لعبيد اللّه بن زياد: إنّ أباك كفَى أخاه عظيماً، وقد استكفيتُك صغيراً، فلا تَتَّكِلنَّ مني على عُذْر، فقد اتكلت منك على كفاية، ولأنْ أقولَ لك: إياك،

(١) لا يفي به: لا يعادله ولا يكون مكافئاً له.

(٢) وشيكاً: سريعاً، قريباً.

(٣) ينوبني: يعتريني وينزل بي.

أَحبُّ إليّ من أن أقول: إياي؛ فإنَّ الظنّ إذا أخلف فيك أخلف منك، فلا تُرِحْ نَفْسَك وأنت في أدنى حظّك، حتى تَبْلُغ أقصاه؛ واذكر في يومك أخبار غَدِك، واستَزِدْني بإحسانك إلى أهل الطاعة، وإساءتك إلى أهل المعصية، أزِدْك إن شاء الله تعالى.

[فضل العمامة]

ذكرت العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال: جُنَّةٌ في الحرب، ودِثَارٌ في البرد، وَكُنَّةٌ في الحرِّ، وَوَقَار في النَّدِيّ، وشرفٌ في الأحدوثة، وزيادةٌ في القامة، وهو [بعد] عادةٌ من عاداتِ العرب(١).

[من رسائل ابن العميد]

من كتاب له إلى أبي عبد الله الطبري

وقفت على ما وصفت من برِّ مولانا الأمير لك، وتَوَفُّره بالفَضْل عليك، وإظهار جميل رَأيه فيك، وما أنزله من عارفةٍ(٢) لديك؛ وليس العجب أن يتناهى مِثْله في الكرم إلى أبْعدِ غاية، وإنما العَجَبُ أن يَقْصُرَ شيء من مساعيه عن نَيْلِ المجد كلّه، وحيازة الفضل بأجمعه؛ وقد رجوتُ أن يكون ما يغرسه من صنيعةٍ عندك أجدر غرس بالزَّكاة(٣)، وأضْمَنه لِلرَّيْع والنَّمَاء؛ فَارْعَ ذلك، واركب في الخِدْمَة طريقة تُبْعدك من الملال، وتوسطك في الحضور بين الإكثار والإقلال، ولا تَسْتَرْسِلْ إلى حسن القبول كلَّ الاسترسال؛ فَلأَنْ تُدعَى من بعيد خيرٌ من أنْ تُقْصَى(٤) من قريب، وليكن كلامُك جواباً تتحرَّز فيه من الخطَلِ(٥) ومن الإسهاب، ولا يعجبنّك تأتّي كلمة محمودة فيلجّ بك الإطنابُ تَوَقُّعاً لمثلها؛ فربما هدمت ما بنته الأولى، وبضاعتك في الشرف مُزْجاة، وبالعقل يُزَمُّ اللسان، ويرام السَّداد، فلا يستفزّنك طَرَبُ الكلام على ما يفسد تمييزك؛ والشافعة لا تعرضْ لها فإنها مُخْلِقَةٌ للجاه؛ فإن اضطررت إليها فلا تهجم عليها حتى تعرفَ موقعها، وتحصِّلَ وزنها، وتطالعَ موضعها؛ فإن

(١) الجُنَّةُ: السُّتْرَةُ، الوقاية. الدِّثارُ: الغطاء. والكُنَّةُ: السقيفة أو الظُّلَّةُ. والنَّدِيُّ: مجلس القوم ومجتمعهم. والأحدوثة: ما يتحدَّث به، ويقال: صار فلان أحدوثة: كثر الحديث فيه.

(٢) العارفة: العطية، والمعروف.

(٣) الزكاء: النَّماء.

(٤) تُقْصَى: تُبْعَد.

(٥) الخَطَلُ: الكلام الفاسد الكثير المضطرب.

وجَدْت النفس بالإجابة سَمْحَة، وإلى الإسعاف هَشّة، فأظْهر ما في نفسك غير محقّق، ولا توهم أنّ عليك في الرد ما يُوحشك، ولا في المَنْع ما يغيظك، وليكن انطلاقُ وجهك إذا دُفِعْت عن حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يَدك، ليخفّ كلامك، ولا يثقل على سامعه منك. أقول ما أقولُ غَيْرَ واعظ ولا مُرْشِدٍ، فقد جَمّل الله خصالَك، وحسَّن خلالك، وَفضَّلكَ في ذلك كله؛ لكني أنبه تنبيه المشارك لك، وأعلم أنّ للذكرى موضعاً منك لطيفاً.

وله أيضاً: سألْتِني عمن شفّني وَجْدِي به[١]، وشغفني حُبّي له[٢]، وزَعمت أني لو شئت لذهلت عنه ولو أردت لاعتَضْت منه زعماً، لعَمْرُ أبيك، ليس بِمَزْعَم كيف أسْلُو عنه، وأنا أراه، وأنساهُ وهو لي تُجاه؛ هو أغلب عليّ، وأقربُ إليّ، من أنْ يُرْخَى لي عناني، أو يُخْلِيني واختياري؛ بعد اختلاطي بملكه، وانْخِرَاطِي في سِلْكِه، وبعد أن ناط حُبّه بقلبي نَائط، وسَاطَه بدمي سَائط[٣]. وهو جارٍ مَجْرَى الرُّوح في الأعضاء، متنسم تَنَسُّم رَوْح الهواء؛ إن ذهَبْتُ عنه رجع إليه، وإن هرَبْتُ منه وقَعْتُ عليه، وما أُحِبّ السلوّ عنه مع هنَاتِه، وما أوثر الخلوّ منه مع مَلاّته؛ هذا على أنه إنْ أقبل عليّ بَهَتَني إقبالُه[٤]، وإن أعْرض عني لم يَطْرُقْني خياله، يبعد عني مثاله، ويقرب من غيري نَوَاله، ويردُّ عيني خاسئةً، ويَثْني يدي خالية، وقد بسط آفات العيون المقاربة، وصدَق مرامي الظنون الكاذبة، وَصْلُه يُنْذِرُ بصدِّه، وقُرْبه يُؤْذِن ببعده، يُدْنِي عندما ينزح، ويَأْسُو[٥] مثل ما يجرح، محالتُه أحوال، وخلّته خِلال[٦]، وحكمه سِجَال، الحُسْنُ في عَوَارِفه، والجمَالُ من منائحه، والبهاءُ من أُصوله وصِفَاته، والسَّنَاء من نعوته وسِماتِه، اسْمه مطابقٌ لمعناه، وَفَحْواه موافق لِنَجْواه، يتشابه حالاه، ويتضارَع قُطْراه، من حيث تلقاه يستنير، ومن حيث تَنْسَاهُ يستدير.

[هرب من الوباء]

وقع بالكوفة وباءٌ، فخرج الناسُ وتفرّقوا بالنجف، فكتب شريح إلى صديق له خرج

(١) شَفَّهُ الوجد: أنحله وأهزله.
(٢) شَغَفَهُ الحُبُّ: أصاب قلبه، وَشَغِفَ به وَبِحُبِّه: أحبَّهُ وَأُولِعَ به.
(٣) ساطَهُ: خَلَطَهُ.
(٤) بَهَتَهُ الشيء: أدهشه وَحيَّرَهُ.
(٥) يأسو: يداوي.
(٦) وفي رواية: «فحالته أحوال».

بخروج الناس: أما بعد، فإنك بالمكان الذي أنت فيه بِعَيْن من لا يُعْجزه هَرَبٌ، ولا يَفُوته طَلَبٌ؛ وإنّ المكانَ الذي خَلَّفْتَ لا يُعجِّل لأحد حِمامَه[١]، ولا يظلمه أيّامه، وإنا وإياك لعلى بِسَاطٍ واحد، وإن النجف من ذي قُدْرَةٍ لقريب.

وهرب أعرابي ليلاً على حمار حِذَارا من الطاعون، فبينما هو سائر إذ سمع قائلاً يقول:

لَنْ يُسْبَقَ الله على حِمَارِ ... وَلا على ذِي مَيْعَةٍ طيَّارِ[٢]
أو يأتي الحَتْفُ على مِقْدَارِ ... قَدْ يُصْبِحُ الله أمامَ السَّاري[٣]

فكرّ راجعاً، وقال: إذا كان الله أمام الساري فلاتَ حينَ مَهْرب.

[قتيل الحب]

قال الأصمعي: أخبرني يونس بن حبيب قال: أتى قومٌ إلى ابن عباس بفتًى محمول ضَعْفاً، فقالوا: استشفِ لهذا الغلام، فنظر إلى فتًى حُلْوَ الوجه، عاري العظام؛ فقال له: ما بك؟ فقال:

بنا مِنْ جَوى الشوقِ المُبرِّحِ لَوْعَةٌ ... تَكادُ لها نَفْسُ الشفيقِ تَذُوبُ[٤]
وَلِكنّما أبْقَى حُشَاشَةَ مَا تَرَى ... على ما بِهِ عُودٌ هُناكَ صَلِيبُ[٥]

فقال ابن عبّاس: أرأيتم وجهاً أعتق، ولساناً أذْلَق، وعُوداً أصلب، وهوًى أغلب، مما رأيتم اليوم؟ هذا قتيل الحبّ، لا قوَدَ ولا دِيَة![٦]

ابن عباس

وكان ابن عباس رضي الله عنهما حَبْرَ قريش وبَحْرَها، وله يقول رسول الله ﷺ: اللهم فقّهه في الدين وعَلِّمْه التأويل. وفيه يقول حسّان بن ثابت:

---

(١) الحِمامُ: الموت.
(٢) المَيْعَةُ: يقال: ميعة الشيء: أوله، وميعة الحُضْرِ: أَوله ونشاطه. وأراد بـ«ذي ميعة»: حصان سريع نشيط.
(٣) الحتف: الهلاك.
(٤) الجوى: الحزن، أو حرقة الشوق والحزن. والمُبرِّحُ: البالغ الشدّة في الإجهاد، واللوعة: الحـرة.
(٥) الحشاشة: بقية الروح في الجسد. والصليب: القويُّ الصُّلْبُ.
(٦) القَوَد: القصاص.

إذَا قَــال لــم يَتْــرُكْ مقــالاً لِقــائــلٍ بِمُلتقطــاتٍ لا تَــرَى بَيْنَهــا فَضْــلاَ
شَفَى وَكفَى ما في النفوسِ؛ فلم يَدَعْ لِذي لَسَنٍ في القول جِدًّا ولا هَزْلاَ[١]
سَمَــوْتَ إلــى العَلْيــا بغيــرِ مَشَقَّــةٍ فَنِلْــتَ ذُرَاهــا لا دَنِيًّــا وَلا وَغْــلاَ[٢]

[مسلم بن الوليد صريع الغواني]

وقال مسلم بن الوليد:

أعَــاوِدُ مــا قَــدمتــهُ مِــنْ رَجــائهــا إذا عَــاودَتْ بــاليــأس فيهــا المطــامِــعُ
رأتْنِي غَنِيَّ الطَّـرْفِ عَنْهَـا فـأعْـرَضَـتْ وَهــلْ خفــتُ إلا أنْ تُشيــرَ الأصــابــعُ
فـأقسمـتُ أنْسَـى الـداعيـاتِ إلـى الصّبـا وَقــد فَــاجــأتْهــا العَيْــنُ وَالسِّتْــرُ واقِــعُ
فَغطّــت بــأيــديهــا ثِمــارَ نُحــورِهــا كــأيــدي الأســارى أثْقلَتْهَــا الجــوامِــعُ[٣]

وكان مسلم أنصارياً صريحاً، وشاعراً فصيحاً، ولقب صريعاً أيضاً لقوله:

سَــأنْقَــادُ لِلَّــذَّاتِ مُتَّبِــعَ الهَــوَى لأُمْضِــيَ هَمًّــا أو أصيــبَ فَتًــى مِثْلــي
هَــل العيــشُ إلا أن تَــرُوحَ مــع الصبــا صَريعَ حُمَيّا الكأسِ والأعينِ النُّجْلِ[٤]

واجتلب له هذا الاسم لأجل هذا البيت؛ وقد قال القطامي:

صَــريــعُ غــوانٍ رَاقهــنَّ وَرُقْنَــهُ لَــدُنْ شَــبَّ حتى شَــابَ سُــودُ الذَّوائــبِ

ومسلم أوّل من لطّف البديع، وكسا المعاني حُلل اللفظ الرفيع، وعليه يعوّل الطائي، وعلى أبي النواس، ومن بديع شعره الذي امتثله الطائي قوله:

تُســاقِــطُ يُمْنَــاه النَّــدى وشِمــالــهُ الــرَّ دى وَعيــونَ القــولِ مَنْطِقُــهُ الفَصْــلُ[٥]

---

(١) لَسِنَ فلان لَسَناً: فَصُحَ وَبَلُغَ، فهو لَسِنٌ، وهي لَسِنَةٌ، وهو ألْسَنُ، وهي لَسْناء، والجمع لُسْن.

(٢) الوَغْلُ: الضعيف النذل الساقط المُقصّر في كلّ شيء، أو الداخل على القوم في طعامهم أو شرابهم غير مَدْعُوٍّ إليه.

(٣) الجوامع: الكبول والقيود، مفردها جامعة.

(٤) حُمَيّا كلّ شيء: شِدَّتُه وَحِدّته، وَحُمَيّا الخمر: شدتها وسورتها. والأعين النُّجْل: الواسعة الحسنة.

(٥) الندى: الجود والعطاء. الردى: الموت والهلاك. والمنطق الفصل: القاطع لا رَادَّ له.

كـأنَّ نَعَـمْ فـي فِيـهِ تَجْـري مَكـانَهـا سُلافة مَا مُجَّتْ لأفْراخِها النَّحْلُ[١]
لـه هَضْبَـةٌ تـأْوي لـى ظِـلٍّ بَـرْمَـكٍ مَنُوطٌ بها الآمال، أطنابُها السُّبْلُ[٢]
عَجُـولٌ إلـى أن يُـودعَ الحمـدُ مـالـهُ يَعُـدُّ النـدى غُنْمـاً إذا اغتُنِـم البُخْـلُ
وَقَـدْ حَـرَّمَ الأعْـراضَ بـالبيـضِ وَالنَّدى فـأمـوالُهـم نَهْبٌ وَأَعـراضُهُـمْ بَسْـلُ[٣]
حُبـاً لا يطيـرُ الجهـلُ فـي عَـرَصَـاتِها إذا هي حُلَّتْ لـم يفتْ حَلَّها ذَحْلُ[٤]
بِكـفِّ أبـي العبـاس يُسْتَمْطَـرُ الغِنَـى وَتُسْتَنْزَلُ النُّعمى وَيُسْتَرْعَفُ النَّصْلُ[٥]
متى شِئْتَ رَفَّعت السُّتورَ عـن الغِنَى إذا أنـتَ زُرْتَ الفَضْـلَ أو أذِنَ الفَضْـلُ

وقوله أيضاً:

إذا كُنْـتَ ذا نَفْـس جَـوادٍ ضَميـرُهـا فَلَيْـسَ يَضـرُّ الجـودَ أنْ كُنْـتَ مُعْـدِمـا
رآنـي بِعَيْـنِ الجـودِ فَـانتهـز الـذي أردتُ فلـم أفْغَـرْ إليـه بـه فَمَـا[٦]
ظَلمتـكَ إنْ لـم أجْـزلِ الشكـرَ بعـدمـا جَعلْـتَ إلـى شُكْـري نَـوالَـكَ سُلَّمـا
فَـإنّـكَ لـم يَتْـرُكْ نـداكَ ذَخِيـرةً لِغَيْـرِكَ مِـنْ شُكْـري وَلا مُتلـوّمـا

وقال ليزيد بن مَزْيَد:

مُوفٍ على مُهَـجٍ فـي يـومِ ذي رَهَـجٍ كَـأنَّـهُ أجـلٌ يسعـى إلـى أمـلِ[٧]
يَنـالُ بـالـرِّفْـقِ مـا يَعْيَـا الـرجـالُ بِـه كـالمـوتِ مُسْتَعْجِـلاً يـأتـي على مَهَـلِ
لا يَـرْحَـل النـاسُ إلا نَحْـوَ حُجْـرَتِـه كـالبيـتِ يُضْحـى إليـه مُلْتقـى السُّبُـلِ
يَقْـرِي المنيَّـةَ أَرْواحَ الكُمَـاةِ كمـا يَقْرِي الضيُوفَ شحومَ الكُومِ والبُزُلِ[٨]

---

(١) السلافة من كل شيء: خالصه. ومجَّ الماء أو الشراب من فيه: لفظه، يقال: مجّت النحل العسل، ومجّت الشمس ريقها، والنبات يَمُجُّ الندى.
(٢) الأطناب: الحبال، الواحد طنب.
(٣) بسل: حرام.
(٤) حُباً: جمع حَبْوَة، وهي أن يجمع الرجل ساقيه إلى ظهره بثوبه أو يديه. والذحل: الثأر.
(٥) يُسْتَرْعَفُ النَّصْلُ: يُسْتَقْطَرُ دَماً.
(٦) فَغَرَ فَمَهُ: فتحه.
(٧) الرهج: الغبار، أو الشَّغب.
(٨) الكماة: الأبطال، الواحد كَمِيّ. والكوم: جمع كوماء، وهي الناقة العظيمة السنام. والبزل: =

يَكْسو السُّيوفَ رُؤوسَ الناكثينَ به ... وَيجعلُ الهامَ تِيجانَ القَنَا الذُّبُلِ[١]
قَدْ عَوَّد الطيرَ عاداتٍ وَثِقَن بِها ... فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ في كُلّ مُرْتَحَلِ

[من شعر أبي نُواس]

قال عمرو الوراق: سمعت أبا نُوَاس ينشد قصيدته[٢]:

أيُّها المنتابُ عنْ عُفُرِهْ ... لَسْتَ مِنْ لَيْلي ولا سَمَرِهْ[٣]
لا أذودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ ... قَدْ بَلَوْتُ المُرَّ مِنْ ثَمَرِهْ[٤]

فحسدته عليها، فلما بلغ إلى قوله:

وَإذا مَجَّ القنا عَلَقاً ... وَتراءَى الموتُ في صُوَرِهْ[٥]
رَاحَ في ثِنْيَيْ مُفَاضَتِهِ ... أسدٌ يَدْمَى شَبَا ظُفُرِهْ[٦]
تَتَأيَّى الطيرُ غَزْوَتَهُ ... ثِقَةً بالشِّبْعِ مِن جَزَرِهْ[٧]

= جمع بازل: الجمل الذي تم له تسعة أعوام.
(١) الذُّبُل: جمع ذابل، ورمح ذابل: دقيق.
(٢) أبو نواس، الديوان: ص ٤٢٧. والأبيات من قصيدة يمدح بها العباس بن عبيد الله.
(٣) المنتاب: يقال: انتابهم: أتاهم مرّة بعد أخرى. العُفْرُ: من ليالي الشهر: السابعة والثامنة والتاسعة، وقد حرّكها للضرورة والسَّمَرُ: حديث الليل.
(٤) حَدّث إبراهيم بن المنذر عن محمد بن شبيب أنه سأل أبا نواس فقال: ما أردت بقولك: لا أذودُ الطير... فقال: أخبرك، كانت لي صديقة تحبني كثيراً، فقيل لي: إنها كانت تختلف إلى آخر من أهل الريب، فلم أصدق حتى تتبعتها فوجدتها تدخل إلى منزل ذلك الرجل، ثم إن ذلك الرجل جاءني، وكان لي صديقاً فكلمني، فصرفت وجهي عنه، وقلت: يا أيها المنتاب... أي: لا أمنعك من هذه التي غدرت وجربت غدرها، قال: ثم جعلت ذلك صدر مديح العباس الهاشمي. وسواءً صحّت هذه الرواية أم لم تصح، فإنها تجلو معنى البيتين بوضوح.
(٥) القنا: الرماح، الواحدة قناة. العلق: الدم. تراءى: ظهر.
(٦) المُفَاضَةُ: الدرع الواسعة. الشبا: جمع الشباة، وهي حَدُّ كل شيء.
(٧) تتأيى الطير غزوته: تقصدها وتتعمدها. وفي الديوان: «غدوته». الجزر: جمع الجزور، وهو البعير، أو الناقة المجزورة، والمراد: قتلاه في المعركة. قال عنترة بن شدّاد:
إنْ يَفْعَلا فَلَقدْ تَركْتُ أباهُمَا ... جَزَرَ السِّباعِ وَكلّ نَسْرٍ قَشْعَمِ
(ديوانه: ص ٣١).

تَحْتَ ظلِّ الرُّمْحِ تَتْبَعُهُ فَهِيَ تَعْلُوهُ على أثَرِهْ[1]

فقلت: ما تركت للنابغة شيئاً حيث يقول[2]:

إذا ما غَزَوْا بالجيشِ حَلَّق فَوْقَهُمْ عَصَائبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصائبِ[3]
جَوَانِحُ قَدْ أيقنَّ أنَّ قَبِيلَهُ إذا ما التَقى الجَمْعَانِ أوَّلُ غالبِ[4]

فقال: اسكت، فلئن أحسن الاختراع، لما أسأت الاتباع.

أخذه الطائي فقال[5]:

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبانُ رَاياتِه ضُحًى بِعُقبانِ طَيْرٍ في الدماءِ نَوَاهِلِ[6]
أقامتْ على الراياتِ حتّى كأنَّها من الجيشِ إلا أنَّها لم تُقاتِلِ[7]

[وصف جيش]

وقال المتنبي يصف جيشاً[8]:

وَذي لَجَبٍ لا ذُو الجنَاحِ أمامهُ بِنَاجٍ، وَلا الوَحْشُ المُثارُ بِسالِمِ[9]
تَمُرُّ عليه الشمسُ وَهْيَ ضَعيفةٌ تُطالِعُهُ مِنْ بَيْنِ ريشِ القَشاعِمِ[10]

---

(١) لم يرد هذا البيت في رواية الديوان، وفيه بالقافية نفسها:
سَبَقَ التَّفْرِيطَ رائدُهُ وَكفاهُ العَيْنَ مِنْ أَثَرِهْ

(٢) النابغة الذبياني، الديوان: ص ١٠. والبيتان من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شُمَّر الغسَّاني، حين هرب إلى الشام ونزل به.

(٣) العصائب: الجماعات. يريد أن النسور والعقبان تتبع العساكر تنتظر القتلى لتقع عليهم.

(٤) جوانح: مائلات للوقوع.

(٥) أبو تمام، الديوان: ٢/ ٤٠. والبيتان من قصيدة يمدح بها المعتصم العباسي، ويذكر الأفشين.

(٦) في الديوان: «وقد ظللت عقبان أعلامه». يشبه أعلامه بالعقبان، ويجعل عقبان الطير تسير معها، لأنها تعوّدت أن تأكل من لحوم أعدائه.

(٧) يقول: أَلِفَتْ العقبان الجيش حتى صارت جزءاً منه، غير أنها لم تقاتل معه.

(٨) المتنبي، الديوان: ١/ ٣٧٤. والأبيات من قصيدة يمدح بها الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد اللّه بن طغج بالرملة.

(٩) اللجب: اختلاط الأصوات. والمُثار: الذي أثاره الخوف من مكمنه.

(١٠) تطالعه: بمعنى تطلع عليه. القشاعم: النسور.

إذا ضَوْءهَا لاقَى من الطيرِ فُرْجَةً تَدَوَّر فَوْقَ البيضِ مِثْل الدَّراهِمِ[١]

[شِعْب بَوَّان]

ونظير قول أبي الطيب في هذا البيت وإن لم يكن في معناه قولُه يصف شعب بَوّان، وسيأتي، وفي هذا الشِّعب يقول أبو العباس المبرد: كنت مع الحسن بن رجاء بفارس؛ فخرجتُ إلى شِعب بوّان، فنظرت إلى تُرْبة كأنها الكافور، ورياض كأنها الثور الموشى، وماء ينحدر كأنه سَلاَسِلُ الفضة، على حصباء كأنها حَصَى الدر؛ فجعلت أطوف في جَنباتها، وأدور في عَرَصاتها، فإذا في بعض جدرانها مكتوب:

إذا أشرف المكروبُ من رأس تَلْعةٍ على شِعْبِ بَوّان أفاق من الكَرْبِ[٢]
وألهاهُ بَطْنٌ كالحريرِ لَطَافةً وَمُطَّرِدٍ يَجْرِي من البارِدِ العَذْبِ
وَطِيبُ رِياضٍ في بلادٍ مَرِيعَةٍ وأغصانُ أشجارٍ جَناها على قُرْبِ[٣]
يُدِيرُ علينا الكاسَ مَنْ لَوْ لَحَظْتَهُ بِعَيْنِكَ ما لُمْتَ المُحِبِّينَ في الحُبِّ
فبالله يا ريحَ الشمالِ تحمَّلي إلى شِعْبِ بَوّان سَلامَ فَتًى صَبِّ

قال أبو العباس: فأخبرت سليمان بن وهب بما رأيت، فقال: وقد رأيت تحت هذه الأبيات:

لَيْتَ شِعْرِي عن الذين تَركْنَا خَلْفَنَا بالعراقِ هل ذَكَرُونَا؟
أمْ يكونُ المدَى تَطاوَلَ حَتَّى قَدُمَ العَهْدُ بَيْنَنَا فَنَسُونَا
إنْ حَفَوْا حُرْمَةَ الصَّفاءِ فإنَّا لَهمُ في الهوى كما عَهِدُونَا

وشعر المتنبي[٤]:

مَغاني الشِّعبِ طيباً في المَغاني بِمَنزلةِ الربيعِ مِنَ الزمانِ[٥]

---

(١) الفرجة: الخلل. البيض: جمع بيضة، وهي الخوذة من الحديد.
(٢) التَّلْعَةُ: ما ارتفع من الأرض، أو مسيل الماء من أعلى إلى أسفل.
(٣) مَريعة: مُخْصِبة.
(٤) المتنبي، الديوان: ٢/ ٣٧٢. والأبيات من قصيدة يمدح بها عَضُد الدولة البويهي، ويذكر في طريقه إليه شعب بوان.
(٥) المغاني: المنازل. الشعب: المنفرج بين جبلين، والمراد هنا: شعب بوان، وهو موضع عند شيراز، كثير الشجر والمياه، وَيُعدُّ من جِنان الدنيا.

وَلكــنَّ الفتــى العَــربــيَّ فيهــا غــريــبُ الــوجــهِ واليــدِ واللســانِ
مَــلاعِــبُ جِنّــةٍ لَــوْ ســارَ فيهــا سُليمــانٌ لَسَــارَ بتُــرْجُمــانِ(١)
طَبَــتْ فُــرْسـانَنــا وَالخَيْــلُ حَتَّــى خَشيــتُ وَإنْ كَــرُمْــنَ مِــنَ الحِـرانِ(٢)
غَــدوْنَــا تَنْفُــضُ الأغصــانُ فيــهِ علــى أعــرافِهــا مثْــلَ الْجُمــانِ(٣)
فَجئْــتُ وَقَــدْ حَجَبْــنَ الشَّمْــسَ عنّــي وَجِئْــنَ مــن الضيــاءِ بمــا كَفــانِــي(٤)
وألْقَــى الشــرقُ مِنْهــا فــي بَنــانِــي دَنــانيــراً تَفِــرُّ مِــن البَنــانِ(٥)

[ومنها:

يقــولُ بِشْعْــبِ بَــوَّانٍ حِصَــانــي أعَــنْ هــذا يُســارُ إلــى الطِّعــانِ؟
أبــوكُــمُ آدمٌ سَــنَّ المعــاصــي وَعَلَّمَكُــمْ مُفــارقَــةَ الجِنــانِ]

إنما أردت هذا البيت. ومنها:

لهــا ثَمَــرٌ تُشيــرُ إليــكَ مِنْــهُ بِــأشْــربــةٍ وَقَفْــنَ بــلا أوانِــي(٦)
وَأمْــوَاهٌ يَصِــلُّ بِهــا حَصَــاهــا صَليــلَ الْحَلْــي فــي أيْــدِي الغــوانِــي(٧)

[رَجْعٌ إلى وصف الجيش]

وأول من ابتكر هذا المعنى الأول الأفوه الأودي(٨) في قوله:

(١) الجِنَّةُ: الجنُّ.
(٢) طباه ويطبوه ويطبيه: دعاه. والحران في الدابة: أن تقف مكانها فلا تبرح.
(٣) غدونا: سرنا غدوةً. الأعراف هنا: جمع عرف، وهو شعر عنق الفرس. والجمان: حَبٌّ من الفضة يشبه اللآلىء.
(٤) في الديوان: «فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبْنَ الحَرَّ عَنِّي».
(٥) في الديوان: «وألقى الشرق منها في ثيابي». البنان: أطراف الأصابع. ويريد بالدنانير: ما يتخلّل الأغصان من ضوء الشمس فإنه يقع مستديراً. قيل: لما أنشد هذا البيت، قال له عضد الدولة: والله لألقين فيها دنانير لا تفرّ.
(٦) يريد أن ثمرها لرقة قشره يُرى مادة من وراء القشر، كأنه شراب قائم بنفسه من غير إناءٍ يمسكه.
(٧) تَصِلُّ: تُصوِّتُ. والغواني: النساء الحسان.
(٨) هو أبو ربيعة، صلاءة بن عمرو بن مالك، من بني الأود، من مذحج: شاعر جاهلي قديم. لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين، ظاهر الأسنان. وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم. وكانت =

وَأرى الطَّيْرَ على آثارِنا رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أنْ سَتُمَارْ[1]

وقال حميد بن ثور وذكر ذئباً:

إذا ما غَدا يَوْماً رأيتُ غيابةً مِنَ الطيرِ يَنْظُرْنَ الذي هُوَ صَانعُ
فَهمَّ بِأمْرٍ ثُمَّ أزْمَعَ غَيْرَهُ وَإنْ ضاقَ أمرٌ مَرَّةً فَهْوَ واسِعُ

وقال مسلم بن الوليد:

وَإنـي لأَسْتَحْيِي القُنوعَ ومَذْهبي فَسِيحٌ وأقْلي الشُّحَّ إلا على عِرْضِي[2]
وَما كانَ مِثْلي يَعتريكَ رَجَاؤهُ وَلكنْ أساءتْ نِعمَةٌ مِنْ فتًى مَحْضِ[3]
وَإنّي وَإشرافي عَلَيْكَ بِهِمَّتي لَكَالْمُبْتَغِي زَبْداً مِنَ الماءِ بالمَخْضِ[4]

أخذه أبو عثمان الناجم فقال:

لَمْ تُحَصّلْ بِمَخْضِكَ الماءَ إلاَّ زَبَداً حِينَ رُمْتَ بِالجَهْلِ زَبْدا

[وصف سفينة]

وقال مسلم أيضاً يصف السفينة:

كَشَفْتَ أهاويلَ الدُّجَى عن مَهُولِهِ بِجاريةٍ مَحمُولةٍ حَامِلٍ بِكْرِ[5]
إذا أقبلَتْ رَاعَتْ بِقُنَّةِ قَرْهَبٍ وَإنْ أدبَرتْ رَاقتْ بِقادِمَتَيْ نَسْرِ[6]
أطلَّتْ بِمجْدَافَيْنِ يَعْتَورانها وَقوَّمها كَبْحُ اللِّجامِ من الدّبْرِ[7]

= العرب تَعدُّه من حكمائها. وكان يقال لأبيه: فارس الشوهاء. وأشهر فنونه الحكمة والحماسة. (ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/١٤٩؛ الأصفهاني، الأغاني: ١٢/١٦٥).

(١) سَتُمار: أي ستنال الميرة، وهي الطعام.

(٢) أقلي الشُّحَّ: أبغضه.

(٣) المَحْضُ: كلُّ شيء خالص حتى لا يشوبه شيء يخالطه، وقد مَحَضَ فلاناً الودَّ أو النصح: أخلصه إياه.

(٤) مَخَضَ اللبن: حَرَّكه ليخرج زبده.

(٥) المهول: من هال هَوْلاً: خاف وفزع. والجارية: السفينة.

(٦) القرهب: الثور. وفي رواية: «بِقُنَّة قَرْهَدٍ»، والقرهد: ولد الأسد أو ولد الوعل. والقُنَّةُ من كل شيء: أعلاه.

(٧) اعتوروا الشيءَ: تداولوه فيما بينهم. والكبح في الأصل: أن يجذب الراكب رأس الدابة إليه =

كأنَّ الصَّبا تحكى بها حين واجَهَتْ نَسيمَ الصَّبَا مَشْي العروسِ إلى الْخِدْرِ

[مما قيل في وصف الأساطيل]

لابن هانيء يصف أسطول المعز الفاطمي

وقال أبو القاسم بن هانيء يصف أسطول المعز بالله:

أمَا والجواري المُنْشَآتِ التي سَرَتْ لَقَدْ ظَاهَرتْها عُدَّةٌ وَعَدِيدُ
قبابٌ كما تُرْخَى القِبابُ على المَهَا وَلكنَّ مَنْ ضُمَّتْ عليه أسُودُ(١)
[وما راع مَلْكَ الروم إلاّ إطلاعُها تُنَشَّرُ أعلامٌ لها وَبُنُودُ]
ولله مما لا يرونَ كتائبٌ مُسوَّمةٌ يجري بها وَجُنودُ(٢)
أطال لها أنّ الملائكَ خَلْفَها فَمنْ وقَفَتْ خلفَ الصفوف رُدُودُ(٣)
وَأنَّ الرياحَ الذاريات كتائبٌ وأنَّ النجومَ الطالعاتِ سُعودُ
عليها غَمامٌ مُكفَهِرٌّ صَبيرُهُ له بارقاتٌ جَمَّةٌ وَرُعُودُ(٤)
مَواخرُ في طامي العُبَاب كأنها لِعَزْمِكَ بَأْسٌ أو لِكَفِّك جودُ
أنافَتْ بها آطامُها وسَمَا بها بناءٌ على غيرِ العَرَاء مَشيدُ(٥)
[من الطيرِ إلا أنهنَّ جَوارِحٌ وَليْسَ لها إلا النفوسَ مَصِيدُ]
وَليسَ بأعلى كَبْكَبٍ وهو شاهقٌ وَليسَ مِنَ الصُّفَّاح وَهو صَلُودُ
مِنَ الراسياتِ الشُّم لولا انتقالُها فَمِنْهَا قِنَان شُمَّخٌ وَرُيُودُ(٦)
مِن القادحاتِ النَّار تُضْرَم لِلصِّلَى فليسَ لها يومَ اللقاءِ خُمودُ(٧)

= باللجام لكي تقف ولا تجري، ومنه: كبح فلاناً عن حاجته: رَدَّهُ عنها.

(١) المها: جمع مهاة: البقرة الوحشية.
(٢) مُسوَّمةٌ: مُعْلَمةٌ.
(٣) ردود: جمع ردّ (بكسر الراء) وهو كل ما اعتمدت عليه، ورجعت إليه.
(٤) الصبير: السحاب المتراكم بعضه فوق بعض.
(٥) الآطام: جمع أطم، وهو الحصن أو البيت المرتفع، وقد أطم الهودج ونحوه: ستره أو علاّه.
(٦) الريود: جمع ريد، وهو القطعة من الجبل.
(٧) الصِّلَى: يقال: صَلَى الشيء صَلْياً: ألقاه في النار، وَصَلِيَ النارَ وبها: احترق فيها.

إذا زَفَـرَتْ غَيْظًـا تـرامَـتْ بمـارجٍ كمـا شُبَّ مـن نـارِ الجحيـم وَقُـودُ[(١)]

تُعَـانِـقُ مَـوْج البحـرِ حَتّـى كـأنّـهُ سَليـطٌ لـه فيـه الـذُّبَـالُ عَتِيـدُ[(٢)]

تَـرى المـاءَ فيهـا وَهْـوَ قَـانٍ خِضَـابـهُ كمـا بـاشَـرتْ رَدْعَ الخَلُـوقِ جلـودُ[(٣)]

فَـأنفـاسُهـنَّ الحـاميـاتُ صَـواعِـقٌ وَأفـواهُهـنَّ الـزافـراتُ حَـديـدُ

يُشَـبُّ لآلِ الجَـاثَلِيـق سَعِيـرُهـا وَمـا هـي مِـنْ آل الطـريـدِ بَعِيـدُ

لهـا شُعَـلٌ فَـوْقَ الغِمَـارِ كـأنَّهـا دِمـاءٌ تلقيهـا مَـلاَحِـفُ سُـودُ

وَغيـر المـذاكـي نَجْـرُهَـا غيـر أنهـا مُسـوَّمـةٌ تحـت الفـوارس قُـودُ[(٤)]

فَلَيْـسَ لهـا إلا الـريـاحَ أعِنَّـةٌ وَلَيْـسَ لهـا إلا العُبَـابَ كَـدِيـدُ[(٥)]

تَـرى كـلّ قَـوداء التليـلِ كمـا أنثنـتْ سَـوالـفُ غِيـدٍ أعـرضـتَ وخُـدودُ[(٦)]

رَحيبـةُ مـدِّ البـاعِ وهَـي نَضيجـةٌ بِغَيْـر شَـوًى عَـذراء وَهْـي وَلُـودُ

تَكَبَّـرْنَ عَـنْ نَقْـعٍ يُثَـارُ كـأنَّهـا مَـوَالٍ وَجُـرْدُ الصَّـافنـاتِ عَبِيـدُ[(٧)]

لهـا مِـنْ شُفـوفِ العَبْقَـرِيّ مَـلابـسٌ مُفـوَّفَـةٌ فيهـا النُّضَـارُ جَسِيـدُ[(٨)]

كمـا اشتملـتْ فَـوْقَ الأرائـكِ خُـرَّدٌ أو التَفَعَـتْ فـوق المنـابـر صِيـدُ[(٩)]

لَبـوسٌ تَكُـفُّ المَـوْجَ وَهـو غُطَـامِـطٌ وَتَـدْرَأُ بـأْسَ اليـمِّ وَهْـوَ شـديـدُ[(١٠)]

فَمِنْـهُ دُروعٌ فَـوْقَهـا وَجَـواشِـنٌ وَمِنْهـا خَفَـاتيـنٌ لهـا وَبُـرودُ[(١١)]

---

(١) المارجُ: الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد، أو هو اللهب المختلط بسواد النار.

(٢) السليط: الزيت. والزبال: جمع ذبالة، وهي الفتيلة التي تُسْرَج.

(٣) الردع: الزعفران. الخلوق: ضرب من الطيب.

(٤) القود: طائفة من الخيل تُقاد في السفر بجوار الركب ولا تُرْكَب، بل تودع حتى يحتاج إليها في الدفاع عن الركب.

(٥) الكديد: الأرض الصلبة.

(٦) قوداء التليل: طويلة العنق.

(٧) الصافنات: الخيل. ويقال: صفن الفرس صُفوناً: قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة.

(٨) المفوفة: الرقيقة المُخطَّطة.

(٩) الخُرَّدُ: جمع خريدة، وهي الجارية البكر. والصيد: جمع أصيد، وهو المائل بعنقه تكبراً.

(١٠) الغُطامِطُ والغَطَمْطَمُ: الكثير الماء والالتطام، وقيل: غُطامِطُ البحر: لُجَّةُ حين يزخر، وهو مُعْظَمُهُ.

(١١) الجواشن: جمع جوشن: الدِّرْع.

وقال علي بن محمد الإيادي يصف أسطول القائم فأجاد ما أراد:

لعلي الإيادي يصف أسطول القائم

أعجب لأُسطولِ الإمام مُحمَّدِ ... وَلِحُسْنِهِ وَزَمانِهِ المُستغربِ
لَبِسَت به الأمواجُ أحسنَ مَنْظَرٍ ... يَبدو لعينِ الناظرِ المُتعجّبِ
مِنْ كُلِّ مُشرِفَةٍ على ما قابلتْ ... إشرافَ صَدْرِ الأجدل المُتَنصِّبِ[1]
دَهْماءَ قَدْ لَبِسَتْ ثيابَ تَصَنّعٍ ... تَسْبِي العُقولَ على ثِيابِ تَرَهُّبِ[2]
مِنْ كُلِّ أبيض في الهواءِ مُنشَّرٍ ... منها وأَسحمَ في الخليجِ مُغَيَّبِ[3]
كَمُلاءةٍ في البرِّ يَقْطَعُ شَدّها ... في البحر أنفاسُ الرياحِ الشُّذَّبِ[4]
مَحْفُوفةٍ بِمَجاذِفٍ مَصْفُوفةٍ ... في جانبينَ دُوَيْنَ صُلْبٍ صُلَّبِ
كَقَوادمِ النَّسرِ المُرَفْرِفِ عُرِّيتْ ... مِنْ كاسياتِ رِياشِهِ المُتهدِّبِ
تَحْتَثُّها أيدي الرجالِ إذا وَنَتْ ... بِمُصعّدٍ مِنْهُ بُعَيْدَ مُصَوَّبِ[5]
خَرقاءَ تَذْهبُ إن يدٌ لم تَهْدِها ... يومَ الرهانِ وَتستقلُّ بِمَوْكبِ
وَلها جَناحٌ يُستعارُ يُطيرُها ... طَوْعَ الرياحِ وَراحةِ المتطرِّبِ
يَعْلُو بها حَدَبُ العُبَابِ مُطارةً ... في كلِّ لُجٍّ زاخرٍ مُغلَوْلِبِ
تَسْمُو بأجردَ في الهواءِ مُتَوَّجٍ ... عُرْيَانَ منسوجِ الذؤابةِ شَوْذَبِ[6]
يَتنزّلُ الملاّحُ مِنهُ ذؤابةً ... لو رامَ يركبها القَطَا لم يَرْكَبِ
فكأنّما رام استراقةَ مَقْعَدٍ ... للسمعِ إلا أنّهُ لم يُشْهَبِ[7]

---

(١) الأجدل: الصقر.
(٢) دهماء: سوداء.
(٣) الاسحم: الأسود.
(٤) شذب الشيء: قطّعهُ وفرّقهُ.
(٥) تَحْتَثُّها: تحملها على السرعة. وَنَتْ: فترت. مُصَعِّدٌ: يقال: صَعَّد في الجبل: رقي. وصوَّب الشيء: خفضه وأماله.
(٦) الشوذب من الرجال: الطويل الحسن الخلق.
(٧) لم يُشْهَب: لم يُرْمَ بالشهاب، يشير إلى قوله تعالى: ﴿إلاَّ مَنْ خَطَفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثَاقِبٌ﴾ (سورة الصافات، آية ١٠).

سَجَروا جَواحِمَ نارِهَا فَتقاذفوا ... منها بألْسُنِ مارِجٍ مُتلهِّبِ[1]
مِن كلّ مَسْجُورِ الحريقِ إذا انبرَى ... مِنْ سجنِه انْصَلَتَ انصلاتَ الكوكبِ[2]
عُريان يَقْدمُهُ الدخانُ كأنَّهُ ... صُبْحٌ يَكرُّ على الظلام الغَيْهَبِ
وَلَواحِقٌ مِثْلُ الأهلّة جُنَّحٌ ... لُحقُ المَطَالبِ فائتاتُ المَهْرَبِ
يَذْهَبْنَ فيما بَيْنَهُنَّ لَطافةً ... وَيجِئْنَ فِعْلَ الطائرِ المُتغلِّبِ
كَنضَائضِ الحياتِ رُحْنَ لواعباً ... حَتَّى يَقَعْنَ بَبِركِ ماءِ الميزَبِ[3]
شَرَعُوا جَوانبها مجاذف أتْعبَتْ ... شَأْوَ الرياحِ لها وَلمَّا تَتْعَبِ
تَنْصَاعُ كَثَبٍ كما نَفَرَ القطَا ... طَوْراً، وَتَجْتَمِعُ اجتماع الرَّبْرَبِ[4]
وَالبحرُ يجمعُ بيْنَها فَكأنَّهُ ... لَيْلٌ يُقرِّب عَقْرباً من عَقْرَبِ
وَعلى كواكبها أسودُ خِلافةٍ ... تَخْتَالُ في عُدَدِ السلاحِ المُذْهَبِ
فَكأنَّما البَحْرُ اسْتَعارَ بِزيِّهم ... ثَوْبَ الجمالِ من الربيعِ المُعْجِبِ

[من لطائف التودّد]

كتب العباس بن جرير إلى الفضل بن يحيى:

لا أعلم منزلةً توحشني من الأمير ولا توحشه مني؛ لأنني في المودة له كنفسه، وفي الطاعة كَيَدِه، وإنما ألْطِفُه من فضله، وقد بعثت بعض ما ظننت أنه يحتاج إليه في سفره. وذكر ما بعث.

وكتب غيره في هذا المعنى: إذا كان اللَّطَف دليل محبّةٍ، ومِيَسم قُربة، كفى قليلُه عن كثيرة، وناب يسيرُه عن خطيره، لا سيما إذا كان المقصود به ذا همَّةٍ لا يستعظم نفيساً، ولا يستصغر خسيساً؛ وقد حُزْت من هذه الصفة أجَلَّ فضائلها، وأرفع منازلها.

وفي هذا المعنى: إن يَد الأنس طويلة بكل ما بلغت، منبسطة بكل ما أدركت، من

(١) يقال: سجر التنور: ملأه وقوداً وأحماه.
(٢) انصلت: برز وظهر، وانصلت في جَرْيِه أو أمره: جدَّ وسبق.
(٣) النضناض من الحيّات: الذي لا يثبت في مكانه لِشرَّتِهِ ونشاطه، أو الذي يخرج لسانه ينضنضه (يحركه).
(٤) الربرب: القطيع من بقر الوحش.

حيث يدُ الحشمة قصيرة عن كل ما حَوَتْ، مقبوضة دون ما أمَّلَتْ؛ لأن بابَ القول مطلقٌ لذوي الخصوص، محظور عند ذوي الهموم، وَلِتمكُّنِ ما بيننا عاطيتكَ من لُطفي ما لا دونه قلّة، ثقةً منك بأنه يَرِد على ما لا فَوْقَهُ كَثْرة.

ومن ألفاظ أهل العصر في إقامة رسم الهدية في المهرجان والنيروز

لمثل هذا اليوم الجديد والأوانِ السعيد سنَّةٌ، وعلى مثلي فيها أن يتحف ويُلطف، وعلى مثل سيدنا، ولا مِثْلَ له، أن يَقْبَل ويشرف. لليومِ رسمٌ إن أخلّ به الأولياءُ فيما اقترن بالرقعة، ويكسبني بذلك الشرف والرفعة. الهدايا تكونُ من الرؤساء مكاثرةً بالفضل، ومن النظراء مقارضة بالمثل، ومن الأولياء ملاطفة بالقُلّ[1]، وقد سلكت في هذا اليوم مع مولاي سبيلَ أهْلِ طبقته من الأرباب، وقد حملت إلى مولاي هدية [الملاطف، لا هدية] المُحْتَفِل، والنفس له، والمال منه.

ولهم في التهنئة بالنيروز والمهرجان وفصل الربيع

هذا اليوم غُرّةٌ في أيام الدهر، وتاجٌ على مفرق العَصْر. أسعد الله مولانا بِنَوْرُوزِه الوارِد عليه، وأعاده ما شاء وكيف شاء إليه. أسعد الله تعالى سيدنا بالنوروز الطالع عليه ببركاته، وأيْمن طائرَه في جميعِ أيامه ومتصرفاته؛ ولا يزالُ يَلْبَسُ الأيامَ ويُبليها وهو جديد، ويقطعُ مسافة نحسها وسعدها وهو سعيد. أقبل النيروزُ إلى سيدنا ناشراً حُلَلَه التي استعارها من شيمَتِه، ومُبْديا حالته التي اتخذها من سَجِيته، ومستصحباً من أنواره ما اكتساه من محاسن فضله وإكرامه، ومن أنظاره ما اقتبسه من جوده وإنعامه. ويوكد الوعد بِطُولِ بقائه حتى يملّ العمر، ويستغرق الدهر. سيدُنا هو الربيع الذي لا يَذْبل شجرهُ [ولا يزول سَحَرُه] ولا ينقطعُ ثمرُه، ولا يُقْلِعُ غَمَامه، ولا تتبدّلُ أيامُه؛ فأسعده الله تعالى بهذا الربيع المتشبّه بأخلاقه، وإن لم يَنَلْ قدرها، ولم يحمل فَضْلَها، ولم يجد بُدًّا من الإقرار بها. سيدُنا هو الربيع الذي يتَّصِل مطرُه، من حيث يُؤمَن ضررُه، ويَدُومُ زَهرُه، من حيث يتعجل ثَمرُه؛ فلا زال آمراً ناهياً، قاهراً علياً، تتهيّأ الأعيادُ بمصادقة سلطانه، وتستفيدُ المحاسنُ من رياض إحسانِه. أسعد الله سيدنا بهذا النَّوْرُوز الحاضر، الجديد الناضر، سعادةً تستمرُّ له في جميع أيامه على العموم دون الخصوص، لتكونَ متشابهات [في اكتناف] المواهب لها، واتصالِ المسارّ فيها،

---

(١) القُلُّ: القليل.

لا يفرق إلا بمقدار يزيد التالي على الخالي، ويدرج الآتي على الماضي. وأبقاه ما شاء في ظلالِ الأماني والأمان. هذا اليومُ من محاسن الدهر المشهورة، وفضائل الأزمنة المذكورة، فَلَقَّى الله تعالى سيدنا بركةَ وُرودِهِ، وأجزل حظَّه من أقسام سعوده، هذا اليومُ من غُرَرِ الدهور، ومواسم السرور، معظّم في الملك الفارسي، مُسْتَطْرَف في الملك العربي؛ فَوفَّر الله تعالى فيه على مولاي السعادات، وعرّفه في أيام البركات، على الساعات واللحظات.

الصفات التي تلزم في رجل الشرطة

وقال الحجاج بن يوسف: دلُّوني على رجلٍ للشرطة، فقيل: أي رجل تريد؟ فقال: أريد رجلاً دائمَ العُبوس، طويلَ الجلوس، سمينَ الأمانة، أعْجَفَ الخيانة[١]، يهونُ عليه سِبَالُ الشريف في الشفاعة[٢]! فقالوا: عليك بعبد الرحمٰن بن عبد اللَّه التميمي، فأرسل إليه يستعمله، فقال: لست أعمل لك عملاً إلا أن تكفيني ولدكَ، وأهل بيتكَ، وعيالك وحاشيتك، فقال: يا غلام نادِ: مَنْ طلب إليه حاجةً منهم فقد برئت منه الذمة.

لأشجع السلمي يمدح صاحب شرطة الرشيد

وقال أشجع بن عمرو السُّلمي يمدحُ في هذا المعنى إبراهيم بن عثمان بن نهيك صاحب شرطة الرشيد، وكان جباراً عنيداً:

فـي سَيْـفِ إبـراهيـمَ خَـوْفٌ واقـعٌ ... يَـذْوي النِفـاقَ، وَفيـه أمْـنُ المُسْلِـمِ
وَيبيـتُ يكـلأُ والعيـونُ هـواجـعٌ ... مَـالَ المَضيـعِ وَمُهْجَـةَ المُسْتَسْلِـمِ
شَـدّ الخطـامَ بـأنـفِ كُـلِّ مخـالـفٍ ... حَتَّـى استقـام لـه الـذي لـم يُخْطَـمِ[٣]
لا يُصْلِـحُ السلطـانَ إلا شِـدةٌ ... تَغْشَـى البـريَّ بفَضْـلِ ذَنْـبِ المجـرمِ
وَمِـنَ الـوُلاةِ مُفَخَّـمٌ لا يَتَّقِـي ... وَالسَّيْـفُ تَقْطُـر شَفْـرَتَـاهُ مِـنَ الـدَّمِ[٤]

---

(١) أعجف الخيانة: مهزولها وضعيفها، والمراد: عديم الخيانة.

(٢) السِّبَالُ: جمع سَبَلة، وهي طرف الشارب من الشعر، ومقدم اللحية. ويقال: جرَّ فلان سبلته: ثيابه المُسبلة، وجاء وقد نشر سبلته: جاء متوعداً.

(٣) الخِطام: الزمام، وخطم أنفه: جعل عليه خطاماً، وخطم أنف فلان: ألصق به عاراً ظاهراً، وخطم فلاناً بالكلام: قهره ومنعه حتى لا يتكلم.

(٤) في رواية: «ومن الولاة مُقَحَّمٌ». والمقحم: الذي يقحم نفسه في الأمور.

مَنَعَتْ مَهابتُك النُّفوسَ حَديثَها ... بالأمرِ تَكْرَهُهُ وَإنْ لَمْ تَعْلَمِ

[من كلام الأعراب]

أعرابية تلوم أباها في الجود

عذلَتْ أعرابية أباها في الجود وإتلاف ماله، فقالت: حَبْسُ المالِ، أنفَعُ للعِيَال، مِنْ بِذْل الوَجْه في السؤال؛ فقد قلَّ النوالُ، وكثر البُخَّالُ، وقد أتلفت الطارِفَ والتِّلاد، وبقيت تطلبُ ما في أيدِي العباد ومن لم يحفظ ما ينفعه، أوشك أن يسعى فيما يضرّه.

دعوة أعرابية

قال الأصمعي: سمعت أعرابية تقول: اللهم ارزُقْني عمل الخائفين، وخوفَ العاملين، حتى أتنعم بترك التنعم، رجاءً لما وَعَدْتَ، وخوفاً مما أوعدت.

وقال آخر: اللهم من أراد بنا سوءاً فأحِطْه به كإحاطةِ القلائد، بأَعناقِ الولائد، وأرسِخْه على هَامَتِهِ، كرسوخ السِّجيل، على هامِ أصحاب الفيل.

وقال بعضُ الأعراب: نالنا وَسْمِيّ، وخَلَفَه وَليّ[1]؛ فالأرضُ كأنها وَشْيٌ [عبقريّ]؛ ثم أتتنا غُيُوم جَراد، بمناجل حِدَاد؛ فخرَّبت البلادَ، وأهلكت العبادَ؛ فسبحان من يُهلك القويّ الأكول بالضعيف المأكول.

[مع الولاة والخلفاء]

السفاح وعمارة بن حمزة

وقال عمارة بن حمزة لأبي العباس السفاح ـ وقد أمر له بجوائز نفيسة، وكُسْوَة وصلة، وأدْنى مجلسه ـ: وصلك الله يا أمير المؤمنين وبرَّك، فوالله لئن أردنا شُكْرَك على كُنْهِ صلتك، فإنَّ الشكرَ لَيَقْصُرُ عن نعمتك، كما قَصُرْنَا عن منزلتك، غير أنّ الله تعالى جعل لك فضلاً علينا بالتقصير منا، ولم تَحْرِمْنَا الزيادة منك لِنَقْصِ شكرنا.

السفاح وخالد بن صفوان

وقال أبو العباس السفاح لخالد بن صفوان: كيف عِلمُك بأخوالي بني الحارث بن

(١) الوسمي: أول المطر. والولي: المطر يتبع المطر.

كعب؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، هم هامَةُ الشرف، وعِرْنينُ الكَرَم[١]، وفيهم خصالٌ ليست في غيرهم من قومهم، هم أحسنهم أمما، وأكرمهم شِيَمَاً، وأهْناهم طعماً، وأوْفاهم ذِمماً، وأبعدهم هِمماً، هم الجَمْرَة في الحَرب[٢]، والرأْسُ في كلِّ خطب، وغيرهم بمنزلة العَجْب[٣].

عمر بن عبد العزيز وخالد بن صفوان

وعزَّى خالدُ بن صَفْوان عمر بن عبد العزيز وهنَّأَه بالخلافة، فقال: الحمد لله الذي مَنَّ على الخَلْقِ بك، والحمدُ لله الذي جعل نبوتكم رَحْمَةً، وخلافتكم عِصْمَة، ومصائبكم أسوة، وجعلكم قُدْوَة.

وقال خالدُ بن صَفْوان لبعض الولاة: قدمت وأعطيت كلاًّ بِقسْطِه من نظرك ومَجْلسك، في صوتك وعَدْلك، حتى كأنك من كلّ أحد، وحتى كأنك لست من أحد.

وقال رجل لخالد: إن أباك كان دَميماً[٤]، ولكنه كان حليماً، وإنّ أمك كانت حسناء، ولكنها كانت رَعْنَاء[٥]، فيا جامع شَرِّ أبويه!

شذور في المقابح ومساوىء الأخلاق

علي بن عبيدة الريحاني ـ أدْنس شعارِ المرءِ جهلُهُ.

ابن المعتز ـ نِعَمْ الجاهلِ، كالرياض في المزابل. كلما حَسُنَتْ نعمةُ الجاهل ازداد فيها قُبْحاً. لسانُ الجاهل مفتاحُ حَتْفه. لا ترى الجاهلَ إلا مُفْرِطاً.

الجاحظ ـ البخلُ والجُبْنُ غريزةٌ واحدة، يجمعهما سوءُ الظن بالله. والبخلُ يَهْدِمُ مبانيَ الشرف.

وقال ابن المعتز: لما عرف أهلُ النَّقْصِ حالَهم عند ذوي الكمال، استعانوا بالكِبْر لِيعظِّمَ صغيراً، ويرفَعَ حقيراً، وليس ينفعُ الطمع في وثاق الذلّ. الغضب يصدىء العقلَ حتى

---

(١) الهامة: الرأس. والعرنين: أول كلّ شيء، وما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم.
(٢) الجَمْرَةُ: القطعة الملتهبة من النار، ويقال: هم جَمْرَةٌ: أهل منعة وشدّة.
(٣) العَجْبُ: أصل الذنب، وهو أيضاً مؤخر كل شيء.
(٤) الدميم: القبيح الشكل.
(٥) الرعناء: الهوجاء في منطقها.

لا يرى صَاحِبُهُ صورةَ حَسَنٍ فيرتكبه، ولا صورة قبيح فيجتنبه. الغضبُ ينبىء عن كامن الحقد. من أطاع غَضَبَهُ أضاع أدبه. حدَّةُ الغضب تعثر المنطق، وتقطع مادَّة الحجَّة، وتفرِّق الفَهْم[١]. غضب الجاهل في قوله، وغضبُ العاقل في فِعْله. عقوبةُ الغضبِ تبدأ بالغضبان: تقبِّح صورَته، وتثلِّم دِينَه، وتعجِّل نَدَمه. ما أقبح الاستطالة[٢] عند الغِنى، والخضوع عند الفَقْر، من يهتك سِتْرَ غيره تكشَّفَتْ عورات بيته. نفاق المرءِ من ذلةٍ. الشرير لا يظنُّ بالناس خيراً لأنه يراهم بعين طبعه. من عدّد نعمه محق كرمه. خُلْفُ الوعد خُلُق الوَغْد، من أسرع كَثُر عثاره.

[من المفاخرات]

بين كاتب ونديم

فَاخَرَ كاتبٌ نديماً، فقال الكاتب: أنا مَعُونة، وأنت مَؤُنة؛ وأنا لِلجِدِّ، وأنت لِلهَزْل؛ وأنا للشدّة وأنت لِلَّذة؛ وأنا للحرب، وأنت للسلم. فقال النديم: أنا للنعمة، وأنت للخِدْمة؛ وأنا للحضرة، وأنت للمهنة؛ تقوم وأنا جالس، وتحتشم وأنا مُؤانس؛ تَدْأَب لراحتي، وتَشْقَى لسعادتي؛ فأنا شريك، وأنتَ مُعِين، كما أنك تابع، وأنا قَرِين.

وفاخر صاحبُ سيفٍ صاحبَ قلم، فقال صاحبُ القلم: أنا أقتل بلا غَرَر[٣]، وأنت تقتل على خطر. فقال صاحب السيف: القلُم خادمُ السيف إن تم مراده، وإلاّ فإلى السيفِ مَعَاده.

قال أبو تمام[٤]:

السيفُ أَصْدَقُ أنباءً من الكتُبِ ‏ ‏ ‏ ‏ في حَدِّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ[٥]

إبراهيم بن المهدي:

---

(١) تُفَرِّق الفهم: تُبدِّدهُ.
(٢) الاستطالة: التكبر.
(٣) الغَرَرُ: الخطر، والتعريض للهلكة.
(٤) أبو تمام، الديوان: ١/٩٦. والبيت مطلع قصيدة يمدح بها المعتصم العباسي، ويذكر انتصاره على الروم في موقعة عمورية سنة ٨٣٧ م.
(٥) الكتب: أي كتب السحر والتنجيم. الحَدُّ: الفاصل.

فَقَــدْ تَلِيــنُ بِبَعْــضِ القَــوْلِ تَبْــذُلُــهُ وَالـوَصْـلُ فـي جَبَـلٍ صَعْـبٌ مَـرَاقِيـهِ
كــالخيــزرانِ مَنِيــعٌ حيــنَ تَكْسِــرهُ وَقَــدْ يُــرى لَيِّنــاً فــي كـفّ لاَوِيــهِ

لأبي الهيدام المرِّي يرثي

قال أبو الهَيْدام عامر بن عمارة المرِّي يرثي:

سَـأبكيـكَ بِـالبيـضِ الـرِّقـاق وبـالقَنَـا فـإنَّ بهـا مـا أدركَ الـواتِـرُ الـوِتْـرَا[١]
وَلَسْنـا كَمَــنْ يَبْكِــي أخــاه بِعَبْــرَةٍ يُعصِّــرهــا مِــنْ مــاءِ مُقْلَتِــه عَصْــرا
وَلكننــي أشْفِــي فُــؤادي بِغَمْــرةٍ وَألهـبُ فـي قُطْـرَيْ جَـوانِبـه جَمْـرَا
وَإِنـا أُنــاسٌ مــا تَفِيــضُ دُمــوعُنــا علـى هَـالـكٍ منّـا وإن قَصَـمَ الظَّهْـرَا[٢]

[من وَصَايا الحكماء]

لقي رجل حكيماً فقال: كيف تَرَى الدهر؟ قال: يُخْلِقُ الأبدان، ويجدِّدُ الآمال، ويقرِّبُ المنية، ويباعِدُ الأمْنِية. قال: فما حالُ أهله؟ قال: من ظفر به منهم تعب، ومن فاته نَصِب. قال: فما الغنى عنه؟ قال: قَطعُ الرجاء منه، قال: أيّ الأصحاب أبرّ وأوْفى؟ قال: العمل الصالح والتقوى. قال: أيُّهم أَضَرُّ وأرْدَى[٣]؟ قال: النفس والهوى، قال: فأين المخرج؟ قال: سلوكُ المَنْهَج. قال: وما هو؟ قال: بَذْل المجهود، وترك الراحة، ومداومة الفكرة. قال: أوْصني قال: قد فعلت.

وقال بعضُ الملوك لحكيم من حكمائه: عِظْني بِعِظَةٍ تنفي عني الْخُيَلاء[٤]، وتزهّدني في الدنيا. قال: فكِّر في خَلْقك، واذْكُر مبدأك ومصيرك، فإذا فعلت ذلك صَغُرَتْ عندك نَفْسُك، وعَظُم بصغرها عندك عَقْلُك؛ فإن العقلَ أنفعُهما لك عِظَماً، والنفس أزْينهُما لك صِغَراً؛ قال الملك: فإن كان شيء يُعِينُ على الأخلاق المحمودة فصفتك هذه. قال: صفتي دليل، وفَهْمُك محجّة، والعلم علية، والعمل مَطية، والإخلاص زمامها، فَخُذْ لعقلك بما يزينه من العلم، وللعلم بما يَصُونهُ من العمل، وللعمل بما يحققه من الإخلاص، وأنت أنت! قال: صدقت.

---

(١) البيض: السيوف. القنا: الرماح. وَوَتَرَ فلاناً وَتْراً، وَتِرَةً: قتل حميمه.
(٢) قَصَمَ الشيء: كسره كَسْراً فيه انفصال، وقَصَمَ الله ظهر فلان: أنزل به البلية.
(٣) أردى: أشدّ ردًى، والرَّدى: الهلاك.
(٤) الخيلاء: التكبر.

[من المدح]

لابن الرومي

وقال ابن الرومي[١]:

تَغْنَوْنَ عنْ كلّ تَقْريظٍ بِمَجْدِكمُ ... غِنَى الظباءِ عن التكحيل بالكَحَلِ[٢]

تَلوحُ في دُولِ الأيامِ دَوْلَتُكُمْ ... كأنَّها مِلّةُ الإسلامِ في المِلَلِ[٣]

وقال أيضاً[٤]:

كلُّ الخصالِ التي فِيكُمْ مَحَاسِنُكم ... تَشابهَتْ مِنْكُمْ الأخلاقُ والخِلَقُ[٥]

كأنكُمْ شَجرُ الأتْرُجِّ طابَ معاً ... حَمْلاً ونَوْراً، وَطابَ العودُ والورَقُ

لأبي الفتح البستي

وقال البستي [في نحو هذا]:

فَتًى جَمَعَ العلياءَ عِلْماً وعِفَّةً ... وَبأساً وَجُوداً لا يفيقُ فُواقا

كما جَمعَ التفاحُ حُسْناً وَنَضْرَةً ... وَرائحةً مَحْبُوبةً وَمَذَاقَا

في مدح أبي دلف

قال أبو العباس المبرد: حدثني عجل بن أبي دلف قال: امتدح رجلٌ أبي بكلمةٍ، فوصله بخمسائة دينار ولم يره، وهي:

مَا لِي ومَا لكَ قَدْ كَلَّفتَني شَطَطاً ... حَمْلَ السلاحِ وَقوْلَ الدّارعينَ قِفِ[٦]

أَمِنْ رِجالِ المنايا خِلْتَني رَجُلاً ... أُمْسي وأُصْبِحُ مُشْتاقاً إلى التَّلَفِ

---

(١) ابن الرومي، الديوان: ٥/ ٢٣٣.

(٢) في الديوان: «عن كلّ تقريظٍ بفضلكم». والتقريظ: مدح الإنسان وهو حيٌّ.

(٣) في الديوان: «في دولة الأيام».

(٤) ابن الرومي، الديوان: ٤/ ٢٨٨.

(٥) في الديوان: «كُلُّ الخلال». والخِلَقُ: جمع خِلْقَة.

(٦) شَطَّ شُطُوطاً وَشَطَطاً: بَعُدَ، وشطَّ في الأمر: أمعن وجاوز الحدّ، وشطَّ عليه في الحكم شططاً: جار.

أرى المنايا على غَيْري فأكْرَهُهَا ... فَكَيْفَ أمْشِي إليها بارزَ الكَتِفِ
أخِلْتَ أنَّ سَوادَ الليل غَيَّرني ... وَأنَّ قَلْبِيَ في جَنْبَيْ أبي دُلَفِ

قلت: هذا كحديث الذي دخل في قومٍ على شراب فسقوه غير الشراب الذي يشربون، فقال:

نَبيذانِ في مُجْلِسٍ وَاحدِ ... لإيثار مُثْرٍ على مُقْتِرِ[١]
فَلو كُنْتَ تَفْعَلُ فِعْلَ الكرامِ ... فَعَلْتَ كَفِعْلِ أبي البَخْتري
تتَبَّعَ أخوانَهُ في البلادِ ... فَأغْنَى المُقِلَّ عَنِ المُكْثِرِ

فاتصل شعره بأبي البختري فأعطاه ألف دينار ولم يَرَه.

[أحمد بن أبي فنن]

والأبيات التي مُدِح بها أبو دلف هي لأحمد بن أبي فنن، وكان شاعراً مجيداً، وهو القائل:

ولما أبَتْ عَيْنايَ أنْ تَمْلِكَ البُكَى ... وَأنْ تَحْبِسا سَحَّ الدُّموعِ السَّواكبِ
تَثاءَبْتُ كَيْ لا يُنْكِرَ الدَّمْعَ مُنْكِرٌ ... ولكنْ قليلاً ما بقاء التثاؤبِ
أعَرّضْتمانِي لِلهَوَى وَنَمَمْتُما ... علَيَّ؟ لَبِئْسَ الصَّاحبانِ لِصَاحِبِ

وقال:

وَحَياةِ هَجْرِكَ غَيْرَ مُعْتَمِدِ ... إلا لِقَصْدِ الْحِنْثِ في الحلفِ[٢]
ما أنت أمْلَحُ مَنْ رَأَيْتُ وَلا ... كَلَفِي بِحُبِّكَ مُنْتَهَى كَلَفِي

قال الصولي: كنا بحضرة أبي العباس المبرد فأنشد هذين البيتين فأستظرفهما وأنشدنا في ذلك:

وَحياةِ غَيْرِكَ غير مُعْتمدٍ بهِ ... حِنْثاً وَلكنْ مُعْظِماً لِحَياتِكا
ما يَنْقَضِي طَمَعِي وَإنْ أطْمَعْتَنِي ... في الوعدِ مِنْكَ إلى اقْتِضَاءِ عِدَاتِكا[٣]

(١) آثره إيثاراً: اختاره وفضّله.
(٢) الحِنْثُ في الحلف: عدم البرّ فيه.
(٣) العِداتُ: جمع عدة، بمعنى الوعد، واقتضاؤها: طلب إنجازها.

وقال الخثعمي:

وَلَم أرَ مِثْلَ الصدِّ أدْعَى إلى الهَوى ... إذا كانَ ممَّنْ لا يَخافُ على وَصْلِ
وَآلَتْ يَميناً كالزُّجاجِ رَقيقةً ... وَما خَلَفَتْ إلاَّ لِتَحْنَثَ مِنْ أجْلي

وكان أحمد بن أبي فنن أسود، ولذلك قال:

أخِلْتَ أن سَوَادَ الليل غَيَّرني

ولما أدخل على المعتزّ وامتدحه قال: هذا الشاعرُ الآدَم[١]، قال بعض من حضر: لا يَضِرْه سوادُه مع بياض أياديك عنده، قال: أجَلْ، ووصله.

أخذ قوله:

أرى المنايا على غيري فأكرهها

من قول أعرابي قيل له: ألا تَغْزُو؟ قال: أنا والله أكره الموت على فراشي، فيكف أمشي إليه ركْضاً؟

[استطراد]

وهذا المذهب الذي سلكه أحمد ضربٌ من البديع يسمَّى الاستطراد، وذلك أن الفارس يظهر أنه يستطرد لشيء ويُبْطِنُ غيره، فيكرُّ عليه، وكذلك هذا الشاعر يظهرُ أنه يذهبُ لمعنى فيعن له آخَر فيأتي به، كأنه على غير قصد، وعليه بناه، وإليه كان مَعْزَاه[٢]، وقد أكثر المُحدَثون منه فأحسنوا في ذلك.

لإسحاق الموصلي

قال الأصمعي: كنت عند الرشيد فدخل عليه إسحاق بن إبراهيم الموصلي فقال: أنشدني من شعرك، فأنشده:

وَآمرةٍ بالبُخْل قُلْتُ لها: اقْصِري ... فَلَيْسَ إلي ما تَأْمُرينَ سبيلُ
أرى الناسَ خُلاَّنَ الجوادِ، ولا أرى ... بَخيلاً لهُ في العالَمينَ خَليلُ

(١) الآدم: وصف من الأدمة، وهي السّمْرَة.
(٢) معزاه: اعتزاؤه أي انتسابه.

وَمِنْ خيرِ حالاتِ الفتى لو عَلِمْتِهِ ... إذا نالَ شيئاً أنْ يكونَ مُنِيلُ
فَعالِي فعالُ المُكْثِرِينَ تجمُّلاً ... وَمَا لي كما قَدْ تَعْلَمِينَ قليلُ
وَكَيْفَ أخافُ الفقرَ أو أُحْرَمُ الغِنى ... وَرأْيُ أميرِ المؤمنينَ جَميلُ

فقال الرشيد: يا فضل؛ أعطه عشرين ألف درهم. ثم قال: لله أَبيات تأتينا بها يا إسحاق ما أتْقن أصولها، وأبين فصولها، وأقل فضولها! فقال: والله يا أمير المؤمنين؛ لا قبلتُ منها درهماً واحداً. قال: ولم؟ قال: لأن كلامك، والله، خيرٌ من شعري. فقال؛ يا فضل؛ ادفع إليه أربعين ألفاً. قال الأصمعي: فعلمت أنه أصيد لدراهم الملوك مني.

لأبي تمام يصف فرساً

ومن ذلك قول أبي تمام يصف فرساً(١):

وَسابحٍ هَطِلِ التَّعْداءِ هَتَّانِ ... على الجِرَاءِ أمينٍ غَيْرِ خَوَّانِ(٢)
أظْمى الفُصُوصَ ولم تَظمأْ قَوائِمُهُ ... فَخَلِّ عَيْنَيكَ في رَيَّانَ ظمآنِ(٣)
فلو تراهُ مُشيحاً والحَصَى زِيَمٌ ... بَيْنَ السنابِكِ مِنْ مَثْنى وَوُحْدانِ(٤)
أيْقَنْتَ ـ إن لم تَثَبَّتْ ـ أنَّ حافِرَهُ ... مِنْ صَخْرِ تَدْمُرَ أو مِنْ وَجْهِ عُثمانِ(٥)

وقد احتذى البحتري هذا الحَذْوَ في حَمْدَوِيْه الأحول، وكان حمدويه هذا عَدُوًّا للممدوح، فقال(٦):

وأغرَّ في الزمنِ البهيم مُحَجَّلِ ... قَدْ رُحْتُ منه على أغرّ مُحَجَّلِ(٧)

---

(١) أبو تمام، الديوان: ٢/ ٢٦٧.
(٢) هطل: سائل. العداء: العدو: الركض. هتّان؛ متتابع المطر؛ استعار هذه الألفاظ للسابح، أي الفرس السابح (السريع). الجراء: مفردها جرو: صغير كل شيء، والفتوّة.
(٣) في الديوان: «فَخلِّ عينيك في ظمآن رَيَّان». الفصوص: جمع فص: ملتقى كل عظمين، وحدقة العين.
(٤) المشيح: من أشاح بوجهه: أعرض متكرهاً. السنابك: جمع سنبك: طرف الحافر.
(٥) في الديوان: «حلفت إن لم تثبّت». وعثمان: هو عثمان بن إدريس الشامي.
(٦) البحتري، الديوان: ٣٦٧/٢. والأبيات من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب.
(٧) أَغَرُّ مُحجَّل: مشهور.

كــــالهيكَــــلِ المبنــــيّ إلاّ أنّــــهُ فـي الحُسْـنِ جـاء كصـورةٍ فـي هَيْكَـلِ
مَلَـكَ العيـونَ؛ فـإن بَـدا أعطينـهُ نَظَـرَ المُحـبّ إلـى الجبيـب المقبـلِ
مـا إنْ يَعـافُ قـذًى وَلـوْ أورَدْتَـهُ يَـوْمـاً خَـلائـقَ حَمْـدَوَيْـهِ الأحْـولِ

وفي قصيدته هذه يحكى أن البحتري قال له أصحابه: إنك سَتُعاب بهذا البيت؛ لأنك سرقته من أبي تمام، قال: أعاب من أخذي من أبي تمام؟! والله ما قلتُ شعراً قط إلا بعد أن أحضرت شعره في فكري، قال: وأسقط البيت بعد، فلا يوجد في أكثر النسخ.

[سَبْقُ المتقدمين إلى الاستطراد]

وهذا معنى قد أعجب المُحْدَثين، وتخيَّلوا أنهم لم يُسْبَقُوا إليه، وقد تقدّم لمن قبلهم، قال الفرزدق[١]:

كـأنَّ فِقَـاح الأزدِ حَـوْلَ ابـن مِسْمَـعٍ إذا جَلَسُـوا أفْـواهُ بَكْـرِ بـن وائـلِ[٢]

قال الحاتمي: وأتى جرير بهذا النوع فحثا[٣] في وَجْهِ السابق إلى هذا المعنى فضلاً عمن تلاه؛ فإنه استطرد في بيتٍ واحد، فهجا فيه ثلاثة، فقال[٤]:

لمـا وَضَعْـتُ علـى الفَـرَزْدَقِ مَيْسَمِـي وَعلى البَعيثِ جَدَعْتُ أنْفَ الأخْطَلِ[٥]

وقيل هذا البيت مما يَرُد على الحاتمي، وهو قوله:

أعْـدَدْتُ لِلشعـراءِ كـأسـاً مُـرَّةً فَسَقَيْـتُ آخـرهـم بكـأْسِ الأوّلِ[٦]

قال أبو إسحاق: وأوّل من ابتكره السموأل بن عادياء اليهودي، وكل أحد تابع له فقال:

---

(١) لا وجود لهذا البيت في ديوانه.
(٢) الفقاح: جمع فقحة، وهي حلقة الدبر، وقيل: هي الدبر بِجُمْعِها، قال جرير:
وَلـوْ وُضِعَـتْ فِقَـاحُ بنـي نُمَيْـرٍ علـى خَبَـثِ الحَـديـدِ إذاً لَـذابـا
(ابن منظور، لسان العرب: فقح).
(٣) حثا التراب: قبض قبضةً منه ورمى به.
(٤) جرير، الديوان: ص ٣٥٧.
(٥) في الديوان: «وَضَعَا البعيثُ».
(٦) في الديوان: «أعددت للشعراء سُمًّا ناقعاً».

وَإنّـا أُنَـاسٌ لا نَـرَى القَتْـلَ سُبّـةً ... إذا مـا رَأتْـهُ عَـامِـرٌ وَسلـولُ
يُقَـرّبُ حُـبُّ المـوتِ آجـالَنَـا لنـا ... وَتكْـرَهُـهُ آجـالُهـم فَتَطُـولُ

لطرفة بن العبد البكري

وقد قال طرفة في هذا المعنى(١):

فَلَوْ شاءَ رَبّي كُنْتُ قَيْسَ بنَ خالِدٍ ... وَلو شاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرَو بن مَرْثَدِ(٢)
فَأَصْبَحْتُ ذا مالٍ كَثيرٍ، وَعادني ... بَنُونَ كِرَامٌ سَادةٌ لِمُسَوَّدِ(٣)

قيس بن خالد: ذو الجَدَّين الشيباني. وعمرو بن مَرْثد: سيد بني قيس بن ثعلبة، فدعا [عمرو] طرفة لما بلغه ذلك، فقال: أما البنون فإن الله يعطيك، ولكن لا تَريمُ حتى تكون من أوسطنا حالاً؛ وأمر بنيه وكانوا عشرة، فدفع إليه كلٌّ واحد منهم عشراً من الإبل؛ فانصرف بمائه ناقة.

ابن عبدل وابن بشر بن مروان

وكان ابن عَبْدَلٍ منقطعاً إلى عبد اللّه بن بشر بن مروان، فتأخر عنه بِرُّه، وغاب أياماً، ثم أتاه فسأله عن غَيْبَتِهِ، فقال: خطبتُ ابنةَ عم لي بالسواد، فزَعمَتْ أنَّ لها ديوناً وأسْلافاً هناك، وأني إذا جمعتها لها صارت إلى محبتي، ففعلت ذلك، فلما استنجزتها كتبت إليّ:

سَيُخْطِئُـكَ الـذي أمَّلْـتَ مِنِّـي ... إذا انْتَقَضَـتْ عَلَيْـكَ قُـوَى حِبَـالي
كمـا أخطـاكَ مَعْـرُوفُ ابـن بِشْـرٍ ... وَكُنْـتَ تَعُـدُّ ذلـكَ رَأْسَ مـالِ

فقال: ما أحسن ما ألطفت بالسؤال! وأجْزل صِلَتَه.

لبشار بن برد

ومن بديع هذا الباب قول بشار بن برد(٤):

---

(١) طرفة بن العبد، الديوان: ص ٣٦.
(٢) يقول: لو شاء الله بلغني منزلتهما وَقدْرَهُما.
(٣) في الديوان: «وزارني». يقول: لو بلغني الله منزلتهما لصرت وافر المال، كريم العقب.
(٤) بشار بن برد، الديوان: ٤/ ١٨٧.

خَليلـيَّ مِـنْ كَعْـبٍ أعِينَـا أخـاكُمـا ... علـى دَهْـرِهِ؛ إن الكـريـمَ مُعِيـنُ[١]

وَلاَ تَبْخَـلاَ بُخْـلَ ابـنِ قَـزْعَـة؛ إنـهُ ... مَخـافَـةَ أنْ يُـرجـى نَـدَاه حَـزِيـنُ

إذا جِئْتَـهُ فـي حَـاجـةٍ سَـدَّ بـابَـهُ ... فَلَـمْ تَلْقَـهُ إلاَّ وَأنْـتَ كَمِيـنُ[٢]

فَقُـلَ لأبـي يحيـى مَتَـى تَبْلُـغ العُـلاَ ... وَفـي كُـلِّ مَعْـرُوفٍ عَلَيْـكَ يَمِيـنُ[٣]

لبكر بن النطاح

وقال بكر بن النطاح يمدح مالكَ بن طَوْق:

عَـرَضْـتُ عليهـا مـا أرادَتْ مـن المُنَـى ... لِتَرْضَـى فَقَـالـتْ: قُـمْ فَجِئْنِي بِكَوْكَـبِ

فَقُلْـتُ لهـا: هـذا التَّعنُّـتُ كُلُّـهُ ... كَمَـنْ يَشْتَهـي لَحْـمَ عَنْقَـاء مُغْـرِبِ[٤]

سَلـي كُـلَّ أمـرٍ يَسْتَقيـمُ طِـلاَبُـهُ ... وَلا تـذهبـي يـا دَرّ فـي كُـلِّ مَـذْهَـبِ

فَـأُقسِـمُ لـو أصبحـتُ فـي عِـزِّ مـالـكٍ ... وَقُـدْرَتِـه مـا رَامَ ذَلـك مَطْلبـي

فَتًـى شَقِيَـتْ أمـوالُـه بِسَمـاحِـهِ ... كمـا شَقِيَـتْ قَيْـسٌ بِـأَرْمَـاحِ تَغْلَـبِ

واعتذر رجلٌ إلى رجل بحضرة عبد الأعلى بن عبد اللّه فلم يُقْبَلْ عذره، فقال عبد الأعلى: أمَا والله لئن كان احتمل إثمَ الكذب ودناءته، وخضوعَ الاعتذارِ وذِلَّته، فعاقبته على الذَّنْب الذاهب، ولـم تشكر له إنابة التائب، إنك لَمِمَّن يُسيء ولا يُحسن.

للحطيئة

وقال الحطيئة:

يَسُـوسُـونَ أحـلامـاً بعيـداً أنـاتُهَـا ... وَإنْ غَضِبـوا جَـاءَ الحفيظـةُ والجِـدُّ[٥]

---

(١) كعب: هو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهو أبو عقيل موالي بشّار.

(٢) الكمين: القوم يكمنون في الحرب حيلةً، أو اللبس والغموض في الأمر لا يُفْطَنُ لموضعه.

(٣) أبو يحيى: كنية ابن قزعة، ويكنى أيضاً أبا المغيرة. وقبله في الديوان:

كـأَنّ عُبَيْـدَ اللّـه لَـمْ يَلْـقَ مَـاجِـداً ... وَلَـمْ يَـدْرِ أنّ المَكْـرُمـاتِ تَكُـونُ

(٤) تَعنَّتَ عليه: سأله عن شيءٍ يريد به اللَّبْسَ عليه والمشقة.

(٥) ساسَ الناس سياسةً: تولّى رياستهم وقيادتهم. الأحلام: جمع الحِلْم، وهو العقل، أو الأناة وضبط النفس، والأناة: الحلم والوقار.

أقلُّوا عليهم لا أبا لأبيكُم من اللومِ أوسُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئك قَومٌ إنْ بَنَوْا أحسنوا البِنَا وَإنْ وَعدوا أوفوا وإنه عَقَدُوا شَدُّوا
وَإنْ كانتِ النّعمْاءُ فيهم جَزَوْا بها وَإنْ أنعموا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا
وَإنْ قال مَوْلاهُمْ على جُلِّ حادثٍ مِنَ الدهرِ رُدوا فَضْلَ أحلامكم رَدُّوا
وَيَعْذِلني أبناءُ سَعْدٍ عليهمُ وَما قُلْتُ إلا بالذِي عَلِمَتْ سَعْدُ[١]

[شاعر باهلي في حضرة الرشيد]

وَوَصّلَ سعيدُ بن سَلْمٍ إلى الرشيد شاعراً باهليًّا، فأنشده قصيدةً حسنة، فاسترابَهُ الرشيد، وقال: أسمعك مستحسِناً، وأنكرك متّهماً؛ فإن كُنْتَ صاحب هذا الشعر فَقُلْ في هذين، وأشار إلى الأمين والمأمون وكانا جالسين.

فقال: يا أمير المؤمنين، حَمِلَتْنِي على غير الجَدَد[٢]: هَيْبَةُ الخلافة، وَوَحْشَةُ الغُرْبة، ورَوْعَة المفاجأة، وجلالة المقام، وصعوبة البديهة، وشرود القوافي، على غير الرويّة، فَلْيُمْهِلْني أميرُ المؤمنين حتى يتألَّفَ نافرُ القول.

فقال الرشيد: لا عليك ألاَّ تقول؛ قد جعلت اعتذارك عِوَض امتحانك. فقال: يا أميرَ المؤمنين؛ نَفَّسْت الخناق، وسَهَّلْتَ ميدان السباق، ثم قال:

بَنَيْتَ بعبدِ اللّه بعد مُحمَّدٍ ذُرَى قُبَّةِ الإسلام فاخْضَرَّ عُودُها
هُما طُنُبَاها بارَكَ الله فِيهما وَأنْتَ ـ أميرَ المؤمنينَ ـ عُمُودُها[٣]

فقال الرشيد: وأنت بارك الله فيك، سَلْ ولا تكن مسألتك دون إحسانك، فقال: الهنيدة[٤] يا أمير المؤمنين! فأمر له بها، وبِخِلعٍ نفيسة، وصِلَةٍ جزيلة.

[كاتب الحجاج عند سليمان بن عبد الملك]

دخل يزيدُ بن أبي مُسْلم كاتبُ الحجاج على سليمانَ بن عبد الملك، فازْدَرَاه وَنَبَتْ

(١) يعذلني: يلومني.
(٢) الجَدَد: الأرض المستوية.
(٣) الطُّنُبُ: حبل يُشَدُّ به الخباء والسرادق ونحوهما.
(٤) الهنيدة: اسم للمائة من الإبل.

عَيْنُه عنه، فقال: ما رأتْ عيني كاليوم قطّ، لعن الله امرأ أجرَّك رَسَنَه، وحكّمك في أمره. فقال: يا أميرَ المؤمنين، لا تَقُلْ ذلك؛ فإنك رأيتَني والأمرُ عني مُدْبر، وعليك مُقْبِل؛ فلو رأيتني والأمر عليّ مقبل، وعنك مُدْبِر، لاستعظمتَ مني ما استصغرتَ، واستكبرتَ ما استقللْت.

قال: عزمت عليك يا بْنَ أبي مُسلم لتخبرنّي عن الحجاج، أتراه يَهْوي في جهنم أم قد قرَّ بها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا تَقُلْ هذا في الحجاج، وقد بذل لكم النصيحة، وأمَّن دولتكم، وأخاف عدوَّكم، وكأني به يوم القيامة وهو عن يمين أبيك، ويَسار أخيك، فاجعله حيثُ شئت.

فقال له سليمان: أعزُبْ[1] إلى لعنة الله! فخرج، فالتفت سليمانُ إلى جلسائه فقال: قاتله الله! ما أحْسَنَ بديهتَهُ، وترفيعه لنفسه ولصاحبه! وقد أحسن المكافأة في الصنيعة، خَلُّوا عنه.

[من أدب إبراهيم بن العباس الموصلي]

قال إبراهيم بن العباس الموصلي: والله ما اتَّكَلْتُ في مكاتبةٍ قط إلاّ على ما يجلبه خاطري، وَيجيشُ به صَدْرِي، إلاَّ قولي في فصل: وصار ما كان يُحْرِزهم يُبْرِزهم، وما كان يعقلهم يعتقلهم. وقولي في رسالة أخرى: «فأنزله من معقل إلى عُقَّال، وبدّلوه آجالاً بآمال»، فإني ألممت في هذا بقول الصريع[2]:

مُوفٍ على مُهَجٍ في يوم ذي رَهَجٍ ... كأنه أجَلٌ يَسْعَى إلى أمَلِ

وفي المعنى الأول يقول أبو تمام[3]:

فإنْ يَبْنِ حِيطاناً عليه فإنَّما ... أولئكَ عُقَّالاته لا مَعَاقِلُهْ[4]

وكان يقول: ما تمنَّيت كلامَ أحدٍ أن يكون لي إلاّ قولَ عبد الحميد بن يحيى: الناس

(١) أغرب: أبعد.
(٢) الصريع: صريع الغواني، وهو مسلم بن الوليد، وقد مضت له أبيات منها هذا البيت.
(٣) أبو تمام، الديوان: ٢/ ١٤. والبيت من قصيدة يمدح بها الخليفة العباسي المعتصم بالله.
(٤) عقالاته: قيوده وحبوسه. معاقله: ملاجئه. يقول: إن يحارب داخل الأسوار والحصون، تكن تلك الأسوار سجناً له لا ملجأ.

أصنافٌ متباينون، وأطوار متفاوتون، منهم عِلْق مضنّة لا يُبَاع، وغل مظنَّة لا يُبْتَاع.

ورد كِتاب بعض الكتاب إلى إبراهيم بن العباس بذم رجل ومدح آخر؛ فوقّع في كتابه: إذا كان للمحسن من الجزاء ما يُقْنِعُه، وللمسيء من النَّكال ما يَقْمَعه، بَذَل المحسن الواجبَ عليه رغبة، وانقاد المسيء للحق رهبةً، فوثب الناس يقبّلون يده.

ووقع لرجل مَتَّ إليه بِحُرْمة: تقدمت بحرمة مألوفة، ووسيلة معروفة، أقوم بِواجبها، وأرْعاها من جميع جوانبها.

وإبراهيم بن العباس هو القائل:

لنا إبِلٌ كُومٌ يَضِيقُ بها الفَضَا … وَتَغْبَرُّ مِنْهَا أرْضُها وَسَماؤُها[1]

فَمِنْ دُونِها أنْ تُسْتَباحَ دِماؤُنا … وَمِنْ دُونِنا أنْ يُسْتَذَمَّ دِماؤُها

حِمًى وَقِرًى فالموتُ دُونَ مَرامِها … وَأيْسَرُ خَطْبٍ يَوْمَ حُقَّ فَنَاؤُها

وقال الصولي: وجدت بخط عبد اللّه بن أبي سعيد إبراهيم بن العباس أنشده لنفسه[2]:

وعَلَّمْتَني كيفَ الهَوى وَجَهِلْتَهُ … وَعَلَّمَكُمْ صَبْرِي على ظُلْمِكُمْ ظُلْمِي

وَأعلم ما لي عِنْدَكُم فَيرُدُّني … هَوَايَ إلى جَهْلي فأرجعُ عَنْ عِلْمي[3]

فقلت: أسبقك إلى هذا أحد؟ فقال: العباس بن الأحنف بقوله:

تَجنَّبَ يَرْتَادُ السلوَّ فلم يَجِدْ … له عنكَ في الأرضِ العريضة مَذْهَبا[4]

فَعادَ إلى أنْ راجعَ الوَصْلَ صاغِراً … وَعادَ إلى ما تَشْتَهِينَ وأعْتَبَا[5]

قال الصولي: وأظن أنّ ابن أبي سعيد غلط في هذه الرواية؛ لأن الأشبه بقول ابن العباس: «فعاد إلى أن راجع الوصل صاغراً» قوله:

---

(١) الكوم: جمع كوماء، وهي الناقة العظيمة السّنام.

(٢) البيتان في العمدة في محاسن الشعر: ٢/ ٧٩.

(٣) في العمدة: «وأُعرِضُ عن عِلْمِي».

(٤) ارتاد الشيء: طلبه.

(٥) أعْتَبَ: فعل ما يزول معه العتب (الموجدة).

كَمْ قَدْ تَجرَّعْتُ مِنْ غَيْظٍ ومن حَزَنٍ　　إذا تَجدَّد حُزْنٌ هَوَّنَ الماضي
وَكم سَخِطْتُ وما بالَيْتُمْ سَخَطي　　حَتَّى رَجعْتُ بِقَلْبٍ سَاخِطٍ راضي

وأنشد له:

لمن لا أرى أعْرَضْتُ عن كلِّ من أرى　　وَصِرْتُ على قلبي رقيباً لِقاتِلهْ
أدافِعُهُ عن سَلْوَةٍ وَأرُدّهُ　　حَيَاءً إلى أوصابِهِ وَبَلابِلِهْ[١]

وقال في هذا النحو:

وَأنْتَ هوى النفسِ مِنْ بَيْنِهِمْ　　وَأنْتَ الحبيبُ وَأنْتَ المُطَاعْ
وَما بِكَ إنْ بَعدوا وَحْدَةٌ　　وَلا معهم إنْ بَعُدْتَ اجتماعْ

وقال الطائي[٢]:

إذا جئتَ لم أحْزَنْ لِبُعْدِ مُفارِقٍ　　وَإنْ غِبْتَ لم أفرحْ بِقُرْبِ مُقيمِ
فيالَيْتَني أفديكَ من غُرْبَةِ النوى　　بِكُلِّ أخٍ لي واصلٍ وَحَميمِ

وأصل هذا من قول مالك بن مَسْمَع للأحنف بن قيس: «ما أشتاق للغائب إذا حَضَرْتَ، ولا أنتفع بالحاضر إذا غِبْتَ».

وقال إبراهيم بن العباس:

تَدانَتْ بقومٍ عن تَنَاءٍ زيارةٌ　　وَشطّ بِلَيْلَى عن دُنوٍّ مَزَارُها[٣]
وَإنَّ مُقيماتٍ بِمُنْعَرَجِ اللّوى　　لأَقربُ مِنْ لَيْلَى وَهاتيكَ دَارُها
وَلَيْلَى كمثلِ النارِ يَنْفَعُ ضَوْءُهَا　　بَعيداً نَأَى عَنْهَا ويُحْرَقُ جَارُها

كأنه نظر إلى قول النَّظّار الفَقْعَسِيِّ:

يَقُولونَ هذي أمُّ عمرو قريبةٌ　　دَنَتْ بك أرْضٌ نَحْوَها وَسَمَاءُ
ألا إنما بُعْدُ الخليل وَقُرْبُهُ　　إذا هُوَ لَمْ يُوصَلْ إليه سَواءُ

---

(١) الأوصاب: جمع وصب، وهو الوجع والمرض. والبلابل: جمع بلبال، وهو الوسواس.
(٢) لم نجد هذين البيتين في ديوانه.
(٣) التنائي: البعد. وشطَّ: بعد.

وقوله: «وليلى كمثل النار» كقول العباس بن الأحنف:

أُحْــرَمُ منكــم بمــا أقــولُ وَقَــدْ ... نــالَ بــهِ العــاشِقــونَ مَــنْ عَشِقُــوا
صِــرْتُ كــأنّــي ذُبَــالــةٌ نُصِبَــتْ ... تُضِــيءُ لِلنّــاسِ وَهْــيَ تَحْتَــرِقُ[١]

وقال إبراهيم بن العباس:

أميـلُ مـع الصـديـقِ على ابـن عَمِّـي ... وآخُــذُ للصــديــقِ مِــنَ الشقيــقِ
وَإنْ ألفيتَنِــي حُــرّا مُطَــاعــاً ... فــإنــكَ وَاجــدي عَبْــدَ الصَّــدِيــقِ
أُفَــرّق بيــنَ مَعْــرُوفــي وَمَنّــي ... وأجْمَــعُ بيــن مــالــي وَالحقــوقِ

[رثاء مصلوب]

قال العقيلي يَرْثي صديقاً له أخذ في خربة فقتل وصلب:

لَعَمْـري لَئِـنْ أَصْبَحْـتَ فَـوْقَ مُشَـذَّبٍ ... طَـويـلٍ تُعَفّيـكَ الـريـاحُ مـع القَطْـرِ[٢]
لقــد عِشْــتَ مَبْسُــوطَ اليــديـن مُـرزّأً ... وَعُوفيتَ عند الموتِ من ضَجْعَةِ القبرِ
وأفْلَــتَّ مــن ضيــقِ التــرابِ وَغَمِّــهِ ... وَلَـمْ تَفْقِدِ الدنيـا؛ فَهلْ لـكَ من شُكْـرِ
فمـا تَشْتَفـي عَيْنَـاي مـن دائـم البُكَـىٰ ... عليـكَ، ولـو أنـي بَكَيْـتُ إلـى الحَشْـرِ
فَطُـوبَـى لِمـنْ يَبْكـي أخـاهُ مُجَـاهِـراً ... وَلِكنَّنــي أبكــي لِفَقْــدِكَ فــي سِتْــرِ

[كلام لا يحتمل الجواب]

من محمد بن كثير إلى الرشيد

وكتب محمد بن كثير إلى هارون الرشيد:

يا أمير المؤمنين؛ لولا حظ كرم الفِعْل في مَطَالع السؤال، لألْهَى المطل قلوبَ الشاكرين، ولصرف عيونَ الناظرين إلى حسن المحبة. وأيّ الحالين يُبْعِدُ قولَك عن مجاز فعلك؟

---

(١) الذبالة: الفتيلة التي تُسْرَجُ.
(٢) مُشذَّب: يقال: شذب العود شَذْباً: قشره، أو أزال ما عليه من الأغصان حتى يبدو لحاؤه. وَتُعفِّيه الرياح: تمحوه.

فقال هارون الرشيد: هذا الكلامُ لا يحتمل الجواب: إذ كان الإقرار به يمنعُ من الاحتجاج عليه.

[تعجيل الإحسان]

بين المأمون ويحيى بن أكثم

وقال يحيى بن أكثم للمأمون يذكر حاجةً له قد وعده بقضائها، وأغفل ذلك:

أنْتَ يا أمير المؤمنين أكرمُ من أن نُعرِّضَ لك بالاستنجاز، ونقابلك بالأذّكار، وأنت شاهدي على وَعْدِك، وأن تأمر بشيء لم تتقدَّمْ أيامه، ولا يقدر زمانه، ونحن أضعفُ من أن يستوليَ علينا صبرُ انتظارِ نعمتك، وأنت الذي لا يؤوده[1] إحسان، ولا يُعْجِزُه كرَم، فعجِّل لنا يا أميرَ المؤمنين ما يزيدك كرماً، وتزدادُ به نعماً، ونتلقَّاه بالشكر الدائم.

فاستحسن المأمون هذا الكلام، وأمر بقضاء حاجته.

المأمون ورجل من بني الدهاقين

قدم على المأمون من أبناء الدهاقين وعظمائهم، من أهل الشعر على عِدَة سلفَتْ له من المأمون[2]، من تَوْلِيته بلده، وأن يضمّ إليه مملكته، فطال على الرجل انتظارُ خروجِ أمْرِ أمير المؤمنين بذلك، فقصد عَمْرَو بن مسعدة وسأله إيصال رقعةٍ إلى المأمون من ناحيته، فقال: اكتُبْ بما شئت فإني مُوصِلُه، قال: فتولّ ذلك عني، حتى تكون لك نعمتان، فكتب عمرو:

إن رأى أميرُ المؤمنين أنْ يَفُكَّ أسْر عِدَته من رِبْقَة المَطْلِ[3]، بقضاء حاجة عَبْدِهِ، والإذْنِ له بالإنصراف إلى بلده، فعل مُوَفَّقاً.

فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عَمْراً، وجعل يعجب من حُسن لفظها، وإيجاز المرادِ فيها، فقال له عمرو: فما نتيجتُها يا أميرَ المؤمنين؟ قال: الكتابة له في هذا الوقت بما سأل؛ لئلا يتأخَّر فَضْلُ استحساننا كلامه، وبجائزة تنفي دناءة المطل.

---

(١) لا يؤوده: لا يعجزه ولا يضعفه.

(٢) العدة: الوعد. سلفت: مضت.

(٣) الرِّبْقَةُ: واحدة الرِّبَق، وهو حبل ذو عُرًى، أو حلقة لربط الدواب، ويقال: حَلَّ رِبْقَتَهُ: فَرَّجَ كُرْبَتَهُ.

ومن كلام عمرو بن مسعدة: أعظمُ الناس أجراً، وأنْبَههمُ ذِكراً، من لم يَرْضَ بحياة العَدْلِ في دولته وظهور الحجَّةِ في سلطانه، وإيصال المنافع إلى رَعيَّته في حياته، حتى احتالَ في تخليدِ ذلك في الغابرين[١] بعده، عنايةً بالدين، ورحمةً بالرَّعية، وكفايةً لهم من ذلك ما لو عنوا باستنباطه لكان يعرض أحد الأمرين، إما الإكداء عن إصابة الحق فيه لكثرة ما يعرض من الالتباس، وإما إصابةُ الرأي بعد طول الفكر، ومقاساةِ التجارب، واستغلاق كثير من الطرق إلى دَرَكه؛ وأسعد الرّعَاةِ من دامت سعادةُ الحق في أيامه، وبَعْدَ وفاتِهِ وانقرَاضِه.

[فضل الإيجاز]

وقال رجل لسويد بن مَنْجُوف، وقد أطال الخطبة بكلام افتتحه للصلح بين قومٍ من العرب:

«يا هذا؛ أتيت مرعًى غَيْرَ مَرْعَاك، أفلا أدلُّك عليه؟ قال: نعم. قال: «أما بعد، فإنّ في الصلح بقاءَ الآجال، وحفظ الأموال، والسلام»، فلما سمع القوم هذا الكلام تعانَقُوا وتواهبوا التّرات[٢].

[أبو مسلم]

قال عبد اللّه بن مسعود: لما أُمِرَ أبو مسلم بمحاربة عبد اللّه بن علي[٣] دَخَلْتُ عليه فقلت: «أيها الأمير، تريد عظيماً من الأمر»؟ قال: وما هو؟ قلت: عم أمير المؤمنين وهو شيخُ قومه، مع نَجْدَةٍ، وبأس، وحَزْم، وحسن سياسة. فقال لي: يا بن شبرمة، أنت بحديثٍ تعلم معانيه، وشِعْرٍ توضح قوافيه، أعلَم منك بالحرب؛ إن هذه دولة قد اطردَتْ أعلامها، وامتدت أيامها، فليس لمناوئها والطامع فيها يدٌ تنيله شيئاً من الوثوب عليها، فإذا ولّت أيامها فدع الوزَع بِذَنْبِهِ فيها.

قال بعض حكماء خراسان: لما بلغني خروج أبي مسلم أتيتُ عَسْكَره لأنظر إلى تدبيره وهيبته، فأقمت فيه أياماً، فبلغني عنه شدة عُجْب، وكِبْرٌ ظاهر، فظننت أنه تحلّى بذلك لِعيّ فيه أراد أن يَسْتُرَه بالصَّمْتِ، فتوصَّلْتُ إليه بحيث أَسمع كلامه، وأغيب عن بصره، فسلمت فردَّ رداً جميلاً، وأمر بإدخال قوم يريد تنفيذَهم في وجه من الوجوه، وقد

---

(١) الغابرون: الماضون.

(٢) الترات: جمع تِرَة، وهي الثأر.

(٣) خرج عبد اللّه بن علي على الخلافة حين مات السفاح، وَوُلِّي الخلافة أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧هـ.

عقدوا لرجل منهم لواءً، فنظر إليهم ساعة متأمِّلاً لهم، وقال: افهموا عني وصيَّتي إياكم؛ فإنها أجْدَى عليكم من أكثر تدبيركم، وبالله توفيقكم. قالوا: نعم أيها السالار، ومعناه السيد بالفارسية، فسمعتُه يقول، ومترجم يحكي كلامه بالفارسية لمن عبَّر له منهم بالعربية: «أشعروا قلوبكم الجرأة فإنها سببُ الظَّفَر، وأكثروا ذِكْرَ الضغائن فإنها تبعث على الإقدام، والزموا الطاعة فإنها حِصْنُ المحارب، وعليكم بعصبيَّةِ الأشراف، وَدَعُوا عصبية الدناءة؛ فإن الأشراف تظهر بأفعالها، والدناءة بأقْوَالها».

من أوصاف أبي مسلم

وذكر إدريس بن معقل أبا مسلم فقال: بمثل أبي يُدْرَك ثار، ويُنفى عار، ويُؤكد عَهْد، ويُبرم عقد، ويسهّل وَعْر، ويُخَاض غَمْرْ، وُيقلع ناب، ويُفتح باب.

[حساب]

وقال رجلٌ لأبي جعفر المنصور: أيْنَ ما تُحُدِّثَ به في أيام بني أمية؟ إنَّ الخلافة إذا لم تقابل بإنصاف المظلومين، ولم تعامل بالعدل في الرعية، وقسمة الفيء بالسويَّة، صار عاقبةُ أمرها بَواراً[١]، وحاقَ بِوُلاَتها سوءُ العذاب.

قال: فتنفس ثم قال: قد كان ما تقولُ، ولكنا يا أخي استعجَلْنا الفانية على الباقية، وكأن قد انقضَتْ هذه الدار. فقال له الرجل: فانظر على أي حالة تنقضي.

وقال أبو الدوانيق وكان فصيحاً بليغاً: «عجباً لمن أصار عِلْمَه غَرَضاً لِسهَامِ الخطايا، وهو عارفٌ بِسُرْعَةِ المنايا، اللهم إنْ تقض للمسيئين صَفْحاً فاجعلني منهم، وإن تَهَبْ للظالمين فسحاً فلا تَحْرِمني ما يتَطَوَّلُ به المولى على أخَسّ عبيده».

[من كلام الأحنف بن قيس]

الأحنف بن قيس يصف العقل

سُئِل الأحنف بن قيس عن العقل؟ فقال: رأس الأشياء؛ فيه قوامُها، وبه تمامُها؛ لأنه سراجُ ما بَطَن، وملاك ما عَلَن، وسائس الجَسَد[٢]، وزينة كل أحَد، لا تستقيم الحياة إلا به، ولا تدور الأمور إلا عليه.

---

(١) بَوَرَ الشيء بَوْراً وَبَواراً: هلك، أو كَسَلَ وتَعطَّل، ويقال: بارت الأرض: لم تُعمَّر.
(٢) سائس الجسد: قائده.

ولما خطب زيادة خطبته المشهورة قام الأحنف بن قيس، فقال: الفرس بِشَدِّه، والسيف بِحدِّه، والمرء بجدِّه، وقد بلغ بك جدك ما أرى، وإنما الثناءُ بعد البلاء، فإنا لا نُثْني حتى نَبْلُو[١].

[مما كتبه ابن الزيات]

وكتب ابنُ الزيات عَهْدَ الواثق على مكة بحضرة المعتصم: أما بعد، فإن أمير المؤمنين قد قلَّدك مكة وزمزم، تُرَاثَ أبيك الأقْدم، وجدِّك الأكرم، وَرَكْضَة جبريل[٢]، وسُقْيَا إسماعيل، وحَفْرَ عبد المطلب، وسِقَايَةَ العباس؛ فعليك بتقوى الله تعالى، والتوسعة على أهل بيته.

وكتب: لو لم يَكُنْ من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليه، وزيادة منتظرة له، ثم قال لمحمد بن رَباح: كيف ترى؟ قال: كأنهما قرطان بينهما وَجْهٌ حسن، ومع ذلك ذكر ابن الزيات أمْرَ الحرَم بتعظيمِ وتفخيم.

ألفاظ لأهل العصر في التهنئة بالحج، وتفخيم [أمر] الحرم و[تعظيم] أمر المناسك والمشاعر، وما يتصل بها من الأدعية

قصدَ البيتَ العتيق، والمَطَاف الكريم، والملتَزم النبيه، والمستلم النزيه. [وقف بالمُعَرَّفِ العظيم، ووردَ زمزم والحَطِيم]. حَرَمُ الله الذي أوسعه للناس كرامة، وجعله لهم مَثابة[٣]، وللخليل خُطّة، وللذبيح خُلّة، ولمحمد ﷺ قِبْلَة، ولأُمّته كَعْبَة، ودعا إليه حتى لبّى من كل مكان سحيق، وأسرع نحوه من كل فجّ عميق، يعودُ عنه مَنْ وُفّق وقد قُبلت توبتُه، وغُفِرت حُوْبَته[٤]، وسَعِدت سفرته، وأنجحت أوْبَتُه، وحُمِد سَعْيه، وزكا حجُّه، وتقبل عَجّه وثَجّه[٥]. انصرف مولاي عن الحجّ الذي انتضى له عَزَائمه، وأنضى فيه[٦]

---

(١) البلاء: الاختبار.
(٢) يروى أن جبريل عليه السلام ضرب بقدمه موضع زمزم فأخرج الماء.
(٣) مثابة: مكان يعود إليه من خرج منه.
(٤) الحوبة: الذنب.
(٥) العَجُّ: رفع الصوت بالتلبية. والثَّجُّ: إراقة دم الهدي.
(٦) أنضى الراحلة: أتعبها وأهزلها.

رَوَاحله، وأتعب نفسه بطلب راحتها، وأنفق ذخائره بشراء سَعَة الجنة وساحتها؛ فقد زَكَتْ إن شاء الله تعالى أفعاله وتُقبّلت أعماله، وشكر سعيه، وبلغ هديه.

قد أَسْقَطْتَ عن ظَهْرِك الثقلَ العظيمَ، وشهدت المَوْقِف الكريم، ومحصت[١] عن نفسك بالسّعْي من الفجّ العميق، إلى البيت العتيق. حمداً لمن سهل عليك قضاء فريضة الحج، ورُؤْيَة المَشْعَر والمَقَام، وبركةَ الأدعية والموسم، وسعادةَ أفنية الحطيم وزمزم. قصد أكْرَمَ المقاصد، وشَهِدَ أشرفَ المشاهد؛ فورد مَشَارِعَ الجنة وخيَّم بمنازل الرحمة. وقد جُمعت مواهب الله لديك، فالحجّ أديت فرضه ـ وحَرَم الله وَطِئْت أرضه، والمقام الكريم قُمْتَه، والحجر الأسود استَلَمْتَه، وزُرْتَ قبر النبي ﷺ مشافهاً لمشهده، ومشاهداً لمسجده. ومباشراً باديه ومَحْضره، وماشياً بين قبره ومنبره، ومصلياً عليه حيث صلّى، ومتقرباً إليه بالقرابة العظمى، وعدت وسَعْيُك مشكور، وذَنْبُك مغفور، وتجارتك رابحة، والبركات عليك غَادية ورائحة. تَلَقّى الله دعاءك بالإجابة، واستغفارك بالرضا، وأملك بالنُّجح، وجعل سَعْيَك مكشوراً وحجّك مبروراً. عَرَّفَ الله تعالى مولاي مناهجَ ما نواه، وقَصَده وتوخّاه، ما يسعده في دنياه، ويحمد عُقْبَاه.

[من شعر قَطَري بن الفُجَاءة]

قال أبو حاتم: أتيت أبا عبيدة ومعي شعر عُرْوة بن الورد، فقال لي: ما معك؟ قلت: شعر عروة، قال: شعر فقير، يحمله فقير، ليقرأه على فقير! قلت: ما معي [شعرُ] غيره؛ فأنشدني أنت ما شئت، فأنشدني:

يــا رُب ظِــلِّ عُقــابٍ قَــدْ وَقَيْــتُ بِــهِ ... مُهْرِي مِنَ الشمـسِ والأبطالُ تَجْتَلِدُ[٢]

وَرُبَّ يــومِ حِمًــى أرْعَيْــتُ عَقْــوَتَــهُ ... خَيْلـي اقتــارا وأطـرافُ القَنـا قِصَـدُ[٣]

وَيــوم لَهْــوٍ لأهــلِ الخَفْــضِ ظَــلَّ بِــهِ ... لَهْـوي اصْطِـلاءُ الـوَغَـى وَنَـارُه تَقِـدُ[٤]

(١) مَحَصَ الشيء: خَلَّصهُ من عيوبه. ومحص الله ما به: أذهبه عنه.
(٢) العقاب هنا: الراية. وتجتلد: يجالد بعضها بعضاً.
(٣) العقوة: الساحة والمحلة. والقصد: جمع قِصدة (بالكسر) وهي القطعة مما يُكْسَر.
(٤) الخَفْضُ: الدّعة وسعة العيش. الوغى: الحرب.

مُشْهِراً مَوْقِفِي والحربُ كاشِفَةٌ عنها القِناعَ وَبَحْرُ الموتِ يَطَّرِدُ(١)
وَرُبَّ هاجِرةٍ تَغْلي مَراجِلُها مَخرْتُها بِمَطايا غارَةٍ تَخِدُ(٢)
تَجْتابُ أوديةَ الأفزاع آمِنةً كأنها أُسُدٌ يَصْطادُها أسَدُ
فإن أمُتْ حَتْفَ أنفي لا أمُتْ كَمَداً على الطعانِ وَقَصْرُ العاجزِ الكَمَدُ(٣)
وَلم أقُلْ لم أساقِ الموتَ شارِبَهُ في كأسِهِ وَالمنايا شُرَّعٌ وُرُدُ

ثم قال: هذا والله هو الشعر، لا ما يتعلّلون به من أشعار المخانيث.

والشعْرُ لِقَطَري بن الفجاءة المازني، وكان يُكْنَى في السلم أبا محمد، وفي الحرب أبا نَعَامةٍ، وكان أطولَ الخوارج أياماً، وأحدّهم شوكة، وكان شاعراً جواداً، وهو القائل أيضاً:

لا يَركَنَنْ أحدٌ إلا لإحْجَامِ يَوْمَ الوَغَى مُتَهيِّباً لِحمامِ(٤)
فَلَقدْ أراني لِلرماحِ دَريئةً مِنْ عَنْ يميني تارةً وأمامي(٥)
حَتى خَضَبْتُ بما تَحدَّر من دمي أكنافَ سَرْجِي أو عِنَان لِجامي(٦)
ثم انْصَرفْتُ وقد أصَبْتُ ولم أُصَبْ جَذَعَ البصيرةِ قَارِحَ االإقدامِ(٧)

[من جيّد المديح]

للمسيب بن علس

وقال المسيب بن علس(٨):

---

(١) أطَّرَدَ: تتابع، ومنه: أطَّرد الحديث: جرى مجرًى واحداً مُتَّسقاً،، واطَّردَ النهر: تتابع جريان مائه.
(٢) الهاجرة: الوقت نصف النهار. مخرتها: قطعتها. تَخِدُ: تسرع في سيرها.
(٣) قصره كذا وقصاراه: أي غاية ما يطلب. والكمد: الحزن الذي لا يُستطاع إمضاؤه.
(٤) الإحجام: الكفُّ والنكوصُ.
(٥) الدريئة في الأصل: ما يستتر به الصائد لِيَخْتِلَ الصَّيْدَ.
(٦) الأكناف: النواحي.
(٧) جذع البصيرة: يقال: جذعه جَذْعاً: دلكه، والجذع من الرجال: الشاب الحَدَث، ويقال: فلان في هذا الأمر جذع، إذا أخذ فيه حديثاً، والقارح في الأصل: ما استتم (من ذي الحافر) الخامسة، وسقطت سنّه التي تلي الرباعية، ونبت مكانها نابه.
(٨) هو زهير بن علس بن مالك بن ضبيعة البكري، الشهير بالمسيب. شاعر جاهلي من أهل العراق، وأحد فحول بكر المعدودين، وخال الأعشى ميمون بن قيس. عاصر الملك عمراً بن هند =

تَبيتُ الملوكُ على عَتْبِها ... وشَيبانُ إن غَضِبَتْ تُعْتِبُ
وَكالشهدِ بالراحِ ألفاظُهمْ ... وَأخلاقُهم منْهُما أعذبُ
وَكالمِسْكِ تُرْبُ مُقاماتِهِمْ ... وَتُربُ أصولِهِمُ أطيبُ

وقاال آخر:

اذكر مَجَالِسَ مَنْ بني أسدٍ ... بَعُدُوا فَحنَّ إليهمُ القَلْبُ
الشَّرْقُ مَنْزِلُهمْ، وَمَنْزِلُنا ... غَرْبٌ، وأينَ الشرقُ والغربُ؟
مِنْ كُلِّ أبيضَ جُلُّ زينَتِهِ ... مِنْكٌ أحمُّ وَصارِمٌ عَضْبُ[1]
وَمُدجَّجٍ يَسْعَى لِغَارتِهِ ... وَعقيرةٍ بِفَنَائِهِ تَحْبُو[2]

آخر:

رَأَيْتُكُم بَقيَّة آل حَرْبِ ... وَهَضْبَتَها التي فَوْقَ الهِضَابِ
تُبَارون الرياحَ نَدًى وَجُوداً ... وَتَمْتَثِلُونَ أفعالَ السحابِ
يُذَكِّرني مُقامي اليومَ فِيكُمْ ... مُقامي أمْسِ في ظِلِّ الشبابِ

[بين سعيد بن عبد اللّه وسعيد بن حميد]

كتب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد:

أكره ـ أطال الله بقاءك ـ أن أضعَك ونفسي موضع العُذْر والقبول، فيكون أحدُنا معتذِراً مقّصراً والآخر قابِلاً متفضِّلاً، ولكن أذكر ما في التلاقي من تَجديد البرّ، وفي التخلُّف من قلة الصَّبْر، وأسألُ الله تعالى أن يوفِّقك وإيانا لما يكونُ منه عقبى الشكر.

فأجابه: وصل كتابُكَ ـ أكرمك الله تعالى! ـ الحاضرُ سرورُه، اللطيف موقِعُه، الجميل صدوره ومَوْرِدُه، الشاهدُ ظاهره على صِدْقِ باطنه، ونحن ـ أعزَّكَ الله ـ نجعل جزاءك حسن

= ومدحه، والتقى بطرفة والمتلمس عنده. توفي نحو ٥٨٠ م. (ابن سلام، طبقات الشعراء: ١٥٦، ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/١٠٧).

(١) الصارم: السيف. والعضب: القاطع.

(٢) العقيرة: ما عُقِرَ من صيد أو غيره، وقد عقر البعير: قطع إحدى قوائمه ليسقط ويتمكن من ذبحه. والفناء: الساحة في الدار أو بجانبها.

الاعتراف بفضلك، ومجاراتك التقصير دونك؛ ونرى أن لا عُذْرَ في التخلف عنك، وإنْ حالت الأشغال بيننا وبينك. وإن كنتَ سامحت في العذر قبل الاعتذار، وسبقْتَ إلى فضيلة الاغتفار، فلا زلت على كلّ خير دليلاً، وإليه داعياً، وبه آمراً؛ ولقد التقينا قبل وصولِ كتابك لقاءً أحدث وطراً، وهاج شَوْقاً، وأرجو أن تتّسع لنا الجمعة بما ضاقت به الأيام؛ فننال حَظّاً من محادثتك والأنس بك.

[منزلة سعيد بن حميد]

ولسعيد بن حميد حلاوةٌ في منظومه ومنثوره، لكنه قليلُ الاختراع، كثير الإغارة على مَنْ سبقه؛ وكان يقال: لو رجع كلامُ كل أحد إلى صاحبه لبقي سعيد بن حميد ساكتاً.

وفيه يقول أبو علي البصير:

رَأسُ مَنْ يَدّعي البلاغةَ مِنّي وَمِنَ الناس، كُلّهم في حِرامَهْ
وأخونا وَلَسْتُ أكني سَعيدُ بـ ـنُ حميدٍ تُؤَرِّخُ الكُتْبُ بِاسْمِهْ

هذا المعنى ينظرُ إلى قول منصور الفقيه وإن لم يكن منه:

تَضيق به الدنيا فَينهضُ هارباً إذا نَحْنُ قلنا: خَيْرُنا الباذلُ السَّمْحُ[1]
فإنْ قيلَ؛ مَنْ هذا الشّقي؟ أقُلْ لَهُم على شَرْطِ كِتْمانِ الحديثِ: هُوَ الفَتْحُ

وكان سعيدٌ يَهْوَى فضل الشاعرة؛ فعزم مرة على سفر، فقالت له:

كَذَبَتْني الوُدَّ أنْ صافَحْتَ مُرْتَحِلاً كَفَّ الفراقِ بِكفِّ الصَّبْرِ وَالجلَدِ[2]
لا تَذْكُرنَّ الهَوىَ والشَّوْقَ لَوْ فُجِعَتْ بالشوقِ نَفْسُكَ لم تَصْبِرْ على البُعُدِ

وكان سعيد عند بعض إخوانه، فنهض منصرفاً وأخذ بِعُضَادَتَي الباب، وأنشأ يقول:

سَلامٌ عَليكُمَ، حَالتِ الكَأْسُ بَيننا وَولّتْ بِنا عَنْ كُلّ مَرأى وَمَسْمَعِ
فلم يَبْقَ إلا أنْ يُصافِحَني الكَرَى فَيَجْمَعُ سُكْراً بَيْنَ جِسْمِي وَمَضْجَعي

---

(١) بَذَلَ الشيءَ بَذْلاً: جاء به عن طيب نفس، فهو باذلٌ، وبَذّالٌ، وَبذُولٌ، وَمِبْذَالٌ. والسَّمْحُ: الجواد السَّخِيُّ.
(٢) الجَلَدُ: الصبر على المكروه.

وقال [سعيد]:

أَرَى أَلْسُنَ الشَّكْوى إليكَ كَليلةً وَفيهنَّ عَنْ غَيْرِ الثناءِ فُتُورُ[١]
تُقيمُ على العَتْبِ الذي لَيْسَ نافعاً وَلَيْسَ لها إلا إليكَ مَصِيرُ
وَما أنتَ إلا كالزمانِ تَلوَّنَتْ نَوائبُ مِنْ أحداثه وَأُمورُ
فإنْ قَلَّ إنْصَافُ الزمانِ وَجُودُهُ فَمَنْ ذا على جَوْرِ الزمانِ يُجيرُ[٢]

[من السرقات الشعرية]

أما قوله:

تقيمُ على العَتْبِ الذي ليس نافعاً

فمن قول المؤمّل[٣]:

لا تَغْضَبَنَّ على قَوْمٍ تُحبّهمُ فَلَيْسَ مِنْكَ عَلَيْهِمْ يَنْفَعُ الغَضَبُ
يا جائرينَ علينا في حُكُومَتِهِمْ وَالجَوْرُ أقبحُ ما يُؤْتَى وَيُرْتَكَبُ
لَسْنَا إلى غَيْرِكُمْ مِنْكُمْ نَفِرّ إذا جُرْتُمْ، وَلَكِنْ إليكُمْ مِنْكُم الهَرَبُ

وأول من نبّه على هذا المعنى النابغةُ الذبيانيُّ في قوله للنعمان بن المنذر[٤]:

فَإنّكَ كالليلِ الذي هُوَ مُدْرِكي وَإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأى عَنْكَ واسِعُ
خَطَاطِيفُ حُجْنٌ في حِبالٍ مَتينةٍ تَمُدُّ بها أيدٍ إليكَ نَوازِعُ[٥]

(١) كليلة: ضعيفة، متعبة.

(٢) جَوْرُ الزمان: ظلمه. ويجيره: يحميه وينقذه.

(٣) هو أبو أميل، المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي: شاعر كوفي، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، قدم بغداد، ومدح المهدي العباسي وهو أمير على الريّ، ثم انقطع إليه بعد توليه الخلافة. أشهر شعره في المدح والنسيب. توفي نحو ١٩٠ هـ/ ٨٠٥ م. (الأصفهاني، الأغاني: ٢٢/ ٢٥٥؛ المرزباني، معجم الشعراء: ٢٩٨).

(٤) النابغة الذبياني، الديوان: ص ٨١.

(٥) خطاطيف: الواحد خطاف: حديدة حجناء في جانبي البكرة فيها المحور. حُجْن: معوجة. نوازع: جواذب. يقول: ضاقت بي الدنيا فكأني من ضيقها في بئر، فإذا أردتني فأنا أمدّ إليك بالخطاطيف لا أجد غيرك.

سرقَه أشجع السُّلمي فقال لإدريس بن عبد اللَّه بن الحسين بن علي، وقد بعث إليه الرشيد مَن إغْتَاله في المغرب:

أتظنُّ يا إدريسُ أنكَ مُفْلِتٌ كَيْدَ الخلافة أو يَقيكَ حِذَارُ
إنَّ السيوفَ إذا انْتَضَاها عَزْمُه طَالَتْ، وَتَقْصُرُ دُونَها الأعمارُ[1]
هَيْهاتَ إلاّ أن تَحُلَّ بِبَلْدةٍ لا يَهْتَدي فيها إليكَ نَهَارُ

وقال سَلْم الخاسر يعتذر إلى المهدي[2]:

إنـي أعـزّ بِخَيْرِ النّاسِ كُلِّهمُ وَأَنْتَ ذاكَ لما يأتـي وَيجتنبُ
وَأنتَ كالدهرِ مَبْثُوثاً حَبَائِلُهُ وَالدَّهْرُ لا مَلْجَأٌ مِنْهُ ولا هَرَبُ
وَلَوْ مَلَكْتُ عِنانَ الريحِ أصْرِفُه في كلِّ ناحيةٍ ما فاتكَ الطَّلَبُ[3]
فَلَيْسَ إلا انتظاري مِنْكَ عَارِفَةً فيها مِنَ الخوفِ مَنْجَاةٌ وَمُنْقَلَبُ[4]

وقول سلم:

ولو ملكت عِنَان الريح أصرفه

كأنه من قول الفرزدق للحجاج[5]:

وَلَوْ حَملَتْنِي الريحُ ثم طَلَبْتَنِي لَكُنْتُ كَمُودٍ أَدْرَكَتْهُ مَقَادِرُهْ[6]

وقول علي بن جبلة لِحُميد الطوسي:

وَما لِامْرِىءٍ حَاوَلْتَهُ مِنْكَ مَهْرَبٌ وَلَوْ رَفعَتْهُ في السماءِ المَطَالِعُ

أخذه البحتري فقال[7]:

---

(١) انتضى السيف: أخرجه من غمده، سَلَّهُ.
(٢) يقال: إن سلم الخاسر كان قد مدح بعض العلويين، فبلغ ذلك المهدي، فتوعده وهمَّ به، فقال سلم هذه الأبيات يعتذر بها إليه، فعفا المهدي عنه. (الأصفهاني، الأغاني: ١٩/ ٢٢٩).
(٣) في الأغاني: «عنان الريح أصرفها».
(٤) العارفة: الإحسان، الجمع عوارف.
(٥) الفرزدق، الديوان: ١/ ٢٥١. والبيت من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك.
(٦) المُودي: الهالك. وفي الديوان: «وَأنْ لو رَكِبْتُ الريح» و«لكنت كَشَيْءٍ».
(٧) البحتري: الديوان: ٢/ ٣١٩. والبيتان من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم.

سُلِبُوا وَأَشْرقَتِ الدماءُ عَلَيْهِمُ مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لم يُسْلَبُوا
فَلَوَانّهم رَكِبُوا الكَواكِبَ لم يَكُنْ لِيُجِيرَهُمْ مِنْ حَدِّ بَأْسِكَ مَهْرَبُ[١]

وقال عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر في نحو قول النابغة:

وَإني وَإنْ حَدّثْتُ نَفْسي بِأنّني أفُوتُكَ إنّ الرأْيَ منّي لَعازِبُ[٢]
لِأَنَّكَ لي مِثْلُ المكانِ المحيطِ بي مِنَ الأرضِ لَوْلاَ اسْتَنْهَضَتْنِي المذاهِبُ

وأما قول سعيد: وما أنت إلا كالزمان والبيت الذي يليه، فكأنه ألمّ فيه بقول شَمعَل الثعلبي وإن لم يكن المعنى بنفسه:

أمِنْ جَذْبَةٍ بالرجلِ مِنّي تَباشَرتْ عُدَاتي، وَلا عَتْبٌ عليَّ ولا هَجْرُ
فإنَّ أميرَ المؤمنينَ وَفِعْلَهُ لَكَا لدَّهْرِ، لا عَارٌ بما صَنَعَ الدَّهْرُ

وقال رجل من طيىء وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلاً اسمه زيد فأقاد منه السلطان، فقال الطائي يفتخر على الأسديين:

عَلا زَيْدُنا يَوْمَ الحِمَى رَأْسَ زَيْدِكُم بأبْيَضَ مَشْحُوذِ الغِرَار يَمَاني[٣]
فإنْ تَقْتُلُوا زَيْداً بِزَيْدٍ فإنما أقادكُمُ السُّلطانُ بَعْدَ زَمَانِ[٤]

وقول الثعلبي مأخوذ من قول النابغة، وهو أوّل من ابتكره[٥]:

وَعيَّرتْني بنو ذبيانَ خَشْيَتَهُ وَما عليَّ بأنْ أخْشَاكَ مِنْ عَارِ

ومن جيد شعر سعيد بن حميد:

أهابُ وَأَسْتَحْيي وَأرقُب وَعْدَهُ فَلا هُو يَبْدَاني وَلا أَنا أَسْأَلُ

---

(١) في الديوان: «لِمُجدِّهِمْ من أخْذِ بَأْسِكَ مَهْرَبُ».
(٢) العازب: الغائب.
(٣) الغِرَارُ: حَدُّ السيف.
(٤) أقادكم السلطان: اقتصَّ منكم، من القود: القصاص، وقد أقاد القاتل بالقتيل: قتله به قَوَداً.
(٥) النابغة الذبياني، الديوان: ص ٥٧. والبيت من قصيدة قالها النابغة في بني ذبيان وقد نهاهم عن تربع وادي أقر الذي حماه النعمان بن المنذر، فأبوا ذلك وتربعوه، وعيروا النابغة خوفه النعمان. ثم مات النعمان فوجه إليهم أخوه عمرو جيشاً فأصابهم وشتت شملهم.

هُوَ الشَّمْسُ مَجْرَاها بَعِيدٌ وَضَوْءُها قَرِيبٌ، وَقلبي بالبعيدِ مُوكَّلُ

وهذا المعنى وإن كان كثيراً مشهوراً فما يُكَادُ يُدانَى في الإحسان فيه.

وقد قال أبو عيينة:

غَزَتْني جُيوشُ الحبِّ مِنْ كُلِّ جانبٍ إذا حانَ مِنْ جُنْدٍ قُفولٌ غزَا جُنْدُ[1]
أقولُ لأصحابي: هِيَ الشمسُ، ضَوْءُها قَرِيبٌ، وَلكِنْ في تَناوُلِها بُعْدُ

وقال العباس بن الأحنف:

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُها في السماءِ فَعَزِّ الفُؤادَ عَزَاءً جَمِيلا
فلَنْ تَسْتَطِيعَ إليها الصُّعودَ وَلنْ تَستطيعَ إليكَ النُّزُولا

وقال البحتري[2]:

دَنَوْتَ تَواضُعاً وَعَلَوْتَ قَدْراً فَشَأْناكَ انْحِدارٌ وارْتِفاعُ
كذاكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أنْ تُدَانى وَيَدْنُو الضوءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ[3]

وقال ابن الرومي[4]:

وَذَخَرْتُه لِلدَّهْرِ أعْلَمُ أنَّهُ كَالدَّهْرِ فيهِ لِمَنْ يَؤولُ مَآلُ[5]
وَرأيتُه كالشمسِ إن هِيَ لم تُنَلْ فَالنُّور مِنها وَالضِّياءُ يُنالُ[6]

وقال المتنبي[7]:

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فيما تَحْتَ حُلَّتِها وَعَزَّ ذلك مَطْلُوباً لِمَنْ طَلبا[8]

---

(١) القُفُولُ: الرجوع، يقال: أقفل الجيش: رجع.
(٢) البحتري: الديوان: ١/ ٢٥٩. والبيتان من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر.
(٣) في الديوان: «كذاك الشمس تبعد إنْ تَسَامى».
(٤) ابن الرومي، الديوان: ٥/ ١٤٧. والبيتان من قصيدة يرثي بها محمد بن نصر بن منصور بن بسّام.
(٥) في الديوان: «كالحصن فيه لمن يؤول مآلُ».
(٦) في الديوان: «فضياؤها والرفق فيه يُنَالُ».
(٧) المتنبي، الديوان: ١/ ٢٢٣. والبيتان من قصيدة يمدح بها المغيث بن علي بن بشر العجلي.
(٨) الحُلَّةُ: الثوب. يقول: هي لأُنْسِها وعذوبة منطقها تطمع العاشق في نفسها، فإذا حاول ذلك عزَّ عليه مطلبه لتعففها وصيانتها.

كـأنَّهـا الشمـسُ يُعْيـي كَـفَّ قـابِضِهـا ... شُعـاعُهـا وتَـرَاهُ العَيْـنُ مُقْتَـرِبَـا[١]

وقال سعيد بن حميد، ويروى لِفَضْل الشاعرة:

مـا كُنْـتُ أيـام كُنْـتِ رَاضيـةً ... عَنّـي بـذاكَ الـرِّضَـا بِمُغْتَبِـطِ

عِلمـاً بـأنَّ الـرضـا سَيَتْبَعُـهُ ... مِنْـكِ التَّجنّـي وَكَثْـرَةُ السَّخَـطِ[٢]

فَكُـلُّ مـا سَـاءنـي فَعَـنْ خُلُـقٍ ... مِنْـكِ وَمـا سَـرَّنـي فَعَـنْ غَلَـطِ

وفي هذا المعنى يقول أبو العباس الهاشمي من ولد عبد الصمد بن علي، ويُعْرَف بأبي الْعِبَرِ:

أبْكـي إذا غَضِبَـتْ، حَتَّـى إذا رَضِيَـتْ ... بَكَيْتُ عِنْدَ الرضا خَوْفاً مِنَ الغَضَبِ

فَالمَوْتُ إن غَضِبَتْ، وَالمَوْتُ إن رَضِيتْ ... إن لَـمْ يُـرِحْنِي سُلُوٌّ عِشْتُ في تَعَـبِ[٣]

وقال العباس بن الأحنف:

إذا رَضِيَـتْ لـم يَهْنَنِـي ذلِـكَ الـرّضـا ... لِصحَّـةِ عِلْمـي أنْ سَيَتْبَعُـهُ عَتْـبُ

وَأبكـي إذا مـا أذْنَبَـتْ خَـوْفَ عَتْبِهـا ... فَـأسـألهـا مَـرْضَـاتَهَـا وَلهـا الـذَّنْـبُ

وِصَـالكُـم هَجْـرٌ، وَقُـربكُـم قِلًـى ... وَعَطْفكُـمْ صَـدٌّ وَسَلْمُكُـمْ حَـرْبُ[٤]

وَأنْتُـمْ بِحَمْـدِ الله فِيكُـمْ فَظـاظـةٌ ... وَكُـلّ ذَلُـولٍ مِـنْ أمـورِكُـمْ صَعْـبُ[٥]

وقال:

قَـدْ كُنْـتُ أبكـي وَأَنْـتِ رَاضيـةٌ ... حِـذَارَ هـذا الصُّـدودِ والغَضَـبِ

إن تَـمَّ ذا الهجـرُ يـا ظَلُـومُ ولا ... تَـمَّ فمـالـي فـي العيـشِ مِـنْ أرَبِ[٦]

---

(١) في الديوان:

كـأنَّهـا الشمـس يُعيـي كَـفَّ قـابضِـهِ ... شُعَـاعُهـا ويَـراهُ الطَّـرْفُ مُقْتَـرِبـا

أعياه: أعجزه: والطرف: النظر.

(٢) تَجنّي عليه: أدّعى عليه جنايةً لم يفعلها.

(٣) السُّلُوُّ: النسيان مع طيب نفس بعد الفراق.

(٤) القِلى: البُغْضُ.

(٥) الفظاظة: القسوة والإساءة. الذلول: السهل الانقياد. والصعب: الذي يعسر قياده، وأصله في الخيل والإبل.

(٦) الأرب: المقصد، الحاجة.

وما أحسن قول القائل:

وَمـا فـي الأرضِ أشْقَـى مِـنْ مُحبٍّ ... وَإنْ وَجَـدَ الهَـوى حُلْـوَ المَـذاقِ
تَـراهُ بـاكيـاً فـي كُـلِّ حيـنٍ ... مَخـافـةَ فُـرْقَـةٍ أو لاشْتيـاقِ
فَيبكـي إنْ نَـأَوْا حَـذَراً عَلَيْهِـمْ ... وَيَبْكَـي أن دَنَـوْا خَـوْفَ الفِـرَاقِ
وَتَسْخَـنُ عَيْنُـهُ عِنْـدَ التَّنـائـي ... وَتَسْخَـنُ عَيْنُـهُ عِنْـدَ التَّـلاقِ

[الاقتباس من القرآن الكريم]

وقال سعيد بن حميد إذا نَزَعْتُ في كتاب بآية من كتاب الله تعالى أَنَرْتُ إظلامه، وزَيَّنْتُ أحكامه، وأعذبتُ كلامَه.

أمثال للعرب والعجم والعامة وما يماثلها من كتاب الله تعالى

[مما هو أجل منها وأعلى] أخرجها أبو منصور عبد الملك الثعالبي.

قال عليّ رضي الله تعالى عنه: «القَتْلُ أنْفَى لِلقَتْلِ»، وفي القرآن: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[1].

والعربُ تقول لمن يعيّر غيره بما هو فيه: «عَيّر بُجَيْرٌ بُجَرَه ونَسِي بُجَيْرٌ خَبَره»[2]، وفي القرآن: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾[3].

وفي معاودة العقوبة عند معاوَدَة الذنب: «إنْ عَادت العَقْرَبُ عُدْنا لها» وفي القرآن: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾[4]. ﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾[5].

وفي ذَوْق الجاني وبالَ أمره: «يَدَاك أَوْكتَا، وَفُوكَ نَفخ»[6]. وفي القرآن: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة، آية (١٧٩).
(٢) هذا مثل يضرب لمن يُعيّر غيره بالذي هو فيه.
(٣) سورة يس، آية (٧٨).
(٤) سورة الإسراء، آية (٨).
(٥) سورة الأنفال، آية (١٩).
(٦) الميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ٤١٤. وأصله أن رجلاً كان في جزيرة من جزائر البحر، فأراد أن يعبر على زقٍّ نفخ فيه فلم يُحسن إحكامه، حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح فغرق، فلما غشيه الموت استغاث برجل، فقال له: «يداك أوكتا وفوك نفخ».
(٧) سورة الحجّ، آية (١٠).

وفي قُرْب الغد من اليوم قول الشاعر[١]: «وإن غداً لِنَاظِرِه قَرِيب»، وفي القرآن: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[٢].

وفي ظهور الأمر: «قد وضح الأمر لذي عَيْنَين»، وفي القرآن: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾[٣].

وفي الإساءة إلى من لا يقبل الإحسان: «أعطِ أخاك تمرة، فإن أبَى فَجَمْرَة»[٤].

وفي القرآن: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[٥].

وفي فَوْت الأمر: «سَبَقَ السَّيْفُ العَذَل»[٦]، وفي القرآن العظيم: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[٧].

وفي الوصول إلى المراد بِبَذْلِ الرغائب: «من ينكح الحسناء يُعْطِ مَهْرَها»[٨] وفي القرآن: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٩].

وفي منع الرجل مُرَاده[١٠]:

وَقَدْ حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزَوَانِ

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال: ١/ ٧٠. وهو من قول قراد بن أجدع:
فَإنْ يكُ صَدْرُ هذا اليوم وَلَّى ... فإنَّ غداً لِناظِرِه قَرِيبُ
(٢) سورة هود، آية (٨١).
(٣) سورة يوسف، آية (٥١).
(٤) الميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ٢٢. وفيه أنه يُضرب للذي يختار الهوان على الكرامة.
(٥) سورة الزخرف، آية (٣٦).
(٦) الميداني، مجمع الأمثال: ٣٢٨/١. قاله ضَبَّة بن أدّ حين لامه الناس على قتله قاتل ابنه في الحرم.
(٧) سورة يوسف، آية (٤١).
(٨) الميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ٣٠، ويضرب في المصانعة بالمال.
(٩) سورة آل عمران، آية (٩٢).
(١٠) الميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ٩٦. وهو عجز بيت من كلام صخر بن عمرو أخي الخنساء، من أبيات قالها في امرأته وقد مَرِضَ مُدَّة طويلة، فَملَّت عيادته، والبيت بتمامه:
أَهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو اسْتَطِيعُهُ ... وَقَدْ حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزَوانِ

وفي القرآن: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[١].

وفي تَلافِي الإساءة: «عاد غيث على ما أفسد»[٢]، وفي القرآن: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا﴾[٣].

وفي الاختصاص: «كل مقام بمقال»[٤]، وفي القرآن: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾[٥].

العجم: «من احترق كُدَسُهُ تمنى إحراق أكداس الناس»[٦]، وفي القرآن: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾[٧].

العامة: «مَنْ حفر لأخيه بئراً وَقَعَ فيها»، وفي القرآن: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[٨].

ومن الشعر:

كُلُّ امرىءٍ يُشْبِهُهُ فِعْلُهُ ... ما يَفْعَلُ المرءُ فَهْوَ أهْلُهُ

وفي القرآن: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[٩].

العامة: «كل البقل ولا تسأل عن المَبْقَلَة».

وفي القرآن: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾[١٠].

---

(١) سورة سبأ، آية (٥٤).

(٢) الميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ١٨. وفيه: يُضرب للرجل فيه فساد، ولكنَّ الصلاح أكثر.

(٣) سورة الأعراف، آية (٩٥).

(٤) الميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ١٩٨. وفيه: «لكل مقام مقال». وفي المعنى أنشد ابن الأعرابي:

تَحنَّن عَلَيَّ هَداكَ المَليكُ ... فإنَّ لِكُلِّ مَقامٍ مَقالاَ

أي: أحسن إليَّ حتى أذكرك في كل مقام يحسن فعلك.

(٥) سورة الأنعام، آية (٦٧).

(٦) الكدس: الكومة من الطعام أو التمر أو الدراهم.

(٧) سورة النساء، آية (٨٩).

(٨) سورة فاطر، آية (٤٣).

(٩) سورة الإسراء، آية (٨٤).

(١٠) سورة المائدة، آية (١٠١).

شعر:

كـم مَـرةً حَفَّـت بـكَ المَكَـارِهْ خَـارَ لـكَ الله وأنْـتَ كـارِهْ[١]

وفي القرآن: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[٢]. العامة: «المأمول خيرٌ من المأكول»، وفي القرآن: ﴿ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[٣]. العامة: «لو كان في اليوم خيرٌ ما سلّم عليّ الصياد»، وفي القرآن: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾[٤]. المتنبي:[٥]

مَصَـائِـبُ قَـوْمٍ عنـدَ قَـوْمٍ فَـوَائِـدُ

وفي القرآن: ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ﴾[٦].

عِنْـدَ الخَنَـازيـرِ تَـنْفُـقُ العُـذْرَة

وفي القرآن: ﴿ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ﴾[٧]. العجم: «لم يرد الله بالنملة صلاحاً إذ أنبت لها جناحاً»، وفي القرآن: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً ﴾[٨]. العامة: الكلب لا يَصِيد كارها، وفي القرآن: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾[٩]. العجم: «كل شاة تُناط برجلها»، وفي القرآن: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[١٠].

---

(١) خار له في الأمر: جعل له فيه الخير، أو أعطاه ما هو خير له.

(٢) سورة النساء، آية (١٩).

(٣) سورة الضحى، آية (٤).

(٤) سورة الأنفال، آية (٢٣).

(٥) هذا عجز بيت للمتنبي، والبيت بتمامه.

بِـذا قَضَـتِ الأيَّـامُ مـا بَيْـنَ أهْلِهـا مَصَـائِـبُ قَـوْمٍ عِنْـدَ قَـوْمٍ فَـوائِـدُ

ديوانه: ٢/ ٨٠.

(٦) سورة آل عمران، آية (١٢٠).

(٧) سورة النور، آية (٢٦).

(٨) سورة الأنعام، آية (٤٤).

(٩) سورة البقرة، آية (٢٥٦).

(١٠) سورة المدثر، آية (٣٨).

جملة من مكاتبات [بعض] أهل العصر

أبو القاسم محمد بن علي الإسكافي عن الأمير نوح بن نصر وعن ابنه عبد الملك لأبي طاهر وشمكير بن زياد يَشْكُرُه على حَمِيد سيرته:

مَنْ حمدناه ـ أعَزَّكَ الله تعالى ـ من أعيان المِلَّة الذين بهم افتِخَارُها، وأعوانِ الدولة الذين بهم استظهارُها، بِخلَّة يتزع فيها من خلال[١] الفَضْل، وخَصْلَة يكمل بها من خصال العَدْل. وإنّك ـ أعزّك الله ـ من نحمده بالارتقاء في دَرَج الفضائل، والاستواء في كلِّ الشواكل؛ فإنه ليس من مَحْمَدة إلا وسهمُك فيها فائز، [ولا من شدة إلا ومَهْلُك[٢] فيها بارز]، وذلك ـ أعزك الله تعالى ـ أمرٌ قد أغنى صِدْقُ خبره عن العِيَان، وكفى بيان أثره تكلّف الامتحان، ولو أعطينا النفوس مُنَاها وسوَّغنَاها هَوَاهَا، لأوردنا عليك في ذرور[٣] كلِّ شارقٍ جديدَ شُكْرٍ، وجدّدنا لك مع اعتراض كل خاطر جميلَ ذِكر، لكنا للعادة في تَرْكِ الهوى، والثقة بأنك مع صالح آدابك تحلّ الأدنى من الإحماد محلّ الأوفى، فيُقضى لك بأنه ـ وإن عظم قدرُه ـ يسير العدد، وعلى ما هو ـ وإن تناهى لَفْظُه ـ باقي الفَخْر مدى الأبد، وكان مما اقتضانا الآن تناولك به أخبارٌ تواترت، وأقوال تظاهرت، بإطباق سكان الْحَضْرة ونيسابور من أهل عملك على شُكْرِ ما يتزيَّد لهم وفيهم من موادّ عدلك، وحسن فَضْلك، حتى لقد ظلّوا ولهم في شكر ذلك محافل تُعْقَد، ومشاهد تُشْهد، يعجب بها السامعُ والرائي، ويقترنُ بها المؤمنُ والداعي؛ فإن هذا ـ أعزَّك الله ـ حال يطيب مَسْمَعه ـ ويلذّ موقعه، حتى لقد ملأ القلوبَ بَهجاً، والصدور ثلجاً، حتى استفزَّها فَرْطُ الارتياح، وصِدْقُ الإنشراح، إلى هذا الكتاب أن أعجلناه، وهذا الشكر أن أجزلناه. بعد ذكرٍ لك اتصل كل الاتصال، وأجمل كل الإجمال، وتضاعف به حظّك من الرأي أضعافاً، وأشرف محلك على كل المحال إشرافاً، ونحن نهنيك ـ أعزك الله ـ على التوفيق الذي قَسمَهُ الله لك، والتيسير الذي وَكلَهُ بك، ونبعثك على استدامتها بصالح النية، وبصادق البغية، لِتدنُوَ من العدل على ما ترعى، وتحسن الهَدْي فيما تتولّى. فرأيك أبقاك الله تعالى في إحلال ذلك محله من استبشار به تستكمله، واستثمار له تعجّله [إن شاء الله تعالى].

---

(١) الخلة: الخصلة، والجمع خِلال.

(٢) المهل: العمل بسكينة، ورفق، أو التؤدة والرفق.

(٣) ذرور: طلوع، وأراد: من كلّ شارق شمس، أي في طلوع كلّ يوم.

وكتب إليه يعزيه: «إن أحقَّ من سلَّم لأمر الله تعالى ورضي بقَدَرِه، حتى يُمَحِّصَ مصطنعاً[١]، ويَخلصَ مُصْطَبِراً، وحتى يكون بحيث أمر الله من الشكر إذا وَهب، والرضا إذا سَلب، أنت أعزك الله تعالى؛ لمحلِّك من الشكر والحِجَا، وحظك من الصبر والنُّهى[٢]، ثم لِمَا ترجعُ إليه من ثبات الجَنان[٣] عِنْدَ النَّازِلة، وقوة الأركان لِعزّ الدولة الفاضلة، فإنَّ لك فيها وفي سَهْمِك الفائز، ومَهَلِك البارز، عِوَضاً عن كل مَرْزوء، ودَرَكاً لكل مَرْجُوّ، ونسأل الله أن يجعلك من الشاكرين لِفَضْله إذا أبلى، والصابرين لحكمه إذا ابتَلى[٤]، وأن يجعل لك لا بِكَ التعزية، ويقيك في نفسك وفي ذَويك الرزيّة، بمنه وقدرته.

وله إليه: ترامى إلينا خَبَرُ مُصابك بفلان؛ فخلص إلينا من الاغتمام به ما يحصل في مثله ممّن أطاع ووَفى، وخدم ووالى، وعلمنا أن لفقدك مثله لَوْعةً، وللمصاب به لَذْعة[٥]؛ فآثرنا كتابنا هذا إليك في تعزيتك، على يقيننا بأنّ عقلك يُغْنِي عن عِظَتِك، ويهدي إلى الأوْلَى بشيمتك، والأزيد في رُتْبتك، فَلْيَحْسُنْ ـ أعزك الله ـ صبركَ على ما أخذه منك، وَشُكْـرُك على ما أبقى لك، وليتمكّن في نفسك ما وفّر لك من ثوابِ الصابرين، وأجزل من ذُخَر المحسنين، وليَرِدْ كِتابك بما ألهمك الله تعالى من عزاء، وأبلاكه من جميل بَلاء، إن شاء الله تعالى.

وله إليه جواب: وصل كتابُك ـ أعزّك الله تعالى ـ مُفْتَتحاً بالتعزية عن فلان، وَبِوَصْفِ توجّعك للمصيبة، ونحن نحمدُ الله تعالى الذي يُنْعِم فضلاً، ويُحْكِمُ عَدْلا، ويَهَبُ إحساناً، ويسلب امتحاناً، على مَجَاري قضيّته كيف جَرَتْ آخذة ومعطية، ومَوَاقع مشيئته كيف مضت سارّة ومسيئة، حَمْدَ عالمين أن لا حكم إلا له، ولا حولَ إلا به، ومستمسكين بما أمر به عند المساءة من الصبر، والمسرة من الشكر، راجين ما أعده الله من الثواب للصابرين، والمزيد للشاكرين. وما توفيقنا إلا بالله عليه نتوكل وإليه نُنيب[٦]، وأما وَحْشَتُك ـ أعزك الله ـ

---

(١) محض فلاناً النصحَ أو الودّ: أخلصه إياه، وأمحضه الحديث والنصيحة: صدقه.
(٢) النُّهى: العقل.
(٣) الجَنَان: القلب.
(٤) أبلى: أعطى، وابتلى: امتحن واختبر.
(٥) لَذْعَةٌ: ألم وَحُرْقَة، يقال: لذعته النار: مَسَّتْهُ وأحرقته، ولذع الحُبُّ قلبه: آلمه، والتذع: احترق وجعاً.
(٦) إليه ننيب: إليه نرجع.

للحادث على الماضي، عفا الله عنه، فَمِثْلُك من ذَوي الصفاء والوفاء اختصّ بذلك واهتم له، وعرف مِثْلَه فاغتمَّ به؛ فإن الطاعة نسبٌ بين أوليائها، والنعمة سبب بين أبنائها، فلا عَجَبَ أنْ يَمسّك في هذا العارض ما يمسُّ أولي المشاركة، ويخصّك من الاهتمام ما خص ذوي المشابكة.

وله إليه أيضاً في أمر غزاة: ورد خَبَرُك أكرمَك الله تعالى بنفوذك لوجهك فيمن جمعهم الله تعالى لِلسَّعْي في سبيله إلى جملتك؛ فأمَّلنا أن يكون ذلك موصولاً بأعظم الخيرة، مؤدّياً إلى أحسن المغبّة. إلا أنَّا أحسسنا من الغُزَاة الذين بهم تَعْتضد، وإياهم تستنجد، فُتُورَ نِيَّاتٍ، وفساد طَوِيَّاتٍ؛ وهذا كما علمت بابٌ عظيم يجبُ الاطلاع بالفكر والرأي عليه، والاحتراس بالجدّ والجهد من الخَطَل فيه. [فسبيلُك أن تتأمّل أمرك بعين استقصاء العَوْرَةِ، واستدراك الآخرة]، فإن أنْتَ وجدت في عدتك تمامَ القدرة، وفي عُدّتك مقدار الكفاية، ولم تَجِدْ نيّات أولئك الغُزَاة مَدْخُولة، ولا عُرَاهم مَحْلُولة[١]، استخرت الله تعالى في المسير بكلّ ما تقدرُ عليه من الحَزْمِ في أمرك، ثم إن تكن الأخْرىٰ، وكان القوم على ما ذكرت من كَلال البصائر، وضَعْفِ المرائر[٢]، علمت على التلوّم لحديثٍ يحدّثك به كتابُنَا هذا إن اجتليت ما ذكرته، وإن لم تبلغ بلاغة ما اخترته، فاعتلق بِذَيْله[٣].

[من مقامات بديع الزمان]

المقامة القزوينية

وهذه المقامة من إنشاء البديع، قال عيسى بن هشام: غزَوْت الثغر بقَزْوِين سنة خمس وسبعين، فما اجتزنا حَزْناً، إلاّ هبطنا بَطنا، حتى وقف بنا المسيرُ على بعض قُرَاها، فمالت الهاجِرة بنا إلى ظِل أَثَلاَتٍ في حِجْرِهَا عين كلسان الشمْعَة، أصفى من الدمعة، تسيح في الرَّضْرَاض، سيح النَّضْنَاض[٤]؛ فَنِلنا من المأكل ما نلنا، ثم ملنا إلى الظل فَقِلْنَا؛ فما ملَكَنا

---

(١) العُرَى: جمع عروة، وأصلها أخت الزرِّ من الثوب.

(٢) الكلال: الضعف والفتور. والبصائر: جمع بصيرة، وهي العقل والفطنة. والمرائر: جمع مريرة، وهي العزيمة، وأصلها: ما لَطُفَ وطال واشتد فتله من الحبال.

(٣) اعتلق بذيله: تَمسَّك به.

(٤) الرضراض: الحصى. والنضناض: الحيّة التي تتلوى دائماً، أو التي لا تثبت في مكانها لِشرّتها ونشاطها.

النومُ حتى سمِعْنَا صوتاً أنكرَ من صوتِ الحمار، ورَجْعاً أضْعَفَ من رَجْع الحُوارِ[١] يَشْفَعُهما صَوْتُ طَبْل كأنه خارج من ماضِغَيْ أسد؛ فذَادَ عن[٢] القوم رائد النوم، وفتحت العيون إليه وقد حالت الأشجار دونه، وأصغيتُ فإذا هو يقول على إيقاع صوت الطّبل:

أدعــو إلــى الله فَهــلْ مِــنْ مُجيــبْ ... إلــى ذَرَى رَحْــبٍ وَعَيْــشٍ خَصيــبْ

وَجنَّــةٍ عــاليــةٍ مــا تَنِــى ... قُطــوفُهــا دانيــةٌ مــا تَغيــبْ[٣]

يــا قــومُ إنــي رجــلٌ تــائــبٌ ... مــن بَلَــدِ الكُفْــرِ وأمــري عَجيــبْ[٤]

إنْ أكُ آمَنْــتُ فَكَــمْ لَيْلَــةٍ ... جَحَــدْتُ فيهــا وَعَبْــدتُ الصَّلِيــبْ

يــا رُبَّ خِنْــزيــرٍ تَمشَّشْتُــهُ ... وَمُنْكِــرٍ أحــرَزْتُ منــه النَّصيــبْ[٥]

ثــمّ هــدانِــي الله، وانْتَــاشَنِــي ... مِــنْ زَلَّــةِ الكُفْــر اجتهــادُ المُصيــبْ[٦]

فَظَلْتُ أُخْفــي الــدِّيــن فــي أسْرتــي ... وأعبــدُ الله بِقَلْــب مُنِيــبْ[٧]

أسْجُــدُ لِــلاّتِ حِــذَار العِــدَى ... وَلا أجــي الكَعْبَــة خَــوْفَ الــرقيــبْ

وأســألُ الله إذا جَنَّنِــي ... لَيْلــي وَأَضْنَــانــي يَــومٌ عَصِيــبْ[٨]

رَبِّ كمــا أنَّــكَ أنقــذتنــي ... فَنجِّنــي؛ إنــيَ فِيهــم غــريــبْ

ثــم اتَّخَــذْتُ الليــلَ لــي مَــرْكبــاً ... وَمــا سِوَى العــزمِ أمــامــي نَجيــبْ[٩]

وَقَــدْكَ مِــنْ سيــريَ فــي ليلــةٍ ... يَكــادُ رأسُ الطفــل فيهــا يَشِيــبْ

حَتَّــى إذا مــا جُــزْتُ بَحْــرَ العَمــى ... إلى حِمَى الدينِ نَفضْتُ الوَجيبْ[١٠]

وَقُلْــتُ إذ لاحَ شِعــارُ الهُــدَى ... نَصْــرٌ مِــنَ الله وفَتْــحٌ قــريــبْ

---

(١) الحُوَارُ: ولد الناقة من وقت ولدته إلى أن يُفْطم وَيُفْصَل.

(٢) ذاد: دفع، منع.

(٣) تني: تفتر.

(٤) تائب: راجع.

(٥) تَمشَّشْتُهُ: أكلت مَشَاشَهُ، والمَشَاشُ: طَرَفُ ما لاَنَ من العظام.

(٦) انتاشني: خَلَّصني وأنقذني.

(٧) منيب: تائب.

(٨) يوم عصيب: شديد الحرّ أو الهول، قال تعالى: ﴿**وقَالَ هذا يَوْمٌ عَصِيب**﴾ (سورة هود، آية ٧٧).

(٩) النجيب: الفاضل على مثله النفيس في نوعه، ونجائب الإبل: خيارها.

(١٠) الوجيب: الخفقان.

ولما بلغ هذا البيت قال: يا قوم: وطِئْت والله بلادكم بِقَلْب لا العِشْق شاقَه، ولا الفَقْرُ ساقَه، وقد تركت وراء ظَهْري حدائق وأَعنابا، وكواعب أترابا، وخيلا مُسَوَّمَة، وقناطير مُقَنْطَرة، وعُدَّةً وعديداً، ومراكب وعَبيدا، وخرجتُ خروج الحيَّة من جُحْره، وبرزتُ بروزَ الطائر من وَكْره مُؤْثِراً ديني على دُنْياي. وجامعاً يُمْنَاي إلى يُسراي، واصلاً سَيْري بسُراي[١]، فلو رفعتم النار بشررها، ورميتم الروم بحجرها، وأعنتموني على غَزْوها مساعدة وإسعاداً، ومرافدة وإرفاداً، ولا شطَطَ[٢]، فكلٌّ قادر على قُدْرَته، وحَسب ثَرْوَته. ولا أستكثر البَدْرَةَ[٣]، ولا أردّ التمرة، وأقبل الذرة، ولكل مني سهمان، سَهمٌ أُذَلِّقُهُ لِلِّقاء[٤]، وسهمٌ أفوّقه بالدّعاء[٥]، وأرشُق به أبواب السماء، عن قَوْس الظلماء.

قال عيسى بن هشام: فاستفزّني رائعُ ألفاظه، وَسرَوْتُ جِلْبابَ النوم، وعدوت إلى القوم، وإذا والله شيخُنَا أبو الفتح الإسكندري، بسيفٍ قد شَهره، وزيٍّ قد نكره؛ فلما رآني غَمزني بعينه وقال: رحم الله امرءًا أحسن حَدْسَهُ؛ وملك نَفْسَهُ، وأغنانا بفاضل قَوْله، وقسم لنا من نَيله! ثم أخَذ ما أخذ، فقمتُ إليه فقلت: أنت من أولاد بنات الروم؟ فقال:

أنــا حَــالــي مــع الــزمــا ... نِ كحــالــي مَــعَ النَّسَــبْ
نَسَبــي فــي يَــدِ الــزمــا ... ن إذا سَــامَــهُ انقلَــبْ
أنــا أمْســي مِــنَ النَّبيــ ... طِ وأضْحِــي مِــنَ العَــرَبْ

[عاقبة السؤال بلفظ حسن]

قال سليمانُ بن عبد الملك: ما سألني أحدٌ قط مسألة يثقلُ عليّ قضاؤها، ولا يخفُّ علي أداؤها، بلفظٍ حسنٍ يجمعُ له القلب فهمه إلا قضيتُها، وإن كانت العزيمة نفذت في منعه، وكان الصواب مستقرًّا في دفعه، ضنًّا بالصواب أن يردّ سائله، أو يحرم نائله.

---

(١) السير: الذهاب في الأرض في أي وقت كان. والسُّرى: سير عامة الليل.
(٢) مرافدةً وارفاداً: يقال: رفده رفداً ورفادةً: أعانه، وأعطاه، ووصله. والشطط: الإمعان ومجاوزة الحدّ، والجَور.
(٣) البَدْرَةُ: كيس فيه مقدار من المال، يُتعامل به، وَيُقَّدم في العطايا، ويختلف باختلاف العهود.
(٤) أذلقه: يقال: ذلق السكين: حدّده، وذلق السراج: أضاءه وأوقده.
(٥) فَوَّق السهم: عَمِلَ له فُوقاً، والفُوقُ من السهم: حيث يثبت الوتر منه، وهما فوقان، والجمع فُوَقٌ، وَأَفواق.

[ابن رفاعة يتحدث عن النعمان بن المنذر والحارث الغساني]

وقال أبو عبيدة: كان أبو قيس بن رِفاعة يَفِد سنةً إلى النعمان بن المنذر اللخمي وسنة إلى الحارث بن أبي شُمَّر الغَسَّاني، فقال له الحارث يوماً وهو عنده: يا بن رفاعة، بلغني أنك تفضّل النعمان عليَّ! قال: كيف أفضّلُه عليك أبيتَ اللعنَ! فوالله لَقَفَاك أَحْسَنُ من وَجْهِه، ولأمّك أشرفُ من أبيه، [ولآباؤك أشرف من جيمع قومه]، ولأَمْسُكَ أفضل من يومه، ولشمالك أجود من يمينه، وَلَحِرمانك أنفع من بَذْلِه، ولَقليلُكَ أكثر من كثيره، [وَلَثِمادُك أغزرُ من غديره[1]، ولكرسيّك أرفع من سريره، وَلجدْوَلُكَ أغمر من بحوره، وَليومُك أفضل من شَهْرِه، وَلشهرُك أشرف من حَوْلِه، وَلَحْولُك خير من حقبه، ولزندك أورى من زَنْدِه، وَلَجندك أعزّ من جنده، وَلَهزْلُك أصوبُ من جدّه، وإنك لَمِنْ غسَّان أرباب الملوك، وإنه لمن لَخمٍ كثير النوكِ[2]! فَعَلَام أفضِّلُه عليك؟ وقد رُوي مثل هذا الكلام للنابغة الذبياني مع النعمان بن المنذر].

[أربعة أبيات]

وقال المفضل الضبي: دخلت على المهدي فقال قبل أن أجلس: أنشدني أربعة أبيات لا تزد عليهنّ، وعنده عبد اللَّه بن مالك الخزاعي، فأنشدته[3]:

وَأَشْعَثَ قَدْ قَدَّ السِّفَارُ قَميصَهُ ... يَجرُّ شِواءً بِالعَصا غَيْرَ مُنْضَجِ[4]

دَعَوْتُ إلى ما نابني وَأجابني ... كَريمٌ مِنَ الفتيانِ غَيْرُ مُزَلَّجِ[5]

فَتًى يملأ الشّيزَى وَيُروِي سِنانَه ... وَيضْرِبُ في رأس الكَميّ المُدَجَّجِ[6]

فَتًى لَيْسَ بالراضي بأدنى مَعِيشةٍ ... وَلا في بيوتِ الحيّ بالمُتَولِّجِ

فقال المهدي: هذا هو، وأشار إلى عبد اللَّه بن مالك، فلما انصرفتُ بعثَ إلي بألف دينار، وبعثَ إليّ عبد اللَّه بأربعة آلاف.

---

(١) الثِّمادُ: جمع ثَمْد، الماء القليل الذي ليس له مدد، وقيل: المكان يجتمع فيه الماء.
(٢) النَّوكُ: الحُمْقُ.
(٣) الأبيات للشماخ بن ضرار الغطفاني، انظر الأغاني: ٩/ ١٦٠.
(٤) قدَّ القميص: شَقَّهُ. السِّفَارُ: الارتحال، السَّفر، التنقل من مكان إلى مكان.
(٥) الرجل المزلج: الناقص قولاً وفعلاً (الدُّون).
(٦) الشِّيزي: نوع من الخشب. الكميّ: البطل الشجاع المقدام الجريء. والمُدَجَّجُ: هو التام السلاح.

[أبو الأسود الدؤلي وامرأته]

تنازع أبو الأسد الدؤلي وامرأته إلى زياد في ابنهما، وأراد أبو الأسود أخْذَهُ منها فأبَتْ، وقالت المرأة: أصلح الله الأمير، وهذا ابني، كان بطني وعاؤهُ، وحجري فناؤه، وثديي سقاؤه، أكلؤه إذا نام، وأحفظه إذا قام؛ فلم أزل بذلك سبعة أعوام، فلما استوفى فصالُه، وكملت خصالُه، واستوكعت أوصالُه[١]، وأمَّلْتُ نَفْعَهُ، ورجوت عَطْفَه، أراد أن يأخذه مني كَرهاً، فآدِني أيها الأمير؛ فقد أراد قهري، وحاول قَسْرِي.

فقال أبو الأسود: هذا ابني حملتُه قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، وأنا أقوم عليه في أدبه، وأنظر في تقويم أوَدِه[٢]، وأمنحه علمي، وألهمه حلمي، حتى يكمل عقله، ويستكمل فتلُه.

فقالت المرأة: صدق أصلحك الله؛ حَملهُ خِفًّا، وحَملتهُ ثِقْلاً، وَوَضَعهُ شهوةً، وَوَضعْتُه كرهاً.

فقال زياد: اردُدْ على المرأة ولدَها؛ فهي أحقّ به منك، ودعني من سَجْعِك.

[عظات ووصايا]

عظة حكيم

قال الأصمعي: بلغني أن بعض الحكماء كان يقول: إني لأعظكم، وإني لكثير الذنوب، مُسْرِفٌ على نفسي، غير حامد لها، ولا حاملها على المكروه في طاعة. وقد بلوتها فلم أجد لها شكراً في الرضاء، ولا صبراً على البَلْوَى. ولو أن أحداً لا يعظ أخاه حتى يحكم أمرَه لتُرِك الأمر.... ولكن محادثة الإخوان حياة القلوب وجلاء النفوس، وتذكيرٌ من النسيان، واعلموا أن الدنيا سرورها أحزان، وإقبالها إدبار، وآخر حياتها الموت، فكم من مستقبل يوماً لا يستكملُه، ومنتظر غداً لا يبلغه؟ ولو تنظرون الأجل ومسيره لأبغضتُم الأمل وَغُرورَه.

عظة عبد الملك بن مروان أهله وولده

جمع عبد الملك أهله وولده فقال: يا بني أميّة، ابذُلوا نَدَاكم، وكفوا أذاكم، وأجملوا

---

(١) استوكعت: كَمُلَت وتمَّت. الأوصال: الأعضاء.

(٢) الأود: الأعوجاج والميل. والتقويم: التعديل.

إذا طلبتم، واغفروا إذا قدرتم، ولا تُلْحِفُوا إذا سألتم، ولا تبخلوا إذا سُئِلتم؛ فإن العفو بعد القدرة، والثناء بعد الخبرة، وخير المال ما أفاد حمداً ونَفَى ذماً.

[وصف هشام بن عبد الملك بصفته]

ودخل سعيد الجعفري على هشام بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، إني أريد أن أصفك بصفتك، فإن انحرف كلامي فلهيبة الإمام، واجتماع الأقوام، وتصرف الأعوام، ولربّ جوادٍ عثر في أرسانه[1] وكبا في ميدانه[2]، ورحم الله امرءًا قصَّر من لفظه، وألصق الأرض بلحظه، ووعى قولي بحفظه. فخاف هشام أن يتكلّم فيقصّر عن جائزة مثله، فعزم عليه فسكت.

[حاتم الطائي يتحمل الديات عن عبد قيس البرجميّ]

قال عبد قيس بن خُفاف البُرْجُميّ لحاتم الطائي وقد وفَد عليه في دماء تحمَّلها وعجز عن البعض: إنه وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأملي، فَقدَّمت مالي، وكُنْتَ أملي، فإن تحملها فَرُبّ حَقٍّ قضيتَه، وَهَمٍّ قد كفيته، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمُم يومك، ولم أيأس من غدك.

[وَصْفُ ثقيل]

قال أبو علي العتابي: حدثني الحمدوني قال: بعث إليّ أحمد بن حَرْب المهلبي في غداةِ السماءُ فيها مُغيمَة، فأتيته والمائدةُ موضوعةٌ مُغَطّاة؛ وقد وافَتْ عُجاب المغنِّية، فأكَلْنا جميعاً، وجلسنا على شرابنا، فما راعنا إلا داقٌّ يدقّ الباب، فأتاه الغلام فقال: بالباب فلان؛ فقال لي: هو فتًى من آل المهلب، ظريف، نظيف، فقلت: ما نريد غير ما نحن فيه، فأذن له، فجاءَ يتبختر وقُدّامي قَدَحُ شراب فكسره، فإذا رَجلٌ آدَمُ ضَخْم[3]، قال: وتكلم فإذا هو أعيا الناس، فجلس بيني وبين عُجاب، قال: فدعوت بِدَواة وكتبت إلى أحمد بن حرب:

كَـــدَّرَ الله عَيْـــشَ مَـــنْ كَـــدَّر العَيْـــشَ! فَقَـــدْ كـــانَ صَـــافيـاً مُستَطَـــابَـــا

---

(١) الأرسان: جمع رَسَن، وهو ما يُقاد به الفرس ونحوه.

(٢) كبا الجواد: عثر.

(٣) آدم: وصف من الأدمة، وهي السُّمْرَة.

جَــاءَنَــا وَالسمــاءُ تَهْطِــلُ بــالغَيْـ ثِ وَقــدْ طَـابَـقَ السمــاعُ الشَّــرابــا
كَسَـر الكـأسَ وَهْـي كـالكـوكـب الـدر رِيّ ضَمَّـتْ مـن المُـدَامِ رُضَـابـا[١]
قُلْـتُ لمـا رُمِيـتُ مِنْـهُ بمـا أكـرهُ وَالــدَّهْــرُ مـا أفَـاد أصـابــا
عَجَّــلَ الله نَقْمَــةً لابــنِ حَــرْبِ تَــدعُ الــدارَ بَعْــدَ شَهْــرٍ خَــرابــا

ودفعتُ الرقعة إلى أحمد، فقال: [ويحك] ألا نَفَّسْتَ فقلتَ بعد حول؟ فقلت: أردت أقول بعد يوم، فخفت أن تصيبني مضرّة ذلك، وفطن الثقيل فنهض، فقال: آذيتَه! فقلت: هو آذاني.

[طيلسان ابن حرب]

وقال الحمدوني[٢] في طيلسان ابن حرب:

وَلــي طَيْلَســانٌ إن تَــأمّلــت شَخْصَــهُ تَيَقَّنْـتُ أنَّ الـدَّهْـرَ يَفْنَـى وَيَـنْقَـرِضْ
تَصَـدَّعَ حَتَّـى قَـدْ أمِنْـتُ انْصِـداعَـهُ وَأَظْهَـرتِ الأيـامُ مِـنْ عُمْـرِه الغَـرَضْ
كـأنِّـي لإشفـاقـي عَلَيْـهِ مُمَـرِّضٌ أخَـا سَقَـمٍ ممـا تَمـادَى بـهِ المَـرَضْ
فَلَـوْ أنَّ أصحـابَ الكـلام يَـرَوْنَـهُ لَمَـارَوْكَ فيـه وَادَّعَـوْا أنَّـهُ عَـرَضْ[٣]

وقال فيه:

لِطيلســان ابــن حَــرْبٍ نِعْمَــةٌ سَبقَـتْ بهــا تَبيّــنَ فَضْلــي فهــو مُتَّصِــلُ
قَـدْ كُنـتُ دَهْـراً جَهُـولاً ثـم حَنَّتَنـي عليـه خَـوْفـي مـن الأقـوام إنْ جَهِلُـوا
أظَــلُّ أجْتَنِــبُ الإخــوانَ مِــنْ حَــذرٍ كـأنَّمـا بـيَ جُـرْحٌ لَيْـسَ يَنْـدَمِـلُ[٤]
يـا طَيْلَسـانـاً إذا الألحـاظُ جُلْـنَ بـهِ فَعلْـنَ فِعْـلَ سِهَـامٍ فيـه تَنْتَضِـلُ[٥]

---

(١) الرُّضاب: الريق.
(٢) هو أبو علي، إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه البصري الحمدوي: شاعر، أديب، ظريف، وصّاف، وأكثر شعره في طيلسان ابن حرب (ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٣٧٠؛ ابن خلكان، وفيات والأعيان: ٧/ ٩٥).
(٣) أصحاب الكلام: أي علماء الكلام. وماروك: جادلوك وشكَّكُوكَ. والعرض: ما لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره.
(٤) اندمل الجرح: أخذ في البُرْءِ.
(٥) انتضل السيف: أخرجه من غمِده، وانتضل السهم: أخرجه من كنانته.

لَئِنْ بَلِيتَ فَكَمْ أبليتَ مِنْ أمم ... تَتَرَى أبادتهمُ أيامُكَ الأُوَلُ
وَكَمْ رآكَ أخٌ لي ثُمَّ أنْشَدني: ... وَدّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ[١]

وقال فيه[٢]:

يا بْنَ حَرْبٍ كَسَوتَني طيلساناً ... أمْرَضَتْه الأوجاعُ فَهْوَ سقيمُ
فإذا ما لَبِسْتُهُ قُلْتُ: سُبْحا ... نَكَ مُحْيي العِظَام وَهْي رَميمُ
طَيْلَسانٌ لَهُ إذا هَبَّتِ الري ... حُ عليهِ بِمَنْكِبيَّ هَميمُ
أذكرتْني بيتاً لَحسّان فيه ... خُرَقٌ لِلفؤادِ حينَ أقومُ
لو يَدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ ولدِ الذَّ ... رِّ عليها لأندَبَتْها الكُلُومُ[٣]

وقال أيضاً:

يا قاتلَ الله ابنَ حربٍ لَقَدْ ... أطالَ إتعابي على عَمْدِ
بطيلسانٍ خِلْتُ أنّ البلى ... يَطْلُبُهُ بالوِتْرِ والحِقْدِ
أجدُّ في رَفْوِي له، والبِلَى ... يلهو به في الهَزْلِ والجِدِّ
ذَكَّرني الجنةَ لَمَّا غَدَا ... أصْحَابُها منها على حَرْدِ[٤]
إنْ أتْهَمَ الرَّفَّاءُ في رَفْوهِ ... مَضَى به التمزيقُ في نَجْدِ[٥]
غَنَّيْتُهُ لما مَضَى رَاحِلاً: ... يا واحدِي تَتْرُكُني وَحْدي!

وقال أيضاً فيه:

---

(١) هذا صدر بيت للأعشى ميمون بن قيس، والبيت بتمامه:
وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وَهَلْ تُطيقُ وِدَاعاً أيُّها الرَّجُلُ
(الأعشى، الديوان: ص ٣٠٠).
(٢) البيتان الأول والثاني من هذه الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان (٧/ ٩٦).
(٣) اندبتها: جرَّحتها. الكلوم: جمع كَلْم، وهو الجرح.
(٤) الحَرْدُ: يقال: رجل حَرْدٌ: معتزل عن الناس مُتَنَحٍّ. وفي البيت إشارة إلى القصة الواردة في سورة القلم من الآية ١٦ إلى الآية ٢٦.
(٥) الرَّفَّاءُ: الذي صناعته رَفْوُ الثياب ونحوها. وقد رفا الثوب ونحوه من كل منسوج: أصلحه وضمَّ بعضه إلى بعض.

إنَّ ابــنَ حَــرْبٍ كَســاني ثَــوْبــاً يُطيــلُ انحــرافَــهْ
أظــلُّ أدْفَــعُ عَنْــهُ وَأتَّــقــي كُــلَّ آفَــهْ
فَقَــدْ تعلَّمْــتُ مِــنْ خَشْيــتــي عليــه الثَّقــافَــهْ

وقال أيضاً:

طَيْلَســانٌ مــا زالَ أقْــدم فــي الــدهــرِ مــن الــدهــرِ مــا لِــرَفْــويــه حِيَلَــهْ
وَتَــرى ضَعْفَــهُ كَضَعْــفِ عَجُــوزٍ رَثَّــةِ الحــالِ ذاتِ فَقْــرٍ مُعيلَــهْ
غَمــرتــهُ الــرّقــاعُ فَهْــوَ كَمِصْــرٍ سَكَنَتْــهُ نُــزَّاعُ كــلِّ قَبيلَــهْ
إنْ أُزَيِّنْــهُ يــا بــن حَــرْبٍ بِــذَمِّــي فَجــريــرٌ قَــدْ زَانَ قَبْلــي بَجِيلَــهْ

جرير: ابن عبد اللَّه البجلي، وله صحبة [رضى الله عنه، وقد] قال غسان في هجائه جريراً:

لَعَمْــري لَئِــنْ كــانَــتْ بَجيلــةُ زَانَهــا جَــريــرٌ لَقَــدْ أَخْــزَى كُلَيْبــاً جَــرِيْــرَهــا[١]

وقال الحمدوني في معناه الأول[٢]:

يــا بْــنَ حَــرْبٍ إنــي أرَى فــي زوايــا بَيْتِنــا مِثْــلَ مــا كَسَــوْتَ جَمــاعَــهْ[٣]
طيلســانٌ رَفَــوْتُــهُ ورَفَــوْتُ الــرّ فْــوَ منــه حتــى رَفَــوْتُ رِقَــاعَــهْ[٤]
فــأطــاعَ البِلــى وَصــارَ خَليعــاً لَيْــسَ يُعطي الرَّفَّاءَ في الرَّفْوِ طَاعَهْ
فــإذا ســائــلٌ رآنــي فيــهِ ظَــنَّ أنــي فَتًــى مِــنْ أهــلِ الضّيَــاعَــهْ[٥]

وقال فيه:

طَيْلَســانٌ لابــن حَــرْبٍ يَتَــداعــى لا مِسَــاسَــا[٦]

---

(١) جرير (الأول): هو ابن عبد اللَّه البجلي صاحب رسول الله ﷺ، وجرير (الثاني): هو أبو حزرة، جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى بن بدر الكلبي اليربوعي التميمي، الشاعر الأموي المشهور.

(٢) هذه الأبيات الأربعة في وفيات الأعيان (٧/ ٩٧).

(٣) في وفيات الأعيان: «مثل من كسوت جماعه».

(٤) في وفيات الأعيان: «ورفوت الرفو منه وقد رقعت رقاعه».

(٥) في وفيات الأعيان: «من أهل الصِّناعَهْ».

(٦) لامساس: لا تمسني، وهذا كناية عن شدّة بلاه.

قَدْ طَوَى قَرْناً فَقَرْناً وَأُناساً فَأُناسَا[١]
لَبِسَ الأيامَ حتَّى لم تَدَعْ فيهِ لِبَاسَا
غَابَ تَحْتَ الحِسِّ حَتَّى لا يُرَى إلا قِيَاسَا

[من رسائل ابن العميد]

من ابن العميد إلى الطبري

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي عبد اللَّه الطبري:

كتابي وأنا بحالٍ لو لم ينغّص منها الشوقُ إليك، ولم يُرَنِّق صَفْوها النِّزاعُ نحوك، فَعدَدْتُها من الأحوال الجميلة، واعتددت حظِّي منها في النعم الجليلة؛ فقد جمعتُ إليها بين سلامةٍ عامّة، ونعمةٍ تامة، وحَظِيتُ منها في جسمي بصَلاح، وفي سَعْيي بنجاح، لكن ما بقي أن يَصْفُوَ لي عيش مع بُعْدِي عنك، ويخلو ذَرْعي مع خُلوّي منك، ويَسُوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك، وكيف أطمعُ في ذلك وأنتَ جزءٌ من نفسي، وناظمٌ لِشَمْلِ أنْسي، وقد حُرِمْت رُؤيتَكَ، وعَدِمْتُ مشاهدتَك، وهل تسكنُ نفس متشعّبة ذاتُ انقسام، وينفع أنس مُتَشتّت بلا نِظام، وقد قرأت كتابك جعلني الله تعالى فداءك؛ فامتلأتُ سروراً بملاحظة خطِّك، وتأمُّل تصرفك في لفظك، وما أقرِّظُهما فكلُّ خصالك مقرّظٌ عندي، وما أمدحُهما فكلُّ أمرك ممدوح في ضميري وعَقْدِي[٢]، وأرجو أن تكونَ حقيقةُ أمرك موافقةً لتقديري فيك، فإن كان كذلك وإلا فقد غطّى هواكَ وما أُلْقَى على بَصَرِي.

من ابن العميد إلى عضد الدولة

وله إلى عضد الدولة يهنئه بولدين:

أطال الله بقاءَ الأمير الأجلّ عضد الدولة، دام عزّه وتأييده، وعلوُّه وتَمْهيده، وبَسْطَتُه وتَوْطِيده، وظاهرَ له من كل خير مزيد، وهنَّاه ما اختصّه به على قُرْبِ الميلاد، من توافر الأعداد، وتكثّر الأمداد[٣]، وتثمّر الأولاد، وأراه من النجابة في البنين

(١) القَرْنُ: الأمة تأتي بعد الأمة، وقيل: القرن من الناس: أهل زمانٍ واحد، قال الشاعر:
إذا ذَهَبَ القَرْنُ الذي أنْتَ فِيهِمْ وَخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ
(ابن منظور، اللسان: قرن).

(٢) العَقْدُ: العَهْدُ.

(٣) الأمداد: جمع مَدَد، وهو ما يُمَدُّ به الشيء، يقال: مددته بمدد: قَوَّيتهُ وأعنتهُ به.

والأسباط[١]، ما أراه من الكرم في الآباء والأجداد، ولا أخْلَى عينَه من قرّة، ونفسه من مَسرّة، ومتجدّد نعمة، ومستأنف مكرمة، وزيادة في عدده، وفَسْح في أمده، حتى يبلغَ غايةَ مَهله، ويستغرق نهاية أمَله، ويستوفي ما بعد حُسْنِ ظنّه؛ وعرفه الله السعادةَ فيما بشَّرَ عَبْده من طلوع بدرين هما انْبَعَثَا من نوره، واستنارا من دُوره، وحفًّا بسريره، وجعل وُفُودَهما متلائمين، وورودهما تَوْأَمين، بشيرين بتظاهُر النعم، وتواتر القسم ومؤذِنَيْن بترادفِ بنين [يغصُّ] بجمعهم مُنْخَرق الفَضَاء، ويَشْرَقُ بنورهم أفق العلاءَ، وينتهي بهم أَمَدُ النماء[٢]، إلى غاية تفوتُ غايةَ الإحصاء، ولا زالت السبلُ عامرة، والمناهلُ غامرة، يصافحُ صادِرهم بالبشر [الوارد] وآمِلهم بالنيل القاصد.

لأبي الطيب في ابني عضد الدولة

وقال أبو الطيب وذكر أبا دلف وأبا الفوارس ابني عضد الدولة[٣]:

فَلَمْ أرَ قَبْلَهُ شِبْلَيْ هِزَبْرٍ ... كَشِبْلَيهِ، وَلا فَرَسَيْ رِهَانِ[٤]

فَعاشا عِيشةَ القَمَرَيْن يُحْيَى ... بِضَوْئِهما وَلا يَتحاسدانِ[٥]

وَلا مَلَكَا سِوَى مُلْكِ الأعادِي ... وَلا وَرِثا سِوَى مَنْ يَقْتُلانِ[٦]

[وَكانا ابْنَا عَدُوٍّ كَاثَرَاهُ ... لَهُ ياءَيْ حُروفِ أُنَيْسِيانِ][٧]

دُعاءٌ كالثَّناءِ بِلا رِيَاءٍ ... يُؤَدِّيهِ الجَنانُ إلى الجَنانِ[٨]

(١) الأسباط: جمع سبط، وهو ولد البنت.

(٢) النَّماءُ: الزيادة.

(٣) المتنبي، الديوان: ٢/٣٧٧. والأبيات من قصيدة طويلة يمدح بها عضد الدولة البويهي، ويصف وهو في الطريق إليه شِعْبَ بوان المعروف بجماله الطبيعي الساحر.

(٤) الشبل: ولد الأسد. والهزبر: من أسماء الأسد. والرهان: السباق. وأراد بالشبلين: ولدي عضد الدولة.

(٥) عاشا: دعاء للولدين. والقمران: الشمس والقمر.

(٦) هذا دعاء لأبيهما بالحياة، يقول: لا ملكاً إلاّ ملك الأعداء دون ملكك، ولا ورثا إلاّ من يقتلانه منهم.

(٧) المكاثرة: المفاخرة بالكثرة. وأنيسيان: مصغر إنسان، وهو من شواذ التصغير، لوروده بيائين.

(٨) الجَنانُ: القلب..

من الإسكافي في تهنئة واستبطاء

وكتب أبو القاسم الإسكافي عن نوح بن نصر إلى وَشْمَكِير بن زياد في استبطاء وتهنئة:

وصل كتابُك ناطقاً مُفْتَتَحُهُ بجميل العُذْر، فيما نَقَلَ من المكاتبة، وبعث من المطالعة، ومُعْرِباً مُخْتَتَمُهُ عن جُملة خبر السلامة التي طبّقت أعمالك، والاستقامة التي عمّت أحوالك، وفهمناه، ولولا أنَّ مواتاتك ـ أيدك الله تعالى ـ فيما تأتي وتَذَر، وترتئي وتدبّر، عادةٌ لنا أورثتناها قرابة ما بين وفاقِنا وَوِفاقك، ومُلاءمة حال ألجأتنا لحال استحقاقك؛ لكنا ربما ضايَقْنَاك في العُذْر الذي اعتذرتَ به، وإن كان واضحاً طريقُه، وناقَشْنَاك فيه، وإنْ كان واجباً تَصْدِيقه، لِفَرْطِ الأنْس [يَخْلُص إلينا] بكتابك، والارتياح بخطابك، اللَّذين لا يؤدِّيَان إلا خبرَ سَلامةٍ توجِبُ الإحماد، فنحن نأبى إلاَّ إجراءَ تلك العادة، كما عَوَّدْتنا، وإلاَّ التجافي عما تريد فيه من الزيادة التي أَرَدْتَها، ولا ندع مع ذلك أن يصل تَسويفُك[1] إلى الإقلال الذي اخترته بإحمادك على الكتاب إذا كتبته، توخيّا[2] لأن تكون مؤهلاً في الحالين لخالصة التنويل، مقدماً في درج التفضيل، موفىً حقائق الإيثار، موقىً لواحِقَ الاستقصار، ونستعين بالله على قضاء حقوقك، وعلى جميل النية في أمورك؛ فإن ذلك لا يُبلَغ إلا بقوّته، ولا يُدْرَكُ إلا بِحَوْله، وأما بعد فقد عفَّى[3] ـ أعزّك الله تعالى ـ ما أفاد كتابك بخبر السلامة من أنسه، على آثارِ مَنْ سبقه بخير العلة من وَحْشَة، فأوجبتنا مقابلة موهبة الله تعالى في المحبوب صنع، والمكروه دفع، نستقبلُ به إخلاصَ المواهبِ لنا، ونستديمُ به أخصَّ المراتبِ بنا، فرأيُك ـ أعزَّك الله تعالى ـ في المطالعة بذكر تستمدُّه في القوة والصحة من مزِيد، والطاعة والكفاية من توفيق وتسديد، موفقاً إن شاء الله تعالى...

ألفاظ لأهل العصر في ضروب التهاني وما ينخرط في سلكها

من ذلك في التهنئة بالمولود وما يجري مجراها من الأدعية

وما يختصّ منها بالملوك أو الرؤساء

مرحباً بالفارس المصدِّق للظنون، المقرِّ للعيون، المقبل بالطالع السعيد، والخير

---

(١) سوّف الأمر تسويفاً: أرجأه وأخرَّهُ.

(٢) توخى الأمر توخياً: قصده.

(٣) عَفَّى: غَطَّى وستر.

العَتيد، أنجب الأبناء لأكرم الآباء. أنا مُستَبْشِرٌ بطلوع النجم الذي كُنّا منه على أمَل، ومن تطاول استِسْرَاره[١] [الذي كنا منه] على وَجَل، إن يشأ الله يجعله مقدمة إخوة في نَسق كالفريد المُتَّسق[٢]. قد طلع في أفق الحرية أسعدُ نَجْم، [ونَجَمَ][٣] في حدائق المروءة أذكى نبت. يا بُشْرَاي بطلوع الفارس الميمون جَدُّه، المضمون سَعْدُه، عليه خاتمُ الفضل وطابعُه، وله سَهْمُ الخير وطالِعُه. الحمد لله على طلوع هذا الهلال الذي نَراه إن شاء الله بدراً لا يُضْمِرُ السِّرَارُ بَهَاه، ولا يبلغ المَحَاقُ سَناءه وسناه، وقد بَشَّرَتْ قوابله بالإقبال وعُلُو الجدّ[٤]، واقترن قدومُه بالطالع السَّعْد. هنَّاك الله تعالى بقوّة الظَّهْر، واشتدَاد الأزْر. الفارس المُكْثِر لسواد الفضل، الموفِّر لحالِ الأهل، المستوفي شرفَ الأرومة[٥]، بكرم الأبوة والأمومة، وأبقاه حتى نراه، كما رأينا جَدَّه وأباه. عرفت آنِفاً ما كثَّر الله به عددَه، وشدَّ عَضُدَه، من طلوع الفارس الذي أضاء له الأفق، وطال به باعُ السعادة فعظمت النُّعْمَى لديّ، وأوردتِ البُشرى غاية المُنَى عليّ. مرحباً بالفارس القادم، بأعظم المغانم، سَوِيّ الخلق [سامي العِرق] يلوح عليه سيماء المجد، وتتجاذبه أطراف الملك والحمد. وردت البُشْرى بالفارس الذي أوْسَع رباع المجد تأهيلاً، ومَنَاكِب الشرفِ ارتفاعاً، وأعْضَاد العزّ اشتداداً. واتتني بُشْرى البشائر[٦]، والنعم المحروسة على النظائر، في سُلاَلَة العز وسليله، وابن منبر الملك وسريره، والأمير القادم بغرَّة المكارم، الناهض إلى ذرْوَة العلياء، بآباء أمراء، وملوك عظماء. مرحباً بالفارس المأمول لشدِّ الظهور، المرجوّ لسدّ الثغور. الحمد لله الذي شدَّ أزْرَ الدولةِ، ونظَم قلادة الإمرة، ودعم سَرِير العزَّة، ووطّد منابرَ المملكة، بالقمر السعد، وشِبل الأسد الوَرْد. قد تنسَّمت المكارمُ والمعالي، وتباشرت الخُطَبُ والقوافي، بالفارس المأمول لشدّ أزْرِ الملك، وسدِّ ثَغْرِ المجد، وتَطَاولَ السريرُ شَوْقاً إليه، واهتزَّت المنابرُ حرصاً عليه. قد افْتَرَّ جَفْنُ العالَم عن العينِ البصيرة، واستُغْرِب مَضْحَكُه عن اللّمعة المُنيرة؛ أما الأمير فالتاج لجبينه يبهى، والركاب بقدمه تزهى، اللهم أرني هذا الهلال بَدْراً قد عَلاَ الأقدار قدراً،

(١) الاستسرار: يقال: استسرَّ القمر: خفي ليلة السّرار، وهي آخر ليلة في الشهر القمري.
(٢) الفريد هنا: الدرُّ. والمُتَّسِقُ: المنتظم.
(٣) نَجَمَ: طَلَعَ.
(٤) الجَدُّ: البخت والحظُّ.
(٥) الأرومة: الأصل.
(٦) واتاه يواتيه: أسعفه وأنجده.

وبلّغه الله فيه من مُنَاه، حتى نراه وأخاه، مُنِيفين على ذرْوَة المجد[1]، آخذين من أوفر الحَظْوَةِ بأعْلى الجد.

ولهم: والله يمتّع به، ويرزقُ الخيرَ منه، ويحقِّقُ الأملَ فيه. عرف الله تعالى آثار بَركة المولود المسعود، وعَضَّدَ الفضل بالزيادة في عهده، وأقرّ عَيْنَ المجد بالسّادة من ولده. عرفه الله تعالى من سيادة مقدمه، ما يجمعُ الأعداء تحت قَدَمه. عمرك الله تعالى حتى ترى هذا الهلال قمراً باهراً، وَبدراً زاهراً، يَكْثُر به عدد حَفَدتك، ويعظم معه غُصَّة حَسَدَتك، من حيث لا تَهْتَدِي النوائبُ إلى أغراضكم، ولا تطمع الحوادثُ إلى انتقاصكم، متّعك الله بالولد، وجعله من أقوى العُدَد، وَوصَلهُ بإخوة متوافري العدَد، شادّي الأزْر والعَضُد. هَنَّاك الله تعالى مَولده، وقرن باليُمْن مَوْرِدَه، وأراكَ من بنيه أولاداً بَرَرَة [وأسباطاً وحفدة، وعرفك بركة قُدُومه، ونجح مقدمه، وسعد طالعه، ويمن طائره، وعمَّرك الله] حتى ترى زيادة الله منه كما رأيتها به، والله يبلّغك أفضل ما تقسمه السعود، وتَعْلو به الجدود، حتى يستغرق مع إخوته مساعي الفضلِ، ويَشيدُوا قواعِدَ الفخر، ويزحموا صُدور الدَّهْر، ويضبطوا أطراف الأرض؛ والله يَحْرُسه من نواظر الأيام أنْ تَرْنُو إليه[2]، وأطماع الليالي أن تتوجه عليه، حتى يستقلَّ بأعباء الخدمة، وينهض بأثقالِ الدعوة، ويخف في الدفع عن البَيْضَة[3]، ويُسْرِعَ في حماية الحَوْزَة[4] والله يديمُ لمولانا من العُمْر أكلاه، ومن العزّ أهناه، لِيُطَبِّقَ العالم بفضله وعَدْله، ويدبِّرَ الأرض بالنجباء من نَسْلِه.

[ولهم في ذكر المولود العلوي]

غُصْنُ رسول الله ﷺ، شجرةُ أهلٌ أنْ يَحْلُوَ ثَمرُه، وفَرْعٌ بين الرسالةِ والإمامةِ مُنْتَمَاه، خليق أن يُحْمَد بَدْؤُه وعُقْبَاه. مرحباً بالطالع بأيمن طالع، ومَنْ هو من أشْرَفِ المناصب والمنابع، حيث الرسالة والخلافة، والإمامة والزَّعامة، أبقاه الله تعالى حتى يتهنّأ فيه صوانع المِنَن، ويعد حُسْنُهُ من بني الحسن.

---

(١) ناف الشيء نَوْفاً: علا وارتفع.
(٢) ترنو: تنظر مع سكون طَرْفٍ.
(٣) بيضة الشيء: أصله، وبيضة القوم: حوزتهم وحماهم، وبيضة الدار: وسطها، ويقال: فلان بيضة البلاد: إذا عُرِف بالسيادة.
(٤) الحَوْزَةُ: الناحية، وحوزة الرجل: ما في ملكه، وحوزة البلد: حدوده ونواحيه.

ولهم في التهنئة بالإملاك[١] والنفاس، وما يقترن به من الأدعية.

من اتصَل بمولاي سببُه، وشَرُفَ به مَنْصِبُه، كان حقيقاً بالرغبة إلى الله تعالى في توفيره وتكثيره، وزيادته وتَثْميره، لِتزكُوَ منابتُ الفضل، وتَنْمى مغارِسُ النبل والفخر، وتطيب معادِنُ المجد. بارك الله لمولاي في الأمْر الذي عقده، وأحمده إيّاه[٢] وأسعده، وجعله موصلاً بِنَماءِ العدد، وزكاء الولدِ، واتصال الحَبْل، وتكثير النسل. والله تعالى يَخيرُ له في الوُصْلة الكريمة، ويقرنها بالمِنْحَةِ الجسيمة. قد عظَّم الله بَهْجَتِي، وضاعف غِبْطَتِي، بما أتاحه من سرور ممهّد، بجمع شَمْل مجدّد، فلا زالت النعم به محفوفة، والمَسَارُّ إليه مصروفة، جعل الله هذه الوصلة أكيدة العُقْدة، طويلة المدة، سابغة البركة والفَضْل، طيبة الذرية والنَّسْل. وصلَ الله هذا الاتصال السعيد، والعقد الحميد، بأكمل المواهب، وأحمد العواقب، وجعل شَمْل مَسَرَّتك ملتئماً، وَسَببَ أُنْسِكَ منتظماً. عرَّفك الله تعجيل البركات، وتوالي الخيرات، ولا أخلاك الله من هذه الوُصلة [من التهاني بنجباء الأولاد، وكبَتَ بكثرة عددك الحُسَّاد[٣]. هناك الله مولاي الوُصلة] بكثرة العدد، ووفود الوَلد، وانبساط الباع واليد، عَالِيَ القدر والجد.

[ولهم في التهنئة بالولاية والأعمال، وما يتصل بها من الأدعية]

للوزراء والقضاة والعمال

عرفتُ أخبارَ البلدِ الذي أحسنَ الله إلى أهله، وعطف عليهم بفضله، إذ أضيف إلى ما يُلاَحِظه مولاي بعين إيالَته، ويشفي خَلَلَه بِفَضْلِ أصالته. أنا من سُرّ بالولاية يلبس مولاي ظِلالَها، ويسحَبُ أذيالَها، بنعم مستفادة، ورُتب مستزادة، سروري بما أعلَمه بكسبه الثناء في كل عمل يُدَبِّره، من أحدوثة جميلة، ومثوبة جزيلة، ويُؤْثِرُه من إحياء عدل، وإماتَة جَوْر، وعمارةٍ لِسُبُلِ الخيارات، وإيضاحٍ لطرق المكرمات، سيدي يُوفي على الرتب التي يُدْعَى لها بحلوله؛ فهنيئاً لها بتجمُّلِها بولاَيته، وتحلّيها بكفايته. والأعمالُ إن بلغت أقصى الآمال، فكفايةُ مولاي تتجاوزُها وتتخطاها، والرتبُ وإن جلّت قدراً، وكبرت ذِكْراً فصناعته تَسْبِقها وتَنْسَؤُها[٤]، غير أنَّ للتهاني رسماً لا بدَّ من إقامته، وشرطاً لا سبيلَ إلى نَقْض عادته.

---

(١) الإملاك: التزويج، يقال: أملك الرجل ابنته: زَوَّجها.

(٢) أحمده إياه: جعله يرى عاقبته محمودة.

(٣) كَبَتَ فلانٌ فلاناً: غاظه وأذلّه وأخزاه، وكبت العَدُوَّ: رَدَّهُ بغيظه.

(٤) تَنْسَؤُها: تُؤَخِّرُها.

الأعمال وإن بلغت أقصى الآمال فكفايةُ سيدي توفي عليها إيفاء الشمس على النجوم، وترتفع عنها أرتفاع السماء على التخوم. سيدي أرفع قَدْراً وأَنْبَه ذِكراً، من أنْ نُهَنِّئه بولاية وإن جلَّ أمرُها وعظم قَدْرُها. قد أعْطِيتْ قوسُ الوزارة باريها، وأضيفت إلى كُفئها وكافيها، وفُسِخَ فيها شَرْط الدنيا الفاسد في إهداء حظوظها إلى أوْغَادها، ونُقِض بها حكمها الجائر في العدول بها عن نُجَبَاءِ أولادها. الدنيا أعز الله الوزير مهنَّأة بانحيازها إلى رَأْيه وتنفيذه، والممالكُ مغبوطةٌ باتصالها إلى أمره وتدبيره. قد كانت الدّنيا مستشرفةً لوزارته، إلى أنْ سعِدَت بما كانت الأيامُ عنه مُخْبِرة، وحَظِيتْ بما كانت الظنون به مبشِّرة. أنا أهنّيء الوزارة بإلقائها إلى فَضْلِه مقَادَتها، وبلوغِها في ظلّه إرادتها، وانحيازها من إيالته إلى واضحة الفخر، وتوشحها من كفايته بعزَّة سائدةٍ على وَجْه الدهر. الحمدُ لله الذي أقرَّ عين الفضل، ووطّأ مِهَادَ المجد، وترك الحساد يتعثَّرون في ذيول الخيْبَةِ، ويتساقطون في فضول الحَسْرَة؛ وأراني الوزارة وقد استكمل الشيخُ إجلالها، ووفّى لها جمالها:

فَلَـــمْ تَـــكُ تَصْلُـــحُ إلاَّ لَـــهُ   وَلَـــمْ يَـــكُ يَصْلُـــحُ إلاَّ لَهَـــا

والقاضي عَلَمُ العلم شرقاً وغرباً، ونَجْمُ الفضل غَوْراً ونَجْداً، وشَمْسُ الأدب برًّا وبحراً، فسبيلُ الأعمال إن تهنَّأ إذا رُدَّتْ إلى نظرِه الميمون، وعُصِبت برأيه المأمون. [أسد الله القاضي بما جدّ] له من رأي مولانا وارتضاه، واعتمده لأجل أمر الشريعة وأمْضَاه، وأسعد المسلمين والدين بما أصاره إليه، وجمع زمامه في يديه. عرّف الله سيدي من سعادة عمله، أفضَلَ ما ترقَّاه بأمله، ولقّاه من مناجح أمْرِه، أفضل ما انْتَحَاهُ بفكره. خار الله له فيما تولّاه وتطوَّقه، وبلَّغه في كل حال أمله وحققه، وعرفه من يُمْنِ ما باشره تدبيره الخير [والخِيرَة] والبركات الحاضرة والمنتظرة، وجعل المناجح إليه أرسالاً، لا تملّ توالياً واتِّصَالاً. أسعده الله أفضلَ سعادة قُسِمَتْ لوالي عمل، وأسهم له أخصَّ بركة أسْهِمَت لِمُسَامي أهل، أحضر الله السداد عَزْمَه، والرشادَ همّه، وكنفه العِصْمَة وأيَّده، وقَرنَه بالتوفيق ولا أفرده. هنأه الله تعالى الموهبة التي ساقها إليه، ومدّ رِوَاقَها عليه؛ إذ كانت من عقائل المواهب، مُسْفِرة عن خصائص المراتب، وحلّت فيه محلّ الاستحباب لا الإيجاب، والاستحقاق دون الاتفاق. هنأ الله نعمته الفضل الذي الولاية أصغر آلاتها، والرياسة بعض صفاتِها.

[ولهم في التهنئة بذكر الخِلَع والأجبية]

أهنّيء سيدي مزيد الرِّفْعَة، وجديد الخِلْعَة، التي تَخْلَعُ قلوب المنازعين، واللواء الذي

يلوي أَيْدِي المنابذين، والحظُّ الذي لو امتطاه إلى الأفلاك لحازَها، أو سَامَى به الجَوْزاء لجازَها. بلغني خبرُ ما تطوّعت به سماءُ المجد، وجادت به أنواءُ الملك، فصن من الخلع أسناها، ومن المراكب أبهاها، [ومن السيوف أمضاها، ومن الأفراس أجْرَاها، ومن الإقطاعات أنماها]. لبس خلعته مُتجَلِّلا منها ملابسَ العِز، وامتطى فرسَه فارعاً به ذِرْوَة المجد، وتقلّد سيفه حاصداً بحده طُلَى أعدائه[1]، وغَامِطِي نعماه[2]، واعتنق طوقه متطوّقاً عزَّ الأبد، واعتضد بالسوارين المُودِيَيْنِ بقوة الساعد والعَضُد، وسَاسَ أولياءه ولواءُ العزِّ عليه خافق، وهو بلسان الظَّفَر والنَّصْرِ ناطق. قد لبس خلعته التي تعمد بها [رفعته]، وامتطى حُمْلاَنَهُ الذي وصل به إحْسَانه[3]، تمنطق بِحُسامه الذي ظاهر أبواب إنعامه، وتختم بخاتميه، اللذين بسطا مِنْ يديه؛ ووقَّعَ من دَوَاته، التي أعْلَتْ من درجاته. قد زرَّرت عليه سماءُ الشرف عُرَى الخلعة، التي تتراءى صفحاتُ العزَّ على أعطافها، وَتُمْتَرَى مزايا المجدِ من أطرافها، وركب الحملان الذي نتناول قاصيتي المنى من ناصيته، والمركب الذي تُسْتَخْذَى[4] حُلى الثريا لحليته، والسيف والمنطقة الناطقان عن نهاية الإكرام، الناظمان قلائد الإعظام. خلع تخلع قلوب الأعداء من مَقَارِّها، وتعمر نفوس الأولياء بمسارّها، وسيف كالقضاءِ مَضاءً وحدًّا، ولواء يَخْفُق قلوب المنازعين إذا خفق، وحملات تصدع منكب الدَّهْرِ إذَا انطلق.

[ولهم في التهنئة بالقدوم من سفر]

أُهنِّىء سيدي ونَفْسِي بما يَسَّرَه الله من قدومه سالماً، وأشكره على ذلك شكراً قائماً؛ غَيْبَةُ المكارم مقرونةٌ بغيبتك، وأوْبَةُ النعم موصولةٌ بأوْبتك؛ فوصل الله تعالى قدومك من الكرامة، بأضعاف ما قَرَنَ به مسيرَك من السلامة، وهناك أيامَك، وبلّغك محَابّك؛ ما زِلْتَ بالنيَّة مسافراً، وباتّصال الذكر والفكر لك ملاقياً، إلى أن جمع الله شَمْلَ سروري بأوْبَتك[5]، وسكّن نافِرَ قلبي بعودتك، فأسأل الله أن يسعدك بمقدمك سعادةً تكون فيها [بالإقبال] مُقَابلاً، وبالأماني ظافراً، ولا أوحش منك أوطانَ الفضل، وربَع المجد، بمنّه وكرمه.

---

(١) الطُّلى: الأعناق، أو أصولها.

(٢) غَمَطَ النعمة: كفرها ولم يشكرها.

(٣) في نسخة: «وامتطى حملانه التي بها إحسانه».

(٤) استخذى: خَضَعَ وَذَلَّ.

(٥) أوْبَتك: رُجُوعك.

[من أحسن الشعر]

قال الهَيْثم بن عدي: أنشدني مجالد بن سعيد شعراً أعجبني، فقلت: من أنشدكه؟ قال: كنا يوماً عِنْد الشعبي فتناشدنا الشعرَ، فلما فرغنا قال: أيُّكم يحسن أن يقولَ مثلَ هذا، وأنشدنا:

خَليليَّ مَهْلاً طالما لَمْ أَقُلْ مَهْلاَ ... وَمَا سَرَفاً مِ الآنَ قُلْتُ وَلا جَهْلاَ[١]

وَإنَّ صِبَا ابنِ الأربعينَ سَفَاهَةٌ ... فَكَيْفَ مَعَ اللاتي مُثِلْتُ بها مَثْلاَ

يَقولُ لِيَ المُفْتِي وَهُنَّ عَشِيّةً ... بمكّة يَسْحَبْنَ المُهَذَّبةَ السُّحْلاَ[٢]

تَقِ الله لا تَنْظُرْ إليهنَّ يا فَتَى ... وَما خِلْتُني بالحجِّ مُلتمِساً وَصْلاَ

فَوالله لا أنْسَى وَإنْ شَطَّتِ النوى ... عَرانِينَهُنَّ الشمَّ والأعينَ النُّجْلاَ[٣]

ولا المِسْكَ في أعرافِهنَّ ولا البُرى ... جَواعلَ في أوساطها قَصَباً خَدْلاَ[٤]

خَليليَّ لا والله ما قلتُ مَرْحَباً ... لأوّل شَيْبَاتٍ طَلَعْنَ ولا أهْلاَ

خَليليَّ إنَّ الشيبَ داءٌ كَرِهْتُهُ ... فما أحْسَنَ المَرْعَى وَما أقْبَحَ المَحْلاَ

قال مجالد: فكتبت الشعر، ثم قلنا للشعبي: من يقوله؟ فسكت، فحسبنا أنه قائله.

[المراثي التي قيلت على قبر عمرو بن حممة الدوسي]

قال الشَّرْقي بن القَطَامي: لما مات عَمْرو بن حُمَمَةَ الدَّوْسِي ـ وكان أحد من تتحاكم العربُ إليه ـ مَرَّ بقبره ثلاثة نفر من أهل المدينة قادمين من الشام: الهِدْم بن أمرىء القيس بن الحارث بن زيد، وهو أبو كُلْثوم بن الهِدْم الذي نزل عليه النبي ﷺ، وعتيك بن قيس بن هَيْشَة بن أمية بن معاوية، وحاطب بن قيس بن هيشة بن معاوية. وحاطب بن هيشة الذي كانت بسببه حرب حاطب، فَعَقَروا رواحلهم على قبره، وقام الهِدْم فقال:

لقد ضَمَّتِ الأثْراءُ مِنْكَ مُرَزَّأً ... عَظيمَ رَمَادِ النارِ مُشْترك القِدْرِ[٥]

---

(١) في رواية: «ولا سرفاً مني المقال».

(٢) المهدبة السحل: الثياب البيض، واحدها سحيل.

(٣) الأعْيُن النُّجْلُ: الحسناء الواسعة.

(٤) البُرَى: جمع بُرَة، وهي الخلخال. وَخَدَلَ خَدَلاً، وخَدَالَةً، وَخُدُولاً: امتلأ، ويقال: خَدِلَتْ المرأة، وَخَدِلَتْ الساق، وَخَدِلَتْ الذراع، فهو أخدل، وهي خدلاء.

(٥) الأثراء: جمع ثَرًى، وهو التراب النديّ، وقيل: هو التراب الذي إذا بُلَّ لم يصر طيناً لازباً.

إذا قُلْتَ لم تَتْرُكْ مَقالاً لِقائلٍ ... وَإنْ صُلْتَ كُنْتَ الليثَ تَحْمي حِمَى الأَجْرِ
حَليماً إذا ما الحِلْمُ كانَ حَزامةً ... وَقُوفاً إذا كان الوُقوفُ على الجَمْرِ[1]
لِيَبْكِكَ مَنْ كانتْ حَياتُكَ عِزَّهُ ... وَأَصْبَحَ لما مُتَّ يُغْضي على الصُّغْرِ
سَقَى الأرضَ ذاتَ الطُّولِ والعرضِ مُثْجِمٌ ... أحمّ الذّرى واهي العُرَى دائمُ القَطْرِ[2]
وَما بِي سُقْيا الأرضِ لَكِنَّ تربةً ... أضلَّكَ في أحشائها مُلْحَدُ القبْرِ

وقام عتيك بن قيس فقال:

بِرَغْمِ العُلا والجودِ والمجدِ والنّدى ... طَوَاكَ الرَّدى يا خَيْرَ حَافٍ وَناعِلِ
لَقَدْ غالَ صَرْفُ الدهرِ مِنْكَ مُرَزّأً ... نَهوضاً بأعباءِ الأمورِ الأثاقِلِ[3]
يَضُمُّ العُفَاةَ الطارقينَ فِناؤُهُ ... كما ضَمّ أمّ الرأسِ شَعْبَ القبائلِ[4]
وَيَسْرُو دُجا الهيجا مَضاءُ عزيمةٍ ... كما كشفَ الصبحُ أطّراقَ الغَياطِلِ[5]
وَيُسْتَهزَمُ الجيشُ العَرَمْرَمُ باسمِهِ ... وَإنْ كانَ جَرَّاراً كثيرَ الصواهلِ[6]
فإما تُصِبْنا الحادثاتُ بِنَكْبَةٍ ... رَمَتْك بها إحدى الدواهي الضآبلِ[7]
فلا تَبْعَدَنْ إن الحُتوفَ مَوارِدٌ ... وَكُلُّ فتًى مِنْ صَرْفِها غَيْرُ وائلِ[8]

وقام حاطب بن قيس فقال:

سَلامٌ على القَبْرِ الذي ضَمَّ أَعظماً ... تَحومُ المعالي نَحْوَهُ فَتُسَلِّمُ
سَلامٌ عليهِ كُلَّما ذَرَّ شارقٌ ... وَما امتدَّ قِطع من دُجَى الليل مُظْلِمُ[9]
[فيا قَبْرَ عمرو جادَ أرضاً تعطَّفَتْ ... عَلَيْكَ مُلِثٌّ دائِمُ القَطْرِ مُرزِمُ[10]

---

(١) الحزامة: الضبط، والإتقان.
(٢) مُثْجِمٌ: سريع المطر دَائِمُهُ. يقال: أثجمت السماء: أسرع مطرها ودام. واهي العرى: ضعيفها.
(٣) غاله غَوْلاً: أهلكه.
(٤) العُفاة: طالبو المعروف. الفناء: ساحة الدار.
(٥) الغياطل: جمع غيطل: الظلمة.
(٦) جيش عرمرم: كثير العدد. الصواهل: جمع صاهل، والمراد الأحصنة.
(٧) الضآبل: جمع ضئبل، وهي الداهية.
(٨) الحتوف: جمع حتف، وهو الهلاك. وغير وائل: غير ناج.
(٩) كلما ذَرَّ شارق: أي كلما أشرقت الشمس، أو كلما أسفر الصبح.
(١٠) مُلِثٌّ يقال: لَثَّ المطر: دام أياماً لا يقلع. مُرْزِمُ: يقال: أرزم الرعد: اشتد صوته، ورزم =

تَضمّنـتَ جِسْمـاً طـابَ حيًّا ومَيِّتـاً ... فـأنْـتَ بمـا ضُمِّنْتَ فـي الأرض مُعْلَـمُ
فلـو نَطقَـتْ أرضٌ لقـالَ تُـرابُهـا ... إلـى قبـرِ عَمْـرِو الأزدِ حَـلَّ التكـرُّمُ
إلـى مَـرْمَـسٍ قَـدْ حَـلَّ بيـن تُـرابـهِ ... وأحجـارِهِ بَـدْرٌ وأضبـط ضَيْغَـمُ[1]
فـلا يَبعـدنْـكَ الله حيًّـا وميّتـاً ... فقد كُنتَ نورَ الخطبِ والخطبُ مُظْلِمُ
لَعَمْـرُ الـذي حُطَّـتْ إليـه على الْـوَنَـا ... حَـدابيـرُ عُـوجٌ نَيُّهَـا مُتَهَمِّـمُ[2]
لَقَـدْ هَـدَمَ العليـاءَ مَـوْتُـكَ جَـانبـاً ... وكـانَ قـديمـاً رُكْنُهـا لا يُهـدَّمُ

[بلاغة الأعراب]

أعرابي يصف قومه

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يذكر قومه فقال: كانوا إذا اصطفُّوا تحت القَتام، مطرت بينهم السّهام، بشؤبوب الحِمَام[3]، وإذا تصافحوا بالسيوف، فغرت أفواهها الحتُوف، فرب قِرْن عارِم قد أحسنوا أدبه، وحَرْبٍ عبوس قد أضحكتها أسنتهم، وخَطْب مُشمَئِز ذَلّلوا مناكبه، ويوم عَمَاس[4] قد كشفوا ظُلْمَته بالصبر حتى تتجلّى. كانوا البحر لا يُنْكَشُ غُمَاره[5]، ولا يُنَهْنَهُ تيّاره.

أعرابي يصف حاله عند الموت

قال العتبي: سئل أعرابي عن حاله [عند موته] فقال: أجدني مأخوذاً بالنّقلة، مَحْجُوجاً بالمهلة، أفارق ما جمعت، وأقدم على ما ضيَّعْت، فيا حيائي من كريم قدَّم المعذرة، وأطال النَّظِرَة[6]، وإن لم يتداركني بالمغفرة، ثم قضى.

= الشتاء، برد، والرَّزِمُ: الغيث الذي لا ينقطع رعده.

(١) الضيغم: من أسماء الأسد.

(٢) الوَنَى: الفتور، والضعف، والكلال، والإعياء. الحدابير: جمع حِدْبار، أو حِدْبير، وهي الناقة الضامرة التي يبس لحمها من الهزال وبدت حراقفها، وقيل: هي الناقة العجفاء الظهر. والعُوج: جمع عوجاء، وهي الناقة التي عجفت فاعوج ظهرها، وناقة عائجة: لينة الأعطاف.

(٣) القتام: الغبار الذي تثيره الخيل في المعركة. الشؤبوب: الدفعة من المطر.

(٤) يوم عماس: شديد، والعماسُ: كل أمر شديدٍ لا يُدْرَى من أين يُؤتى له، والحرب الشديدة.

(٥) نكش الشيء نكشاً: أخرج ما فيه، يقال: هذه بئر لا تُنْكَش: لا تُنْزَح، وفلان بحر لا يُنْكَش: لا ينْفَدُ كَرَمُه.

(٦) النظرة: التأخير والتأجيل.

الإخوان ثلاثة

وقال بعضُ الرواة: كان يقال: الإخوان ثلاثة: أخ يخلصُ لك وُدّه، ويبلغ لك في مهمّك جُهْده، وأخ ذُو نيَّةٍ يقتصرُ بك على حسن نيته، دون رِفْدِه[١] ومعونته، وأخ يجاملك بلسانه، ويشتغل عنك بشأنه، ويوسِعك من كِذبه بأيمانِه.

أعرابية تسأل

قال إسحاق بن الموصلي: وقفت علينا أعرابية فقالت: يا قوم، تعثر بنا الدهر، إذ قلّ منا الشكر، وفارقنا الغِنى، وحالفنا الفقر، فرحم الله امرأً فهم بِعَقْلٍ، وأعطى من فَضْل، وَواسَى مِنْ كَفَاف، وأعان على عَفَاف.

[ذل السؤال]

قال أبو بكر الحنفي: حضرتُ مسجد الجماعة بالكوفة، وقام سائلٌ يتكلّم عند صلاةِ الظهر ثم عند العصر والمغرب، فلم يُعْطَ شيئاً. فقال: اللهم إنك بحاجتي عالم غير معلّم، واسعٌ غير مكلَّف، وأنت الذي لا يرزؤك نائل، ولا يُحْفيك[٢] سائل، ولا يبل، مِدْحَتك قائل، أنت كما قال المُثْنُون، وفوق ما يقولون، أسألك صبراً جميلاً، وفرجاً قريباً، ونَصْراً بالهدى، وقرّة عين فيما تحب وترضى، ثم وَلَّى لينصرف، فابتدره الناسُ يعطونه، فلم يأخذ شيئاً، ثم مضى وهو يقول:

مـا اعْتَـاضَ بـاذلُ وَجْهِـهِ بِسُـؤالِـه ... عِـوَضـاً، وَلـوْ نـالَ الغِنَـى بِسُـؤالِ
وَإذا السـؤالُ مَـعَ النـوالِ وَزَنْتَـهُ ... رَجَـحَ السُّـؤَالُ وخَـفَّ كُـلُّ نَـوَالِ

[من مقامات بديع الزمان]

المقامة الأهوازية (المكفوفية)

ومن مقامات الإسكندري إنشاء البديع: حدَّثنا عيسى بن هشام قال: كنت في بلاد الأهواز، وقُصاراي لفظة شرود أصِيدها، أو كلمة بليغة أستفيدها؛ فأدَّاني السير إلى رُقْعَةٍ [من البلاد] فسيحة، وإذا هناك قومٌ مجتمعون على رجل يستمعون إليه وهو يخبط الأرض بِعَصاً

---

(١) الرِّفْدُ: العطاء.
(٢) لا يحفيك: لا يثقل عليك.

على إيقاع لا يختلفُ، وعلمت أنَّ مع الإيقاع لَحْناً، ولم أبْعُدْ لأنال من السماع حظًّا، أو أسمع من البليغ لَفْظاً، فما زِلْتُ بالنظّارة، أزحَم هذا وأدفعُ ذاك، حتى وصَلْتُ إلى الرجل، وصرفت الطرف منه إلى حُزُقَّةٍ كالْقَرْنَب[١]، مكفوف في شَمْلَة من صوف، يَدُور كالخُذْروف[٢]، مُتَبَرْنِساً بِأَطْوَلَ منه[٣]، مُعتمِداً على عصاً فيها جلاجل[٤]، يَضْرِبُ الأرض بها على إيقاعٍ غَنِج، ولفظٍ هَزِج، من صدرٍ حَرِج، وهو يقول:

يا قومُ قَدْ أثقلَ دَيْني ظَهْري ... وَطالبتني طَلّتي بالمَهْرِ[٥]
أصْبَحتُ مِنْ بَعْدِ غنًى وَوَفْرِ ... سَاكِنَ قَفْرٍ وَحليفَ فَقْرِ
يا قومُ هَلْ بينكمُ مِنْ حُرِّ ... يُعينني على صُروفِ الدهرِ
يا قومُ قدْ عِيلَ بِفَقْري صَبْري ... وانكشفَتْ عني ذيولُ السِّتْرِ
وَفَضَّ ذا الدهرُ بأيدي البَتْرِ ... ما كانَ لي مِنْ فضّةٍ وَتِبْرِ
آوي إلى بيتٍ كَقِيدِ الشّبْرِ ... خَامِلَ قَدْرٍ وَصغيرَ قِدْرِ[٦]
لو خَتَمَ الله بخيرٍ أمري ... أعقبني مِنْ عُسْرَةٍ بِيُسْرِ
هَلْ مِنْ فتًى فيكم كريمُ النَّجْرِ ... مُحتسبٌ فِيَّ عَظيمَ الأَجْرِ[٧]

إن لم يَكُنْ مُغْتنماً لِلشكرِ

قال عيسى بن هشام: فرقَّ له والله قلبي، واغرورقت عيني، وما لبثت أن أعطيته ديناراً كان معي، فأنشأ يقول:

يا حُسْنَها فاقِعَةٌ صفراءُ ... مَعْشُوقَةٌ مَنْقُوشَةٌ قَوْرَاءُ
يكاد أنْ يَقْطُرَ منها الماءُ ... قَدْ أثمرَتْها هِمَّةٌ عَلْيَاءُ
نَفْسُ فَتًى يَمْلِكُهُ السَّخَاءُ ... يصرفُهُ فيهِ كما يَشَاءُ

---

(١) الحزقة: القصير المتقارب الخطو. والقرنب: اليربوع أو الفأرة.
(٢) الخذروف: لعبة من لعب الصبيان.
(٣) تَبَرْنَسَ فلان: لبس البُرْنُس، وهو كلُّ ثوب رأسه منه، مُلتزقٌ به، أو قلنسوة طويلة.
(٤) الجلاجل: جمع جُلجل، وهو الجرس الصغير.
(٥) الطلّة: الزَّوْجَة.
(٦) قيد الشبر: قدره.
(٧) النَّجْرُ: الأصل.

يــــا ذا الـــذي يَعْنِيـــهِ ذَا الثنـــاءُ مـــا يتقصَّـــى قَـــدْرَكَ الإطْـــرَاءُ[١]

فـــامْـــضِ علـــى الله لـــكَ الجـــزاءُ

ورحم الله من شدّها في قرن بِمثلها، وآنسها بأختها، فناله الناس ما نالوه[٢]؛ ثم فارقهم وتبعته، وعلمتُ أنه متعامٍ لسرعة ما عَرَف الدينار، فلما نَظَمَتْنَا خَلْوةٌ مددتُ يُمْناي إلى يسرى عَضُدَيه، وقلت: والله لَتُرِيَنّي سِرَّك، أو لأكشفنّ سِتْرك؛ فكشف عن تَوْأمَتي لَوْز[٣]، وحَدَرت لثامه، فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري، فقلت: أنت أبو الفتح؟ فقال: لا.

أنـــــا أبـــــو قَلَمُـــــون فـــي كُـــلِّ لَـــوْنٍ أكُـــونُ

اخْتَـــرْ مِـــنَ الكَسْـــبِ دُونـــاً فـــــإنّ دَهْـــــرَكَ دُونُ

زَجِّ الـــزمـــانَ بِحُمْـــقٍ إنّ الـــزمـــانَ زَبـــونُ

لا تُخْـــدَعَـــنّ بِعَقْـــلٍ مـــا العقـــلُ إلا الجنـــونُ

[من شعر كشاجم]

وقال أبو الفتح كشاجم:

مـا زال حَـرُّ الشـوقِ يَغْلِـبُ صَبْـرَهـا حَتّـى تَحـدَّرَ دَمْعُهـا المتعَلِّـقُ

وَجـرَى مـن الكُحْـل السحيـقِ بخـدِّهـا خَـطٌّ تُـؤَثِّـرُهُ الـدمـوعُ السُّبَّـقُ

فَكـأنَّ مَجْـرَى الـدمـع حِلْيـةُ فِضّـةٍ فـي بَعْضـهِ ذَهَـبٌ وَبَعْـضٌ مُحْـرَقُ

وقال:

مـــا لـــذةٌ أكمـــلُ فـــي طِيبهـــا مِـــنْ قُبلـــةٍ فـــي إثـــرهـــا عَضّـــهْ

كـــأنّمـــا تـــأثيـــرهـــا لَمْعَـــةٌ مِـــنْ ذَهَـــبٍ أُجْـــرِيَ فـــي فِضّـــهْ

خَلَسْتُهـــا بـــالكُـــرْهِ مـــنْ شَـــادِنٍ يَعْشَـــقُ بَعضِـــي بِـــالمُنَـــى بَعْضَـــهْ[٤]

---

(١) أطراه: أحسن الثناء عليه، وبالغ فيه.
(٢) ناله الناس: أعطوه.
(٣) توأمتي لوز: كناية عن حِدَّة عينيه.
(٤) الشادن: ولد الظبية الذي قوي واشتد واستغنى عن أمّه.

وقال:

وَمُسْتَهْجِنٍ مَذْحِي لـه إن تأكّدَتْ ... لـه عُقَدُ الإخلاصِ، والحُرُّ يُمْدَحُ[١]

ويَأْبَى الذي في القلبِ إلاّ تبيّناً ... وَكُلّ إناءٍ بالذي فيهِ يَرْشَحُ

وقال:

وَإذا افْتَخَرْتَ بأَعْظُمٍ مَقْبُورةٍ ... فالناسُ بَيْنَ مُكَذِّبٍ وَمُصَدّقِ

فأَقِمْ لِنَفْسِكَ في انتسابِكَ شاهداً ... بِحَديثِ مَجْدٍ للقديمِ مُحقِّقِ

وقال:

يا مُسْدِيَ العُرْفِ إسراراً وإعلانا ... وَمُتْبِعَ البِرِّ والإحْسانِ إحسانا[٢]

أقْلِعْ سَحابَك قَدْ غَرَّقْتَني نِعَماً ... ما أدْمَنَ الغَيْثُ إلاّ كانَ طُوفانا[٣]

هذا مولد من قول أبي نواس[٤]:

لا تُسْدِيَنَّ إليّ عارِفَةً ... حَتّى أقُومَ بِشُكْرِ ما سَلَفا[٥]

البحتري[٦]:

ألَحَّ جُوداً وَلم تَضْرُرْ سَحائِبُهُ ... وَرُبَّما ضَرَّ في إلْحاحِهِ المَطَرُ

مَواهِبٌ ما تَجَشَّمنا السُّؤالَ لها ... إنَّ الغمامَ قَليبٌ لَيْسَ يُحْتَفَرُ[٧]

وقد أُخِذَ على ذي الرمة قولُه[٨]:

---

(١) استهجن الشيء: استقبحه.

(٢) المُسْدِي: المعطي، وأسدى: أعطى. والعُرْفُ: المعروف.

(٣) أقلع سحابك: أي اقطع معروفك وعطاءك. وأدمن: دام وتتابع.

(٤) أبو نواس، الديوان: ص ٤٣٣. والبيت من قصيدة يمدح بها العباس بن عبيد الله، ومطلعها:

حَلَّتْ سُعادُ وأهلها سَرِفا ... قَوْماً عِدًى وَمحَلَّةً قَذَفا

(٥) العارفة: الإحسان، الجمع عوارف.

(٦) البحتري، الديوان: ٢/٣٠٩. والبيتان من قصيدة يمدح بها علي بن مرّ الأرمني.

(٧) تجشمنا: تكلفنا. القليب: البئر.

(٨) عاب عليه قدامة بن جعفر عدم الاحتراس في قوله: «ألا يا أسلمي...» وَرُدَّ ذلك عليه بأن الشاعر قدَّم الدعاء بالسلامة للدار في أول البيت، فأتى بالإحتراس المطلوب. (انظر العمدة: ٢/٥١).

ألا يا إسلمي يا دارمَيَّ على البِلَى وَلا زالَ مُنْهَلاًّ بِجَرْعَائِكَ القَطْرُ[١]

قالوا: وأحسن منه قول طرفة[٢]:

فَسقَى دِيارك غَيْرَ مُفسِدِهَا صَوْبُ الربيع وَدِيمةٌ تَهْمِي[٣]

وقد تحرز ذو الرمة مما تؤول عليه بالسلامة في أول البيت.

وقال كشاجم:

أيا نَشْوانَ مِنْ خَمْرٍ بِفيهِ مَتى تَصْحُو وَرِيقُكَ خَنْدَرِيسُ[٤]
أرى بكَ ما أراهُ بِذي انتشاءٍ ألحَّ عليه بالكاسِ الجليسُ
تَوَرُّدُ وَجْنَةٍ وَفُتورُ لَحْظٍ تُمَرِّضُهُ وأعطافٌ تَميسُ[٥]

وقال:

وما زالَ يَبْرِي جُملةَ الجسم حُبُّها وَيُنْقِصُهُ حتَّى نَقَصْتُ عن النَّقْصِ[٦]
وَقدْ ذُبْتُ حتَّى صِرْتُ إنْ أنا زُرْتُها أمِنتُ عليها أن يَرَى أهْلُها شَخْصِي

[الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره]

كتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء: نَبَتْ بي غِرَّةُ الحداثة، فردَّتني إليك التجربة، وقادَتْني الضرورة، ثِقةً بإسراعك إليّ وإن أبطأْتُ عنك، وقبولِك العذرَ، وإن قصرتُ عن

(١) مُنْهَلاًّ: متساقطاً. الجرعاء: الرملة المستوية لا تنبت شيئاً. والقطر: المطر.

(٢) طرفة بن العبد، الديوان: ص ٨٨. والبيت من قصيدة يهدد بها المسيب بن علس، ويمدح قتادة بن مسلمة الحنفي، وكان قد أصاب قوم طرفة سنة فأتوه، فبذل لهم. وقتادة هذا من أجواد العرب، وكان يلقب بغيث الضريك، وَضُرِبَ به المثل؛ فقيل: أَقْرَى من غيث الضريك.

(٣) الصوب: المطر. الديمة: السحاب يدوم مطره. وقوله: غير مفسدها: احتراس للديار، من أن تفسدها كثرة المطر. ومثله قول جرير:

فَسقاكِ - حَيْثُ حَلَلْتِ غَيْرَ فَقِيدَةٍ - هَزِجُ الرّواحِ وَدِيمةٌ لا تُقْلِعُ

(ديوانه: ص ٢٦٨). وقوله: «غير فقيدة» تتميم لما أراد من دنوها وسقياها غير راحلةٍ ولا ميتة، إذ كانت العادة أن يُدعى للغائب الميت بالسقي؛ فاحترس من ذلك.

(٤) الخندريس: الخمر.

(٥) ماس فلان مَيْساً وَمَيَساناً: تبختر واختال.

(٦) يبري: ينحل، ويهزل، ويضعف.

واجبك، وإن كانت ذنوبي سدَّتْ عليّ مسالك الصفح عني، فراجعْ فيَّ مجدك وسؤددك، وإني لا أعرف موقفاً أذل من موقفي، لولا أنّ المخاطبة فيه لك، ولا خطَّة أدنى من خُطَّتي، لولا أنها في طلب رِضاك.

وهذا المعنى الذي ذهب إليه من الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره قد أكثر الناسُ منه قديماً وحديثاً وسأفيض في طرفٍ من ذلك.

أنشد أبو عبيدة لزياد بن مُنْقِذ الحنظلي، وهو أخو [المرار العَدَوي، نسب إلى أُمّه العدوية، وهي فُكَيهة بنت تميم بن الدُّوَل بن جَبَلَة بن عدي بن] عبد مناة بن أُد بن طابخة؛ فولدت لمالك بن حنظلة عديًا ويربوعاً؛ فهؤلاء من ولده يقال لهم: [بنو] العَدَويّة، وكان زيادٌ نزل بِصَنْعَاء فاجتواها[١] ومنزله بنجد، فقال في ذلك قصيدة يقول فيها وذكَرَ قومه:

مُخَدَّمون ثِقَالٌ في مَجالسِهِمْ ... وَفي الرحال إذا صَاحَبْتَهُمْ خَدَمُ[٢]
لم أَلْقَ بَعْدَهمُ حَيًّا فأَخبِرَهُمْ ... إلاّ يَزِيدهُم حُبًّا إليَّ هُمُ

وأراه أول من استثار هذا المعنى.

وكان ابن أبي عَرَادة السعدي مع سلم بن زيادة بخراسان وكان له مُكْرِماً فتركه وصحب غيره فلم يحمد أمره، فرجع إليه، فقال:

عَتَبْتُ على سَلْم فلما فَقَدْتُهُ ... وَجَرَّبْتُ أقْواماً بَكَيْتُ على سَلْمِ
رَجَعْتُ إليه بَعْدَ تَجْرِيبِ غَيْرِهِ ... فَكانَ كَبُرْءٍ بَعْدَ طولٍ من السُّقْمِ

وقال مسلم بن الوليد:

حَياتك يا بْنَ سَعْدَانَ بنَ يَحْيَى ... حَيَاةٌ للمكارمِ والمَعَالِي
جَلبتُ لكَ الثناءَ فجاءَ عَفْواً ... وَنَفْسُ الشكرِ مُطْلقَةُ العِقَالِ[٣]
وَتُرْجِعُني إليكَ ـ وإن نَأَتْ بي ... دِياري عَنْكَ ـ تَجْرِبَةُ الرجالِ

وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد للبحتري[٤]:

---

(١) اجتواها: كرهها واستوخمها.
(٢) مخدمون: يكثر غيرهم خدمتهم. وثقال في مجالسهم: كناية عن الحلم والثبات.
(٣) العقال: الحبل الذي يُعقل به البعير، استعاره للنفس الشاكرة.
(٤) لم نجد هذين البيتين في ديوان البحتري.

أخٌ لـكَ عـاداهُ الـزمـانُ فـأَصْبَحـتْ ... مُـذممـةً فيمـا لـديـهِ المطَـالـبُ
مَتـى مـا تُـذوِّقْـهُ التجـاربُ صَـاحبـاً ... مِـن النـاسِ تَـرْدُدْهُ إليـك التَّجـاربُ

وأنشد:

حَيـاةُ أبـي العبـاسِ زَيْـنٌ لِقَـوْمـهِ ... لِكُـلّ امـرىء قَـاسَـى الأمـور وجَـرَّبـا
وَنَعْتِـبُ أحيـانـاً عليـهِ وَلـو مَضَـى ... لَكُنَّـا علـى البـاقِـي مـن النـاسِ أعْتَبـا(١)

قال الصولي: جرى ذِكْرُ المكتفي بحضرة الراضي فأطريته وأكثرتُ الثناء عليه، فقال لي: يا صولي؛ كنت أنشدتني لجرير(٢):

أُسْليـكَ عَـنْ زيـدٍ لِتَسْلَـى، وَقَـدْ أرَى ... بِعَيْنَيْـكَ مِـنْ زَيْـدٍ قَـذًى لَيْـسَ يَبْـرحُ

فقلت: يا أميرَ المؤمنين، مَنْ شكر القليل كان للكثير أشدّ شكراً، وأعظم ذكراً، قال: فأين أنا لك من المكتفي؟ فأنشدته للطائي(٣):

كَـمْ مِـنْ وسَـاعِ الجُـودِ عِنْـديَ والنَّـدَى ... لَمّـا جَـرى وجَـريْـتَ كـانَ قَطـوفـا(٤)
أحستُمـا صَـدِّي، وَلكـنْ كُنْـتَ لـي ... مِثْـلَ الـربيـعِ حَيـاً وكـانَ خَـريفـا(٥)
وكِـلاَ كُمـا اقْتَعـدَ العُـلاَ فَـرَكِبْتَهـا ... فـي الـذّروة العُلْيـا وَجـاءَ رَدِيفـا(٦)
إن غاضَ ماءُ المزنِ فِضْتَ، وإن قَسَتْ ... كَبِـدُ الـزمـانِ علـيَّ كُنْـتَ رَؤوفـا(٧)

وكان المكتفي أول من نادمه الصولي، واختلط به.

من اسمه علي ممن استخلف

ولم يلِ الخلافة أحد اسمه عليّ إلا عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وعليّ بن

(١) أعتبا: أشدّ عتبا.
(٢) لم نجد هذا البيت في ديوان جرير.
(٣) أبو تمام، الديوان: ١/ ٤٢٥، والأبيات من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف، ويُعرِّض بقائدٍ وليَ الثغور مكانه، وكان ناسكاً فَهُزِم.
(٤) الوساع: المُتَّسع الخطو. القطوف: المتقارب الخطو.
(٥) الصَّفَدُ: العطية. الربيع: أي مطر الربيع. الخريف مطر الخريف.
(٦) اقتعد العلى: جعل العلى راحلة أو فرساً ركبها الممدوح، وجاء الآخر رديفاً، أي تابعاً.
(٧) غاض الماء: غار. المُزْنُ: السحاب.

المعتضد المكتفي بالله، وكان سبب اتصاله به وانقطاعه إليه أنَّ رجلاً يعرف بمحمد بن أحمد الماوردي نزع إلى المكتفي بالرَّقة، وكان ألعبَ الناس بالشطرنج، فلما قدم عليه بغداد وهو خليفة قال: يا أمير المؤمنين، أنا أعلم الناس بهذه الصناعة، فأقطعني ما كان للرازي الشطرنجي؛ فغاظ ذلك المكتفي، وندب له الصولي فلم يُرَ معه الماوردي شيئاً. فقال له المكتفي: صار ماء وردك بَوْلا، قال الصولي: فأقبل المكتفي عليّ ورتَّبني في الجلساء، فحجبت يوماً عنه، واتصل بي أن خصمي شمَّت بي، فكتبت قصيدة للمكتفي أقول فيها:

قَدْ ساءَ ظَنُّ الناسِ بي وتَنَكَّروا ... لَمّا رأوْني دُونَ غَيْرِيَ أُحْجَبُ
إن كانَ غَلْبِيه يُقَرِّبُ أمْرَهُ ... دُونِي فإني عَنْ قَريبٍ أُغْلَبُ

فضحك، وأمر لي بمائتي دينار، وانْدرَجْتُ في خدمته.

[في بيعة يزيد بن معاوية]

اجتمعت وفودُ العرب عند معاوية رحمهُ الله تعالى، وكان إذا أراد أن يفعل شيئاً ألقى منه ذرءاً إلى الناس[1]، فإذا امتنعوا كفّ، وإن رَضُوا أمضى، فعرض ببيعة يزيد، فقامت خطباء مَعَدّ فشقّقوا الكلام، وأطنبوا في الخطاب، فوثب شاب من غَسَّان قابضاً على قائم سيفه، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنَّ الحَيْفَ في حكم السيف[2]، وبعد النسيم الهَيْف[3]؛ فإنَّ هؤلاء عجزوا عن الصّيال، فعوّلوا على المَقَال، ونحن القاتلون إذا صُلْنَا، والمعجبون إذا قلنا، فمن مال عن القَصْدِ أقمناه، ومن قال بغير الحق وقَمْنَاه[4]، فلينظر ناظرٌ إلى موطىء قَدَمه، قبل أن تَدْحض فَيَهْوِي هويَّ الحجر من رأس النِّيق[5]؛ فتفرّق الناس عن قوله، ونَسُوا ما كانوا فيه من الخطب.

[في الإقدام حياة]

وقال المهلب يوماً لجلسائه: أراكم تعنّفونني في الإقدام، قالوا له: إي والله، إنك

---

(١) ذرءاً: أي شيئاً منه.
(٢) الحيف: الظلم والجور.
(٣) الهيف: الريح الحارة.
(٤) وقمناه: قهرناه وأذللناه.
(٥) النيق: أرفع موضع في الجبل.

لَسَقوطٌ بنفسك في المهالك، قال: إليكم عني! فوالله لولا أن آتي الموت مسترسلاً، لأتاني مستعجلاً؛ إني لستُ آتي الموتَ من حُبّه، إنما آتِيه من بُغْضِه، ثم تمثّل بقول الحُصَين بن الحُمَام المري:

[تَأَخرتُ أستبقي الحياة فلم أجِدْ لِنَفْسي حَياةً مِثْلَ أنْ أتقدَّما

ومن هذا أخذ أبو الطيب المتنبي قوله][(1)]:

أرى كُلَّنا يَهْوى الحياةَ لِنَفْسهِ حَريصاً عليها مُسْتهاماً بها صَبَّا[(2)]
فَحُبُّ الجبانِ النفسَ أوردهُ التُّقَى وَحُبُّ الشجاعِ النفسَ أَوْرَدَهُ الحَرْبَا[(3)]

وقال أبودلف:

الحَرْبُ تَضْحَكُ عن كَرِّي وإقدَامي وَالخَيْلُ تَعْرِفُ آثارِي وأيَّامِي
سَيْفي مُدَامِي، ورَيْحَاني مُثقَّفتي، وَهِمَّتي مِقَةُ التفصيلِ لِلْهَامِ[(4)]
وَقد تجرَّد لي بِالحُسْنِ مُنفرداً أمْضَى وأشْجَعَ منِّي يومَ إقدامي
سَلَّتْ لَواحِظُه سَيْفَ السَّقَامِ على جِسْمي فأصبحَ جِسْمي رَبْعَ أسقامِ

[من أخبار أبي دلف وشعره]

وكان أبو دلف شاعراً مجيداً، وجواداً كريماً جامعاً لآلات الأدبِ والظرف، وله شعرٌ جيد في كل فن، وهو القائل:

أحبّكِ يا جَنَان؛ فأنت مني مَحلُّ الروحِ من جَسَدِ الجَبانِ
وَلو أني أقولُ: مكانَ روحي لَخِفْتُ عليكِ بادِرَة الزمانِ[(5)]
لإقدامي إذا ما الخيلُ جَالَتْ وَهابَ كُماتُها حَرَّ الطِّعَانِ[(6)]

---

(١) المتنبي، الديوان: ٢/٨٩. والبيتان من قصيدة يمدح بها سيف الدولة الحمداني، ويذكر بناءه، مرعش في المحرم سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢ م.
(٢) يبغي، يطلب. المستهام: الذي غلب عليه العشق فخرج على وجهه. والصب: العاشق.
(٣) في الديوان: «أورده البقا» و«حب الشجاع الحرب».
(٤) المثقفة: القناة: الرمح، والمقة: المحبة. الهام: الرؤوس.
(٥) البادرة: الغضبة السريعة.
(٦) الكماة: جمع كميّ، وهو الفارس المتكمي في سلاحه، أي المستتر.

وكان يتعشَّق جارية ببغداد فإذا شخَصَ إلى الحضرة زارها، فركب في بعض قَدَماته إليها، فلما صار بالجسر مشَى على طرف طيلسان بعض المارّين، فخرقه، فأخذ بعِنانه، وقال: يا أبا دلف؛ ليست هذه كرخك، هذه مدينة السلام؛ الذئب والشاة بها في مَرْبَع واحد! فثنى عنانه متوجّهاً إلى الكرخ، وكتب إلى الجارية:

قَطَعَتْ عنْ لِقائكِ الأشغالُ وَهُمومٌ أتَتْ عليَّ ثِقَالُ
في بلادٍ يُهَانُ فيها عَزيزُ الـ ـقَوْمِ حتَّى تَنالَهُ الأنذالُ
حَيثُ لا مدفعٌ بسيفٍ عن الضَّيْـ ـمِ ولا لِلكُمَاةِ فيه مَجَالُ
وَمُقامُ العزيزِ في بَلَدِ الهو نِ إذا أمكنَ الرحيلُ مُحالُ
فَعليكِ السلامُ يا ظَبْيَةَ الكَرْ خِ أقَمْتُمْ وَحَانَ مِنَّا ارتحالُ

ودخل أبودلف على المأمون بعد الرِّضا عنه، فسأله عن عبد اللَّه بن طاهر، فقال: خلَّفتُه يا أميرَ المؤمنين أمين غَيْب، نصيح جَيْب، أسداً عاتياً، قائماً على بَرَاثِنه، يسعد به وَليُّك،، ويَشْقَى به عدوُّك، رَحْبَ الفِناء لأهل طاعتك، ذا بأس شديد لمن زاغ عن قَصْدِ محجَّتك، قد فَقَّهه الحَزْم، وأيقظه العَزْم، فقام في نحر الأمور على ساق التشمير، يُبْرِمها بأيْدِه[1] وكَيْدِه، ويفلّها بحدِّه وجدِّه؛ وما أشبه في الحرب إلا بقول العباس بن مرداس:

أكُرُّ على الكَتيبةِ لا أُبالي أحَتْفِي كانَ فيها أمْ سِوَاها

[فقال قائل: ما أفصحه على جَبَلِيَّتِهِ! فقال المأمون: وإن بالجبل قوماً أمجاداً، كراماً أنجاداً، وإنهم لَيُوفُّونَ السيفَ حظّه يوم النِّزال، والكلام حقَّه يوم المقال، وإن أبا دلف منهم].

[من رسائل الميكالي]

فصل لأبي الفضل الميكالي من كتاب تعزية عن أبي العباس بن الإمام أبي الطيب.

لئن كانت الرزيَّة بمصيبةٍ مُؤْلمة، وطُرُقُ العزاء والسَّلْوَة مبهمة، لقد حلَّت بساحةِ من لا تُنْتَقَضُ بأمثالها مرائِرُه، ولا تَضْعُفُ عن احتمالها بصائِرُهُ، بل يتلقّاها بِصَدْرٍ فسيح يَحْمي أن يَفْتَتِحَ الحزنُ بابه، وصبرٍ مُشيح يحمي أن يَحبطَ الجزعُ أجره وثوابَه، ولم لا وآدابُ الدينِ

(١) الأَيْدُ: القوة.

من عنده تُلتمس، وأحكامُ الشرعِ من بَنَانِه ولسانه تُستفادَ وتُقْتَبَس، والعيونُ ترمُقُه[١] في هذه الحال لتجريَ على سَنَنِه، وتأخذ بآدابه وسُننه، فإن تَعَزَّت القلوب فَبِحُسْنِ تماسكه عزاؤها، وإن حَسُنَت الأفعال فإلى حميدِ أفعاله ومذاهبه اعتزاؤُها.

وله من تعزية إلى أبي عمرو البحتري: قدَّس الله رُوحَه، وسقى ضريحه؛ فلقد عاش نبيه الذِّكْر، جليلَ القَدْرِ، عَبِقَ الثناء والنَّشْر، يتجمَّل به أهل بلده، ويتباهى بمكانه ذوو مودَّتِه، ويفتخر الأَثَرُ وحاملوه بتراخي بقائه ومُدَّتِه، حتى إذا تسنَّم ذِرْوة[٢] الفضائل والمناقب، وظهرت محاسنُه كالنجوم الثواقب، اختطفته يدُ المِقْدَار، ومُحِي أثره بين الآثار، فالفضلُ خاشعُ الطَّرْفِ لِفَقْدِه، والكَرَمُ خالي الرَّبْع من بعده، والحديثُ يندبُ حَافِظَه ودَارِسَه، وحُسْنُ العهد يبكي كافله وحارسه.

وله: فأما الشكرُ الذي أعارني رداءَهُ، وقلَّدني طَوْقَهُ وسناءَهُ؛ فهيهات ينتسب إلا إلى عادات فَضْلِه وإفضاله، ولا يسير إلاَّ تحت رايات عُرْفه ونَوَاله، وهو ثوب لا يُحلَّى إلا بذكره طِرَازه، واسمٌ له حقيقته ولسواه مجازُه، ولو أنه حين ملك رِقِّيَّ بأياديه، وأعجز وُسْعِي عن حقوق مكارِمه ومساعيه، خلَّى لي مذهبَ الشكر ومَيْدَانه، ولم يجاذبني زِمامَه وعنَانه، لتعلَّقْت عن بلوغ بعض الواجب بِعُرْوَة طَمَع، ونهضت فيه ولو على وَهن وظَلَع[٣]، ولكنه يَأْبى إلا أن يستولي على أمدِ الفضائل، ويتسنمُ ذُرَا الغوارب منها والكواهل؛ فلا يَدَعُ في المجد غاية إلاّ يسبق إليها فارطاً، وَيُخَلِّفُ من سوَاهُ عنها حسيراً ساقطاً؛ لتكون المعالي بأسرِها مجموعة في مِلْكِه، منظومةً في سِلْكه، خالصةً له من دعوى القسيم وَشِرْكِه.

وله فصل من كتاب إلى أبي سعيد بن خلف الهمداني: فأما التُّحْفَةُ التي شَفعها بكتابه فقد وَصلَتْ، فكانت ضَرَّةً لِزَهْرِ الربيع، مُوفيةً بحُسْنِ الخطِّ على الوَشْي الصنيع، وليس يَهْتَدِي لمثل هذه اللطائف في مَبَرَّة الإخوان، إلاَّ من يُعَدُّ من أفراد الأقران، ولا يَرْضَى من نفسه في إقامةِ شَعائر البرِّ دُونَ القِران[٤]، والله يمتّعه بما مَنَحَهُ من خصائص هي في آذان الزمان شُنُوف[٥]، وفي جيده عقد مرصوف.

---

(١) ترمقه: تنظره وتتطلع إليه.
(٢) تسنَّم: علا، وأصله ركب فوق السنام، وهو أعلى مكان في الإبل، وذروة كل شيء: أعلاه.
(٣) الوهن: الضعف. والظلع: أن تغمز في سيرك.
(٤) القِران: أن تجمع الشيء إلى الشيء.
(٥) الشنوف: جمع شنف، وهي حلية تلبس في أعلى الأذن.

[عتاب]

للخريمي يعاتب الوليد بن أبان

وقال أبو يعقوب الخريمي يعاتب الوليد بن أبان:

أتعْجَبُ منّي إن صَبَرْتُ على الأذى … وَكُنتُ امْرَءاً ذا إرْبةٍ مُتجمِّلاَ[1]

فإنّي بحمد الله لا رَأيَ عاجزٍ … رأيتُ، ولا أخطَأْتُ للحقِّ مَفْصِلاَ

وَلكنْ تَدبَّرْتُ الأمورَ؛ فلم أجِدْ … سِوى الحلم والإغضاء خيراً وأفْضلاَ

وَأُقسم لَوْلاَ سالِفُ الودِّ بيننا … وَعهْدٌ أبَتْ أركانه أنْ تَزيّلاَ[2]

وأيامُك الغُرُّ اللواتي تَقدَّمَتْ … وَأوليتنيها مُنْعِماً مُتَطوِّلاَ

رَحَلْتُ قَلُوصَ الهَجْرِ ثم اقْتعَدْتُها … إلى البعدِ ما ألفيتُ في الأرضِ مَعْمَلاَ[3]

وأكْرَمْتُ نفسي والكرامةُ حظُّها … وَلم تَرَني لَوْلاَ الهوَى مُتذلِّلا

وَعارَضْتُ أطرافَ الصِّبا أبْتَغِي أخاً … يُعِينُ إذا ما الهمُّ بالمرءِ أعْضَلاَ[4]

أخاً كأبي عمرو، وأنّى بمثلهِ … إذا الْحُرُّ بالمجدِ ارتدَى وَتَسَرْبَلا

جَزى الله عثمان الخريميّ خيرَ ما … جَزى صاحباً جَزْلَ المواهب مُفْضِلاَ

أخاً كانَ إن أقبلتُ بالودِّ زادني … صفاءً وإن أدبرتُ حَنّ وأقبلاَ

أخاً لم يَخُنّي في الحياة ولم أبِتْ … يُخوفني الأعداءُ مِنْهُ التنقّلا

إذا حَاولوهُ بالسعايةِ حاولوا … به هَضْبَةً تأبَى بأنْ تَتَخَلْخَلاَ

يُحكّمني في مالهِ وَلسانِه … وَيركبُ دوني الزاعِبيّ المُؤلّلاَ[5]

كَفى جَفْوةَ الإخوانِ طُولَ حياتِهِ … وَأورثَ مما كان أعطى وأجْزَلاَ

---

(١) الإربة: البغية، قال تعالى: ﴿غَيْرِ أولي الإربة﴾ (سورة النور، آية ٣١). أي: البغية في النساء. وتجمَّل فلان: ظهر بما يَجْمُل.

(٢) تَزيَّل القوم: تباينوا وتفرقوا.

(٣) القلوص من الإبل: الفتية المجتمعة الخلق، وذلك من حين تركب إلى التاسعة من عمرها، ثم هي ناقة.

(٤) أعضل الأمر: اشتد واستغلق، وأعضل الشيء: اشتد قبحه.

(٥) الزاعبي: الرمح الذي إن هزرته تدافع كلّه، والمؤلل: المحدد طرفه.

وَبـاتَ حميـداً لـم يكـدّر صُنْعَـهُ ... ولـم أقْلِـهِ طُـولَ الحياةِ ومَـا قـلاَ[١]
وَكُنـتَ أخـاً لـو دامَ عَهْـدُكَ واصـلاً ... نَصوراً إذا مـا الشـرُّ خَـبَّ وَهَـرْوَلاَ[٢]
فَغيَّـرَكَ الـواشُـونَ حتـى كـأنَّمـا ... تَـرانـي شُجَـاعـاً بيـن عَيْنَيـكَ مُقْبِـلاَ

[من ترجمة أبي يعقوب الخُرَيمي]

وأبو يعقوب هذا إسحاق بن حسان، قال المبرد: كان أبو يعقوب جميل الشعر، مقبولاً عند الكتاب، وله كلامٌ قوي، ومَذْهَبٌ متوسط، وكان يرجع إلى نسب كريم في الصُّغْد، وكان له وَلاَءٌ في غطفان، وكان اتصالُه بمولاه أبي عثمان بن خُرَيم المري الذي يقال له خُريم الناعم، وكان أبو عثمان هذا قائداً جليلاً، وسيداً كريماً. وسُئل [خُرَيم] عن لَذَّةِ الدنيا، فقال: الأمْنُ فإنه لا عيشَ لخائف، والعافيةُ فإنه لا عيشَ لسقيم، والغنَى فإنه لا عيشَ لفقير. وقيل له: ما بلغ من نعمتك؟ قال: لم ألبس جديداً في صيف، ولا خَلَقاً في شتاء. وفي نسبه في الصُّغْد يقول:

أبـا الصُّغْـدِ بـاس أنْ تُعيّـرنـي جُمْـلُ ... سَفـاهـا وَمِـنْ أخـلاقِ جَـارتنـا البُخْـلُ
ومـا ضـرَّنـي أنْ لـم تَلِـدْنـي يُحَـابـرٌ ... ولـم تَشْتَمِـلْ جَـرْمٌ عَلَـيَّ ولا عُكْـلُ[٣]

يقول فيها:

وَدُونَ النـدى فـي كُـلّ قلـبٍ ثَنِيـةٌ ... لهـا مَصْعَـدٌ حَـزْنٌ ومُنْحَـدَرٌ سَهْـلُ]
وَودُّ الفَتَـى فـي كـلّ نَيْـلٍ يُنيلُـهُ ... إذا مـا انقضـى لـو أنَّ نـائلـهُ جَـزْلُ
وَأعلـم علمـاً ليـس بـالظـنِ أنـهُ ... لِكُـلِّ أنـاسٍ مـنْ ضَـرائبهـم شَكْـلُ
وَأن أخِـلاَّءَ الـزمـانِ غَنـاؤُهُـمْ ... قليـلٌ إذا مـا المـرءُ زَلَّـت بـه النَّعْـلُ
تَـزَوَّدْ مـن الـدنيـا مَتـاعـاً لِغَيْـرِهـا ... فَقَـد شَمَّـرَتْ حَـذَّاء وانصـرمَ الْحَبْـلُ[٤]
وَهـلْ أنْـتَ إلا هَـامـةُ اليـومِ أو غـدٍ ... لأِمِّـكَ مِـنْ إحْـدى طَـوارِقهـا الثُّكْـلُ

---

(١) قلا: أبغض.
(٢) خَبَّ خَبّا، وَخَبَباً، وَخَبِيباً: عدا، وخَبَّ الفرس: نقل أيامنه ومياسره جميعاً في العدو. وهَرْوَلَ: أسرع بين العدو والمشي.
(٣) يحابر، وجرم، وعقل: من قبائل العرب.
(٤) الحذاء: السريعة.

وقال يتشوق الحسن بن التَّخْتَاخ:

ألاَ مُبلــغٌ عنــي خَليلــي وَدُونــهُ مَطـا سَفَـرٍ لا يَطْعَـمُ النـومَ طـالِبُـهْ[1]
رِســالــةَ ثــاوٍ بــالعــراقَ وَرُوحــهُ بِفَسطاطِ مِصْرِ حَيْثُ جمَّت عَجائبُهْ[2]
لــه كــلَّ يــوم حَنَّــةٌ بعــد رَنَّــةٍ يجيشُ بها فـي الصـدرِ شَـوْقٌ يُغـالبُـهْ
إلـى صـاحـبٍ لا يُخْلِـقُ النـأيُ عَهْـدَهُ لِنـاءٍ ولا يَشْقَـى بـه مَـنْ يُصَـاقِبُـهْ[3]
تَخَيَّــره حــرًّا نقيًــا ضميــرهُ جَميــلاً مُحيّـاهُ كـريمـاً ضَـرائِبُـهْ
هُـو الشهـد سِلْمـاً، والـذّعـاف عَـدَاوَةً وَبَحْـرٌ علـى الـوُرَّاد تجـري غَـوارِبُـهْ
فيـا حَسَـن الحُسْـنِ الـذي عَـمَّ فضلـهُ وتمّــت أيــاديــه وَجمَّــتْ منـاقِبُـهْ
إليــك علــى بُعْــدِ المــزار تَطلّعَــتْ نَسوازعُ شَــوْقٍ مــا تُــرَدُّ عَــوازِبُــهْ
أرى بَعْــدَكَ الإخــوان أبنــاء عَلّــةٍ لَهُـمْ نَسَـبٌ فـي وِدِّهـم لا أنـاسِبُـهْ[4]
فهـلْ يَـرْجِعَـنْ عَيْشـي وَعَيْشَـكَ مـرَّةً بِبَغْــدَادَ دَهــرٌ مُنْصِــفٌ لا نُعــاتِبُــهْ
لَيــالِـيَ أرْعَـى فـي جَنَـابِـكَ رَوْضَـةً وَآوِي إلــى حِصْــنٍ مَنِيــع مَــراتِبُــهْ
وَإذ أنـتَ لـي كـالشهـدِ بـالـرَّاح صُفِّقَـا بمــاءِ رِصــافٍ صَفّقَتْـهُ جَنَـائِبُــهْ[5]
عَسَــى وَلعَــلَّ الله يَجْمَــعُ بَيْنَنَــا كمـا لأءمَـتْ صَـدْعَ الإنـاءِ مَشَـاعِبُـهْ[6]

[فقر وفصول في معان شتى]

قال العتابي: حظّ الطالبين من الدَّرْك بحسب، ما استصحبوا من الصَّبْر.

بعض الحكماء: الحلم عُدّة للسفيه، وجُنّة من كَيْد العدو، وإنك لن تقابل سفيها بالإعراض عن قوله إلاَّ أذللتَ نفسه، وفَلَلْتَ حدَّه، وَسَلَلْتَ عليه سيوفاً من شواهد حِلْمِك عنه، فتولوا لك الانتقامَ منه.

---

(١) المطا: الظهر. ومطا فلان: صاحب صديقاً في السفر، ومطا مَطْواً: جدَّ في السير.
(٢) ثاوٍ: مقيم. جَمَّتْ: كَثُرَتْ.
(٣) صاقبه مُصَاقبةً، وَصِقاباً: قاربه وواجهه.
(٤) العَلَّةُ: الضَّرَّةُ. وبنو العلاّت: بنو رجل واحد من أمهات شَتَّى.
(٥) صُفِّقَا: خلطا. ورصاف: جمع رَصَفَة (بالتحريك) وهي الحجارة المرصوف بعضها إلى بعض في سيل الماء. والجنائب: جمع جنوب، وهي الريح التي تقابل ريح الشمال.
(٦) المشاعب: جمع مِشْعَب، وهو مِثْقَب يُسْتَعْمَل في إصلاح الآنية.

وقال آخر: العجلة مكسبة للمذمّة ومجلبة للندامة، منفّرة لأهل الثقة، مانعة من سدَادِ الرغبة.

وأتى العتابيَّ وهو بالرَّي رجلٌ يودّعه فقال: أين تريد؟ قال: بغداد، قال: إنك تريد بلداً اصطلح أهلُه على صِحَّة العلانية، وسَقَم السريرة، كلُّهم يعطيك كلّه، ويمنعك قُلّه[١].

وقال يحيى بن خالد لرجل دخل عليه: ما كان خَبَرُك مع فلان؟ قال: قد افتديت مكاشفته واشتريت مكاشرته[٢] بألف درهم، فقال يحيى: لا تبرح حتى يكتب الفضلُ وجعفر عنك هذا القول.

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يدعو، ويقول: اللهم ارزقني عملَ الخائفين، وخَوْفَ العاملين، حتى أتنعم بتَرْكِ التنعم، رجاءً لما وعدت، وخوفاً مما أوعدت.

وللعتابي: أما بعد فأنه ليس بِمُسْتَخْلصٍ غَضَارةُ عيشٍ إلا من خلال مكروهه، ومن انتظر بمعاجلة الدرك مُؤَاجلة الاستقصاء سلبته الأيام فرصته.

كتب بعض الكتاب إلى أخ له: إن رأيت أنْ تُحدِّدَ لي ميعاداً لزيارتك، أتقوّته[٣] إلى وقت رؤيتك، ويُؤْنسُني إلى حين لقائك، فعلت إن شاء الله.

فأجابه: أخاف أن أعِدَك وَعداً يعترضُ دون الوفاء به، ما لا أقدر على دَفْعِهِ، فتكون الحسرةُ أعظمَ من الفرقة.

فأجاب المبتدىء: أنا أسرّ بموعدك، وأكون جَذِلاً[٤]، بانتظارك، فإن عاق عن الإنجاز عائق، كنتُ قد ربحتُ السرورَ بالتوقُّع لما أحبّه، وأصبتُ أجري على الحسرة بما حرمته.

وكتب أخٌ إلى أَخٍ له يستدعيه: أما بعد فإنه من عانى الظَّمأ بِفُرْقَتِك استوجب الريَ من رؤيتك، والسلام.

وكتب آخر في بابه: يَوْمُنا يومٌ طاب أوّله، وحَسُنَ مستقبَله، وأتت السماء بِقطَارها،

---

(١) القُلُّ: القليل، والقِلُّ (بالكسر): النواة تنبت منفردة ضعيفة.
(٢) المكاشرة: المعالنة أو الجَهْر بالبغض.
(٣) أتقوته: أجعله قوتاً لي.
(٤) جذلاً: مسروراً.

فحلَّت الأرضَ بأنوارِها[١]، وبك تطيب الشّمول، ويُشْفَى الغليل، فإن تأخَّرت عنا فرّقت شَمْلَنا، وإن تعجلت إلينا نظمت أمرنا.

قال إسحاق الموصلي: قال لي ثُمامة بن أشرس، وقد أُصِبْتُ بمصيبة: لمصيبةٌ في غيرك لك ثوابُها، خير من مصيبة فيكَ لغيرك أجرُها.

ومرَّ عُمَر بن ذَر بابنِ عياض المنتوف، وكان سَفِه عليه فأعرض عنه، وتعلّق بثوبه، وقال: يا هَنَاه؛ إنا لم نجد لك جزاءً إذ عَصَيْتَ الله فينا، خيراً من أن نُطيعه فيك. أخذه من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تُطيع الله فيه.

وكتب بعضُ الكتاب إلى رئيسه: ما رجائي عَدْلَكَ بزائدٍ على تأميلي فَضْلك. كما أنه ليس خوفي صِيَالك[٢]، بأكثر من خَشْيَتي نكالَك[٣]؛ لأنك لا تَرْضَى للمحسن بصغير المَثُوبَة، كما لا تقنَع للمسيء إلاَّ بموجع العقوبة.

وقال آخر: ما عسيت أن أشكرك عليه من مَوَاعد لم تُشَبْ بِمَطْلٍ، ومرافِدَ لم تشن بمنٍّ، وعهد لم يمازحه مَلَق، وَوُدٍّ لم يشبه مذق[٤].

وقال آخر: علقت به أسباب الجلالة غير مستشعر فيها بِنَخوة، وترامت له أحوالُ الصرامة غير مستعمل معها السطوة، هذا مع دَمَاثة في غير حَصَر، ولينِ جانب من غير خَوَر[٥].

فصل لابن الرومي: إني لَوَلِيُّك الذي لم تزل تنقادُ لك مودتُه من غير طمع ولا جَزَع، وإن كنتَ لذي رغبة مَطمعاً، ولذي رَهْبةٍ مهرباً.

أبو فراس الحمداني[٦]:

كَـذاكَ الـوِدادُ المَحْـضُ لا يُـرْتَجـى لَـهُ ... ثَـوابٌ، وَلا يُخْشَـى عَلَيْـهِ عِقَـابُ[٧]

---

(١) القطار: المطر. والأنوار: جمع نور، وهو نور الزهر.
(٢) صَاوله مُصاولةً، وَصِيالاً، وصيالةً: غالبه ونافسه في الصَّوْل، وقد صال عليه صَوْلاً: سطا عليه ليقهره.
(٣) النكال: العقاب أو النازلة.
(٤) مَذَقَ الوُدَّ مَذْقاً: شابه ولم يخلصه.
(٥) الدماثة: اللين والسهولة. والحصر: احتباس القول، والعيّ. والخور: الجبن والضعف.
(٦) أبو فراس الحمداني، الديوان: ص ٢٧.
(٧) المحض: الخالص من كلّ شيء.

[بين حنيفة ونمير]

غزَتْ حنيفة نميراً فانتصفوا منهم، فقيل لرجل منهم: كيف صنعَ قومُك؟ قال: اتبعوني وقد أحقبوا كل جُمَالية خيفانة[١]، فما زالوا يَخصِفُون [أخفاف][٢] المطيّ بحوافر الخيل، حتى لحقوهم؛ فجعلوا المُرَّان أرْشِيةَ الموتِ[٣]، فَاسْتَقَّوا بها أرْوَاحَهم.

[دعـاء]

ودعا أعرابي فقال: اللهم إن كان رزقي نائياً فقرِّبه، أو قريباً فيسِّره، أو ميسّراً فعجله، أو قليلاً فكثره، أو كثيراً فثمّره.

[من رسائل البلغاء]

بين المأمون وعامله على الرقة

وكتب عَنْبَسة بن إسحاق إلى المأمون وهو عاملُه على الرّقّة، يصف خروجَ الأعراب بناحية سِنْجار وعَيْثَهُمْ بها[٤]: يا أميرَ المؤمنين، قد قطع سُبُلَ المجتازِين، من المسلمين والمعاهدين، نَفَر من شُذَّاذ الأعراب الذين لا يرقبون في مؤمنٍ إلاًّ[٥] ولا ذِمَّة، ولا يخافون من الله حدًّا ولا عقوبة، ولَوْلاَ ثِقَتي بسيفِ أمير المؤمنين وحَصْده هذه الطائفة، وبلوغه في أعداء الله ما يَرْدَع قاصيهم ودَانِيَهم، لأَذَنْتُ بالاستنجاد عليهم، وَلابْتَعثْتُ الخيلَ إليهم، وأميرُ المؤمنين مُعَانٌ في أمورهِ بالتأييد والنصر إن شاء الله.

فكتب إليه المأمون:

أسْمَعْـتَ غَيْـرَ كَهـامِ السـمـعِ والبصـرِ   لا يَقْطَـعُ السـيـفُ إلاَّ فـي يَـدِ الحـذرِ[٦]

---

(١) أحقب البعير: جعل عليه الحقب، وهو حبل يُشَدّ به الرحل. والجمالية: الناقة القوية الوثيقة. والخيفانة: السريعة.
(٢) خصف النعل: خرزها بالمخصف، وخصف الشيء إلى الشيء: ضمه إليه، وخصف الكتيبة: كثَّفها.
(٣) المُرَّان: الرماح الصلبة اللدنة، والواحدة مُرَّانة. والأرشية: جمع رشاء: الحبل.
(٤) العيث: الإفساد.
(٥) الإِلُّ: العهد.
(٦) كَهَمَ الرجل كهامةً: بَطُوءَ عن النصرة والحرب، فهو كهام، وَكَهَمَ السيف: كَلَّ، فهو كَهَامٌ وَكَهِيمٌ.

سَيُصْبِحُ القومُ من سَيْفي وَضارِبِه مِثْلَ الهشيمِ ذَرَتْهُ الريحُ بِالمَطَرِ[١]

فوجه عنبسة بالبيتين إلى الأعراب، فما بقي منهم اثنان.

[بين الحسن بن سهل والمطلب بن عبد الله]

وكتب المطلب بنُ عبد اللّٰه بن مالك إلى الحسن بن سهل في رجل توسّل به: طَلَبُ العافين الوسائلَ إلى الأمير ـ أعزَّه الله ـ يُنْبِىء عن شروح مواردِ إحسانه، ويَدْعُو إلى معرفة فَضْله، وما أنصفَه ـ أعزه الله تعالى ـ مَن توسّل إلى معروفه بغيره؛ فَرأيُ الأمير ـ أعزه الله ـ في التطوّل على من قَصُرَتْ معرِفُته عن ذلك بما يريد الله تعالى فيه موفقاً إن شاء الله تعالى.

فكتب إليه الحسن: وصلك الله بما وصلتني في صاحبك من الأجْرِ والشكر، وأراك الإحسان في قَصْدِكَ إلي بأمثاله فرضاً يفيدك شكره، ويعقبك أجره، فرأيك في إتمام ما ابتدأت به وإعلامي ذلك مشكوراً.

وكان المطلب ممدَّحاً كريماً، وقد حسد دعبل شرَفَه وانعامه، وغبط إحسانه وإكرامه، إذ يقول:

اضرب نَدى طَلْحَةَ الطَّلحاتِ مُعْتَرِفاً بِلُؤْمِ مُطَّلِبٍ فينا وَكُنْ حَكَما
تَخْلُصْ خزاعةُ من لُؤْم ومَنْ كَرمٍ فلا تَعُدَّ لها لُؤماً وَلا كَرماً

وأمر طلحة أعْرَفُ من أن يُوصف.

وما أبعد قول دعبل من قول البحتري لصاعد بن مخلد وأهل بيته[٢]:

بَني مَخْلَدٍ كُفُّوا تَدَفُّقَ جُودِكُمْ وَلا تَبْخَسُونا حَظَّنا في المَكارمِ
وَلا تَنْصُروا مَجْدَيْ قِنان وَمَخلَدٍ بِأَنْ تَذْهَبوا عَنَّا بِسُمْعَةِ حاتمِ[٣]
وكانَ لنا اسمُ الجودِ حتَّى جَعَلْتُمُ تَغُضُّونَ مِنَّا بِالخِلالِ الكَرائمِ[٤]

---

(١) الهشيم: المُتكسِّرُ، واليابس من كلّ شيء.
(٢) البحتري، الديوان: ٢/ ١٧٢.
(٣) في الديوان: «ولا تنصروا مَجْدَيْ قِنانٍ ومَالكٍ»، و«أن تذهبوا مِنّا».
(٤) الخِلال: الخصال.

[رثاء يزيد بن مزيد]

قال الزبير بن بكار: لما مات يزيدُ بن مَزيد بأرمينية قام حبيب بن البَراء خطيباً، فقال: أيها الناس، لا تَقْنطوا من مثله وإن كان قليلَ النظير، وهَبُوهُ من صالح دعائكم مثل الذي أخلَص فيكم من نواله، والله ما تفعل الديمة الهَطْلة في البقعة الجَدْبة ما عملت فينا يدَاه من عدله ونَداه.

فسرق هذا أبو لُبابة [الشاعر] فقال:

مـا بُقْعَـةٌ جـادَهـا غَيْـثٌ وقَـرَّبِهَـا ... فَـأَزْهَـرتْ بـأقَـاحـي النَّبْـتِ ألـوانـا[1]
أبْهَـى وَأَحْسَـنُ مِمَّـا أثَّـرَتْ يَـدُهُ ... في الشرقِ والغربِ مَعْرُوفاً وَإحْسَانا

[وقال ابن المبارك يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة:

وَإذا تُبَـاعُ كَـريمـةٌ أو تُشْتَـرى ... فَسِـواكَ بـائعُهـا وَأَنْـتَ المُشْتَـري
وَإذا تَـوعَّـرتِ المسـالـكُ لـم يَكُـنْ ... فيهـا السَّبيـلُ إلـى نَـدَاك بـأوْعَـرِ[2]
وَإذا صَنعْـتَ صَنيعـةً أتْمَمْتَهـا ... بِيَـدَيْـنِ لَيْـسَ نَـدَاهُمـا بِمُكـدَّرِ
وَإذا هَـمَمْـتَ لِمُعْتَفِيـكَ بِنـائـلٍ ... قـال النَّـدى ـ فـأطعتَـهُ ـ لـك: أكْثِرِ[3]
يـا وَاحِـدَ العُـرْبِ الـذي مـا إنْ لَهُـمْ ... مِـنْ مَعْـدَلٍ عَنْـهُ ولا مِـنْ مَقْصَـرِ]

[من رسائل بديع الزمان]

كتب البديع أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن يحيى: أما أبو فلان فلا شك أنّ كتابي يَرِدُ منه على صَدْرٍ مَحَا اسْمِي من صحيفته، وقطع حَظِّي من وظيفته، ونَسِي اجتماعنا على الحديث والغزل، وتصرفنا في الجدّ والهَزْل، وتقلّبنا في أعطاف العيش، بين الوقار والطَّيْش، وارتضاعنا ثَدْيَ العشرة؛ إذ الزمان رقيقُ العشرة، وتواعُدنا أن يلحق أحدُنا بصاحبه، وتصافحنا من قبل ألاّ نصرم الحبل، وتعاهدنا من بعد ألاّ ننقض العهد، وكأني به وقد اتخذ إخواناً فلا بأس، فإن كان للجديد لذة فللقديم حُرْمَة، والأخوّة بُرْدَة لا تضيق بين

(١) جادها: سقاها. وَقَرَّ بها: أقام، أو سكن واطمأن.
(٢) توعرت المسالك: صَعُبت وشقت على سالكها. والندى: الجود والكرم.
(٣) المعتفي والعافي: طالب المعروف.

اثنين، ولو شاء تعاشرنا في البَيْن، وكان سألني أن أرتاد له[1] منزلاً ماؤه رَوِيّ، ومرعاه غَذِيّ، وأكاتبه لِيُنهِض إليه راحلته؛ فهاك نيسابور ضَالّته التي نشدتها وقد وجَدْتُها. وخراسان أمنيته التي طلبتها وقد أصَبْتُهَا، وهذه الدولة بغيته التي أرادهَا وقد وردتها، فإن صدّقني رائداً، فليَأْتِني قاصِداً.

وله إلى بعض إخوانه يعزيه عن أبيه: وصلَتْ رقعتُك يا سيدي والمصاب لعمر الله كبير، وأنتَ بالجزَع جدير، ولكنك بالعزاءِ أجدر، والصبرُ عن الأحبّة رشد كأنه الغَيُّ، وقد مات الميت فَلْيَحْيَ الحيّ، والآن فاشدُدْ على مالك بالخمس، فأنتَ اليوم غيرُك بالأمس، وكان الشيخُ رحمه الله وكيلك، تَضحك ويبكي لك، وقد موّلك ما ألَّف في سراه، وسيره، وخلفك فقيراً إلى الله غنياً عن غيره، وَسَيَعْجُمُ الشيطان عُودَك، فإن استلانك رماك بقومٍ يقولون: خيرُ المال ما أُتلِف بين الشراب والشباب، وأنفق بين الحَبَاب[2] والأحباب، والعيش بين القِدَاح والأقداح[3]، ولولا الاستعمال، ما أريد المال! فإن أطعتَهُمْ فاليوم في الشراب، وغداً في الخراب، واليوم وَاطَرَبَا للكاس، وغَداً واحَرَبَا من الإفلاس، يا مولاي ذلك الخارجُ من العود يسميِّه الجاهل نَقْراً، ويُسَمِّيه العاقل فَقْراً. وكذلك المسموع في الناي، هو في الآذان زَمْرٌ، وفي الأبواب سَمْرٌ، فإن لم يجد الشيطان مغمزاً في عودِك من هذا الوجه، رَماك بقوم يُمثلُون الفقرَ حِذَاء عينيك، فتجاهد قَلْبك، وتحاسب بَطْنَك، وتناقش عِرْسك[4]، وتَمْنَع نفسَك، وتتوقّى دنياك بوزرك، وتراه في الآخرة في ميزان غَيْرك، لا، ولكن قَصْداً بين الطريقين، وميلا عن الفريقين، لا مَنْع ولا إسراف، والبخل فَقْرٌ حاضر، وضرٌّ عاجل، وإنما يبخلُ المرء خيفة ما هو فيه:

وَمـنْ يُنْفِـق السـاعـاتِ فـي جَمْـعِ مـالـهِ مَخـافـةَ فَقْـرٍ فـالـذي صَنَـعَ الفَقْـرُ[5]

وليكن لله في مالك قسم، وللمروءة قسم؛ فصِلِ الرَّحم ما استطعت، وقدّر إذا قطعت، فَلأَنْ تكون في جانب التقدير، خيرٌ من أن تكون في جانب التبذير.

---

(١) أرتاد: أطلب.

(٢) الحباب: نفاخات الماء أو الشراب.

(٣) القداح: أراد بها قداح الميسر. والأقداح: أراد بها كؤوس الخمر، يعني: يضيع ماله بين المقامرة والسكر.

(٤) عِرْسُ الرجل: زوجه.

(٥) البيت للمتني من قصيدة يمدح بها عليّ بن أحمد بن عامر الأنطاكي. (انظر ديوانه: ١/ ٣٤٥).

وله إلى رئيس عناية برجل: كتابي أطال الله بقاء الرئيس، والكاتب مجهول، والكتاب فضول، وبحسب الرأي مَوْقعه، فإنْ كان جميلاً فهو تَطَوُّل، وإن كان شَيْناً فهو تَقَوُّل، وأية سلك الظنّ فله ـ أيّده الله تعالى ـ المنّ، من نيسابور عن سلامةٍ شاملة نسألُ الله تعالى ألاّ يُلْهينا بسكرها، عن شُكْرِها، والحمد لله رب العالمين. يقول الشيخ ـ أيّده الله تعالى: مَنْ هذا الرجل؟ وما هذا الكتاب؟ فأمّا الرجلُ فخاطِبُ وُدٍّ أولاً، وموصل شكرٍ ثانياً؛ وأما الكتابُ فَلِحام أرحام الكرام؛ فإن يُعِن الله الكِرامَ تتَّصِل الأرحام. هذا الشريفُ قد حاربه زمانُ السوء؛ فأخرجه من البيت الذي بلغ السماءَ مَفْخَرا ثم طلب فوقه مَظْهَرا[١]؛ وله بعدُ جلالة النسب، وطهارةُ الأخلاق، وكرمُ العَهْدِ، وحضرني فسألته عما وراءه، فأشار إلى ضَالَّةِ الأحرار، وهو الكرم مع اليسار، ونَبَّه على قَيد الكرام، وهو البِشْر مع الإنعام، وحدَّث عن بَرْدِ الأكبار، وهو مساعدة الزمان للجَوَاد. ودلَّ على نزهة الأبصار، وهو الثَّرَاء، ومُتْعَة الأسماع، وهو الثناء، وقلّما اجتمعا، وعَزَّ ما وُجِدَا معاً. وذكر أنّ الشيخَ الرئيس ـ أيده الله ـ جماعُ هذه الخيرات، وسألني الشهادةَ له، وَبَذْلَ الخط بها، ففعلت، وسألتُ الله إعانته على هِمَّته؛ فرأيُ الشيخ ـ أيده الله تعالى في الوقوف على ما كتبت، وفي الإجابة ـ إنْ نَشِطَ ـ الموفّق إن شاء الله.

وله إلى ابن أخته: وَصَلَ كِتابُك بما ضمّنته من تَظَاهُرِ نعم الله عليك، وعلى أبويك، فسكنت إلى ذلك من حالك، وسألتُ الله بقاءك، وأن يرزقَني لقاءَك، وذكرت مصابك بأخيك، رحمه الله تعالى، فكأنما فَتَّ عَضُدِي، وَطعَنْتَ في كبدي، فقد كنت معتضداً بمكانه، والقدرُ جارٍ لشانه، وكذلك المرءُ يدبّر، والقضاء يدمّر، والآمال تنقسم، والآجال تبْتسم، فالله يجعله لك فَرطاً[٢]، ولا يُرِيني فيك سُوءاً أبداً، وأنت إن شاء الله تعالى وارثُ عمره، وسدادِ ثَغْرِه، ونِعْمَ العِوَضُ بقاؤك.

إنَّ الأشـــاءَ إذا أصـــاب مُشَـــذِّبـــاً منـــه اتمهـــل ذُراً وأثَّ أسَـــافِـــلاَ[٣]

---

(١) هذا من قول النابغة الجعدي:

بَلَغْنَا السَّمَا مَجْدَاً وَجُوداً وَسُؤْدداً وَإنّـا لَنَـرْجُـو فَـوقَ ذَلـك مَظْهَـرَا

(ديوانه: ص ٨٥).

(٢) الفَرَطُ: ما يتقدم الإنسان من أجرٍ وعمل، ويقال في الدعاء للطفل الميت: اللهم اجعله لنا فَرَطاً: أجراً يتقدمنا حتى نرد عليه.

(٣) الأشاء: صغار النخل. والمشذب: الذي يقطع القشور والعيدان المتفرقة من الشجر. واتمهل: اعتدل وانتصب. والذرى: الأعالي، والقمم، وأثَّ: التفَّ وَكَثُر.

وأبوك سيدي أيده الله تعالى وألهمه الجميل، وهو الصبر، وأناله الجزيل، وهو الأجر، أمْتَعَهُ بك طويلاً، فما سُؤْتَ بديلاً، وأنت ولدي ما دمت والعلمُ شانك، والمدرسةُ مكانك، والدفتر نَديمك، وإن قصَّرت، ولا إخالك، فغيري خالك.

وله من كتاب إلى أبي القاسم الداوُدي بسجستان:

كتابي ـ أطال الله بقاء الفقيه ـ كتابُ مَنْ ينسى الأيام وتذكره، ويطويها وتنشُره، ويبيد أبناء دهره، وراء ظهره، ويخرج أهل زمانه، من ضمانه، فإذا تناولهم بِيُمناه، وتسلَّمهم بيسراه، أقسم أن صَفْقَتَه هي الرابحة، وكفّته هي الراجحة، وأنا ـ أيد الله الفقيه ـ على قُرْب العهد، بالمَهْد، قد قطعت عَرْضَ الأرض، وعاشرت أجناس الناس، فما أحدٌ إلا بالجهل اتّبعته، وبالخبرة بِعْتُه، وبالظن أخذته، وباليقين نَبَذْتُه، وما حَمْدٌ وضعتُه في أحد إلاّ ضيَّعته، ولا مَدْحٌ صَرَفْتُه إلى أحد إلاّ غربته، ومن احتاج إلى الناس، وزَنَهم بالقِسْطَاس، ومن طاف نصف الشرق، فقد لقي رُبْعَ الخلق، ومن لم يجد في النِّصْف لَمْحَةً دَالّة، لم يجد في الكل غرَّةً لائحة، وكان لنا صديقٌ يقول: إن عشت تسعين عاماً مت ولم أملك ديناراً، لأني قد عشت ثلاثين ولم أملك ثلثها، وهذا لعمري ياس، يُوجبه قياس، وقنوط، بالحجة مَنُوط، ودُعَابة ستكون جِدًّا، ووراء هذه الجملة مَوْجِدَة على قوم، وعَرْبَدَةٌ إلى يوم، والأمير السيد واسعُ مجال الهمم، ثابتُ مكان القَدَم. وأنا في كَنَفِه صائبُ سَهْم الأمل، وَافِرُ الجذل، والحمد لله على ما يُوليه، ويُولينا مَعْشَر مَواليه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وذرِّيته.

وله إلى إبراهيم بن حمزة خادم الأستاذ الجليل: قد أتبع قدمَه، إلى الخِدْمَة قلمَه، وأتلى لسانَه، في الحاجة بَنَانَه، وقد كان استأذنه في توفير هذا اليوم في مجلس السيد الجليل فأذِنَ له على عادته السليمة، وشيمَتِه القويمة، ومَنْ وَجد كَلأً رَتَع[1]، ومَنْ صادف غيثاً انْتَجَعَ[2]، ومن احتاج للحاجات سَأل، وبَقي أن يشفع الأستاذ الجليل بإزاء الحوض عَفَرَه[3]، وينظم إلى رَوْضِ الإحسان مطره، ويطرِّز أُنْسَنَا بأبي فلان؛ فقد وُصِفَ لي حتى حننت شوقاً إليه، وَوجْداً به، وشَغفاً له، وغُلُوًّا فيه، ورَأْيُه في الإصغاء إلى الكرم عالٍ، إن شاء الله تعالى.

(١) الكلأ: العشب يابسه ورطبه، ورتع: رعى.
(٢) الانتجاع: طلب المرعى.
(٣) العفر: وجه الأرض، وأول سقية سقيها الزرع.

[من مقامات بديع الزمان]

المقامة السجستانية

ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح السكندري:

حدّثنا عيسى بن هشام قال: حداني إلى سجستان أَرَب[١]، فاقتعدت طِيَّتَه، وامتطيتُ مَطِيَّتَه، واستخَرْتُ الله تعالى العَزْم حَدَوْتُه أمامي، والحزم جعلته قدَّامي، حتى هداني إليها، ووافيت دُروبَها[٢]، وقد وافت الشمس غُروبَها، واتفق المبيتُ حيثُ انتهيت؛ ولما انْتُضِيَ نَصْلُ الصباح، وبرز جَبينُ المصباح، مضيتُ إلى السوق أتّخذ منزلاً، فحيث انتهيتُ من دائرة البلد إلى نُقْطتها، ومن قلادةِ السوقِ إلى واسِطَتها، خَرقَ سَمْعِي صوتٌ له من كلِّ عِرقٍ معنى، فانتحيتُ وَفْدَهُ، حتى وقفتُ عنده؛ فإذا رجلٌ على فرسه، مختنق بنَفَسِه، قد ولّاني قَذالَه وهو يقول: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرِّفُه بنفسي، أنَا باكورةُ اليمن، أنا أحدوثة الزمن، أنا أُدْعِيَّة الرجال، وأحْجيَّة ربات الحِجَال[٣]، سلُوا عني الجبال وحُزونَها، والبحار وَعُيونَها، والخيلَ ومتونها، مَنِ الذي ملك أسوارها، وعرف أسرارها، ونهج سَمْتَها[٤]، وولج حَرَّتَها[٥]؟ وسلوا الملوكَ وخزائنها، والأغلاق ومعادِنها، والعلوم وبواطِنَها، والخطوبَ ومَغَالِقها، والحروبَ ومضايِقَها، مَن الذي أخذ مُخْتَزَنَها، ولم يؤدِّ ثمنَها؟ ومن الذي ملك مفاتِحها، وعرف مصالحها؟ أنا والله فعلتُ ذلك، وسفَرتُ بين الملوك الصيِّد، وكشفت أستارَ الخطوب السُّود. أنا والله شهدت حتى مصَارعَ العُشّاق، ومرضتُ حتى لِمَرضِ الأحداق، وَهَصَرْتُ الغصونَ الناعمات[٦]، وجنّيت جنى الخدود المُورَّدَات، ونَفَرْتُ عن الدنيات نفورَ طَبْع الكريم عن وجوه اللئام، ونبَوْتُ عن المحرمات نبوَّ سمع الشريفِ عن قبيح الكلام، والآن لما أسْفَرَ صُبْحُ المشيب، وعَلَتني أبّهة الكِبَر، عَمَدْتُ لإصلاح أمْرِ المعادِ، بإعداد الزَّاد، فلم أرَ طريقاً أهدى إلى الرشاد مما أنا سالِكُه،

---

(١) الأرَبُ: الحاجة أو البغية والأمنية.

(٢) الدروب: جمع درب، وهو الطريق.

(٣) رَبَّاتُ الحِجال: النساء. والحِجال: جمع حَجَلة، وهي ستر يضرب للعروس في جوف البيت.

(٤) السَّمْتُ: الطريق الواضح، والمذهب، ومنه: سَمَتَ الشيءَ: قصده، وسَمَتَ فلان: سار على الطريق بالظنِّ.

(٥) الحَرَّةُ: أرضٌ ذات حجارة سود كأنها أحرقت.

(٦) هَصَرَ الغُصْنَ: عطفه وكسره من غير فصل، أو جذبه وأماله.

يَراني أحدُكم راكب فرس وهَوَس[١]، فيقول: هذا أبو العجَب، لا، ولكني أبو العجائب، عايَنْتُها وعانَيْتُها، وأمُّ الكبائر قايَسْتها وقاسَيْتها، وأخو الأعْلاق[٢]، صَعْباً أخذتها، وهوناً أضعتها، وغالياً اشتريتها، ورخيصاً بِعتها؛ فقد والله صَحِبْتُ المواكب، وزاحَمْتُ المناكِبَ، ورَعَيْتُ الكواكبَ، وأنْضَيْتُ الركائب[٣]، ولا منّ عليكم، فما حصلتها إلا لأمري، ولا أعددتها إلاّ لنفسي، لكني دُفِعْتُ إلى مكاره نَذَرْتُ معها ألاّ أدخِرَ عن المسلمين نَفْعَها، ولا بدّ لي أن أخلع رِبقَةَ هذه الأمانة من عُنقي إلى أعناقكم، وأعرِضَ دوائي هذا في أسواقكم، فليشْتَرِه مني من لا يتقزّزُ من موقف العبيد، ولا يأنفُ من كلمةِ التوحيد، وَليَصُنْهُ من أنجبَتْ جدودُه[٤]، وسُقي بالماء الطّاهر عودُه.

قال عيسى بن هشام: فَدُرْتُ إلى وجهه لأعلم عِلْمَه، فإذا شيخنا أبو الفتح الإسكندري، وانتظرت إجفالَ النعامة بين يديه، ثم تعرّضت فقلت: كم يُحِلّ دواءك هذا؟ قال: يُحِلُّ الكيسُ ما مست الحاجةُ؛ فانصرفت وتركته.

المقامة القردية

ومن إنشائه في هذا الباب: حدّثنا عيسى بن هشام قال: بينا أنا بمدينة السلام، قافلاً من البيت الحرام[٥]، أمِيسُ مَيْسَ الرِّجْلَة[٦]، على شاطىء الدّجلة، أتأمّل تلك الطرائف، وأتقصّى تلك الزخارف، إذ انتهيت إلى حَلْقة رجال مزدحمين، يَلْوي الطَّرَفُ أعناقَهم، ويشقّ الضحِك أشداقَهم، فساقني الحِرْصُ إلى ما ساقهم، حتّى وقَفْتُ بِمَسْمَع صوتِ رجل دون مَرْأى وجهه، لشدّة الهَجْمَة، وفَرْطِ الزّحمة، وإذا هو قَرَّاد يُرْقِص قردَه، ويُضْحِك مَنْ عنده، فرقصت رَقْص المحرج، وسرت سيرَ الأعرج، فوق أعناق الناس، يلفِظُني عاتقُ هذا لِسُرَّة ذاك، حتى افترشت لِحْيَةَ رجلين، وقعدت بين اثنين، وقد أشرقَني الخجل بريقه، وأرهقني المكانُ لضيقه، فلما فرغَ القرَّادُ من شُغْله، وانتفض المجلس عن أهله، قمت وقد كساني الرّيب حُلَّته، ووقفت لأرى صورتَه، فإذا أبو الفتح الإسكندري، فقلت: ما هذه الدناءة؟ ويحك! فقال:

---

(١) الهَوَسُ: طرف من الجنون.
(٢) الأعلاق: جمع عِلْق، وهو النفيس من كُلّ شيء.
(٣) أنضى الدابة: هزلها وأتعبها.
(٤) أنجبت جدوده: كَرُمَت.
(٥) قافلاً من البيت الحرام: عائداً من المسجد الحرام بمكة.
(٦) ماسَ فلان مَيْساً ومَيَساناً: تبختر واختال.

الــذنــبُ لــلأيــام لاَ لــي فَــاعْتِــبْ علــى صَــرْفِ اللَّيــالــي
بِــالحُمْــقِ أدركْــتُ المُنَــى وَرَفَلْــتُ فــي ثَــوْبِ الجمــالِ[١]

المقامة الأصفهانية

ومن إنشائه في هذا الباب أيضاً: حدثنا عيسى بن هشام قال: كنت بأصفهان أعتزِم المسيرَ إلى الرَّيّ، فحللتها حلولَ الفَيّ[٢]، أتوقَّع القُفْلَةَ كل لَمْحة، وأترقَّب الرِّحلْة كلّ صَبْحَة؛ فلما حُمَّ ما توقَّعته، وأزِف ما ترقَّبته، نُودي للصلاة نداءً سمعتُه، وتعيّن فَرضُ الإجابة؛ فَانْسَلَلْتُ من بين الصحابة، أغتنم الجماعة أدْركها، وأخشى فواتَ القافلة أتركها، لكني استعنتُ ببركة الصلاة، على وَعْثَاءِ الفَلاة[٣]؛ فصِرْتُ إلى أول الصفوف، ومَثَلْتُ للوقوف، وتقدّم الإمام للمِحْرَاب، وقرأ فاتحةَ الكتاب، [وثنّى بالأحزاب][٤]، بقراءة حمزة، مَدّةً وهمزة، وأتبع الفاتحة بالواقعة، وأنا أتصلَّى بنار الصبر وأتصلَّب، وأتقلّى على جمر الغيظ وأتقلَّب، وليس إلا السكوت والصبر، أو الكلامُ والقبر، لِمَا عرفت من خشونة القوم في ذلك المقام، أن لو قطعتُ الصلاة دون السلام، فوقفتُ بقَدَمِ الضرورة على تلك الصورة، إلى انتهاء السورة، وقد قَنِطْتُ من القافلة، ويَئِسْتُ من الراحلة، ثم حنى قَوْسَه للركوع، بنوعٍ من الخشوع، وضربٍ من الخضوع، لم أعْهَدْه قبل ذلك، ثم رفع رأسه ويدَه، وقال: سَمِع الله لمن حمده، وقام حتى ما شككْتُ أنه نام، ثم أكَبَّ لوجهه، فرفعت رأسي أنْتهِز فُرْصة، فلم أرَ بين الصفوف فُرْجة، فَعُدْت للسجود، حتى كبَّر للقعود، وقام الركعة الثانية، وقرأ الفاتحة والقارعةَ، قراءةً استوفَى فيها عُمْرَ الساعة، واسترقّ أرواح الجماعة، فلما فرَغ من ركعتيه، مال للتحية بِأَخْدَعَيْه[٥]، فقلت: قد قَرُبَ الفرج، وآن المخرج، فقام رجل فقال: مَنْ كان منكم يحبُّ الصحابة والجماعة، فَلْيُعِرْني سَمْعَه ساعة.

قال عيسى بن هشام: فَلزِمْتُ أرضي، صيانةً لعرضي، فقال: حقيق عليّ ألاّ أقولَ على الله إلا الحق، قد جئتُكم ببشارة من نبيكم، لكني لا أُؤَدِّيها حتى يُطَهِّرَ الله هذا المسجد من نَذْلٍ جحد نبُوّته، وعَادَى أمّته.

---

(١) رَفَلَ رَفْلاً، وَرُفُولاً، وَرَفَلاناً: جَرَّ ذَيْلَهُ وتبَختر في سيره.
(٢) الفيء: الظل بعد الزوال ينبسط شرقاً، والخراجُ، والغنيمة تُنال بلا قتال.
(٣) الوعثاء: المشقة والتعب.
(٤) أي بسورة الأحزاب.
(٥) الأخدع: أحد عرقين في جانبي العنق، وهما الأخدعان.

قال عيسى بن هشام: فَرَبطني بالقيود: وشدَّني بالحبال السُّود، ثم قال: رأيتُه ﷺ [في المنام] كالشمس تحت الغمام، والبدر ليلة التّمام، يسيرُ والنجمُ يَتْبَعُه، ويسحبُ الذَّيْل والملائكة تَرْفَعُه، ثم علّمني دعاءً، وأوصاني أن أعلِّم ذلك أمّتَه، وقد كتبتُه في هذه الأوراق بِخَلَوقٍ[1] ومسك، وزعفران وسُكّ[2]؛ فمن استوهَبَه مني وَهَبْتُه، ومن أعطى ثمنَ القِرْطَاس أخذته.

قال عيسى بن هشام: فَانْثَالَتْ عليه الدراهم، حتى حيَّرَتْهُ؛ ونظرت فإذا شيخنا أبو الفتح الإسكندري، فقلت: كيف اهتديت إلى هذه الحيلة؟ ومتى اندرجت في هذه القبيلة؟ فأنشأ يقول:

النَّاسُ حُمْرٌ فَجَوِّزْ وَابْرُزْ عليهم وَبَرِّزْ
حَتَّى إذا نِلْتَ منهُمْ ما تَشْتهيهِ فَفَرْوِزْ[3]

[جارية ذات أدب وجمال تَبذُّ أبناء الخلفاء]

وُصِفَتْ لعبد الملك بن مروان جاريةٌ لرجل من الأنصار ذات أدب وجمال، فساومه في ابتياعها، فامتنع وامتنعت، وقالت: لا أحتاج للخلافة ولا أرغبُ في الخليفة، والذي أنا في ملكه أحبّ إليَّ من الأرض ومَنْ فيها. فبلغ ذلك عبد الملك فأغراه بها؛ فأضعف الثمن لصاحبها وأخذها قَسْراً، فما أعجب بشيء إعجابه بها، فلما وصلت إليه، وصارت في يديه، أمرها بلزوم مَجْلِسه، والقيامِ على رأسه؛ فبينما هي عنده، ومعه ابْنَاهُ الوليد وسليمان، قد أخلاهما للمذاكرة، فأقبل عليهما فقال: أيُّ بيت قالته العرب أمدح؟ فقال الوليد: قول جرير فيك[4]:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَن رَكِبَ المَطَايا وأنْدَى العالمينَ بُطُونَ راحِ[5]

وقال سليمان: بل قول الأخطل:

---

(١) الخلوق: نوع من الطيب.
(٢) السُّكُّ: ضرب من الطيب يُركَّب من مِسْكٍ ورامك.
(٣) فَرْوَزَ الرجل: مات.
(٤) جرير، الديوان: ص ٧٧.
(٥) الراح: الواحدة راحة: الكفُّ.

شُمْسُ العَداوةِ حَتّى يُستقادَ لَهُمْ ... وَأعْظَمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا[١]

فقالت: الجارية: بل أمدح بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت[٢]:

يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرّ كِلابُهُمْ ... لا يَسْألون عنِ السَّوادِ المُقْبِلِ[٣]

فأطرق، ثم قال: أي بيت قالته العرب أرَقّ؟ فقال الوليد: قولُ جرير[٤]:

إنّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنا ثُمَّ لم يُحْيينَ قَتْلانا

فقال سليمان: بل قولُ عمر بن أبي ربيعة[٥]:

حَبَّذا رَجْعُها يَدَيْهَا إليها ... مِنْ يَدَيْ دِرْعِها تَحُلُّ الإزَارا[٦]

فقالت الجارية: بل بيت يقوله حسان:

لَوْ يَدبّ الحوليّ مِنْ وَلَد الذ ... رّ عليها لأنْدَبَتْهَا الكُلُومُ[٧]

فأطرق، ثم قال: أي بيت قالته العرب أشجع؟ فقال الوليد: قول عنترة[٨]:

إذْ يتَّقونَ بيَ الأسنَّة لم أخِمْ ... عَنْها، وَلوْ أني تَضايَق مُقْدَمي[٩]

(١) شُمْسُ العداوة: أشداء على العدوّ. يُستقاد لهم: يُقدَّمُ لهم الخضوع ويسلم بقيادتهم ورياستهم. والأحلام: جمع حلم، ومن معانيه: الصبر، والعقل الراجح، والتسامح.

(٢) حسان بن ثابت، الديوان (شرح البرقوقي): ص ٣٠٩. والبيت من قصيدة يمدح بها ملوك غسّان بالشام.

(٣) يُغْشَوْن: تنزل بهم الغاشية، وهم السُّؤّال والمستجدون وطالبو المعروف. وغشى فلان المكان: أتاه.

(٤) جرير، الديوان: ص ٤٩٢. والبيت من قصيدة يتغزل بها، ويهجو الأخطل.

(٥) عمر بن أبي ربيعة، الديوان: ١/ ٢٣٥. والبيت من قصيدة قالها الشاعر في مجلس عتاب ووصال.

(٦) الدرع: القميص. ومن أجل شعر يحلّ فيه الإزار سخط الناصحون على عمر وشعره. قال ابن جريج: «ما دخل على العواتق في حجالهن شيء أضرُّ عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة».

(٧) الذَّرُّ: صغار النمل. أنْدَبَ جِسْمَهُ: ترك فيها نُدوباً، وهي آثار الجروح. والكلوم: جمع كَلْم، وهو الجرح.

(٨) عنترة بن شدَّاد، الديوان: ص ٢٩.

(٩) قوله: «إذ يتقون بي الأسنة» معناه: يجعلونني بينهم وبينها، أي: يقدمونني للموت. لم أَخِمْ: لم أجبن. قال جنادة بن عامر الهذلي:

لَعَمْرُكَ ما وَنَى ابنُ أبي أنيسٍ ... وَلا خَامَ القِتالَ ولاَ أضَاعا

(ابن منظور، لسان العرب: خيم). والمقدم: موضع الإقدام. وتضايق مقدمي: أي ضاق المكان الذي أقدم فيه، فلا أجد فسحةً لفرسي.

فقال سليمان: بل قوله[١]:

وَأَنَا المنيةُ في المواطنِ كُلِّها ... فَالمَوْتُ مِنِّي سَابِقُ الآجالِ

فقالت الجارية: بل بيت يقوله كعب بن مالك[٢]:

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بِخَطْوِنا ... قُدُماً وَنُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

فقال عبد الملك: أَحْسَنْتِ، ما نرى شيئاً في الإحسان إليك أبْلَغَ من رَدِّكِ إلى أهلك. فأجمل كُسْوَتها، وأحسن صِلَتَهَا، ورَدَّها إلى أهلها.

ومثل قول كعب بن مالك قول نَهْشَل بن حَرِّيّ[٣]:

إنَّما بني نَهْشَلٍ لا نَدَّعي لأبٍ ... عَنْهُ، وَلا هُوَ بالأبناءِ يَشْرينا

إنْ تُبْتَدرْ غايةٌ يوماً لِمَكْرُمةٍ ... تَلْقَ السَّوابِقَ مِنّا وَالمُصَلِّينَا

إنّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أوائِلَهم ... قَوْلُ الكُماةِ: ألا أينَ المحامونا[٤]

لو كانَ في الألفِ منا واحدٌ فَدَعَوْا ... مَنْ فارِسٌ؟ خَالَهم إياهُ يَعْنُونا[٥]

إذا الكُماةُ تأبّوا أنْ يَنالَهُمُ ... حَدُّ السيوفِ وَصَلْناها بأيدينا

إنما أردت هذا البيت.

وقولُه: لو كان في الألف منا واحد، أخذه من قول طَرَفَة بن العبد[٦]:

إذا القومُ قالوا مَن فتًى خِلْتُ أنَّني ... عُنِيتُ فلم أكْسَلْ ولم أتبلَّدِ[٧]

---

(١) عنترة بن شداد، الديوان: ص ١٩١. وفيه:

وَأنا المَنيَّةُ حِينَ تَشْتَجِرُ القنا ... وَالطَّعْنُ مِنِّي سَابِقُ الآجالِ

(٢) البيت في الأغاني: ١٦/ ١٧١. وفيه حديث حول هذا البيت بين معاوية بن أبي سفيان. وجلسائه، وإجماع منهم على أنه أشجع بيت وصف به رجل قومه.

(٣) الأبيات الأربعة الأولى في الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢/ ٥٣٣.

(٤) في الشعر والشعراء: «قِيلُ الكماة».

(٥) في الشعر والشعراء: «من عاطفٌ؟».

(٦) طرفة بن العبد، الديوان: ص ٢٩.

(٧) التَّبلُّدُ: نقيض التَّجلُّد، وقيل: المُتَبلِّدُ: الذي يتردد متحيراً.

[نَهْشَل بن حَرِّيّ]

وكان نهشل شاعراً ظريفاً، وهو نَهْشَل بن حَرِّيّ بن ضَمْرَة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل بن دارم، وكان اسم جده ضمرةَ هذا: شِقّةَ، ورد على النعمان بن المنذر فقال: من أنت؟ فقال: أنا شِقّة، وكان قصيفاً[١] نحيفاً دميماً، فقال له النعمان: تَسْمَعُ المعيديّ لا أن نراه، والمُعَيْدِي: تصغير المعدِّيّ، فذهبت مثلاً، فقال: أبيتَ اللعنَ! إن الرجال لا تُكال بالقفزان، وليست بِمُسُوك[٢] يُسْتَقَى بها من الغُدْرَان، وإنما المرءُ بأصغرَيْه قلبه ولسانه، إذا نطق نطق ببيان، وإذا قَاتَلَ قاتل بجَنَانٍ، فقال: أنت ضَمْرة! ونَهْشَل هو القائل[٣]:

وَيَــوْمٍ كـــأَنَّ المُصْطَلِيـــنَ بِحَـــرِّهِ ... وَإنْ لـم يَكُـنْ جَمْرٌ قيـامٌ علـى الجَمْرِ

أَقَمْنَـا بـــهِ حتـــى تَجلَّـــى، وَإنَّمـــا ... تُفَـرَّج أيـامُ الكـريهـةِ بـالصَّبْـرِ[٤]

[أثر الشعر]

وكان عبدُ الملك يقول: يا بني أمية، أحسابُكم أعراضُكم، لا تعرضوها على الجهال، فإنّ الذمَّ باقٍ ما بَقِي الدهر؛ والله ما سرَّني أني هُجِيت ببيت الأعشى، وأن لي طِلَاعَ الأرض ذَهَباً، وهو قوله في عَلْقمة بن عُلاثة[٥]:

يَبِيتـونَ فـي المَشْتَـى مِـلاءً بُطُـونُهـم ... وَجـاراتُهـم غَـرْثَـى يَبِتْـنَ خَمـائِصـا[٦]

والله ما يُبَالي من مُدِحَ بهذين البيتين ألا يُمْدَحَ بغَيْرِهما، وهما قول زهير:[٧]

هُنَـالِـكَ إنْ يُسْتَخْبَلُـوا المـالَ يُخْبِلُـوا ... وَإن يُسْألُوا يُعْطوا وإن يَيْسِروا يُغْلُوا[٨]

---

(١) القصيف: النحيف.

(٢) المسوك: جمع مَسْك، وهو الجلد.

(٣) البيتان في الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢/ ٥٣٢.

(٤) في الشعر والشعراء: «صَبَرْنَا لَهُ حتَّى يَبُوخَ».

(٥) الأعشى، الديوان: ص ٢١٣.

(٦) في الديوان:

تَبِيتـونَ فـي المَشْتَـى مِـلاءً بُطُـونكُـمْ ... وَجَـاراتُكُـمْ جَـوْعَـى يَبِتْـنَ خَمـائِصـا

الخمائص: جمع خميصة، وهي الجائعة الضامرة البطن.

(٧) زهير بن أبي سلمى، الديوان: ص ٦٢. والبيتان من قصيدة يمدح بها سنان بن أبي حارثة المرّيّ.

(٨) يُسْتَخْبَلون: تستعار إبلهم لتشرب ألبانها. ويَخْبِلون يتفضّلون ويتكرمون في تلك الشدة. يَيْسِرُون: يقامرون بالمَيسر. يغلون: يأخذون سمان الإبل فيقامرون عليها، ولا ينحرون إلاَّ الغالية.

عَلى مُكْثرِيهِم حَقٌّ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ وَعِنْدَ المُقلِّينَ السَّماحةُ والبَذْلُ[١]

وقال ابنُ الأعرابي: أمدحُ بيتٍ قاله المُحْدَثُونَ قولُ أبي نواس[٢]:

أَخذتُ بِحَبْلٍ مِنْ حِبالِ مُحمدٍ أَمِنْتُ بِهِ مِنْ طارقِ الحَدَثانِ[٣]

[تَغطَّيْتُ مِنْ دَهْري بِظِلِّ جَناحِهِ فَعَيْني ترى دَهْري وَلَيْسَ يَراني

فَلو تُسْأَلِ الأيامُ عَنِّيَ ما دَرَتْ وَأَيْنَ مكاني ما عَرفْنَ مَكاني[٤]

وهذا كقول أعرابي، ذكر بعضُ الرواة أن مالك بن طَوْقٍ كان جالساً في بَهْوٍ مطلّ على رحبته ومعه جلساؤه، إذ أقبل أعرابي تَخُبّ به ناقتُهُ، فقال: إياي أراد، ونحوي قصد، ولعل عنده أدباً يُنتفع به. فأمر حاجبه بإدخاله، فلما مثل بين يديه قال: ما أقدمك يا أعرابي؟ قال: الأمل في سَيب الأمير والرجاء لنائله[٥]. قال: فهل قدّمت أمام رغبتك وسيلة؟ قال: نعم، أربعة أبيات قلتها بظهر البرية؛ فلما رأيت ما بباب الأمير من الأبهة والجلالة استصغرتها، قال: فهل لك أن تنشدنا أبياتك؟ ولك أربعة آلاف درهم، فإن كانت أبياتُك أحسن فقد ربحنا عليك، وإلا قد نلتَ مرادك وربحتَ علينا، قال: قد رضيت، فأنشده:

وَما زِلْتُ أَخْشَى الدَّهْرَ حَتَّى تَعلَّقتْ يَدايَ بِمَنْ لا يَتَّقِي الدَّهْرَ صَاحِبُهْ

فَلما رآني الدَّهْرُ تَحْتَ جَناحِهِ رَأى مُرْتَقَى صَعْباً مَنيعاً مُطالبُهْ

وَأَنّي بِحَيْثُ النَّجْمُ في رَأْسِ باذخٍ تُظِلُّ الوَرَى أكنافُهُ وَجَوانِبُهْ[٦]

فَتًى كَسماءِ الغيثِ وَالناسُ حَوْلَهُ إذا أَجْدَبوا جَادَتْ عليهم سَحائِبُهْ

قال: قد ظفرنا بك يا أعرابي، والله ما قيمتها إلا عشرة آلاف درهم. قال: فإن لي صاحباً شاركته فيها ما أراه يرضى بيعي، قال: أتراك حدَّثت نفسك بالنكث؟ قال: نعم، وجدتُ النكث في البيع أيسرَ من خيانة الشريك، فأمر له بها.

---

(١) في الديوان: «على مكثريهم رزق من يعتريهم». مكثروهم: مياسيرهم وأغنياؤهم. المقلون: القليلو المال. البذل: العطاء.

(٢) أبو نواس، الديوان: ص ٤٦٩.

(٣) في الديوان: «أمنت به من نائب الحدثان».

(٤) في الديوان: «فلو تسأل الأيام ما اسمي لما درت».

(٥) النائل: العطاء.

(٦) باذخ: اسم جبل. الأكناف: النواحي.

[أنصف بيت، وأصدق بيت]

وأنصفُ بيتٍ قالته العربُ قولُ حسان بن ثابت لأبي سفيان بن الحارث في جوابه عما هجا به رسول الله ﷺ، وروى محمد بن عمار عن أبيه قال: أنشد النبيّ حسانُ بن ثابت قوله:

هَجَوْتَ مُحَمَّداً، فَأَجَبْتُ عنهُ وَعِنْدَ الله في ذاكَ الجزاءُ

فقال النبيّ عليه السلام: جزاؤك الجنة يا حسّان.

فلما انتهى إلى قوله:

فإنَّ أبي وَوَالدِهِ وَعِرْضي لِعِرْضِ مُحمَّدٍ مِنْكُمْ وِقاءُ

قال النبيّ عليه السلام: وَقَاكَ الله حرَّ النار.

فلما قال:

أتَهْجُوهُ وَلَسْتَ له بِكُفءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُما الفِدَاءُ

قال مَنْ حضر: هذا أنصفُ بيت قالته العرب.

وأصْدَقُ بيت قالته العرب وأمدحُه قولُ كعب بن زهير في رسول الله ﷺ[١]:

تَحْمِلُهُ النَاقَةُ الأدماءُ مُعْتَجِراً بالبُرْدِ كالبدرِ جَلَّى لَيْلَةَ الظُّلَمِ
وَفي عِطَافَيْهِ أو أثناءِ بُرْدَتِهِ ما يَعْلَمُ الله من دينٍ وَمِنْ كَرَمِ

وقال الأصمعي: والجهال يروون هذا البيت لأبي دهبل، واسمه وهبُ بن ربيعة، في عبد اللّه بن عبد الرحمٰن الأزرق والي اليمامة، والصواب ما ذكرناه، وهو بصفات النبيّ ﷺ أعْلَق، وبمدحه أليق.

[ألفاظ لأهل العصر في ذكر النبي]

سليل أكرم نَبْعة[٢]، وقريع أشرف بقعة[٣]. جاب بأمته الظلمات إلى النور، وأفاء عليهم بالظلّ بعد الحَرور، وهو خيرَةُ الله من خلقه، وحجّته في أرضه. الهادي إلى حقه،

---

(١) لم نجد هذين البيتين في ديوانه.

(٢) النبعة: واحدة النبع، وهو شجر ينبت في قُلَّةِ الجبل، تُتَّخذ منه القسيّ والسهام. ويقال: فلان شديد النبع: شديد المراس، وفلان من نبعة كريمة: ماجد الأصل.

(٣) القريع: السيّد، يقال: فلان قريع دهره: سيد دهره.

والمُنْبه على حكمه. والداعي إلى رُشدِه والآخذُ بفرضه. مباركٌ مولده، سعيدة غرّتُه، قاطعة حجَّتُه، ساميةٌ درجتُه، ساطع صباحُه، متوقّد مصباحُهُ، مُظَفّرةٌ حروبُه، مُيَسَّرةٌ خطوبُه، قد أُفردَ بالزعامة وحده، وخُتِمَ بأن لا نبيَّ بعده، يُفصَح بشِعَاره على المنابر، وبالصلاة عليه في المحاضر، وتعمر بذكره صدورُ المساجد، وتستوي في الانقياد له حالة المقرِّ والجاحد. آخر الأنبياء في الدنيا عمراً وأولهم يوم القيامة ذكراً، وأرجحهم عند الله ميزانا، وأوضحهم حجّة وبرهاناً، صدعَ بالرسالة، وبلغ بالدلالة، ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم. أرسله الله قمراً للإسلامِ منيراً، وقدراً على أهل الضلال مبيراً[١] ﷺ. خير من افْتُتِحَتْ بذكره الدعوات، واستنجحت بالصلاة عليه الطلبات، خير مبعوث، وأفضل وارث وموروث. وخير مولود، دعا إلى خير معبود. صلى الله على كاشف الغمّة عن الأمة. الناطق فيهم بالحكمة، الصادع بالحق، الداعي إلى الصدق، الذي ملك هَوَادِيَ الهدى، ودلَّ على ما هو خيرٌ وأبقى. صلى الله عليه بشير الرحمة والثواب، ونذير السطوة والعِقاب. صلى الله على أتمِّ بريته خيراً وفضلاً، وأطيَبهم فرعاً وأصلاً، وأكرمهم عوداً ونجاراً، وأعلاهم منصباً وفخاراً، وعلى أهله الذين عظّمهم توقيراً، وطهّرهم تطهيراً، هم مقاليد السعادة ومفاتيحها، ومعارجُ البركة ومصابيحُها. أعلام الإسلام وأيمان الأيمان. الطيبون الأخيار، الطاهرون الأبرار. الذين أذهب عنهم الأرجاس، وجعل مودتهم واجبةً على الناس. هم حَبْلُ الهدى وشجرة الإيمان، أصلها نبوّة، وفرعها مروّة، وأغصانها تنزيل، وَوَرقاتُها تأويل، وخَدَمُهَا ميكال وجبريل.

لبديع الزمان الهمذاني

ولبديع الزمان إلى بعض الأشراف في دَرْج كلام تقدَّم:

إن جعلنا نَعُدُّ فخاركم، ونحُدُّ آثاركم، نِفد الحصى قبل نفودِها، وفنِيت الخواطرُ، قبل أن تفنى المآثر، ولم لا، وإن ذُكِر الشرف فأنتم بنو بَجْدته[٢]، أو العلم فأنتم عاقدو إزرته. أو الدين فأنتم ساكنو بلدته، أو الجود فأنتم لابسو جلدته، أو التواضع صبرتم لشدَّته، أو الرأي صُلْتُم بحدته، وإنَّ بيتاً تولى الله عز وجل بناءه، ومَهّدَ الرسولُ عليه السلام فناءه، وأقام الوَصيُّ رضوان الله عِمادَه، وخدم جبريلُ عليه السلام أهله، لحقيق أن يُصانَ عن مدح لسانٍ قصير.

---

(١) المُبيرُ: المُهْلِكُ.

(٢) البَجْدَةُ: حقيقة الأمر وباطنه، ويقال: عنده بجدة ذلك: علمه، وهو ابن بجدتها: العالم بالشيء المُتْقِن، وأصله: الدليل الهادي في الصحراء.

لأعرابي

وذكر النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ فقال: بأبي وأمي رسول رب العالمين، ختمت به الدنيا، وفتحت به الآخرة، ﷺ، به يبدَأ الذكرُ الجميلُ ويختم.

خاتمة المؤلف

إلى هذا المكان أمسكت العنان. والإطنابُ في هذا الكتاب يعظم ويتّسع. بل يتصل ولا ينقطع؛ إذ كان غرضي فيه أن ألمح المعنى من معانيه، ثم أنجرّ معه حيث أنجرّ، وأمرّ فيه كيف مرّ، وآخذ في معنى آخر غير موصول بشكله، ولا مقرون بمثله، وقد أخل نظاماً، وأفرد تؤاما، نَشْراً لبساط الانبساط، ورغبة في استدعاء النشاط. وهذا التصنيف لا تُدرك غايتُه، ولا تُبلغ نهايته؛ إذ المعاني غير محصورة بعدد، ولا مقصورة إلى أمد. وقد أبرزْتُ في الصدر صفحةَ العُذْر، يجولُ فِرِندُها، ويثقبُ زندها، وذلك أني ما ادَّعيتُ فيما أتيتُ إلا ما [لا] يكون ما تركته أفضل مما أدركتُه، وأني لم أسلك مذهباً مخترعاً لم أُسْبَق إليه، ولا قصدت غرضاً مُبدَعاً لم أُغْلَبْ عليه، ومن ركب مطيّة الاعتذار، واجتنب خطيّة الإصرار فقد خرج من تَبِعة التقصير، وبرىء من عهدة المعاذير.

وأما بعد فإن أحقّ من أحتكِم إليه وأقتصر عليه الاعترافُ بفضل الإنصاف، وليعلم من يُنْصِف أن الاختيارَ ليس يعلم ضرورة، ولا يوقف له على صورة، فيكثر الإغماض، ويقل الاعتراض، ويعلم أنَّ ما لا يقع بهواه، قد يختاره سواه، وكلٌّ يَعْمَلُ اقتدارَه، ويحسن اختياره، فلو وقع الاجتماع على ما يُرضِي ويُسخِط، ويثبت ويسقط، لارتفع حجاجُ المختلفين، في أمر الدنيا والدين.

وقال المتنبي[(١)]:

تَخالَفَ النـاسُ حتَّى لا اتِّفاقَ لَهُـمْ ... إلا على شَجَبٍ والخُلْفُ في الشَّجَبِ[(٢)]

فَقيلَ: تَخْلُصُ نَفْسُ المَرْءِ سَالمَةً ... وَقيلَ: تَشْرَكُ جِسْمَ المَرْءِ في العَطَبِ

الشجب: الموت، وهي لفظة معروفة، وإن كانت غير مألوفة عند أهل النقد. وقد

(١) المتنبي، الديوان: ٢/ ٢٣٣. والبيتان من قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة الحمداني وَيُعزِّيه بها.

(٢) الشجب: الموت، الهلاك. والخلف: بمعنى الأختلاف. أي تخالفت آراؤهم في كلّ شيءٍ، فما اتفقوا إلاّ على الهلاك.

أنكرها البحتري على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في مجاذبته إياه حيث يقول:

وَلَـــوَ أنَّ الحكـــم وازنَ فـــي الْـ لَفْـــظِ وَاختـــارَ لـــم يقُـــلْ شَجبُـــه

وكان أبو الطيب نظر إلى ما رواه أبو ظبيان، قال: اجتمع نفرٌ من أهل الكلام على رجل من الملحدين، فجعلوا لا يأتون بمسألة إلا سألهم الدليلَ عليها، وناقضهم فيها، فأعياهم كثرةُ ما يقول ويقولون، فقال بعضهم: أما بعد فإن الموت لا شكَّ فيه فقال الملحد: ما رأيتُ خاطباً وواعظاً وشاهداً لا يُردّ أوجز منه، وقلما تَرى معنًى إلا وهو يُدَافع أو يُنَاقَض ويُحَارُ به عن سواءِ المحجّة. وقيل: من طلب عيباً وجده. قال أبو عمرو بن سعيد القُطْرُبلي: ليس من بيتٍ إلا وفيه لطاعنٍ مَطْعَن، إلا قول الحطيئة:[١]

مَـنْ يَفْعَـلِ الخَيْـرَ لا يَعْـدَمْ جَـوازِيَـهُ لا يَـذْهَـبُ العُـرْفُ بَيْـنَ الله وَالنَـاسِ

وَقول طَرَفَةَ بن العبد[٢]:

سَتُبْـدي لـك الأيـامُ مـا كُنْـتَ جَـاهِـلاً وَيـأتيـكَ بِـالأخْبَـارِ مَـنْ لَـمْ تُـزَوّدِ

وقول عدي بن زيد[٣]:

عَـنِ المـرءِ لا تَسَـلْ وَسَـلْ عَـنْ قَـرينـهِ فَـكُـلُّ قَـريـنٍ بـالمُقـارِنِ مُقْتَـدِ

وللعلم بذلك قال قتيبة بن مسلم لأبي عَيَّاشٍ المتوف، وقد دخل عليه وبين يديه سلة زعفران: أنشدني بيتاً لا يصارف ولا يكذَّب وهي لك، فأنشده ما ليس لطاعن فيه مطعن:

فَمـا حَمَلَـتْ مِـنْ نَـاقـةٍ فَـوْقَ كُـورِهَـا أبَـرَّ وَأَوْفَـى ذِمَّـةً مِـنْ مُحمَّـدِ[٤]

[ﷺ، ورحم وكرَّم، وشرَّف وعظَّم، وعلى آله الطيبين، وسلم تسليماً].

---

(١) البيت في العمدة في محاسن الشعر: ١/٢٨٣، والأغاني: ٢/١٤٥.

(٢) طرفة بن العبد، الديوان: ص ٤١.

(٣) البيت في شعراء النصرانية: ١/٤٦٦. وهو من قصيدة طويلة ضمنها أجود الحكم، ومطلعها:

أتَعْـرِفُ رَسْـمَ الـدَّارِ مـنْ أمّ مَعْبَـدِ نَعَـمْ وَرَمَـاكَ الشَّـوْقُ قَبْـلَ التَّجلُّـدِ

ويروى هذا البيت لطرفة بن العبد، (أنظر ديوانه: ص ٤٤).

(٤) الكور: الرَّحْلُ، أو هو الرحل بأداته.



فهرس محتويات

الجزء الرابع

نماذج من الشعر الجيد ٥
لابن المعتز ٥
لعلي بن الخليل أمام الرشيد ٧
وصف دعوة لمحمّد بن حازم ٨
من مستحسن الأجوبة ٩
بين معن بن زائدة ورجل من شيبان ٩
بين المنصور ومعن بن زائدة ٩
من ترجمة معن بن زائدة، وأخباره ١٠
لابن أبي حفصة في بني مطر قوم معن ١٠
الرأي والشجاعة ١٠
قضاء الله وعدله ١١
بنو كليب ١١
دعاء أعرابي بعرفة ١١
عتاب بين صديقين ١١
دعاء أعرابي ١٢
جُمَل من ألوان المديح ١٥
ألفاظ لأهل العصر، في ضروب الممادح ١٦
ولهم في أدعية من صدور الكتب تليق بهذه الأثنية والممادح ١٩
منزلة صناعة الكلام ٢٠
بعض ما قيل في النسيب ٢٢

عمران بن حطّان والحجاج ٢٤
بين أعرابي وبعض الولاة ٢٥
الدنيا، وأهلها ٢٥
أربع كلمات طيبات ٢٦
بين معاوية وعمرو بن سعيد ٢٦
من تواضع الرشيد ٢٧
للمتنبي في حُمَّى أصابته بمصر ٢٧
ألفاظ لأهل العصر في العيادة وما جانسها من ذكر التَّشَكّي والمرض وتلونه، وسوء أثره، والانزعاج لعوارضه ٢٨
فقر في تهوين العلة بحسن الرجاء، وذكر المشاركة والاهتمام بحلولها والاستبشار بزوالها .. ٢٩
ولهم في شكاة أهل الفضل والسؤدد ٢٩
ولهم في تنسُّم الإقبال، وذكر الإبلال ٣٠
فقر في أدعية العيادة، والاستشفاء بكتبها ٣٠
قطعة من كلام الأطباء والفلاسفة ٣١
فقر في ذكر المرض والصحة والموت والحياة لغير واحد ٣٢
الموت باب الآخرة ٣٣
من الأجوبة المقحمة ٣٤
رثاء قدح ٣٥
من طرائف الوصف ٣٦
لابن الرومي في وصف قدح ٣٦
للتنوخي في وصف قدح أيضاً ٣٧
لكشاجم في رثاء منديل ٣٧
وله يصف سقوط الثلج ٣٨
ولكشاجم أيضاً ٣٩
للصنوبري في المعنى ٣٩
للبستي ٤٠
للميكالي يصل الجمد ٤٠
ألفاظ لأهل العصر في وصف الثلج والبرد والأيام الشتوية ٤١

نقيض ذلك من كلامهم في وصف القيظ وشدّة الحَرّ ٤٢
العجلة أُمُّ الندامة ٤٢
تأميل ورجاء ٤٢
من حسن التقسيم ٤٤
بين قَيْنَةٍ وأربعة من عشاقها ٤٥
بين ابن المعتز وقينة ٤٧
بين ابن المعتز وبعض الوزراء ٤٨
من شعر ابن المعتز ٤٨
جرير في المدينة يُغري بشعر قيس بن الخطيم ٥٠
يعقوب بن داود ٥٠
بين أحمد بن أبي دواد والواثق ٥٢
من خطباء العرب شبيب بن شيبة وخالد بن صفوان ٥٢
عجلان بن سحبان ٥٤
دغفل بن حنظلة النسابة ٥٥
وصف العصا لأعرابي بين يدي الحجاج ٥٥
عِزَّة الخليل بن أحمد ٥٦
من رسائل الصابي ٥٧
للصابي يعزي عن طفل ٥٧
من الصابي إلى بعض الرؤساء ٥٩
من رسائل البديع ٥٩
كتاب منه إلى بعض أصحابه ٥٩
كتاب منه إلى إبراهيم بن أحمد بن حمزة ٦٠
كتاب آخر إلى أبي نصر الميكالي ٦٠
جواب منه عن صنيعة ٦١
المقامة الأذربيجانية ٦١
أيام الشباب وأيام المشيب ٦٣
لعلي العلوي ٦٣
لابن المعتز ٦٣

لأحمد بن أبي طاهر ٦٤
لخالد الكاتب ٦٤
لابن الرومي ٦٤
لكشاجم ٦٦
لأبي نواس ٦٦
لأحمد بن زياد ٦٦
للمتنبي ٦٧
لابن الرومي ٦٧
للمتنبي ٦٧
للبحتري ٦٨
لأبي تمام الطائي ٦٨
لابن الرومي ٦٨
للعطوي ٦٩
لابن الرومي ٦٩
لأبي الفتح كشاجم ٧٠
شذور لأهل العصر، في وصف الشيب ومدحه وذمّه ٧٠
فقر لغير واحد في المشيب ٧٢
بعض ما قالوه في الخضاب ٧٣
الوليد بن زيد وقد غلبت عليه لذاته ٧٦
بين الحجّاج وأهل العراق ٧٧
جامع المحاربي ٧٨
أيوب بن القرية ٧٨
كثير بن أبي كثير ٧٩
من قولهم في المديح ٧٩
لمنصور النمري ٨٠
الشراب وخطره ٨١
من اعتلال الطفيليين، وحيلهم ٨١
ألفاظ لأهل العصر في صفة الطفيليين والأكلة وغيرهم ٨٣

وصف طائر ٨٤
أحظى النساء عند المهدي ٨٤
وصف غلام ٨٥
بين خالد بن صفوان وعلي بن الجهم ٨٦
كَرُّ الحدثان ٨٧
من قولهم في الرثاء ٨٧
لأبي الشيص ٨٧
لحارثة بن بدر الغداني ٨٨
من أخبار حارثة بن بدر ٨٩
لأبي الأسود في حارثة بن بدر ٨٩
جواب حارثة بن بدر ٩٠
وصف امرأة ٩٠
من كلام الأعراب ٩٠
من مقامات البديع ٩١
المقامة الأزاذية ٩١
من رسائل بديع الزمان ٩٣
كتاب منه إلى سهل بن محمّد ٩٣
كتاب منه إلى بعض الرؤساء ٩٤
عفو عن ذي جريرة ٩٥
المأمون ٩٥
أحمد بن أبي خالد ٩٥
ألفاظ لأهل العصر في التهنئة بالإطلاق من الأسر ٩٥
أبو نواس يمدح الأمين ٩٥
بين الأخطل ومعاوية ٩٧
بين السفاح وأبي نخيلة ١٠٠
ومن مستحسن رثاء الخنساء وليلى وغيرهما من النساء ١٠٣
من رثاء الخنساء ١٠٣
من بديع رثاء الخنساء ١٠٣

من ترجمة الخنساء، وليلى الأخيلية ١٠٤
من أخبار الخنساء ١٠٤
نسب ليلى ١٠٥
موازنة بينهما ١٠٥
لابن الرومي ١٠٦
للخنساء ١٠٧
عمرو بن الشريد وابناه ١٠٨
من رثاء ليلى الأخيلية ١٠٨
وفود ليلى على معاوية ١١٠
وفود ليلى على مروان بن الحكم ١١٢
قدوم ليلى على الحجاج ١١٣
عود إلى رثاء شواعر العرب ١١٩
لهند بنت أسد ترثي أخاها ١١٩
لأم خالد النميرية ١١٩
لحليمة الخضرية ١٢٠
للفارعة بنت شداد ١٢٠
عبرات المحبين ١٢١
مما أنشده ثعلب ١٢١
مما ينسب إلى قيس بن الملوح ١٢٢
لذي الرمة ١٢٢
للبحتري ١٢٣
مما أنشده جحظة ١٢٣
للمتنبي ١٢٣
لأبي الشيص ١٢٣
من أخبار العباس بن الأحنف ١٢٤
موازنة بين العتابي والعباس ١٢٥
العين والقلب ١٢٩
من مأثور الحكم ١٣٠

الهوى ١٣١
من رسائل الميكالي ١٣٣
من شعر الميكالي ١٣٥
الاهتزاز لقضاء حوائج الناس ١٣٦
بين عميلة الفزاري وأسيد بن عنقاء ١٣٧
من غرر المدائح ١٣٨
صروف الدهر ١٣٨
من لا يوفي النعم حقَّها ١٣٩
عود إلى غرر المدائح ١٣٩
لأبي الشيص ١٣٩
لأبي الحجناء ١٣٩
لنصيب في البرامكة ١٤٠
لنصيب في بني سليمان بن علي ١٤٠
فعلات الأجواد ١٤١
هشام بن عبد الملك ١٤١
عمرو بن مسعدة ١٤١
محمد بن طيفور ١٤١
إبراهيم بن المهدي ١٤٢
محمد بن طيفور ١٤٢
من نوادر الرثاء ١٤٢
قرد زبيدة بنت جعفر ١٤٢
ثور ابن قريعة ١٤٣
عودٌ إلى المختار من الرثاء ١٤٥
لامرأة العباس بن عبد المطلب ١٥٤
لأخت الوليد بن طريف ١٤٦
لبكر بن النطاح ١٤٦
من شعر بكر بن النطاح ١٤٧
نسب أبي دلف العجلي ١٤٨

لدعبل الخزاعي ١٤٨
رثاء عمر بن الخطاب ١٤٩
لبشار ١٤٩
للمتنبي في فاتك ١٥٠
لعبد الملك الحارثي ١٥٠
من كلاب الأعراب ١٥١
أعرابي بباب عبيد اللّٰه بن زياد ١٥١
من مقامات بديع الزمان ١٥٢
المقامة البصرية ١٥٢
من رسائل البديع ١٥٣
رسالة منه لبعض الرؤساء ١٥٣
رسالة منه إلى الشيخ العميد ١٥٤
عود إلى غُرَرِ المديح ١٥٥
لأبي العباس الناشىء ١٥٥
لأحمد بن محمد يمدح ابن وهب ١٥٦
لأعرابي ١٥٧
تكاليف المجد ١٥٧
فصل لأبي العباس بن المعتز ١٥٧
احمال الغضب ١٥٨
مما تتعيّن العناية بمطالعتها ١٥٩
كتمان الحب ١٦١
لابن المعتز ١٦١
لابن الأحنف ١٦٢
للفارضي ١٦٢
لابن المعتز ١٦٢
لأعرابي ١٦٢
للحسين بن مطير ١٦٣
لدعبل الخزاعي ١٦٥

لمسلم بن الوليد ١٦٥
معالي الأخلاق ١٦٥
مما أنشده الزبير بن بكار ١٦٥
رياضة النفس على الفراق ١٦٥
لابن الأحنف ١٦٦
للمتنبي ١٦٧
لأبي صَخْرِ الهذلي ١٦٧
شذور من كلام أهل العصر في مكارم الأخلاق ١٦٧
مواعظ عقلها بعض أهل العصر تتعلق بهذا الفصل ١٦٩
من رسائل العتابي وأدبه ١٧٠
شعر الأعراب ١٧١
خصومة قرشية ١٧٣
ادّعاء ١٧٣
عزل والٍ ١٧٤
حرمة الكعبة ١٧٤
كتاب ينصر محارباً ١٧٤
من حكم الفرس ١٧٥
حكم للهند ١٧٥
وصية من عتبة بن أبي سفيان ١٧٦
يزيد بن معاوية ١٧٦
فضل العمامة ١٧٧
من رسائل ابن العميد ١٧٧
من كتاب له إلى أبي عبد اللّه الطبري ١٧٧
هرب من الوباء ١٧٨
قتيل الحب ١٧٩
ابن عباس ١٧٩
مسلم بن الوليد صريع الغواني ١٨٠
من شعر أبي نواس ١٨٢

وصف جيش ١٨٣
شعب بوَّان ١٨٤
رجع إلى وصف الجيش ١٨٥
وصف سفينة ١٨٦
مما قيل في وصف الأساطيل ١٨٧
لابن هانيء يصف أسطول المعز الفاطمي ١٨٧
لعلي الإيادي يصف أسطول القائم ١٨٩
من لطائف التودّد ١٩٠
ومن ألفاظ أهل العصر في إقامة رسم الهدية في المهرجان والنيروز ١٩١
ولهم في التهنئة بالنيروز والمهرجان وفصل الربيع ١٩١
الصفات التي تلزم في رجل الشرطة ١٩٢
لأشجع السلمي يمدح صاحب شرطة الرشيد ١٩٢
من كلام الأعراب ١٩٣
أعرابية تلوم أباها في الجود ١٩٣
دعوة أعرابية ١٩٣
مع الولاة والخلفاء ١٩٣
السفاح وعمارة بن حمزة ١٩٣
السفاح وخالد بن صفوان ١٩٣
عمر بن عبد العزيز وخالد بن صفوان ١٩٤
شذور في المقابح ومساوىء الأخلاق ١٩٤
من المفاخرات ١٩٥
بين كاتب ونديم ١٩٥
لأبي الهيدام المرِّي يرثي ١٩٦
من وصايا الحكماء ١٩٦
من المدح ١٩٧
لابن الرومي ١٩٧
لأبي الفتح البستي ١٩٧
في مدح أبي دلف ١٩٧

أحمد بن أبي فنن ١٩٨
استطراد ١٩٩
لإسحاق الموصلي ١٩٩
لأبي تمام يصف فرساً ٢٠٠
سَبْقُ المتقدمين إلى الاستطراد ٢٠١
لطرفة بن العبد البكري ٢٠٢
ابن عبدل وابن بشر بن مروان ٢٠٢
لبشار بن برد ٢٠٢
لبكر بن النطاح ٢٠٣
للحطيئة ٢٠٣
شاعر باهلي في حضرة الرشيد ٢٠٤
كاتب الحجاج عند سليمان بن عبد الملك ٢٠٤
من أدب إبراهيم بن العباس الموصلي ٢٠٥
رثاء مصلوب ٢٠٨
كلام لا يحتمل الجواب ٢٠٨
من محمد بن كثير إلى الرشيد ٢٠٨
تعجيل الإحسان ٢٠٩
بين المأمون ويحيى بن أكثم ٢٠٩
المأمون ورجل من بني الدهاقين ٢٠٩
فضل الإيجاز ٢١٠
أبو مسلم ٢١٠
من أوصاف أبي مسلم ٢١١
حساب ٢١١
من كلام الأحنف بن قيس ٢١١
الأحنف بن قيس يصف العقل ٢١١
مما كتبه ابن الزيات ٢١٢
ألفاظ لأهل العصر في التهنئة بالحج، وتفخيم [أمر] الحرم و [تعظيم] أمر المناسك والمشاعر، وما يتصل بها من الأدعية ٢١٢

من شعر قَطَري بن الفجاءة ٢١٣
من جيِّد المديح ٢١٤
للمسيب بن علس ٢١٤
بين سعيد بن عبد اللَّه وسعيد بن حميد ٢١٥
منزلة سعيد بن حميد ٢١٦
من السرقات الشعرية ٢١٧
الاقتباس من القرآن الكريم ٢٢٢
أمثال للعرب والعجم والعامة وما يماثلها من كتاب الله تعالى ٢٢٢
جملة من مكاتبات [بعض] أهل العصر ٢٢٦
من مقامات بديع الزمان ٢٢٨
المقامة القزوينية ٢٢٨
عاقبة السؤال بلفظ حسن ٢٣٠
ابن رفاعة يتحدث عن النعمان بن المنذر والحارث الغساني ٢٣١
أربعة أبيات ٢٣١
أبو الأسود الدؤلي وامرأته ٢٣٢
عظات ووصايا ٢٣٢
عظة حكيم ٢٣٢
عظة عبد الملك بن مروان أهله وولده ٢٣٢
وصف هشام بن عبد الملك بصفته ٢٣٣
حاتم الطائي يتحمل الديات عن عبد قيس البرجميّ ٢٣٣
وَصف ثقيل ٢٣٣
طيلسان ابن حرب ٢٣٤
من رسائل ابن العميد ٢٣٧
من ابن العميد إلى الطبري ٢٣٧
من ابن العميد إلى عضد الدولة ٢٣٧
لأبي الطيب في ابني عضد الدولة ٢٣٨
من الإسكافي في تهنئة واستبطاء ٢٣٩
ألفاظ لأهل العصر في ضروب التهاني وما ينخرط في سلكها ٢٣٩

من ذلك في التهنئة بالمولود وما يجري مجراها من الأدعية وما يختصّ منها بالملوك أو الرؤساء ٢٣٩
ولهم في ذكر المولود العلوي ٢٤١
ولهم في التهنئة بالولاية والأعمال، وما يتصل بها من الأدعية ٢٤٢
للوزراء والقضاة والعمال ٢٤٢
ولهم في التهنئة بذكر الخلع والأجبية ٢٤٣
ولهم في التهنئة بالقدوم من سفر ٢٤٤
من أحسن الشعر ٢٤٥
المراثي التي قيلت على قبر عمرو بن حممة الدوسي ٢٥٤
بلاغة الأعراب ٢٤٧
أعرابي يصف قومه ٢٤٧
أعرابي يصف حاله عند الموت ٢٤٧
الإخوان ثلاثة ٢٤٨
أعرابية تسأل ٢٤٨
ذل السؤال ٢٤٨
من مقامات بديع الزمان ٢٤٨
المقامة الأهوازية (المكفوفية) ٢٤٨
من شعر كشاجم ٢٥٠
الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره ٢٥٢
من اسمه علي ممن استخلف ٢٥٤
في بيعة يزيد بن معاوية ٢٥٥
في الإقدام حياة ٢٥٥
من أخبار أبي دلف وشعره ٢٥٦
من رسائل الميكالي ٢٥٧
عتاب ٢٥٩
للخريمي يعاتب الوليد بن أبان ٢٥٩
من ترجمة أبي يعقوب الخُريمي ٢٦٠
فقر وفصول في معان شتى ٢٦١

بين حنيفة ونمير ٢٦٤
دعاء ٢٦٤
من رسائل البلغاء ٢٦٤
بين المأمون وعامله على الرقة ٢٦٤
بين الحسن بن سهل والمطلب بن عبد اللّٰه ٢٦٥
رثاء يزيد بن مزيد ٢٦٦
من رسائل بديع الزمان ٢٦٦
من مقامات بديع الزمان ٢٧٠
المقامة السجستانية ٢٧٠
المقامة القردية ٢٧١
المقامة الأَصفهانية ٢٧٢
جارية ذات أدب وجمال تَبذُّ أبناء الخلفاء ٢٧٣
نهشل بن حرِّي ٢٧٦
أثر الشعر ٢٧٦
أنصف بيت، وأصدق بيت ٢٧٨
ألفاظ لأهل العصر في ذكر النبي ٢٧٨
لبديع الزمان الهمذاني ٢٧٩
لأعرابي ٢٨٠
خاتمة المؤلف ٢٨٠

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية ٢٨٥
فهرس الأعلام ٢٩٣
فهرس الأشعار ٣٦٧
فهرس المصادر والمراجع ٤٦١
فهرس المحتويات ٤٦٧